

من حوادث دولة الشريف محمّد بن أحمد

حوليّات عبد الرحمن البهكلي

١١٨٢ - ١٢٤٨هـ - ١٧٦٨-١٨٣٢م



تحقيق

ميشيل توشيرير   عدنان درويش

المركز الفرنسي للدّراسات اليمنيّة بصنعاء   المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة بدمشق

دمشق

٢٠٠٠

خُلاصَةُ العَسْجَد

من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد

حوليات عبد الرحمن البهكلي

١١٨٢ - ١٢٤٨هـ - ١٧٦٨ - ١٨٣٢م

المركز الفرنسي للدراسات اليمنية
بيت العجمي، شارع ٢٦ سبتمبر
ص ب ٢٦٦٠، صنعاء، اليمن
هاتف : ٢٧٥٤١٧ (١ ٩٦٧) - فاكس : ٢٧٠ ٧٢٥ (١ ٩٦٧)
www.univ-aix.fr/cfey/
cfey01@y.net.ye

المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق
ص ب ٣٤٤ دمشق، سورية
هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ (١١ ٩٦٣) - فاكس : ٣٣٢٧٨٨٧(١١ ٩٦٣)
www.
ifead@net.sy

P.I.F.D. 181
ISBN 2-901315-57-7

خلاصة العسجد

من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد

حوليات عبد الرحمن البهكلي

١١٨٢ - ١٢٤٨هـ - ١٧٦٨-١٨٣٢م

تحقيق

ميشيل توشيرير عدنان درويش

المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق

دمشق

٢٠٠٠

اليمن والمخلاف السليماني بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر

المخلاف السليماني منطقة في الأطراف

في كتاب الأخبار : هذا تاريخ المخلاف السليماني خلال حقبة هامة من القرن الثامن عشر، وقد قُدّر لهذا المخلاف أن يكون موقعه في أطراف مراكز السلطة المهيمنة على النصف الغربي من شبه الجزيرة العربية، أي اليمن من جهة والحجاز من جهة أخرى. منذ أن نال اليمن استقلاله عن السلطات العباسية بفضل بني زياد في ٨٢٢ وحتى نهاية القرن الثامن عشر فقد أصبح الجزء الشمالي من التهامة اليمنية، أي المخلاف السليماني، جزءاً من الكيان اليمني.

ونظراً لوقوع هذا المخلاف في الأصقاع الجنوبية من الحجاز، فإنه لم يخضع لحكم أشراف مكة المكرمة إلا بمناسبة وخلال الحملات العسكرية التي وجّهها هؤلاء نحو اليمن. وبالمقابل فقد قام مراراً وتكراراً بدور ملجأ، لفترة قصيرة لبعض من هؤلاء الأشراف الذين كانوا ينكسرون في معارك داخلية حين النزاع على السلطة بين العشائر. فكانوا يجدون في المخلاف السليماني ملاذاً مؤقتاً يمكّنهم من العودة إلى مراكز سلطتهم في مكة، بمساعدة من اليمنيين. هذا شأن الشريف أحمد بن غالب، في أواخر القرن السابع عشر[١]، وربما أشراف الخيرات أيضاً وأشهرهم الشريف محمد بن أحمد، موضوع الدراسة التي يقدمها عبد الرحمن البهكلي.

---

١ . راجع : ابن دحلان، خلاصة، والبهكلي (علي)، العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب، نشر مؤخراً وهي تروي إقامة الشريف أحمد خلال أربع سنوات في المخلاف السليماني.

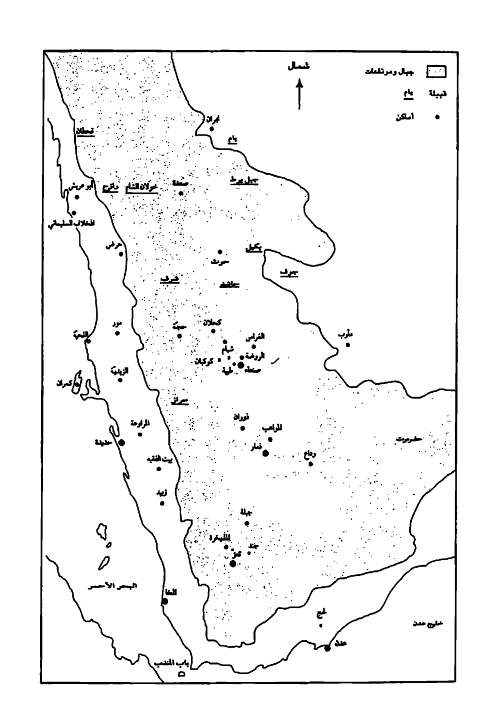
وبشكل مماثل، كان المخلاف السليماني مَنْحًى بالنسبة للتجمعات العشائرية الكبرى القابعة في هضاب اليمن العليا . في هذه الجبال الوعرة وفي حضن قبائل حصينة لجأ أتباع مذهبين دينيين كان لهما أثر دائم، وهما مذهب الإسماعيلية ومذهب الزيدية .

إلا أن المخلاف السليماني بقي مرتبطاً بأصوله التهامية، في ذلك السهل المستطيل الضيق على امتداد شاطئ البحر الأحمر، من مضيق باب المندب والطرف الشمالي لليمن، وما وراءه، من جهة الحدود الشمالية للحجاز .

تتضافر الظروف الطبيعية من جهة، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من جهة أخرى لإعطاء هذه المنطقة وحدة متأصلة، تلك الوحدة التي ساعدت على بروز أسر محلية من الأمراء الذين اكتفوا بارتباط واه مع السلطة اليمنية .

* * *




شمال
جبال ومرتفعات
قبيلة
يام
أماكن
نجران
يام
قحطان
أبو عريش
رازح
خولان الشام
صعدة
جبل برط
المخلاف السليماني
حرض
حوث
بكيل
جوف
شرف
حاشد
كحلان
حجة
مور
اللحية
الغراس
شبام
الروضة
كوكبان
صنعاء
مأرب
الزيدية
كمران
ذوران
المراوعة
المواهب
حديدة
ذمار
رداع
حضرموت
بيت الفقيه
زبيد
جبلة
جند
تعز
البحر الأحمر
المخا
لحج
خليج عدن
عدن
باب المندب

المخلاف السليماني في اليمن

١- عرض جغرافي للمخلاف السليماني :

١، ١ - الوصف طبيعي:

١، ١، ١ - الموقع :

لم يكن للمخلاف السليماني منذ تكونه في القرن العاشر الميلادي، الرابع الهجري أي حدود ذات صفة ثابتة مميزة بدقة، بل كانت تتغير وفقاً لضعف أو قوة السلطة القائمة في عَثَّر أو أبي عريش أو صبيا، أو في مناطق أخرى أيضاً. لكنَّ هذا المخلاف امتد بصورة عامة، بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر، بطول نحو ٢٠٠ كيلومتر، من وادي عِتْود في الشمال إلى وادي حَرَض في الجنوب. وانطلاقاً من الساحل، ضمَّ المخلاف شريطاً من الأرض عرضه من ٥٠ إلى ٧٠ كم حتى مشارف مرتفعات الفَيْفاء وهَروب وصَلا وحَشْر، وهي تشكل مناطق جبلية معزولة ومنفصلة عن الفجوة العميقة الممتدة لمحاذاة البحر الأحمر، من باب المندب في الجنوب حتى العقبة في الشمال.

والمخلاف السليماني موزع على الخريطة السياسية حالياً بحيث يضم الطرف الجنوبي لتهامة الواقعة في المملكة العربية السعودية، وشريطاً ضيقاً من تهامة الواقعة في اليمن من ميَدي إلى حرض.

١، ١، ٢ - التضاريس :

وساحله المنبسط الرملي محاط بصورة شبه متواصلة بجزر مرجانية تقع عرض البحر على بعد ما بين ٣٠٠ و ٢٠٠٠ متراً من الساحل. ولذلك، فإنَّ المواضع الصالحة لرسو السفن وإنشاء الموانئ نادرة. وعلى بعد نحو ستين كيلو متراً إلى الغرب من جازان،

تقع جزر فرسان التي تشكل أرخبيلاً مهما ليس به سوى قرى قليلة يسكنها الصيادون. ويتسع السهل الساحلي بالتدريج، من عرض ٢٠ كيلو متراً من الشمال إلى ٤٠ كيلومتراً في الجنوب. ومع أنه سهل رملي مغطى غالباً بالكثبان، فإنَّ نحو عشرة وديان تخترقه، أكثرها أهمية بيْش، وصبيا وجازان، وتَعْشَر. وهي جافة بصورة عامة لكنها قد تشهد سيولاً مفاجئة وعنيفة بعد الأمطار العاصفة التي تهطل على الجبال في المناطق الخلفية. وتشكل ضفاف هذه الوديان المكونة من الترسب المتكرر للطمي الذي تجلبه السيول أراضيَ زراعية عالية الخصوبة.

وإلى الشرق من السهل الرملي، توجد سلاسل من التلال تمتد من الشمال إلى الجنوب. وهذه السلاسل التي يزداد ارتفاعها من الغرب إلى الشرق مفصولة بأحواض رسوبية صغيرة. ولا تصل الوديان المنحدرة من المرتفعات الجبلية، والمتجهة من الشرق إلى الغرب إلى عبور هذه التلال إلاّ بصعوبة وعبر فجوات عميقة. وشبكتها التي تخترق تهامة بين بيْش في الشمال وأبي عريش في الجنوب، كثيفة بما يكفي لوجود مساحة واسعة من الأراضي الزراعية المروية بمياه السيول وتشكل هذه المنطقة الخصبة مركز المخلاف. وإلى الداخل نحو الشرق، هناك مرتفعات مثل الفَيْفا، وهَروب يتجاوز ارتفاعها ألفي متر. وتتخذ هذه الكتل المنعزلة شكلاً مسطحاً لم ينجرف ضمن الانهيار الشامل الذي ولد أخدود البحر الأحمر والشق المقابل له على الحدود الغربية لشبه الجزيرة العربية. وتشكل هذه المرتفعات النهاية الشرقية للمخلاف.

١، ١، ٣ - المناخ :

يتعرض المخلاف السليماني كله لحرارة مرتفعة. فالمعدل السنوي لدرجة الحرارة في كل مكان منه يدور حول ثلاثين درجة مئوية. لكنها تتلطف بالقرب من الساحل مباشرة بتأثير البحر، وفي الشتاء من شهر نوفمبر إلى نهاية شهر فبراير، برطوبة ليلية. ومع الارتفاع تصبح الحرارة معتدلة بوضوح، إذ يكون معدلها السنوي نحو عشرين درجة مئوية في قمة المرتفعات المنعزلة. أما هطول الأمطار فإنَّه موزع جغرافياً بصورة غير متساوية. فالسهل الساحلي شديد الجفاف. ويتراوح هطول الأمطار بين ٥٠ و ١٥٠ م في العام بينما تزيد على ٥٠٠ م في بعض المرتفعات. كما أنَّ الأمطار موزعة

بصورة غير متساوية أيضاً على العام . فبالإضافة إلى أنها نادرة الهطول على الساحل ، فإنها تهطل بصورة عامة في الشتاء . وعلى العكس ، فإنها تخضع ، على التلال والجبال ، لنظام الرياح الموسمية ، فتهطل الأمطار عليها بصورة خاصة في إبريل-مايو ثمّ في يوليه-أغسطس ، في شكل عواصف عنيفة ، تطلق في الوديان سيولاً قصيرة الأمد لكنها عنيفة . ويستطيع وادي بيش أن يحمل ما يبلغ ٢٠٠٠م٣/ ثانية . وهطول الأمطار شديد التقلب من سنة إلى أخرى . وحين تكون شديدة الغزارة ، تطلق سيولاً مدمرة . وهكذا يذكر البهكلي في حولياته تدمير قرية الدَّهنا . وحين تكون شديدة الضعف تصبح سيول الوديان غير كافية لري أراضي السهل الخصبة . وحتى السنوات الأخيرة ، تعرضت بانتظام لمجاعات سببها الجفاف . ومنذ القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) وحتى القرن الثامن عشر تتبعنا المجاعات التالية[١] :

— ١٥١١-١٥١٩ كانت مجاعة استمرت طويلاً وأدت إلى موت عدد كبير من السكان ، وبخاصة في وادي جازان ووادي ضمد .

- ١٥٦٥-١٥٦٦م وهي المجاعة التي عرفت باسم (العظام) . وقد أرغمت السكان على أكل جثث الموتى .

- ١٦٢٧م وهي المجاعة التي قتلت نصف السكان .

- ١٦٣٦-١٦٣٧م وهي المجاعة التي أصابت المخلاف كله حين بيعت الحبوب بأسعار باهظة .

- ١٧٥٢-١٧٥٨م وهي مجاعة عصفت بالمخلاف وعرفت باسم اللكّه ، حين ارتفعت الأسعار ومات الناس والماشية في كل مكان .

١ ، ٢ - التنظيم الاجتماعي في المخلاف[٢] :

تعد القبيلة البنية الاجتماعية الغالبة . فالفرد ، قبل كل شيء ، عضو في جماعة . وتتحدد هويته بالانتساب إلى جد ينتمي إليه . قد يكون حقيقياً كما في حالة السادة

١ . العقيلي ، تاريخ ، جـ١ (٢) ، ص ٣٢٨ و ٣٣٥ .

٢ . عن البنى الاجتماعية في هذا الاقليم انظر العقيلي ، تاريخ ، جـ١ (١) ، ص ٨٣-٩٣ ، النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٣٣-٦٣ ، و Kamāl 'Abd al-Fattāh, *Mountain*, p. 81-90

والأشراف الذين يقولون : إنهم متحدرون من صهر النبي (ص)، وقد يكون جَدّاً أسطورياً كما عند بعض القبائل. لكنَّ جزءاً من السكان لا يتبع هذا النظام، ويتكون أساساً من فلاحي المناطق المروية بين وادي بيش ووادي جازان.

وطوال التاريخ قام القبائل والأعيان بدور حاسم، فقدمت القبائل القوة العسكرية للأعيان الذين أمسكوا بالسلطة السياسية والدينية، وشكلوا صفوة ثقافية.

١، ٢، ١ - القبائل :

لا يقتصر الفرق بين الاتحادات القبلية الكبيرة في المرتفعات العليا والقبائل الصغيرة في السهل الساحلي، على الحجم فحسب، بل يمس البنية أيضاً.

وعلى الرغم من وقع هذه الاتحادات القبلية خارج المخلاف السليماني، كانَ دورها في حياة المنطقة حاسماً على الدوام. فهي تستقر على المرتفعات العليا، المشرفة على التهامة، وبالقرب من المخلاف السليماني نجد : حاشد، وبكيل، ويام، ووادعه، وقحطان (جنب وسعد)، وخولان الشام. وقد عرفت هذه الاتحادات القبلية استقراراً جغرافياً كبيراً خلال القرون العشرة الأخيرة. ويحدد الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) أراضيها في الأماكن التي ما تزال تحتلها حالياً، مع بعض الاختلافات الطفيفة. وليس ثمة مصطلح محدد يطلق على الاتحاد القبلي، وإنما يحدد باسمه، وهو منقسم إلى عدد متنوع من القبائل على رأس كل واحدة منها شيخ يُختار غالباً من العائلة نفسها من جيل لآخر. وهكذا فإنَّ آل الشائف المذكورين في حوليات البهكلي كانوا دائماً على رأس قبائل جبل برط.

وتنقسم القبائل بدورها إلى عدد معين من العشائر التي تسمى بصورة عامة (عشيرة) وعلى رأسها عاقل. وليس لأغلب هذه الاتحادات القبلية زعيم أعلى. وفي الأغلب الأعم لا يوجد تضامن قبلي على مستوى الاتحاد. وكثيراً ما يتكرر اتخاذ قبيلتين تنتميان إلى الاتحاد نفسه موقفين متعارضين. وتحتاج القبائل إلى سلطة خارجية تؤدي دور الوسيط بسبب ما يقع بينهم من تنافس دائم. ويؤدي هذا الدور السادة والأشراف القادمون تاريخياً من الحجاز، والذين هم بالتالي عدنانيون، في حين أنَّ قبائل اليمن قحطانيون. وهم مستقرون في هجر محمية بخاصة ضد شن الحرب وأخذ

الثأر فيها. ونجح هؤلاء الوسطاء في الإمساك، بين ما أمسكوا به، بالسلطة الدينية والثقافية. ونجحوا أحياناً، خلال التاريخ في جر القبائل وراءهم في حركات واسعة للغزو السياسي الديني؛ وهو ما فعله الإمام الهادي يحيى بن الحسين في مطلع القرن التاسع الميلادي، (منقلب القرن الثالث الهجري) حين أسس الإمامة الزيدية في اليمن. وبالمثل فعل بنو المكرمي، رؤساء الطائفة الإسماعيلية الذين نجحوا في القرن الثامن عشر في قيادة قبيلة يام كلها في عمليات واسعة وصلت حتى قلب نجد، وإلى حضرموت. وباستثناء قبيلة حاشد التي تسكن الجبال الواقعة إلى الغرب من خط صنعاء–صعده، فإنَّ هذه الاتحادات القبلية جميعها مكونة من عشائر مستقرة، وأخرى بدوية مترحلة بنسب متفاوتة، وينظر إلى كل عضو في القبيلة كمحارب، ملزم بالدفاع في كل لحظة عن شرفه وشرف الجماعة. ولذلك يحمل سلاحه دائماً وجنبيته التي أضيف إليها الآن (الكلاشنكوف). ولقد كانت هذه الاتحادات القبلية التي تملك العديد من الجياد والجمال، القوة التي لا غنى عنها لكل حاكم أو أمير يرغب في إقامة سلطته في الإقليم. وهكذا استفاد الأشراف آل خيرات من تأييد يام، وبكيل أحياناً. لكنَّ أية قبيلة تستطيع دائماً أن تعيد النظر في تأيدها لأسباب تتعلق بالمناسبة أو المصلحة أو العزة. ولذلك كان الأمراء مهتمين دائماً بالحصول على تأييد اتحادات قبلية عديدة بهدف معارضة بعضها ببعض عند الحاجة.

وقد اختفت تماماً الاتحادات الكبيرة التي كانت موجودة عند ظهور الإسلام. وهكذا لا يوجد أي أثر لحكم القبائل التي كانت ما تزال على رأس المخلاف السليماني في القرن العاشر الميلادي، (الرابع الهجري). فالاتحادات القبلية الحالية في تهامة أصغر بصورة واضحة من التي تسكن المرتفعات العليا، كما أنها لا تظهر الدرجة نفسها من الاستمرارية التاريخية. وعلى العكس، فإنَّ على رأس كل منها شيخاً واحداً. وفي القرن الثامن عشر لم يعد موجوداً في المخلاف السليماني إلاَّ واحد من هذه الاتحادات الصغيرة هم بنو شعبة المتوضّعون في الشمال على ضفاف وادي عتْوَد وفي التلال المحيطة، والذين كان شيخهم يسكن الدرب. ولم يكن بنو شُعبة خاضعين لأشراف أبي عريش، بل كانوا يشنون الغارات دائماً على أراضي هؤلاء الأشراف. إلاَّ أنَّ الشريف محمد تزوج بامرأتين منهم بغرض التصالح معهم.

وبالإضافة إلى هذه الاتحادات الصغيرة نجد في التهامة قبائل متكونة من مجموعة من العشائر التي ليس لها شيخ مشترك. وعدد أفرادها أقل أهمية بالمقارنة مع الاتحادات القبلية، وأراضيها محدودة.

وفي المخلاف السليماني، تسكن التلال الواقعة إلى الشرق من المنطقة الزراعية الواسعة التي تكونها وديان بَيْش، وصبيا، وضَمَد، وجازان. وهي أساساً: آل عبّس، وسُحَار، وسفُيان، وبنو الحارث. وقد كانت هذه الجماعات في القرن الثامن عشر الميلادي مترحلة أساساً، وترفض كل سلطة. ولقد انتهت الحملات المتكررة التي شنها عليهم أمراء أبي عريش بالإخفاق بانتظام، لأنّ هؤلاء البدو استطاعوا بسهولة الهرب من جيوش الأشراف للاختفاء في المضايق العديدة والتلال المحيطة. وعلى العكس، كانت هذه القبائل قادرة في كل لحظة على الانقضاض على قرية أو مهاجمة قافلة.

وبعض القبائل مستقرة أيضاً في السهل الساحلي إلى الجنوب من أبي عريش، وهي المسارحة، وبنو شُبَيل وبنو مَرْوان. وتسكن في الوديان حيث تعمل بالزراعة، كما تمارس تربية الماشية في الخبوت التي تشكل مناطق رملية تقع بين هذه الوديان. وقد ظلت خاضعة لسلطة أشراف أبي عريش طوال القرن الثامن عشر إذ هي أقل حماسة للحرب من جاراتها التي تقطن التلال.

وتسكن المرتفعات المنعزلة جماعات تحدد عموماً باستخدام كلمة « أهل » مثل أهل فَيْفَا. وعلى العكس من القبائل، لا تتسمى بالانتساب إلى جد تحمل اسمه، بل بانتمائها إلى مكان جغرافي. إنهم فلاحون يعملون باستغلال المدرجات الكثيرة في هذه الجبال التي ترويها مياه الأمطار بصورة حسنة نسبياً. ولم يستطع أشراف أبي عريش، ولا حتى أمراء صعدة أو أئمة صنعاء، إخضاع هؤلاء السكان الذين ظلوا مستقلين تماماً في قلاعهم الطبيعية، طوال القرن الثامن عشر.

١ ، ٢ ، ٢ - الأعيان :

أما الأعيان فهم الذين يتولون السلطة السياسية والدينية ويشكلون الصفوة الثقافية وينتمون إما إلى الارستقراطية الدينية المكونة من السادة والأشراف، وإما إلى العائلات المثقفة الذين يسمون القضاة، وهي تسمية لا تعني بالضرورة ممارسة وظيفة القضاء.

ويوجد في المخلاف السليماني الفئات الاجتماعية الموجودة في المناطق الأخرى في اليمن. ونظراً للأهمية التي اكتسبتها تسميات السادة والأشراف والقضاة، في التسلسل والبنية الاجتماعيتين، أبقينا على هذه الألقاب أمام أسماء الأشخاص في نص الترجمة.

السادة والأشراف : يدّعون الانتماء إلى عائلة النبي (ﷺ) بانتمائهم إلى ابني زوج ابنته فاطمة علي بن أبي طالب. ويدعي السادة الانتساب إلى الحسين، في حين يدعي الأشراف الانتساب إلى الحسن. وقد جاء سادة المخلاف السليماني وأشرافه مثل أولئك الذين يقطنون بقية المناطق اليمنية، من الحجاز. وإذا كان أغلب أولئك الذين استقروا في المرتفعات اليمنية العليا قد وصلوا في لحظة توضُّع الزيدية في هذه المناطق من القرن التاسع إلى العاشر الميلادي، (الثالث إلى الرابع الهجري). فإنَّ الذين سكنوا المخلاف السليماني قد واصلوا تدفقهم حتى القرن الثامن عشر، من بين ضحايا التنافس على الحكم بين العشائر المختلفة لأشراف مكة. وكان المفترض أن استقرارهم في هذا الجزء من تهامة الذي لا يبعد عن مكة أكثر من ٨٠٠ كم، ويقع في أطراف اليمن، يكتسب طابعاً مؤقتاً. وكثيراً ما كانوا يأملون في أن يستعيدوا يوماً ما مكانتهم في مكة بمساعدة الحاكمين في اليمن. وقد استقرت عائلات السادة والأشراف بصورة شبه تامة في المنطقة الزراعية بين وادي الخواجيين بَيْش ووادي جازان، وهم أساساً أشراف آل االنعمة في صبيا، وسادة آل النعمة في وادي بيْش، وسادة آل الجعافرة في الجزء الأسفل من الوادي نفسه، وسادة آل الحوازم في صَلْهَبة، وأشراف آل خيرات في أبي عريش، وسادة آل القطبية في الجزء الأعلى من وادي جازان وفي وادي خلَب. وقد استفادت هذه الأسر من احترام الناس لهم بسبب نسبهم، فأصبحوا في القرن الثامن عشر ملاكاً لأراض زراعية، ويسيطرون مباشرة، إلى هذا الحد أو ذاك، على نظام الري كله. لكنَّ الجزء الأكبر من دخلهم يأتي من جمع العائدات من «رعيتهم»، أي من فلاحي المنطقة.

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر أوكل القاسميون الحكم في هذه المنطقة، بصورة شبه دائمة، إلى هذه العائلات، مكتفين منها بالولاء الصوري، حيث كانت الصراعات شديدة على السلطة المحلية في المخلاف السليماني بين العائلات المختلفة، وبخاصة بين آل القطبية، وآل خيرات، وآل الخواجيين. لكنَّ كل واحدة من هذه العائلات لم تكن موحدة، بل كانت هي نفسها ممزقة.

وتكون أسماء السادة والأشراف، عموماً، مسبوقة بلقب شرفي وفقاً لتطابق محدد، كما يلي :

- يسبق حسن أو حسين بلقب « شرف الدين » .
- ويسبق عبد الرحمن بلقب « الوجيه » .
- ويسبق محمد بلقب « عز الدين » . أو « بدر الدين » .
- ويسبق أحمد بلقب « صفي الإسلام » .
- ويسبق علي بلقب « نور الدين » أو « جمال الدين » .
- ويسبق إبراهيم بلقب « صارم الدين » أو « ضياء الإسلام » .
- ويسبق عمر بلقب « سراج الدين » .
- ويسبق يحيى بلقب « عماد الدين » .

وأصبح استخدام هذه الألقاب اليوم يشمل كل الفئات الاجتماعية اليمنية بدلاً من استخدام صيغة الاسم الحركي (الكنية) . وبذلك فالعزّي لقب محمد، والصفي لقب أحمد، وهكذا.

على العكس من الأشراف، يدين القضاة بوضعهم الاجتماعي لمعرفتهم تحديداً، وبخاصة في مجال العلوم الدينية . وتنتقل هذه المعارف من جيل لآخر بصورة تولد استقراراً كبيراً في هذه العائلات، إذ نجد الأسماء نفسها طوال القرون. وتدعى عائلات القضاة نفسها بالقحطانيين لانتسابها إلى القبائل اليمنية، في مقابل ارستقراطية السادة والأشراف العدنانية . وقد وفرت هذه العائلات خلال القرن الثامن عشر الكوادر الإدارية والثقافية لحكم الأشراف والسادة، ولكنهم لم يمارسوا الحكم مباشرة أبداً. ولم يكونوا يستطيعون سوى نقدها أو نصحها .

فآل البهكلي وآل النمازي يظهرون باعتبارهم تميزاً لكنهما ليستا عائلتي القضاة الوحيدتين .

وتعليمهم من حيث هو العنصر الأساسي في سلطتهم كان يتم ذلك أولاً في العائلة نفسها حيث يتعلم الطفل القرآن ومبادئ اللغة العربية . ثمّ كان يختلف إلى أستاذ يكون هو نفسه إما سيداً أو قاضياً يسكن أحد المراكز الثقافية اليمنية في تلك الحقبة . ولقد كان

لهجرة ضمد شيء من الشهرة في القرن الثامن عشر، لكنها لم تستطع منافسة مكانة صعدة، وصنعاء، وزبيد، حيث كان يذهب كل من يريدون تعميق معارفهم ليبقوا سنوات عديدة.

١، ٢، ٣ - الفلاحون وسكان المدن :

أغلب السكان ريفيون. ولم يكن تعدادهم في كل من جازان وصبيا وأبي عريش يتجاوز ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ نسمة في القرن الثامن عشر الميلادي. وفي وسط تلك المدن كانت بعض المنازل مشيدة من الأحجار قليلة الفتحات. وكانت تلك المنازل تأوي علية القوم من عائلات الأشراف والقضاة وربما أيضاً قلة من التجار الميسورين. كما كان لكل من تلك المدن الثلاث سوق دائمة على الأرجح. أما أغلب سكان تلك المدن فكانوا يقطنون أكواخاً أو عششاً مستديرة تشبه إلى حد كبير ما يمكن أن نجده حتى اليوم في التهامة.

وليس سكان المراكز الحضرية الثلاثة، صبيا، وجازان، وأبي عريش، منظمين وفقاً للنموذج القبلي. وفيها تتجمع غالبية أعيان المنطقة والتجار. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر استقرت في الأسواق جالية من التجار الهنود هم البانيان.

وتقع المنطقة الأخصب والأصلح للزراعة، بين وادي بيش في الشمال ووادي جازان في الجنوب. وعلى طول الوديان من البحر وحتى التلال، تتابع القرى المكونة من الأكواخ (العشش) المستديرة المحاطة بأسوار مكونة من أعشاب شوكية. وسكان هذه المنطقة الزراعية، الذين منهم نسبة مهمة سود اللون من المحتمل أن يكونوا من أصل إفريقي، مستقرون بصورة تامة، ومجردون من البنى القبلية، ويسكنون في قلب المخلاف السليماني. وكان لهم، بالتأكيد، دور حاسم في تكوين هذا الكيان السياسي. وفي الواقع فإنَّ الحد الأدنى من السلطة السياسية ومن البنى الإدارية قد كان هنا ضروريا دائماً لتأمين أحسن استخدام لأنظمة الري، ولحماية السكان في وجه الغزوات التي تشنها القبائل المجاورة بصورة شديدة التكرار. ولقد قام بهذا الدور خلال القرن الثامن عشر كما في القرون السالفة، الأشراف والسادة الذين كانوا يتقاضون الضرائب من الفلاحين.

١ ، ٢ ، ٤ - الدين :

والسكان كلهم مسلمون باستثناء بعض التجار الهنود في جازان وأبي عريش وذلك في القرن الثامن عشر والغالبية الساحقة منهم سنيون شوافع كما في المناطق الأخرى من تهامة. وكان الاعتقاد بالأولياء شائعاً حتى دخول الوهابيين إلى المنطقة في مطلع القرن التاسع عشر، إذ كان لكل قرية من أغلب قرى المخلاف وليها الخاص. وهكذا فإنّ جازان، مثلاً تعظم ضريح الشيخ حسن بن صادق بن شاذلي بن عمر، وتزوره.

أما بالقرب من صعدة، المركز التاريخي للزيدية في اليمن، فإنّ العلاقات المتكررة التي توطدت عبر التاريخ بين أمراء وأعيان المخلاف السليماني والأئمة، وتردد الصفوة المحلية على المراكز الثقافية الزيدية مثل صعدة، وحوث، وكُحلان، وصنعاء، قد تركت أثرها في المنطقة. والشريف خيرات الذي هو جد عشيرة تحمل اسمه قد كان زيدياً حين استقر في أبي عريش في نهاية القرن السابع عشر، ومن المحتمل أن يكون أحفاده الذين دخلوا في خدمة الأئمة كحكام محليين قد ظلوا زيديين. إلاّ أن مؤلف الحوليات (عبد الرحمن البهكلي) لا يحدد ذلك.

١ ، ٣ - اقتصاد المخلاف السليماني :

تعد الزراعة القطاع الرئيسي لنشاط السكان الذين أغلبهم ريفيون. وفي غياب مصادر الثروة المعدنية والأنشطة الحرفية المهمة، مثلت التجارة نشاطاً اقتصادياً له أهمية.

١ ، ٣ ، ١ - الزراعة[١] :

تعتمد الزراعة تماماً على المصادر المحدودة للمياه في هذه المنطقة ذات المناخ شبه الجاف في كل مكان منها. فعلى طول الوديان تسمح السيول الموسمية بالزراعة القائمة على الري. وتؤمن سلسلة الحواجز (العقم) الاستفادة بجزء من مياه الوديان وتوجيهها نحو الحقول المجاورة بشبكة من القنوات. وهنا توفر الزراعة المكثفة للذرة البيضاء

١. عن الزراعة انظر العقيلي، تاريخ، جـ١ (١)، ص ٤٢-٤٨، و
Kamāl 'Abd al-Fattāḥ, *Mountain*, p. 46-80

طوال السنة المادة الأساسية للتغذية اليومية المكونة من الخبز والعصيدة. كما توفر علف الماشية. وتمارس هذه الزراعة الكثيفة أساساً في السهل الساحلي حيث الأراضي الخصبة واسعة، وعلى العكس، فإنّ منطقة التلال الواقعة فيما وراء السهل الساحلي، أقل صلاحية بوضوح لزراعة من هذا النوع بسبب محدودية الأراضي الخصبة. وهناك بعض بساتين النخيل التي زرعت بالقرب من السواحل في المناطق التي يوفر لها تغلغل السيول ماءً قليل العمق على مدار السنة.

أما على المرتفعات المنعزلة فيما وراء السهل الساحلي، فإنّ الأمطار غزيرة ومنتظمة بما يكفي لزراعة المنحدرات المعدة في شكل مدرجات. وتغلب زراعة الذرة البيضاء دائماً. لكنّ حبوباً أخرى تزرع، وبخاصة الشعير والقمح. ومن المحتمل أنّ البن قد كان يزرع في هذا الإقليم، خلال القرن الثامن عشر كما يزرع اليوم.

وتسمح الأمطار النادرة في السهل الساحلي بزراعة الدخن في الجنوب. لكنّ خضوع هذه الأمطار مصادفة قد جعل هذه الزراعة غير منتظمة وهذا ما جعلها شيئاً إضافياً خلال السنوات الخصبة. وعلى الأراضي الضيقة نفسها في التلال، تربي القبائل الصغيرة في تهامة الجمال والأغنام والماعز.

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كان الأشراف يمتلكون قدراً هاماً من الأراضي الأكثر خصوبةً الواقعة على أطراف الوديان. وكثيراً ما كان ينجم عن توزيع مياه السيول مشاجرات. وهكذا فقد وقع نزاع في سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م بين الشريف محمد وسادة آل القطبية بسبب إقامة عقم لتحويل مياه وادي جازان إلى أراضيهم. وقد كان الأشراف والأعيان يهتمون أساساً بالزراعة كلما سمحت الظروف بذلك. ففي سنة ١٧٥٧م نجح الشريف محمد في التخلص مؤقتاً من كل أعدائه. عندئذ قرر إعادة زراعة أراضٍ كانت قد أهملت خلال سنوات الاضطرابات السابقة فغادر مدينة أبي عريش كي يؤسس على مقربة منها في وادي جازان مدينة جديدة أطلق عليها اسم أبي النورة. وبعد ذلك ببضع سنوات أي في عام ١٧٦٣م، استقر في أراضٍ أخرى وأسس قرية الزهراء فاتخذها مقراً له. بيد أن الأمطار لم تكن منتظمة إذ كانت سنوات الجفاف يترتب عليها حتماً المجاعات التي أحياناً ما تكون مصحوبة بارتفاعات خيالية في أسعار الحبوب. وذلك ما حدث عامي ١٧٥٣ و ١٧٥٩.

١ ، ٣ ، ٢ - التجارة :

من الصعب تقويم أهمية هذا النشاط الاقتصادي في المخلاف السليماني خلال حكم الأشراف آل خيرات. فقد كانت جازان آنذاك الميناء الوحيد للمخلاف. وليس في المناطق الأخرى سوى بعض المراسي، وبخاصة في عتْوَد، في شمال المخلاف. ويقدم لنا نيبور شهادة مهمة عن هذه النشاطات في جازان، عند زيارته لليمن سنة ١٧٦٣م، إذ يقول : إنَّ في جيزان تجارة ناجحة بأوراق السنا التي تأتي بخاصة في هذه المنطقة، وبالبن الذي يجمع من جبال حاشد وبكيل وهما متجان ينقلان إلى جدة، ومنها إلى السويس والقاهرة. ويضيف : إنَّ لسكان جيزان، كما لسكان اللحية والحديدة والمخاء تجارة مع الموانئ المقابلة على الساحل الإفريقي [١].

وكان ميناء جازان يستقبل التجار الأجانب. فالبهكلي يذكر في حولياته أنَّ الشريف استولى في سنة ١٧٦٣/ ١٧٦٤م على فضة قدرها نحو سبعة آلاف قطعة يملكها بعض الأتراك الذين وصلوا إلى جازان للتجارة. ويحدد المؤلف فيما بعد أنَّهم جاؤوا من النيل أي من مصر.

وحتى لو كانت تجارة جازان أقل أهمية في حجمها من تجارة الموانئ اليمنية الأخرى التي ذكرها الرحالة الدانمركي نيبور، فإنَّ ميناء المخلاف السليماني (جازان) قد قام بدور معين في البحر الأحمر. ووفر أيضاً جزءاً مهماً من دخل أمير أبي عريش. وأوكل الإمام المتوكل إسماعيل (١٠٥٤-١٠٨٧ هـ/ ٤٤-١٦٧٦م) في آخر حكمه عائدات جازان إلى الشريف خيرات، جد أشراف أبي عريش، حينما سكن هذا الشريف المخلاف. وبعد نحو خمسين سنة في سنة ١١٤١ هـ/ ٨-١٧٢٩م بادر تجار الميناء المتذمرون من القلاقل المستمرة في المخلاف التي أضرت بتجارتهم، فدفعوا أحد أعيان المخلاف للتدخل لدى حاكم اللحية ليوكل أمر المخلاف إلى الشريف أحمد، والد الشريف محمد. ومع أنَّ هذه التجارة لم تكن كبيرة الحجم، فإنَّها قد كانت مهمة بما يكفي لجعل عامل الإمام يستجيب لطلب هؤلاء التجار.

وإلى جانب جازان كانت أسواق أبي عريش وصبيا مراكز تجارة مهمة، كان فيها البانيان، وهم تجار من أصل هندي لوحظ وجودهم في اليمن كلها في القرنين السابع

---

١. Niebuhr, *Description*, II, p. 108.

عشر والثامن عشر. وفي سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م تعرض سوق البانيان في أبي عريش للنهب أثناء هجمة شنتها قبائل صعدة تحت قيادة علي بن أحمد الذي كان ينافس الإمام المهدي محمد. وبلغت خسائر التجار الهنود ٨ آلاف قرش[١] فقام الشريف أحمد بن غالب الذي كان وقتئذ حاكماً لتلك المنطقة بالثأر منهم عن طريق منع القوافل من توصيل البضائع إلى الجبال. وسرعان ما ترتب على ذلك ارتفاع باهظ في سعر الملح في منطقة صعدة مما يبرهن على المكانة الهامة التي كان يحتلها المخلاف السليماني فيما يجري من تبادلات بين الساحل والبلاد الداخلية الجبلية. وكانت القوافل تمر به بصورة منتظمة آتية بالبن من الجبال وعائدة بالملح والأقمشة. إلاّ أن القبائل التي تقطن التلال غالباً ما كانت تجعل من ارتياد الطرق أمراً محفوفاً بالمخاطر. وهذا ما يرويه مؤلف الحوليات في أخبار سنة ١١٦٦ هـ/ ٢-١٧٥٣م، حيث يقول: إنَّ قبائل بني الحارث شنت هجمات على بعض قوافل رعايا الشريف المتوجهة نحو الجبال. وفي سنة ١١٧٠ هـ/ ٦-١٧٥٧م فعلت قبائل بني مروان الشيء نفسه، فقد سرقت نقود المسافرين وأقمشتهم من رعايا الشريف بكميات كبيرة.

* * *

٢ - مقدمة تاريخية لوضع المخلاف السليماني في القرن الثامن عشر :

سنقدم في هذا العرض ملخصاً موجزاً لتاريخ اليمن يسمح بتوضيح الحقائق التي رواها البهكلي في حولياته. وقد بدأنا هذا الملخص من القرن التاسع الميلادي، (الثالث الهجري) حين خرجت اليمن عن حكم الخلافة العباسية، وحين تكونت إمارات عديدة. وتابعنا هذا العرض حتى نهاية حكم الإمام المهدي عباس (١٧٤٨-١٧٧٥م) الذي يطابق وفاة شريف مكة المذكور في حوليات البهكلي.

٢، ١ - نهاية تبعية اليمن لبغداد، وخلافات ملحية (٨٨٢هـ-١٠٤٥م) :

٢، ١، ١ - اليمن تستعيد استقلالها بالتدريج :

لم تعد اليمن خلال القرون الأولى بعد ظهور الإسلام موجودة ككيان سياسي، فقد كان الخلفاء في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين (الثاني والثالث الهجريين) يبعثون

١. البهكلي، العقد، ص ٤٨.

عمالهم بانتظام إلى صنعاء، والجَنَد بالقرب من تعز، وحضرموت. وفي القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) أصبحت هذه السلطة البعيدة محل مقاومة تزداد يوماً بعد يوم، أولاً من العمال الذين توقفوا عن الاعتراف بالخليفة في بغداد، ثمّ من قبل سلالات مالكة كونتها عائلات يمنية قديمة قوية تمّ إقصاؤها عن السلطة عند ظهور الإسلام.

ففي سنة ٨٢٢م أوقف محمد بن عبيد الله بن زياد ذكر الخليفة في خطبة الجمعة، وكون إمارة مستقلة في تهامة، واختط مدينة زبيد التي أصبحت عاصمة لإمارته. لكنّ بني زياد لم ينجحوا في بسط سلطتهم بصورة دائمة على الجبال والمرتفعات اليمنية مما اضطرهم إلى الاكتفاء بممارسة الحكم على الإقليم المحاذي للبحر الأحمر.

ومنذ سنة ١٠١٢م كانت هذه الأسرة الحاكمة من الضعف بحيث نجح أحد مماليكها من أصل أثيوبي، يدعى نجاحاً، في الاستيلاء على الحكم في زبيد. وظل بنو نجاح في الحكم في زبيد وفي تهامة خلال أكثر من قرن حتى سنة ١١٥٠ م.

وفي سنة ٨٤١م كان الخليفة في بغداد محل مقاومة من قبل يعفر بن عبد الرحمن الحوالي هذه المرة، الذي ينتمي إلى عائلة مهمة تعود إلى الحقبة ما قبل الإسلامية. فقد شن الهجمات على صنعاء مقر عامل العباسيين انطلاقاً من شبام. ونجح في صد جميع الجيوش التي أرسلت من بغداد لدعم عامل اليمن، مما اضطر ممثل الخليفة إلى الانسحاب من اليمن، وأطلق أيدي اليعفريين [1] لبسط سلطتهم من شبام حتى صعدة في الشمال وحتى الجَنَد في الجنوب. لكنّ سلطتهم على المرتفعات اليمنية العليا قد ووجهت من قبل حركات سياسية دينية، ممثلة بأئمة الزيدية والإسماعيليين.

٢، ١، ٢ - الحركات السياسية الدينية في اليمن في نهاية القرن التاسع وخلال القرن العاشر الميلاديين (نهاية الثالث، وخلال الرابع الهجريين):

عاد العالم الإسلامي إلى الاضطراب خلال الربع الأخير من القرن التاسع الميلادي، (الثالث الهجري) بظهور حركات دينية معارضة، وبخاصة حركة

---

١. عن اليعفرين انظر Sergeant, San'ā, p. 55-7

الإسماعيليين. وقدمت اليمن – ببعدها عن المركز السياسي للخلافة في بغداد، وبالطبيعة المضطربة لجبالها – ملجأ لهذه الحركات المعارضة المضطهدة من قبل السلطة المركزية.

وفي نهاية سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م وصل إلى صعدة شريف حسني مولود في المدينة، يُدعى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي[١]، بدعوة من القبائل المُجاورة التي مزقتها حروب دائمة مما جعلها حريصة على وجود وسيط قادر على وضع نهاية لنزاعاتها الدموية. وهكذا أرسى يحيى بن الحسين، الذي اتخذ باعتباره أول إمام (زيدي في اليمن) لقب بالهادي، القواعد لإمامة زيدية.

وباستثناء الزيدية، فإنّ بدايات الحركات الشيعية في اليمن تبقى غامضة كثيراً حتى الآن. فقد استعادت هذه الحركات نشاطها في سنة ٢٦٨ هـ/ ٨٨١م حين وصل إلى اليمن مبعوثان إسماعيليان معاً، أحدهما هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب ابن زاذان المعروف بمنصور اليمن[٢]، وأصله من الكوفة واستقر في منطقة حَجَّة إلى الشمال الغربي من صنعاء. وبالمثل استقر عليٌّ بن الفضل، ذو الأصل اليمني، في المُذَيْخرة بالقرب من تَعِزّ. وشنا من هناك هجمات على جميع الجيران. لكنَّ الإمارتين الإسماعيليتين لم تعيشا بعد موت مؤسسيهما في سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م. وعلى العكس، لم تختف العقيدة الإسماعيلية تماماً من اليمن، إذا بعد قرن اكتسبت دماً جديداً بظهور الصليحيين الذين ستتحدث عنهم لاحقاً. ولعل قبيلة يام – الاتحاد القبلي القوي الساكن في قرب نجران – قد اعتنقت منذ تلك الفترة المذهب الإسماعيلي.

٢، ٢ – نشأة المخلاف السليماني تحت حكم بني زياد:

كانت تهامة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) ما تزال تسكنها الاتحادات القبلية الكبيرة التي لم تعد موجودة حالياً. وكانت من الجنوب إلى الشمال: الأشاعر، وعكّ، وحكَم، وكنَانة. وكانت هذه القبائل تعطي الولاء

---

١. عن بدايات الزيدية في اليمن انظر علي محمد زيد، معتزلة اليمن، بيروت، ١٩٨١ و Stookey, *Yemen*, p. 82-95, Van Arendonk, *Les débuts de l'imamat zaydite*, Leiden, 1960.

٢. انظر علي محمد زيد، معتزلة اليمن، ص ١١١-١١٢.

تقليدياً للحاكم من بني زياد. وكانت أراضي حكَم في الجزء الشمالي من إمارة بني زياد، تمتد من وادي مَور في الجنوب إلى وادي صبيا في الشمال مكونة بلاد حكَم.

وامتد مخلاف عثَّر فيما وراء ذلك حتى حلي. وكان هذان المخلافان يخضعان لبني زياد، لكنهما ظلا تحت السلطة المباشرة لزعماء القبائل. وفي سنة ٩٨٣م استفاد سليمان بن طَرَف الحكَمي، العامل على أراضي حكَم، من ضعف بني زياد ليسيطر على مخلاف عثر المجاور، رافضاً سلطة زبيد. وحكم خلال عشرين عاماً إمارة مستقلة تمتد من وادي مور في الجنوب إلى حلي في الشمال، جاعلاً من ميناء عثَّر التي لم تعد موجودة الآن عاصمة لهذه الإمارة. لكنَّ بني زياد نجحوا في سنة ٣٩٣هـ/ ٢-١٠٠٣م في استعادة سيطرتهم عليها. إلاّ أنَّ المنطقتين القديمتين ظلتا متحدتين، واتخذتا اسم المخلاف السليماني، نسبة إلى سليمان بن طَرَف الحكمي[١].

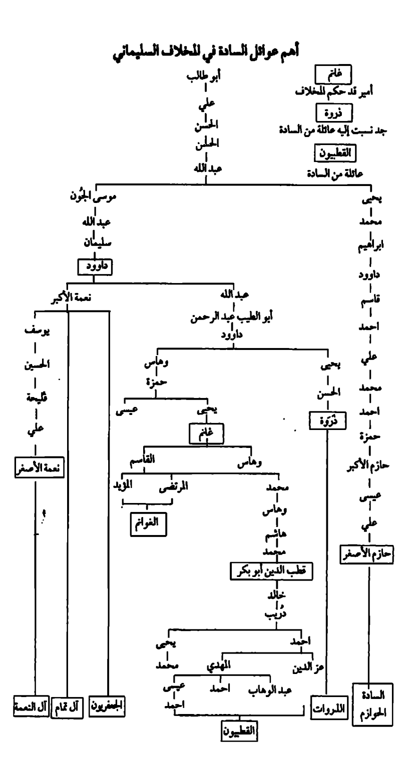
وأوكل بنو زياد الحكم المحلّي في المخلاف السليماني إلى الشريف داود بن سليمان الذي حكم المخلاف باسمه حتى سنة ١٠١٢م، ثمّ باسم بني نجاح عند استيلائهم على الحكم في زبيد.

ونحن هنا أمام حدث رئيس يمس التاريخ اللاحق للمخلاف، وهو الاستيلاء على الحكم قام به شخص ينتمي إلى عائلة تدعي الانتساب إلى النبي (ﷺ)، وكانت هذه الحقيقة شائعة من الحجاز حتى حضرموت. فقد وصل الأشراف والسادة إلى الحكم في أماكن مختلفة من هذه المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين). ففي الحجاز انتقل الحكم في الحرمين إلى أيدي الأشراف. وفي اليمن أسس أبناء الهادي يحيى بن الحسين إمامة زيدية. وفي حضرموت قام أبناء أحمد بن عيسى الذي قدم إلى المنطقة نحو سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م بدور ازدادت أهميته باضطراد في الحياة المحلية. وفي المخلاف السليماني بدأ أحفاد داود بن سليمان[٢] يقومون بدور أساسيٍّ في تاريخ المخلاف، وكونوا بمرور الزمن عدداً معيناً من العشائر، وبخاصة آل القطبي الذين سنذكرهم لاحقاً.

---

١. العقيلي، تاريخ، حـ١ (١)، ص ٧٨-٨٠.

٢. عن داود بن سليمان انظر العقيلي، تاريخ، جـ١(١)، ص ٢٠٢؛ الزيلعي الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ص ٢٥-٤٥.



أهم عوائل السادة في المخلاف السليماني
غانم
أمير قد حكم المخلاف
ذروة
جد نسبت إليه عائلة من السادة
القطبيون
عائلة من السادة
أبو طالب
علي
الحسن
الحسن
عبد الله
موسى الجُون
عبد الله
سليمان
داوود
نعمة الأكبر
يوسف
الحسين
فُليحة
علي
نعمة الأصغر
آل النعمة
آل تمام
الجعفريون
عبد الله
أبو الطيب عبد الرحمن
داوود
وهاس
حمزة
عيسى
يحيى
غانم
القاسم
المؤيد
المرتضى
الغوانم
وهاس
محمد
وهاس
هاشم
محمد
قطب الدين أبو بكر
خالد
دريب
يحيى
محمد
احمد
المهدي
عز الدين
عيسى
احمد
احمد
عبد الوهاب
القطبيون
يحيى
الحسن
ذَرْوَة
الذروات
يحيى
محمد
ابراهيم
داوود
قاسم
احمد
علي
محمد
احمد
حمزة
حازم الأكبر
عيسى
علي
حازم الأصغر
السادة الحوازم

وفي سنة ٤٦٢ هـ/ ٦٩-١٠٧٠م حاول أحد أحفاد داود بن سليمان، واسمه حمزة بن وهّاس بدعم من بني نجاح، الاستيلاء على الحكم في مكة طارداً منها الشريف أبا هاشم الذي حكم المدينة باسم الصليحيين. وبعد هزيمته في الحجاز رجع إلى المخلاف السليماني حيث حكم أبناؤه باسم بني نجاح حتى انتهاء حكمهم في سنة ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩ م.

وفي سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م أطلق الخارجي عليُّ بن مهدي جيوشه على أشراف المخلاف السليماني[1]. وعند انهزام الأشراف وقتل قائدهم وهّاس بن غانم بعثوا أخاه قاسم إلى الخليفة في بغداد. ولما كان الخليفة عاجزاً عن الحركة، فقد نصح موفد السليمانيين بالاتجاه إلى صلاح الدين في القاهرة، وبذلك أتيحت لهذا الزعيم الأيوبي فرصة غير متوقعة للتدخل في جنوب البحر الأحمر.

٢، ٣- الأيوبيون في اليمن وفي المخلاف السليماني:

كان لصلاح الدين حين أرسل أخاه طوران شاه إلى اليمن عدة أهداف. فعلى المستوى السياسي أراد الحدَّ من سياسة الفاطميين الذين أوجدوا دولة صليحية تابعة، ووضع نهاية للوضع المضطرب في اليمن. كما أراد السيطرة التامة على البحر الأحمر بعد التغلغل المحدود للصليبيين إليه بقيادة (رونو دو شاتيون Renaud de Châtillon). وكان لصلاح الدين أهداف دينية أيضاً، هي إعادة السنة إلى شبه الجزيرة العربية، والقضاء على الخوارج بني مهدي، وزيدية الأئمة، وإسماعيلية بني زريع في عدن. وأخيراً كان البحر الأحمر في طريقه لأن يصبح أكبر محور تجاري بين البحر الأبيض المتوسط والشرق الأقصى.

وهكذا وصل طوران شاه إلى اليمن خلال سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م. وبعد ستين كان قد قضى على حكم الخوارج في تهامة بتأييد أشراف المخلاف السليماني، واستولى على عدن التي كانت حتى ذلك الوقت في أيدي بني زريع. وعندما غادر اليمن أوكل الحكم فيها إلى بعض الحكام الذين لم يستطيعوا مواجهة التمردات المختلفة على السلطة الأيوبية في اليمن. ولذلك أرسل صلاح الدين أخاً آخر من أخوته، هو طغتكين، للسيطرة على

---

[1]. الزيلعي، الأوضاع، ص ٦٤-٧٦؛ Smith, *The Ayyūbids*, p. 52-56.

الوضع. وعند وفاة طغتكين خلفه ابنه المعز إسماعيل. لكنَّ الوضع تدهور بسرعة. فقد اصطدم الأيوبيون في المرتفعات العليا بالإمام الزيدي عبد الله بن حمزة (٥٨٤ هـ/ ١١٨٥م-٦١٤ هـ/ ١٢١٧). لكنَّ المعز إسماعيل اضطر أيضاً إلى مواجهة حالة تذمر شديد في جيشه، أثارتها طرائقه المتعجلة بعض الشيء، فمات مغتالاً بأيدي مماليكه في سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م.

وتواصلت الاضطرابات لبعض الوقت حتى مجيء المسعود يوسف بن الزعيم الأيوبي في القاهرة، فاستعاد زمام الموقف. لكنَّ استدعاءه لحكم سورية قد جعله يغادر اليمن سنة ٥٢٦ هـ/ ١٢٢٩م، وحين أناب عنه في حكم اليمن تابعه التركماني نور الدين عمر بن علي بن رسول. وما كاد رئيسه يغادر اليمن حتى أعلن ابن رسول الاستقلال مؤسساً بذلك قاعدة الدولة الرسولية التي استمرت طوال قرنين.

ومع أن أشراف المخلاف السليماني هم الذين دعوا الأيوبيين للتدخل في الشؤون اليمنية، إلاّ أنّهم سرعان ما وجدوا الأيوبي مبالغاً في ثقله، ولذلك بدأ الشريف المؤيد بن القاسم بن غانم يتصل بالإمام المنصور عبد الله بن حمزة [1]. ولمواجهة نتائج هذه التحركات عمد الأيوبيون إلى إقصاء الأشراف وتعيين حاكم تابع لهم، هو حسن ابن علي بن رسول، أخو عمر الذي سيؤسس الدولة الرسولية سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م.

٢، ٤ - الرسوليون و الطاهريون

تعد هذه الحقبة مرحلة رئيسة، ليس بسبب الازدهار الاقتصادي والتفتح الثقافي اللذين شهدتهما البلاد فحسب، بل وبسبب التطورات الحاسمة التي مرّ بها المجتمع اليمني والتي واصلت التأثير فيه حتى أيامنا هذه.

٢، ٤، ١ - الدولة الرسولية :

وجد خلفاء نور الدين عمر بن رسول أنفسهم على رأس دولة واسعة امتدت في أقصى توسعها في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) من مكة إلى ظفار (في عمان)، شاملة حتى بعض الموانىء على الساحل الإفريقي، مثل زيلع. ولم تخرج عن سلطتها إلاّ المناطق الزيدية حول صعدة. وقد اتخذ الرسوليون تعز

---

١. انظر الزيلعي، الأوضاع، ص ٦٤-٧٦.

عاصمة لهم، وأقاموا دولة قوية، متبعين القواعد التي أسسها أسلافهم الأيوبيون، مستندة على ركائز عدة، حيث أدارت المقاطعات إدارة فعالة متفانية في خدمة الملك. وتولى جيش قوي قمع الانتفاضات المتفرقة، ونجح في احتوائها وإخضاعها وبخاصة تلك التي أثارها أئمة الزيدية، وأخيراً أسهم اقتصاد مزدهر في تلبية الحاجات المهمة لخزينة الدولة. وقد شجع الرسوليون الاهتمام بالزراعة حيث كانوا يسيطرون على المناطق الأكثر خصباً في اليمن. لكنّ التجارة الدولية الواسعة هي التي وفرت لهم الدخل الأساسي. فتدفّقت البضائع من الهند، وسيلان (سيريلانكا حالياً)، والصين، وإفريقيا، وأعيد تصديرها من اليمن.

وكانت الحقبة الرسولية متألقة في المجال الثقافي أيضاً. فقد بنيت مدراس عظيمة في المدن، بعضها ما يزال موجوداً حتى اليوم، وبخاصة في تعز، ورداع، وزبيد، نبغ شعراء ومؤرخون ومتكلمون عديدون. وكتب أحد السلاطين، وهو الأفضل عباس، قاموساً عظيماً بخمس لغات.

وفي مطلع القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) استغل حكام عدن ضعف رئيسهم لإعلان استقلالهم، مؤسسين بذلك الدولة الطاهرية. وبعد ذلك بقليل، في سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م أجهزوا على الرسوليين ليخلفوهم في الحكم دون أن يستطيعوا استعادة المجد الذي انقضى.

كانت اليمن قد اكتسبت بعض الملامح غداة خروجها من هذه الحقبة التي دامت ثلاثة قرون من تاريخها وهي ملامح ما تزال تميزها اليوم. فالزيدية التي كانت محصورة في منطقة صعدة والجوف امتد نفوذها إلى المرتفعات العليا كلها لتصل عملياً إلى حدود نفوذها الحالي. فقد نجح أئمة الزيدية خلال حروب متكررة مع الرسوليين ثمّ الطاهريين، في أن يضعوا تحت نفوذهم جميع المناطق حتى ذَمَار جنوباً، لكنّ الإمامة لم تنجح في إقامة مؤسسات دولة، مما جعلها خاضعة بصورة كبيرة للاتحادات القبلية التي عاشت عملياً مكتفية ذاتياً، ولم يكن الإمام سوى زعيم ديني ووسيط في النزاعات بين القبائل. وعلى العكس، اكتسبت الشافعية في المناطق الجنوبية والساحلية من اليمن وضعها الغالب. فقد قللت ثلاثة قرون من الخضوع لسلطة الدولة من الدور الذي تنهض به القبائل، فاختفت عملياً الاتحادات القبلية الكبيرة في هذه المناطق.

٢ ، ٤ ، ٢- تطور المخلاف السليماني تحت سلطة الرسوليين والطاهريين[١] :

لم يقم المخلاف السليماني، الواقع على أطراف الدولة الرسولية، بدور مهم خلال هذه الفترة. إذ ترك الرسوليون هذه المنطقة تحت سيطرة الأشراف السليمانيين وبالتحديد تحت حكم أحد فروعهم، وهم الغوانم أبناء الشريف غانم الذي عاش في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري). وقد حاولوا لمرات عديدة الحصول على قدر أكبر من الاستقلال، مستغلين التنافس الشديد بين السلاطين الرسوليين وأئمة الزيدية. وكانت هذه السياسة مغرية من حيث إنَّ زبيد وتعز بعيدتان، في حين أن الأراضي الخاضعة لسيطرة الأئمة أكثر قرباً. وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) قويت شوكة الأمير دُرَيْب بن قُطب الدين، جد القطبية أحد فروع الغوانم، إذ أخذ سنة ١٤٣٨ مدينة حَرَض التي كانت تحت الحكم المباشر للرسوليين. وهذا ما جعل العلاقات بين القطبية والرسوليين ثم بينهم وبين بني الطاهر متوترة. وفي سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م حاول أمير مكة الشريف بركات بن حسن أن يستغل النزاع المستمر بين القطبية وبني الطاهر فشنّ هجوماً على المخلاف السليماني.

ففي بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وجد الأمراء القطبية أنفسهم في وضع حرج بين الدولة الطاهرية جنوباً التي كانت تصمم على إعادة سيطرتها المباشرة على مدينة حَرَض وما حواليها وبين أمير مكة شمالاً الذي كان يرغب في التوسع على الساحل الجنوبي حتى جازان.

٢ ، ٥ - القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) قرن مضطرب :

٢ ، ٥ ، ١ - الصراع بين المماليك والبرتغاليين في البحر الأحمر[٢] :

ظهر البرتغاليون في سنة ١٤٩٨م في المحيط الهندي. وبوجودهم القوي على الساحل الهندي في (جوا)، باشروا سلسلة من الحملات التي استهدفت الوصول إلى

---

١ . عن هذه الفترة انظر العقيلي، تاريخ، ص ٢٠١-٢١٣؛ الزيلعي، الأوضاع، ص ٩٣-٢١٩.

٢ . عن هذه الفترة، انظر ، الديبع ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، والسيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، ص ١٩٧-١٩٩.

سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر. وفي سنة ١٥٠٧م استقروا في مسقط وفي جزيرة سقطرة، وأقاموا أولى الاتّصالات بنجاشي الحبشة. وبعد بضع سنوات، في سنة ١٥١٣م أخفقوا في محاولة احتلال عدن، لكنهم استقروا لبضعة شهور في جزيرة كمران في البحر الأحمر. وتواصلت الحملات البرتغالية في البحر الأحمر بصورة مدعمة حتى أواسط القرن السادس عشر، ثمّ أدى إخفاقهم في أثيوبيا وتدعيم الوجود العثماني في اليمن إلى إبقاء هذا الإقليم من الكرة الأرضية في مأمن من هجماتهم.

كان مماليك مصر يخشون فقدان وضعهم الأساسي في تجارة الهند والشرق الأقصى والبحر الأبيض المتوسط من جهة، وأن يوجه الأوربيون ضربة للحرمين الشريفين من جهة أخرى. ولذلك استجاب السلطان المملوكي في مصر قانصوه الغوري في نوفمبر عام ١٥٠٥م لطلب حليفه الهندي في كوجرات وبعث إليه بأسطول بحري. وقد نزل هذا الأسطول أولاً في الحجاز، حيث دعم المماليك مدينة جدة، من حيث هي ميناء مكة، ثمّ تزود بالمؤن لدى السلطان الطاهري في عدن قبل الوصول إلى الهند. لكنّ هذه الحملة الأولى أخفقت. ففي فبراير عام ١٥٠٩م هزمت قوات البرتغاليين هذا الأسطول هزيمة قاسية أمام (ديو).

وفي هذا الوضع المضطرب بعث الأمير محمد بن أحمد بن دريب القطبي سنة ٩١٥هـ/ ١٥١٠م إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري برسالة يحثّه على الاستيلاء على اليمن والقضاء على الطاهريين [١]. وعند وصول أسطول المماليك الثاني في المنطقة سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م بقيادة حسين الكردي ظن أمير جازان أن الفرصة قد واتته للتخلص من أسرة بني الطاهر فشارك في هجوم المماليك على الدولة الطاهرية وبعث معهم جمعة من عساكره بقيادة أخيه عز الدين أحمد ليرافقهم في غزوهم لزبيد مستولين على الإقليم الساحلي كله ثمّ نهبوا تعز واحتلوا صنعاء، ولم يتركوا للسلطان الطاهري سوى مدينة عدن. وعندها علموا بغزو العثمانيين لمصر وقضائهم على ولاتهم بها. فقرر المماليك المشاركون في حملة الهند البقاء في اليمن والتحصن في تهامة وفي مدينة زبيد.

١. انظر الزيلعي، الأوضاع، ص ١٩٩-٢٠٠.

٢ ، ٥ ، ٢ - اليمن حتى مجيء العثمانيين سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م :

لقد رأينا كيف أنّ الدولة الطاهرية قد حُصرت في مدينة عدن، وكيف أنّ المماليك قد جردوا على حين غرة من ولاتهم ليكونوا دويلة صغيرة من حول زبيد. وخلال العقدين التاليين خاض الإمام الزيدي والسلطان الطاهري ومماليك زبيد معارك متواصلة فيما بينهم. فالأئمة الذين لم يكونوا مسيطرين حتى ذلك التاريخ إلا على الجزء الشمالي من المرتفعات العليا بين صنعاء وصعدة، قد استفادوا من انهيار الطاهريين ومن انسحاب المماليك من صنعاء ليستولوا على هذه المدينة. ثمّ أطلق الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (٩١٢ هـ/ ١٥٠٦م-٩٦٥ هـ/ ١٥٥٨م) جيوشه من هناك نحو الجنوب، واستولى على تعز من أيدي الطاهريين في سنة ١٥٣٤م، ثمّ على لحج في مشارف عدن.

أما المخلاف السليماني ففي سنة ١٥١٩م عاد الأمير عز الدين من زبيد إلى جازان فقتل أخاه الأمير المهدي محمد واستولى على الحكم. وكان ذلك بداية فترة طويلة من القلاقل والبؤس. وتصارعت العشائر المختلفة التي يتكون منها آل القطبية على الحكم، كل واحدة منها تحاول كسب تأييد هذه العشيرة أو تلك من مماليك زبيد الذين هم أنفسهم في تنافس دائم. لذلك أصاب المخلاف الدمار في مرات عديدة، على أيدي قوات هذه الجماعة أو تلك. وفي الوقت نفسه حاول شريف مكة أبو نُمي محمد (١٥٢٥-١٥٦٦م) الاستفادة من هذا الوضع ليبسط سلطانه نحو الجنوب على المخلاف السليماني، فدفع أمير حلي في مرات متكررة لمهاجمة أبي عريش، وجازان وصبيا، لكنّ هذا الأمير لم ينجح في أن يضع له موطئ قدم بصورة دائمة.

٢ ، ٥ ، ٣ - اليمن تحت حكم العثمانيين[١] :

وأرسل العثمانيون سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م، كما فعل أسلافهم المماليك من قبلهم، حملة نحو الهند، بهدف مقاومة نشاطات البرتغاليين الذين أضروا بالدور الوسيط لمصر منذ قرون عديدة في التجارة بين أوروبا والشرق الأقصى. وكان من أهداف الحملة أيضاً إعادة سياسة التدخل في شبه الجزيرة العربية التي مارسها حكام مصر منذ الفترة الفاطمية.

١ . عن هذه الفترة، انظر : سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن.

فقد طلب السلطان الظاهري في عدن، من دون حذر، مساعدة الأسطول العثماني المتجه نحو الهند لمواجهة تهديد الإمام يحيى شرف الدين. وعندما رسا الأتراك في ميناء عدن أسروا السلطان وشنقوه إلى صارية إحدى سفنهم، وعينوا أحد ضباطهم حاكماً للمدينة، وأبحروا نحو الهند، لكنّ حملتهم هزمت. وعند عودتهم توقفوا في تهامة مستولين على زبيد، وأفنوا غالبية المماليك. وبعد أن ثبتوا أقدامهم بقوة في إقليم الساحل، شنوا الهجمات على الأراضي المرتفعة من اليمن الواقعة آنذاك تحت حكم الإمام يحيى شرف الدين. وفي سنة ٩٤٦ هـ/ ٣٩-١٥٤٠م استولوا على تعز. ثمّ استفادوا من انقسامات عائلة شرف الدين فاحتلوا صنعاء بعد بضع سنوات، سنة ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م، وجعلوا منها عاصمة ولايتهم الجديدة.

لكنّ بيت شرف الدين لم يهزم تماماً. ففي سنة ١٥٦٥م شن أحد أبناء شرف الدين، وهو المطهر بن يحيى شرف الدين، هجوماً واسعاً على العثمانيين. وخلال سنتين استعاد منهم عملياً اليمن كلها باستثناء تهامة وزبيد. وعندها أرسل باشا مصر تعزيزات إلى اليمن. وعلى الرغم من المقاومة العنيفة، فإنّ آل شرف الدين قد اضطروا للانحناء وتوقيع هدنة، فاستعاد العثمانيون السيطرة على البلاد كلها في مقابل بقاء حكم الإمام على نواحي شمال غرب صنعاء وبصورة أساسية كَوكُبان، وثُلا. وبموت المطهر في سنة ٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢م أدت الخلافات المتواصلة بين أبنائه إلى تراجع سلطة هذه العائلة التي اعترف الحاكم التركي لأمرائها بالسلطة على مناطق نفوذهم، بحيث لم يصبحوا أكثر من موظفين في خدمة العثمانيين.

وبذلك امتدت الولاية العثمانية في اليمن من جازان حتى عدن، وشملت حضرموت التي اعترف أمراؤها بالسيادة العثمانية. لكنّ هذا الوجود كان عسكرياً بصورة خاصة، فقد اكتفى حاكم صنعاء بالحفاظ على حاميات صغيرة في بعض الأماكن المحصنة، وترك للوجهاء المحليين مهمة إدارة البلاد باسمه.

وتعرضت اليمن خلال هذه الفترة لتغيرات اقتصادية هامة، إذ فقدت تدريجياً الجزء الأساسي من التجارة الدولية التي وفرت الازدهار في الحقبتين الرسولية والطاهرية. لكنّ هذه الخسارة في الدخل قد عوضت جزئياً بتوسع تجارة البن وزراعة شجرته. فقد كانت اليمن آنذاك، في الواقع، البلد الوحيد في العالم المنتج للبن الذي اتسع استهلاكه بالتدريج خلال القرن السادس عشر في أقطار الدولة العثمانية كلها.

٢ ، ٥ ، ٤ - المخلاف السليماني خلال الحقبة العثمانية :

ومنذ وصول العثمانيين إلى اليمن سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م وضعوا المخلاف السليماني تحت سلطتهم المباشرة، وعينوا أحد ضباطهم حاكماً لأبي عريش. لكنَّ التعاقب السريع لهؤلاء الحكام، وارتفاع الضرائب وهجمات قوات الإمام التي تواصلت حتى احتلال صنعاء سنة ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م، قد جعلت وضعهم حرجاً.

وخلال النصف الأول من القرن السادس عشر برزت عائلة جديدة من الأشراف. فقد أسس آل الخواجيين في وادي صبيا مدينة صبيا، وفرضوا أنفسهم من هناك سلطة رئيسية في الإقليم، بسهولة سببُها أنَّ آل القطبية كانوا قد أضعفتهم منافساتهم الداخلية، وصراعهم مع المماليك في زبيد.

وفي سنة ٧-١٥٤٨م اضطر العثمانيون إلى مواجهة الانتفاضة الشاملة التي قادها الإمام شرف الدين وتحالف معه فيها آل الخواجين وآل القطبية. لكنَّ حلفاء الإمام من هاتين الأسرتين قد انهزموا. وكان من نتائج ذلك أنَّه لم يبق تحت السيطرة الفعلية للحاكم العثماني إلاَّ أبو عريش وجازان. أما بقية النواحي فقد ظلت تحت السلطة المباشرة للأعيان المحلين، من آل الخواجيين في صبيا، وآل القطبية في الجُزء الأعلى من وادي جازان، والقبائل في المناطق الأخرى.

٢ ، ٦ - اليمن في عهد الأئمة القاسميين :

سندرس في هذا الفصل تاريخ هذه السلالة الحاكمة من بدايتها في سنة ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٨م، حتى أفول حكم الإمام المهدي عباس سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥ م.

٢ ، ٦ ، ١ - طرد العثمانيين[١] :

في سنة ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٨م ادعى الإمامة في منطقة الشرف، إلى الشمال الغربي من صنعاء، القاسم بن محمد، الذي ينتمي إلى فرع من أبناء الهادي يحيى بن الحسين، متخذاً لنفسه لقب المنصور، فكان ذلك بداية انتفاضة أخرى في وجه

١ . عن هذه الفترة، انظر السيد مصطفى سالم، الفتح الأول، ص ٢٨٧-٣٩٥، و أميرة المداح، العثمانيون والإمام القاسم، و Tritton, *The Rise of the Imams of San'ā'*.

العثمانيين، وجدت صداها بين السكان الذين أثقلهم الوجود العثماني بصورة متزايدة، إذ لم يكن هؤلاء السكان ملزمين بتمويل هذا الوجود فحسب، بل وألزموا بدفع ضريبة سنوية ترسل إلى اسطنبول وتحمُّل أعباء فساد موظفيها. ولقد انضمت القبائل إلى الإمام مدفوعة بالتذمر من نظام الرهائن الذي فرضه الحكام العثمانيون في صنعاء لضمان طاعة هذه القبائل. وحقق الإمام المنصور انتصارات مهمة، لكنَّ العثمانيين ردوا بهجوم مضاد واسع جرد الإمام من جميع مكاسبه باستثناء جبل برط. وفي سنة ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٦م عاد إلى الهجوم بعد انضمام أحد أمراء آل شرف الدين إليه. وبعد سنتين قبل توقيع هدنة مع العثمانيين الذين اعترفوا بسلطته على المناطق من الحَيْمة إلى صعدة. وفي سنة ١٦١٤م شن الإمام هجوماً جديداً تبعته هدنة جديدة سيطر الإمام عملياً وفقاً لها على جميع الأراضي بين صنعاء وصعدة.

وواصل المؤيد محمد هذه الهدنة حين خلف أباه سنة ١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠ م. واستغل الإمام الجديد هذا التوقف عن القتال لتدعيم سلطته على هذه الأراضي، فقمع بخاصة تمرد سكان صعدة سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م، ثمّ بعد أربع سنوات غزا جبل الفيفا، شرق أبي عريش. وفي السنة نفسها ألغى الهدنة مع العثمانيين عندما أعدموا فقيهاً من أنصاره قدم إلى صنعاء، فاستولى الإمام بسرعة على الأماكن الرئيسة المحصنة التي كانت ما تزال في أيدي العثمانيين في المرتفعات العليا. وتوطد حكمه بانضمام أشراف المخلاف السليماني وأمراء آل شرف الدين في كوكبان إليه. وفي سنة ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٩م استولى على صنعاء، وغزا تعز وحصل على انضمام عدن، اضطر العثمانيين إلى الانسحاب على عجل إلى تهامة بحيث لم يعودوا يسيطرون إلا على رقعة صغيرة بين زبيد والمخا. وبعد محادثات بين الجانبين غادر العثمانيون اليمن في سنة ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م.

وللمرة الأولى في تاريخ اليمن يتوحد هذا البلد على أثر العثمانيين تحت حكم إمام زيدي، ابتداء من المخلاف السليماني في الشمال حتى عدن، ثمّ فيما بعد قليل حتى حضرموت، في الجنوب. وهكذا قدم القاسميون مساهمة أساسية في تكوين اليمن الحديث.

٢ ، ٦ ، ٢ - ذروة الإمامة القاسمية : المتوكل إسماعيل بن القاسم : ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤م-١٠٨٧ هـ/ ١٦٧٦م[1] :

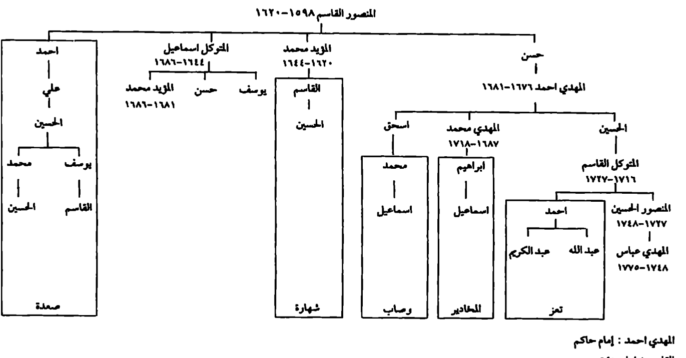
لقد أعطى الإمام المتوكل إسماعيل، الذي استقر في ضوران بالقرب من ذمار، لهذه الدولة أقصى امتداد لها . فغزا جيشه بين عامي ١٦٥٤م و ١٦٥٨م حضرموت ثمّ ظفار البعيدة، لحماية سواحل اليمن من الغارات المتزايدة التي كان يشنها القراصنة العُمانيون . وجدد العادة السابقة للرسوليين والعثمانيين بتنظيم قافلة حج يمنية كل سنة ابتداء من سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م . وأقام علاقات مستمرة مع أشراف مكة بهدف تأمين نجاح هذه القافلة بخاصة . ونمّى العلاقات أيضاً مع الجيران الآخرين، كما تبادل السفارة مع نجاشي الحبشة، ورتب استقبالاً فخماً لمندوبي السلطان المغولي للهند . وشهدت اليمن في عهده شيئاً من الازدهار الاقتصادي الذي يعود إلى تجارة البن . فقد تنامى استهلاك هذا المشروب بصورة واسعة في أصقاع الدولة العثمانية كلها، وبدأ بالانتشار في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر . ولم يتوقف طَلَبُ هذه السلعة الجديدة عن التزايد .

وعلى الرغم من نجاحات نظام الإمامة، فإنَّه قد انطوى على بعض عوامل الضعف التي ستؤدي إلى انحطاطه ابتداء من نهاية القرن السابع عشر . ولم ينشىء الأئمة القاسميون سوى نظام إداري بسيط لحكم هذه الأقاليم الواسعة كلها، والمعزولة بعضها عن بعض بجبال وعرة، حيث استعانوا بعدد قليل من الموظفين وبصورة أساسية من القضاة الذين كونّوا أعضاء الديوان . وبمجيء عهد المتوكل القاسم (١١٢٨ هـ/ ١٧١٦م-١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦م) أقام الإمام في صنعاء نهائياً بعد أن كان أسلافه كلهم قد أقاموا في مناطق مختلفة من البلاد، وأحياناً في قرى بسيطة . ولم يكن تحت قيادة الأئمة القاسميين إلاّ جيش صغير مكون من بعض المرتزقة، من بينهم أوربيون وعبيد، مما يضطر هؤلاء الأئمة إلى الاعتماد على دعم هذه أو تلك من قبائل المرتفعات العليا لخوض الحملات العسكرية الواسعة مقدماً لها مساعدات مهمة . ومنذ البداية، أوكل الأئمة إدارة أغلب الأقاليم إلى عمالهم، وتحولت هذه الأقاليم بسرعة إلى مراكز نفوذ

---

١ . انظر سلوى سعد سليمان الغالي، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن ١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م .

الأئمة القاسميون



المهدي احمد : إمام حاكم

القاسم : إمام منشق

تعز : عائلة حاكمة في النواحي

يحكمها بشكل شبه مستقل فروع مختلفة من بني القاسم، وكان المعتاد عند انتقال الحكم، عند موت أي إمام، أن يدعي الإمامة أكثر من شخص من القاسميين، كل يستند إلى منطقة نفوذه وإلى دعم القبائل والعلماء المحليين في محاولة لفرض حكمه. ولذلك كان انتقال السلطة طويلاً نسبياً ومصحوباً بمؤامرات كثيرة. وإلى جانب هؤلاء الحكام من آل القاسم، كان هناك عائلات أخرى متزرعة بقوة في مراكز نفوذها، وهي عائلات وطدت حكمها في مناطقها بفضل انضمامها إلى القاسميين خلال الصراع مع العثمانيين. وهكذا سيطر الأشراف آل الخواجيين وآل القطبية على المخلاف السليماني، وحكم آل شرف الدين منطقة كوكبان.

وعلى الرغم من عوامل الضعف المتعددة استطاع القاسميون التمسك بالسلطة على الجزء الأكبر من اليمن حتى منتصف القرن التاسع عشر، لأنَّهم نجحوا في الاستحواذ على جزء كبير من ثروة البلاد لمصلحتهم من جمع الزكاة والضرائب، مما سمح لهم بشراء دعم القبائل من جهة، ولأنهم نجحوا بصورة تثير الإعجاب في دفع منافسيهم إلى إنهاك أنفسهم في مشاحنات لا تتوقف، مجنبين أنفسهم بذلك خطر تكوين تحالفات قوية، من جهة أخرى.

٢، ٦، ٣ - استمرار النظام القاسمي (١٠٨٧ هـ/ ١٦٧٦-١٧٤٨م)[١] :

لقد ضعفت سلطة الإمام بالتدريج خلال هذه الفترة، فتزايدت المناطق الخارجة عليه. لكنَّ القاسميين نجحوا في الاستمرار. وكان حكم الإمامين الأولين اللذين خلفا المتوكل إسماعيل قصيراً. وقد أقام المهدي أحمد بن حسن (١٠٨٧ هـ/ ١٦٧٦م-١٠٩٢ هـ/ ١٦٨١م) في الغراس، على بعد نحو عشرين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من صنعاء، واضطر في سبيل توطيد حكمه إلى أن يواجه معارضة القاسميين المقيمين في شهارة وصعدة حيث قدم كل واحد من هذين الفرعين مرشحاً منافساً.

---

١. عن الائمة القاسميين، انظر الجرافي، المقتطف، والشيخ عبد الواسع الواسعي، تاريخ اليمن
Sergeant, *San'ā'*, p. 78-88, Playfair, *History of Arabian Felix*, Niebuhr, *Description*, II, Stookey, *Yemen*, p. 142-155.

ومن بين ما ميز حكم المهدي أحمد تصلب ديني واضح إذ طرد اليهود من صنعاء لبعض الوقت إلى تهامة قبل أن يستطيعوا العودة إليها. كما أنّ استهلاك البن والتنباك قد منع لبعض الوقت لقول بعض العلماء إنّه محرم. وعند موت هذا الإمام سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م تزايد الطامحون إلى خلافته من بين القاسميين. وانضم هذه المرة أمراء رداع والمنصورة في جنوب البلاد إلى أمراء صعدة وشهارة في شمالها. ولم يوطد المؤيد بن إسماعيل حكمه إلاّ بصعوبة. وبدأت الأقاليم البعيدة ترفض حكم الإمام. وهكذا استعادت منطقة يافع استقلالها سنة ١٦٨٥ م. وعند انتقال الحكم إلى الإمام المهدي محمد (١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م-١١٣٠ هـ/ ١٧١٨م)، اضطر كي يفرض سلطته إلى مواجهة منافسيه من مدعي الإمامة بالسلاح. وبذل جهوداً خلال السنوات الخمس عشرة الأولى من حكمه لتدعيم سلطته التي بدأ الضعف يدب إليها، وحاول استعادة نفوذه على المناطق الواقعة في أيدي الفروع المختلفة من القاسميين. ولهذا أرسل ابنه إسماعيل إلى صعدة في محاولة لتحطيم قوة علي بن أحمد بن القاسم. لكنّ إسماعيل قتل خلال هذه المعركة، فتدعم عندئذ استقلال القاسميين في صعدة. وأخفق الإمام أيضاً في محاولته استعادة يافع وحضرموت، وعلى العكس استطاع أن يضع أقدامه على الساحل الإفريقي في زيلع بالقرب من جيبوتي الحالية، ومن هناك تأسست تجارة رابحة بالعبيد استفاد منها ميناء المخا.

وفي رمضان سنة ١١٠١هـ/ يونيه ١٦٩٠م استقبل الإمام أحد أشراف مكة، هو أحمد بن غالب، وأوكل إليه الحكم في المخلاف السليماني. واتسم الجزء الثاني من حكم المهدي محمد باضطرابات متكررة. وفي سنة ١١١٢هـ/ ١٦٩٩-١٧٠٠م ساد الاضطراب في المناطق الواقعة إلى الشمال الغربي من صنعاء حين وثب السيد المَحَطْوَري في حركة تمرد، وأعلن أنّه المهدي المنتظر. لكنّ حركته سحقت بسرعة. إلاّ أنّ الحكم الاستبدادي الطاغي أحياناً للإمام ما لبث أن أثار قلاقل أخرى. فقد ثارت قبائل المرتفعات العليا. ثمّ أدان العلماء ممارسات الإمام، وبخاصة في مجال فرض الضرائب التي عدوها مخالفة لشريعة الإسلام. وشجعت هذه الإدانات ظهور أئمة منافسين. ففي سنة ١٧٠٩م أعلن الأمير القاسمي علي بن أحمد في صعدة نفسه إماماً. وبعد بضع سنوات، في سنة ١٧١٢م، تنازل عن إمامته وانضمّ إلى إمام معارض

آخر هو المنصور حسين الذي ادعى الإمامة في شهارة وعاضده الشريف عز الدين القطبي في أبي عريش وآل شرف الدين في كوكبان. ولما أحس الإمام المسن بالعزلة تزداد من حوله، وبخاصة بعد إعدام الأمير القطبي، أخرج ابن أخيه القاسم بن الحسين من السجن وأمره بالزحف على أعدائه. لكنَّ هذا الأمير استفاد من استعادته لحريته للانضمام إلى معسكر أعداء الإمام، فأعلن نفسه إماماً بدوره، متخذاً لقب المتوكل. ثمّ زحف على عمه المهدي محمد الذي مات سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م خلال حصار مدينته، المواهب.

فأقام الإمام الجديد المتوكل القاسم (١١٢٨هـ/ ١٧١٦م- ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) في صنعاء. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه المدينة مقر الإمامة. وكان عهد هذا الإمام أكثر هدوءاً من عهد سلفه، إلاَّ أنَّ قبائل حاشد وبكِيل التي ضربها القاسم بقوة في عهد عمه، لم تتردد في الانقضاض على حكمه، ودعم إمام منافس ادعى الإمامة في ذِي بِين، إلى الجنوب الشرقي من صعدةَ.

وفي سنة ١٧٢٧م أثار انتقال الحكم من إمام إلى آخر قلاقل جديدة، فقد تغلب المنصور الحسين بن القاسم (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م-١١٦١هـ/ ١٧٤٨م) على المعارضة بعد سنة من الصراعات. كما أعلن المنافس له محمد بن إسحق بن المهدي، تدعمه قبائل حاشد وبكيل، دعوته من ذِي بِين. ثمّ جرت محادثات بين المتنافسين. لكنَّ المنصور القاسم اغتال أحد زعماء حاشد الذي وصل للتفاوض. فأثار هذا الفعل الغادر موجة سخط في البلاد على الإمام الجديد. وسرعان ما أصبحت سلطته مقتصرة على مدينة صنعاء، إلا أنَّه نجح في تحويل الوضع لصالحه بالاستعانة بقبائل يام الإسماعيلية في نجران. وبالمقابل تنازل لهم عن منطقة حراز التي تسكنها جماعة إسماعيلية أيضاً، فوجهت هذه القلاقل ضربة جديدة لنفوذ الإمام وحكمه. وفي سنة ١٧٣١م اغتيل عامله على عدن، وأوقف السلطان فضل بن علي العبدلي ذكر اسم الإمام في خطبة الجمعة.

وفي أبي عريش، منذ سنة ١٧٢٨م أصبح أحمد بن محمد، حفيد الشريف خيرات، حاكماً، وعمل لبسط سلطته وتوطيدها. ووصل أحمد بن القاسم، أخو الإمام إلى حد ضرب النقود باسمه في تعز، ورفض جميع أوامر صنعاء بعزله، وقاتل جيوش الإمام في مرات عديدة.

٢ ، ٦ ، ٤ - تجديد الإمامة في عهد المهدي عباس (١١٦١هـ/ ١٧٤٨م-١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) :

لقد كانت معارضة صعود المهدي عباس إلى الحكم أقل عنفاً من سابقيه. فبعد أن حاربه الأمير شرف الدين أحمد بن محمد، توصل معه إلى اتّفاق حصل بموجبه على حق التمسك بالمناطق التي يسيطر عليها في كوكبان، في مقابل سحب ادعائه الإمامة. لكنَّ عمه أحمد في تعز كان بلا مراء أخطر منافسيه، لذلك توصل معه أيضاً إلى اتّفاق. واتخذ سياسة ماهرة مكنته من احتواء قوى بعض عائلات القاسميين المنافسين باستغلال انقساماتهم الداخلية. وهكذا استعاد السيطرة على إقليم تعز سنة ١٧٦٠م. لكنَّ محاولاته كانت أقل نجاحاً في عدن وصعدة. ولم يتردد في اللجوء إلى الخيانة للتغلب على معارضيه. ففي سنة ١٧٦٠م اغتال عامله على الحُجَرية، في حين كان ضيفَه في صنعاء بعد أن كان قد تمرد ثمّ عاد لموالاة الإمام. وحين عبر عامل تهامة، الماس عبد الرحمن، الذي كان قد توسط في هذه القضية، عن سخطه على هذا التصرف، دُسّ له السم بأمر الإمام.

وعلى المستوى الديني اتبع المهدي عباس موقفاً متصلباً. وكان تأثير محمد بن إسماعيل الأمير، العالم والمتكلم المشهور خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، على سياسة الإمام، حاسماً بالتأكيد. فقد عارض الإمام الاعتقاد في الأولياء، وأمر بهدم الأضرحة في البلاد كلها. وتوجهت قبائل بِرْط الزيدية لاستعراض قواتها في صنعاء ومعها بعض السادة، من بينهم أصحاب كوكبان، في سنة ١٧٦٨م معترضين على التسامح الذي أبداه الإمام ومحمد بن إسماعيل الأمير إزاء الشوافع. وهزت حكم الإمام المهدي أيضاً حركة تمرد دينية سياسية. ففي سنة ١٧٥٠م أعلن أبو علامه أنه المهدي المنتظر بعد خمسين سنة من سلفه المحطوري لكنَّ حركته سحقت بسرعة.

وفي سنة ١٧٦٣م استقبل الإمام الرحالة الدانماركي نيبور الذي ترك لنا في كتابه (وصف شبه جزيرة العرب) شهادة نادرة عن اليمن في تلك الحقبة.

٢ ، ٧ - لمحة عن الإمارات والأسر الحاكمة في الأقاليم المجاورة للمخلاف السليماني :

وقبل أن نتتبع الخطوط الرئيسية لتطور المخلاف السليماني تحت حكم الأئمة القاسميين، نعود لنتتبع باختصار تاريخ الإمارات والأسر الحاكمة المجاورين لهذا

المخلاف. وقد أثرنا هذا الموضوع في سياق هذا العرض، لكنّ من الضروري أن نقدم هنا مستخلصاً يساعد القارئ على تحديد السياق الذي وقعت فيه الأحداث التي رواها عبد الرحمن البهكلي في حولياته، وفهمها.

٢، ٧، ١ - أشراف مكة[١] :

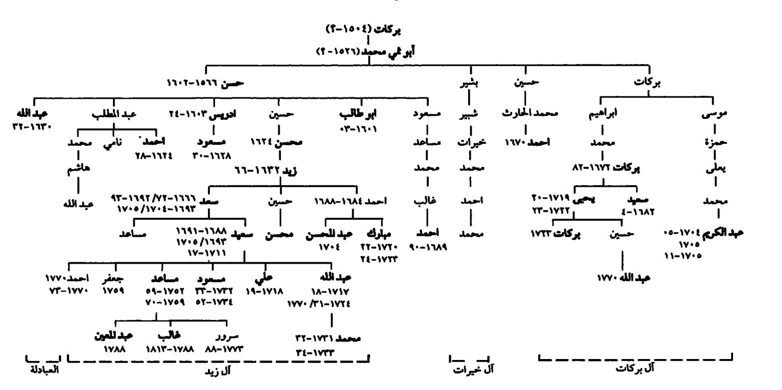
عادت السلطة في مكة سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م إلى قتادة بن إدريس. وظلت السلطة في الحجاز بين أيدي هذا الفرع حتى سنة ١٩٢٥م. لكن عدداً من الأسر المتنافسة ظهرت داخل هذا الفرع؛ ونتيجة الخلاف بين الرسوليين في اليمن والمماليك في مصر تمكنت القاهرة من ممارسة السيادة على الحجاز ابتداءً من عام ١٣٥٠م حتى وصول العثمانيين سنة ١٥١٧م. ففي هذه السنة اعترف شريف مكة بركات الثاني (١٤٧٣-١٥٢٥م) بسلطان استانبول الذي اتخذ لقب خادم الحرمين الشريفين. وكان الوجود العثماني في الحجاز محدوداً حيث إن مبعوث السلطان الباشا كان يقيم في جدة ويقتسم عائدات الجمارك مع ممثل شريف مكة. أما القوات العسكرية التي كان والي القاهرة العثماني يرسلها إلى الحجاز مع قافلة الحج فلم تكن من القوة بحيث تتمكن من فرض سياسة عثمانية في الصراعات المتكررة بين أشراف مكة من أجل ممارسة السلطة.

وبعد فترة استتباب الأمور في مكة واستقرار الحكم فيها خلال القرن السادس عشر بدأت المنافسات تتفجر من جديد في القرن السابع عشر في أعقاب وفاة الشريف إدريس سنة ١٦٢٤م. فقد تصارعت ثلاثة فروع من أبناء الشريف حسن بن أبي نُمَي محمد من أجل الحكم قبل أن ينجح الشريف زيد بن محسن بن حسين في فرض سلطته وهو جدّ لبني زيد الذين سينازعون آل بركات أبناء بركات بن أبي نُمي طوال النصف الثاني من القرن السابع عشر وكذلك في القرن الثامن عشر. وفي سنة ١٦٧٥م غادر الشريف خيرات مكة متجهاً إلى اليمن، وهو جد الشريف محمد بن أحمد الذي أرّخ له عبد الرحمن البهكلي.

---

١. عن أشراف مكة انظر الشريف أحمد البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، جدة والشريف مساعد آل عبد الله بن سرور، جداول أمراء مكة وحكامها، مكة، ١٣٨٨م، و

Wüstenfeld, *Die Chroniken der Stadt Mekka*.


أشـراف مـكـة
بركات (١٥٠٤-؟)
أبو نمي محمد (١٥٢٦-؟)
بركات
حسين
بشير
حسن ١٥٦٦-١٦٠٢
موسى
ابراهيم
محمد الحارث
شبير
مسعود
ابو طالب ١٦٠١-٠٣
حسين
ادريس ١٦٠٣-٢٤
عبد المطلب
عبد الله ١٦٣٠-٣٢
حمزة
محمد
احمد ١٦٧٠
خيرات
مساعد
محسن ١٦٢٤
مسعود ١٦٢٨-٣٠
احمد ١٦٢٤-٢٨
نامي
محمد
يعلى
بركات ١٦٧٢-٨٢
محمد
محمد
زيد ١٦٣٢-٦٦
هاشم
محمد
سعيد ١٦٨٢-٤
يحيى ١٧١٩-٢٠ ١٧٢٢-٢٣
احمد
غالب
احمد ١٦٨٤-١٦٨٨
حسين
سعد ١٦٦٦-٧٢/١٦٩٢-٩٣ ١٦٩٣-١٧٠٤/١٧٠٥
عبد الله
عبد الكريم ١٧٠٤-٠٥ ١٧٠٥ ١٧٠٥-١١
حسين
بركات ١٧٢٣
محمد
احمد ١٦٨٩-٩٠
مبارك ١٧٢٠-٢٢ ١٧٢٣-٢٤
عبد المحسن ١٧٠٤
محسن
سعيد ١٦٨٨-١٦٩١ ١٦٩٣/١٧٠٥ ١٧١١-١٧
مساعد
عبد الله ١٧٧٠
عبد الله ١٧١٧-١٨ ١٧٢٤-٣١/ ١٧٧٠
علي ١٧١٨-١٩
مسعود ١٧٣٢-٣٣ ١٧٣٤-٥٢
مساعد ١٧٥٢-٥٩ ١٧٥٩-٧٠
جعفر ١٧٥٩
احمد ١٧٧٠ ١٧٧٠-٧٣
محمد ١٧٣١-٣٢ ١٧٣٣-٣٤
سرور ١٧٧٣-٨٨
غالب ١٧٨٨-١٨١٣
عبد المعين ١٧٨٨
آل بركات
آل خيرات
آل زيد
العبادلة

وفي نهاية القرن السابع عشر الميلادي تفاقمت الفوضى والارتباك من جراء الصراعات الداخلية التي تفجرت داخل أسرة بني زيد. فبين عامي ١٦٦٦م و ١٧٠٥م استولى الشريف سعد بن زيد على الحكم أربع مرات متكررة، وسرعان ما فقدها بعد ذلك. وكذلك كان حال ابنه سعيد الذي خاض مثلها خمس مرات. وابتداءً من سنة ١٧٢٣م تمَّ إقصاء آل بركات المتنافسين بصورة مستديمة. وشهد الحكم في الحجاز استقراراً نسبياً في عهد بني زيد و خصوصاً في عهد الشريف مسعود بن سعيد (١٧٣٢-١٧٥٤م) ثم في عهد أخيه مساعد (١٧٥٢-١٧٧٠م)[١].

وقد أخذت أسر الأشراف المختلفة في غمرة صراعاتها التي لا تنقطع تبحث عن حلفاء لها من بين قبائل البدو المتعددة في الحجاز وخاصة قبيلة حرب القوية بين يَنْبُع والمدينة وجدة. كانت السيطرة على الموانئ الحجازية وخاصة جدة ويَنْبُع والقُنْفُذة عاملاً أساسياً في تلك المنازعات، إذ كانت عوائدها الضخمة تسمح بالحصول على تأييد زعماء القبائل مقابل دفع مساعدات مالية لهم. وكانت كل أسرة من أسر الأشراف تعتمد على جماعة من العبيد ومن العسكر المرتزقة المغاربة واليمنيين.

ولم يكن في استطاعة الباشا في جدة وفرقته الانكشارية فرض سلطة حازمة على الحجاز، بل كانت تلك الهيبة تتجلى بصورة حاسمة مرة واحدة كل سنة أثناء إقامة قافلتي الحج الآتيتين من القاهرة ومن دمشق. وكان أمراء الحج بفضل ما يصاحبهم من فرق عسكرية يمتلكون القدرة اللازمة لتنصيب من يحظى من الأشراف بتأييدهم. ففي سنة ١٦٨٩م حصل الشريف أحمد بن غالب عن طريق الباشا في القاهرة على دعم القافلة المصرية التي مكنته من السيطرة على الحكم في مكة. وفي سنة ١٧٥٩م قام أمير الحج المصري حسين كِشْكِش بعزل الشريف مساعد، غير أنه بمجرد رحيل القوافل كانت السلطة في كثير من الأحيان تعود من جديد إلى أيدي الأشراف المنعزلين. وعندئذ كان يتحتم على محاسيب الباشوات الهرب. وهكذا اختار الشريف أحمد بن غالب اللجوء إلى اليمن حيث أوكل إليه الإمام الحكم على المخلاف السليماني في سنة ١٦٩٠م. وقد أرّخ علي بن عبد الرحمن البهكلي حكم هذا الشريف على المخلاف في كتابه «العقد المفصل بالنوادر والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب».

---

١. عن هذه الأحداث انظر أحمد دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلاد الحرام.

٢،٧،٢- قبائل يام : فرسان بدو في خدمة أشراف أبي عريش :

قام هؤلاء البدو من منطقة نجران بدور مهمّ في شبه الجزيرة العربية خصوصاً في النصف الثاني من القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر، لقد كانوا في خدمة الأمراء المجاورين وخاصة أشراف المخلاف السليماني. وفي كتابه عن دولة الشريف محمد يشير عبد الرحمن البهكلي إلى نزول قبائل يام من نجران إلى أبي عريش لتأييد الشريف محمد في حملاته العسكرية. ومن المعروف أن قبائل يام ينتسبون إلى الطائفة الإسماعيلية التي يرجع وجودها في اليمن إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ويترأسها قائد يطلق عليه لقب "داعٍ".

وحين انقسم الإسماعيليون الفاطميون في القاهرة في القرن الثاني عشر الميلادي، (السادس الهجري) إلى أنصار المستعلي وأنصار نزار، اتخذ اليمنيون جانب المستعلي، ثمّ تبنوا الطيبة؛ ففي هذا الوقت قررت الملكة أروى تعيين داع في اليمن يعترف به إسماعيليو اليمن والهند. وبعد انتهاء دولة الصليحيين أقام الإسماعيليون علاقات حسنة مع الأيوبيين، ثمّ مع الرسوليين والطاهريين. لكنّ علاقاتهم كانت متوترة بصورة شبه دائمة مع الزيديين. وفي سنة ١٥٣٨م أباد المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين، عملياً، عائلة بني الأنْف كلها، وهي التي كان الدعاة يُختارون منها منذ أكثر من ثلاثة قرون. وعندها حمل اللقب لبعض الوقت داع هندي. وفي سنة ١٥٩١م عين الإسماعيليون اليمنيون داعياً لهم، هو سليمان بن حسن الهندي، في حين واصل الهنود متابعة خليفة داود بن عَجَب شاه، فوُجدت بذلك مجموعتان، هما السليمانية والداودية.

وفي سنة ١٦٣٣م تولى منصب داعي الإسماعيليين السليمانيين إبراهيم بن محمد المكرمي. ومنذ ذلك التاريخ كان الدعاة من عائلته. وأقام والد إبراهيم المكرمي منذئذ في يام، في حين ظل الداعي في طيبة بالقرب من صنعاء حتى طرده منها الإمام المهدي محمد نحو سنة ١٧٠٦م. وحينها نفى الداعي نفسه في القنفذة في البداية، ثمّ التحق فيما بعد ببني المكرمي المقيمين في يام. وتواصل الدعاة السليمانيون في نجران حتى طردهم منها وهابيو نجد في مطلع هذا القرن[١].

---

١. عن الإسماعيليين، انظر *EI*, IV, p. 206-215, et Philby, *Arabian Highlands*, Index.

وهذا ثَبَت بأسماء الدعاة المكارمة :

– إبراهيم بن محمد المكرمي (١٦٣٣-١٦٧٧م)
– محمد بن إسماعيل (١٦٧٧-١٧١٧م)
– هبة الله بن إبراهيم بن محمد (١٧١٧-١٧٤٧م)
– إسماعيل بن هبة الله (١٧٤٧-١٧٦٠م)
– حسن بن هبة الله (١٧٦٠-١٧٧٤م)
– عبد العالي (١٧٧٤-١٧٨٠م)

٢، ٧، ٣ - الأمراء القاسميون في صعدة ورزاح[١] :

أوكل المنصور القاسم، أول إمام قاسمي (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨-١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م)، حكم إقليم صعدة إلى ابنه أحمد. وفي سنة ١٦٤٤م لم يبايع الأمير أحمد أخاه إسماعيل إلاَّ في مقابل تثبيته في حكم إقليم صعدة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح هذا الإقليم مركزاً لنفوذ الأمير أحمد بن القاسم وأبنائه من بعده. وفي سنة ١٦٧٦م أراد الإمام المتوكل الحد من قوة علي بن أحمد، تحت وطأة الشعور بالخطر الذي يمثله هذا المعقل المستقل. فبعث ابنه على رأس جيش لمهاجمة صعدة. وكان رد الأمير علي أن ادّعى الإمامة معتمداً على القبائل المجاورة، ومتخذاً لنفسه لقب المنصور. وخلال هذه الأحداث مات الإمام المسن المتوكل، فحاول المنصور علي عندئذ الحصول على بيعة اليمن كلها بهدف فرض سلطته إماماً وحيداً. وحارب أحد المنافسين، وهو القاسم بن المؤيد محمد، الذي ظهر خلالها في شهارة. لكنّه اضطر للتفاوض مع منافس ثان، هو المهدي أحمد الذي ادعى الإمامة في الغراس. وقبل الأمير علي في النهاية ترك منصب الإمامة في مقابل توسيع منطقة حكمه. وأرسل ولده الحسين إلى رزاح لحكم هذه المنطقة باسمه.

وفي سنة ١٦٨٩م ادعى الأمير علي الإمامة من جديد، متخذاً لنفسه لقب الدّاعي، وسك العملة باسمه في صعدة، وظن أنَّ اللحظة مواتية للاستيلاء على اليمن كلها. وكان الإمام المهدي محمد حينها منهمكاً في محاولة استعادة حضرموت، لكنَّ

---

١. عن أمراء صعدة ورزاح، انظر الجرافي، المقتطف، ص ١٥٦-١٨٠ وتراجمهما الموجزة في نشر، ونيل، وبدر.

هذه المحاولة أخفقت، وأرسل بعد ذلك ابنه إسماعيل على رأس جيش لمهاجمة الأمير المتمرد في صعدة. واستطاع إسماعيل الاستيلاء على المدينة، لكنّه اغتيل بعد ذلك بقليل، مما اضطر الإمام المهدي محمد حينئذ إلى أن يغض الطرف عن مسألة الحد من سلطة منافسه في صعدة. وقد حاول هذا الأخير الاستيلاء على المخلاف السليماني الذي كان تحت حكم الشريف أحمد بن غالب. وفي رجب سنة ١١٠٤هـ/ مارس ١٦٩٣م قامت قواته بغزو أبي عريش قبل أن تضطر للانسحاب منها. وتوفي سنة ١٧٠٩ م. وخلفه في صعدة ابنه الحسين الذي كان فيما سبق حاكماً لرازح، فقد ادعى الإمامة بدوره، متخذاً لقب المؤيد. لكنّه تخلى عن الإمامة سنة ١٧١٢م وانضمّ إلى إمام آخر ظهر في شهارة، هو المنصور الحسين بن القاسم، ابن المنافس القديم للمهدي أحمد في سنة ١٦٧٦ م. وفي السنة التالية زار الحسين بن علي بن القاسم أبا عريش بأمر من إمام شهارة بغية الحصول على ولاء هذا المخلاف. لكنّ الحسين مرض ومات بعد ذلك بقليل، وقد يكون مات مسموماً. وتحت حكم خلفه فقدت إمارة صعدة بعض قوتها. وفي سنة ١٧٤٤م استقبل محمد بن الحسين، حاكم رازح، الشريف محمد المطرود آنذاك من أبي عريش. لكنّ أمراء صعدة اضطروا للتخلي عن حكم منطقة رازح تحت ضغط تمرد السكان المحليين سنة ١٧٦٣م.

ويؤكد نيبور ضعف هذه العائلة قائلاً: إنّ القاسم بن يوسف الذي يعود نسبه إلى الإمام الهادي ومقره في صعدة يدعي أنه إمام، لكنّ المنطقة التي يبسط سلطته عليها شديدة الصغر ولا يستطيع الدفاع عنها إلاّ بصعوبة في وجه مشائخ الجبال المجاورة [١].

٢، ٧، ٤ – أمراء آل شرف الدين في كوكبان [٢]:

يعود نسب هؤلاء الأمراء إلى شمس الدين أحد أبناء الإمام المتوكل شرف الدين يحيى (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م – ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م). ولقد اكتسبت هذه العائلة مجدها

١. Niebuhr, *Description*, II, p. 113.

٢. عن آل شرف الدين انظر تراجمهم الموجزة في نشر، وبدر، ونيل، و Niebuhr, *Description* p. 93-7 ; Clive Smith, « Kawkabān, Some of its History », Arabian Studies, VI, 1982, p. 35-50.

في زمن الإمام شرف الدين وابنه المطهر اللذين بتحالفهما مع المماليك في زبيد، ثمّ بصراعهما مع العثمانيين، أعطيا للإمامة الزيدية دفعاً قوياً بحيث استطاعت لأول مرة في تاريخها أن تصل إلى تعز وعدن. وقد جعلا من كوكبان وثُلا موقعين حصينين لهما واجها منهما العثمانيين الذين كانوا يحكمون صنعاء. لكنَّ خلفاءهما أنهكوا أنفسهم في منافسات لم تنقطع، استفاد منها العثمانيون الذين باعترافهم بنفوذ آل شرف الدين في منطقة كوكبان حصلوا على ولائهم بالمقابل. وظل الأمراء من آل شرف الدين في جملتهم موالين للعثمانيين حتى سنة ١٦٢٦م حين انحازوا إلى الأئمة القاسميين في ثورتهم على العثمانيين، تلك الثورة التي كانت قد انطلقت قبل أكثر من ربع قرن. وحصلوا في مقابل انضمامهم إليهم على تثبيتهم في سلطتهم على منطقة كوكبان التي امتدت حتى حَجَّة وحتى مشارف تهامة.

وتحت مظلة الحكم القاسمي تمتع أمراء آل شرف الدين باستقلال ذاتي كامل في إمارتهم، مقابل ولاء اسمي للإمام. وفي سنة ١٧٤٨م برز الأمير أحمد بن محمد منافساً للإمام المهدي عباس عند توليه الحكم لكنه بعد أن هزم بالسلاح كف عن النزاع في مقابل إقراره على استقلاله الذاتي في منطقة نفوذه.

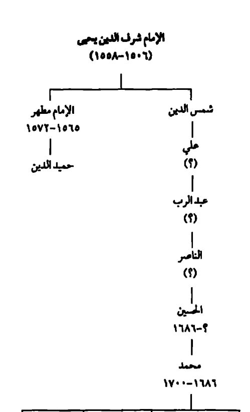
٢، ٨ - المخلاف السليماني تحت حكم الأئمة القاسميين :

ظل المخلاف السليماني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تحت سيطرة الأعيان المحليين. وكما رأينا من قبل كان الأشراف آل الخواجيين يضربون بجذورهم في صبيا، بينما كان سادة آل القطبية، على الرغم من المنافسات الداخلية المتواصلة التي أضعفتهم، يسيطرون على البلاد الداخلية من خلال موقعهم الحصين في المُعَنَّق في وادي جازان.

٢، ٨، ا - نهاية الوجود العثماني :

وفي سنة ١٦٢٦م انضمّ أشراف آل الخواجيين إلى الإمام المؤيد محمد في ثورته على العثمانيين، فهبطت جيوش الإمام إلى أبي عريش، وطردت الحاكم العثماني. وانتقل المخلاف منذ ذلك الوقت إلى حكم الإمام. لكنَّ هذا المخلاف ظل تحت السيطرة

سادة كوكبان آل شرف الدين



المباشرة للأعيان المحليين، آل القطبية وآل الخواجين. ونحو سنة ١٦٧٢م أقام الشريف خيرات في أبي عريش حيث أسند الإمام المتوكل إليه وظيفة تحصيل عائدات ميناء جازان لتلبية احتياجات دولة الإمام.

٢، ٨، ٢ – وصول الشريف خيرات وحكم الشريف أحمد بن غالب[١] :

ونحو سنة ١٦٧٢م لجأ الشريف خيّرات الذي من المرجح أن يكون قد راح ضحية التطاحن المرير من أجل السلطة في مكة بين بني زيد وآل بركات، لجأ إلى اليمن حيث أسند إليه الإمام المتوكل إسماعيل وظيفة تحصيل عائدات مدينة جازان. وبعد ذلك بنحو عشرين عاماً في صفر سنة ١١٠٢هـ/ نوفمبر ١٦٩٠م غادر مكة الشريف أحمد بن غالب على أثر إقصائه عن الحكم، وتوجه بدوره إلى اليمن ليس بهدف الإقامة فيه بصورة مستمرة بل بحثاً عن مساعدة ورغبة في تكوين قاعدة تمكنه من الانطلاق لمعاودة الاستيلاء على الحكم في الحجاز. ولقد أوكل إليه الإمام حكم مدينتي أبي عريش وجازان، بينما كان الأشراف آل الخواجيين يسيطرون على صبيا، وسادة آل القطبية على البلاد الداخلية.

وما كاد أحمد بن غالب يستقر في المخلاف السليماني حتى تمرد الأمير القاسمي علي بن أحمد في صعدة وادعى الإمامة وعقد العزم على غزو اليمن كله. وأمام ذلك الخطر الداهم طالب الإمام المهدي محمد أمراء صعدة بخوض الجهاد ضد الحاكم المنشق. عندئذ وجد الشريف أحمد بن غالب في أبي عريش الفرصة سانحة لتوسيع منطقة نفوذه. وعندما رفض آل الخواجيين في صبيا تلبية داعي الجهاد قام أحمد بن غالب بالاستيلاء على أراضيهم. وكان يرغب كذلك في مهاجمة آل القطبية الذين انحازوا علانية إلى الإمام المنشق. بيد أن عز الدين بن حسن القُطْبي نجح في مقاومته. ثم أرسل الإمام ابنه إسماعيل لمحاربة منافسه. وبعد اغتيال إسماعيل انقلب أمير صعدة علي بن أحمد على أحمد بن غالب وأرسل أتباعه من البدو لتخريب مدينة أبي عريش. ولم يفض ذلك القتال إلى نهاية حاسمة مما اضطر البدو إلى الانسحاب. عندئذ قطع

---

١. عن حكم الشريف أحمد بن غالب، انظر العقيلي، تاريخ جـ١ (٢) ص ٤٠٣-٤١٩.

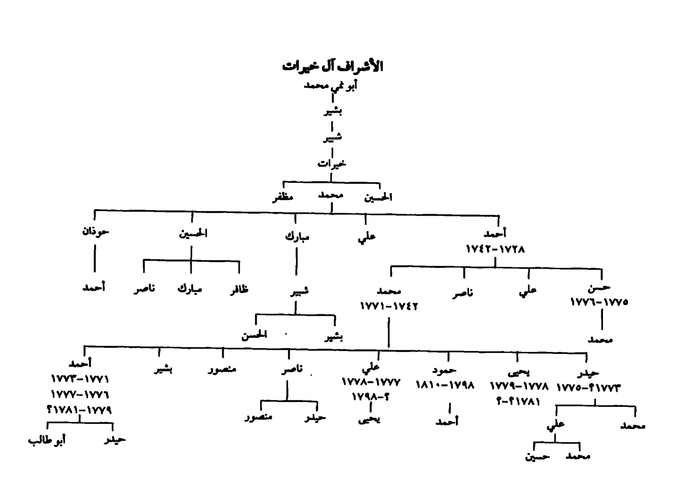
أحمد بن غالب طرق القوافل المؤدية إلى الجبال مما تسبب في خلق مصاعب كبيرة في إمداد منطقة صعدة بالسلع الغذائية التي لا غنى عنها مثل الملح .

وقد اغتنم أمير أبي عريش تلك الهدنة للقيام بنهب المناطق الواقعة تحت نفوذه واغتصاب المحاصيل الزراعية على الأرجح تأهباً للانتقام من خصومه في مكة . كذلك استغل بنو شُعْبَة الذين يكونون قبيلة هامة في شمال المخلاف السليماني هذا الوضع للقيام بدورهم بالإغارة على قرى المنطقة . كما قام الأمير عز الدين القُطْبي انطلاقاً من موقعه الحصين في المُعنَّق بمقاومة أحمد بن غالب من جديد . ثم انضم الأمير القُطْبي إلى الإمام المهدي محمد وذهب إليه شاكياً ما أثاره أحمد بن غالب من قلاقل واضطرابات في المنطقة . ولم يستطع الشريف أحمد بن غالب مقاومة التحالف بين الأمير القطبي والإمام ، مما اضطره إلى مغادرة المنطقة والعودة إلى الحجاز حيث حاول من جديد الاستيلاء على الحكم . إلا أنه اضطر بعد الهزيمة التي لحقت به إلى الهروب إلى استانبول حيث توفي بعد ذلك بقليل .

٢ ، ٨ ، ٣ - حكم الشريف أحمد بن محمد (١٧٢٨-١٧٤٢م)

وبعد رحيل الشريف أحمد بن غالب ظل المخلاف السليماني منقسماً إلى مناطق نفوذ عديدة ، فقد سيطر آل الخواجيين من جديد على المنطقة المحيطة بصبيا ، واحتفظ آل القطبية بالجزء الأعلى من وادي جازان في حين تواصل العمال المبعوثون من طرف الإمام في أبي عريش . وخلال سنة ١٧٢٩م طلب تجار جازان من أحدأعيان المنطقة التدخل لدى حاكم اللُحيَّة الذي تتبعه المنطقة ، لكي يعين من يقدر على فرض سلطته في أبي عريش ، بعد أن أقلقتهم الاضطرابات المتواصلة في المخلاف . واقترحوا لهذه المهمة حفيد الشريف خيرات ، وهو أحمد بن محمد الذي ظل يتسلّم العائدات منهم . وأراد الشريف أحمد ، مثل سلفه أحمد بن غالب ، توسيع المناطق الخاضعة لحكمه بسرعة ، فهاجم آل الخواجيين في صبيا ، مثيراً بذلك غضب الإمام ، لأن هذه العائلة التي ظلت دائماً موالية للقاسميين لم ترد وجود حاكم قوي في أبي عريش يهدد نفوذها . لذلك عزل الشريف أحمد ، لكنه استعاد وظيفته بسرعة ، لأنه كان الوحيد الذي يستطيع وضع نهاية للاضطرابات في المخلاف .

الأشراف آل خيرات



٢، ٨، ٤ - حكم الشريف محمد (١٧٤٢-١٧٧١م)

وعند موت الشريف أحمد، في يناير عام ١٧٤٢م، قبل الإمام المنصور الحسين تولي الشريف محمد خلفاً لأبيه كما جرت العادة في الكثير من مناطق اليمن، وبذلك أصبح المخلاف السليماني منطقة نفوذ الأشراف آل خيرات، ولم يبق أمامهم سوى تدعيم وتوسيع السلطة التي أسسها رأس الأسرة، الشريف أحمد. وهذا ما فعله ابنه محمد. فقد بدأ بمهاجمة الأسر المحلية المنافسة، آل القطبية وحلفائهم بني الحارث. ونجح في مشروعه منذ البداية سنة ١٧٤٣م، لأنه عرف كيف يستغل الفرصة غير المتوقعة عند مرور بني يام وبني المكرمي، أصحاب نجران، بالقرب من منطقة نفوذه.

وقد رأينا أن الأئمة لم يكونوا يملكون تحت قيادتهم المباشرة إلاّ جماعة قليلة للحراسة الشخصية، مكوّنة من العبيد والمرتزقة. وكانوا يعتمدون لخوض المعارك الهامة على الاتحادات القبلية في المرتفعات العليا التي تزوّدهم بالرجال والقادة في الوقت نفسه، وبالمثل لم يكن حكام الأقاليم يستطيعون فرض سلطتهم بصورة دائمة إلاّ باللجوء إلى القوى القبلية.

وبتحالف الشريف محمد مع يام منذ سنة ١٧٤٣م أصبح في يده الأداة الضرورية لتحقيق طموحاته. لكن العبء كان ثقيلاً، فقد كان من الضروري أولاً إقصاء منافس خطير في عائلته نفسها، هو عمه حوذان؛ وكاد الشريف محمد يفقد السلطة في هذا الصراع. فقد اضطرّ إلى اللجوء إلى رازح ثم إلى نجران خلال صيف سنة ١٧٤٤م، لكنه عاد إلى أبي عريش، بعد أقل من عام بفضل تأييد يام وقلة نشاط منافسه، على الرغم من معارضة الإمام. ومنذئذ، تمتع الشريف محمد باستقلال ذاتي واسع في علاقته بصنعاء. وفي سنة ١٧٤٨م لم يتردّد في إثارة غضب الإمام بسحق سلطة آل الخواجيين في صبيا من حيث هم القوى المنافسة. وكان من المحتم أن يرد الإمام المنصور الحسين على هذه المبادرة بقوة لو لم يمت حينها. وعرف الشريف محمد كيف يستغل إلى أقصى ما يستطيع هذا الظرف غير المتوقع، بالإسراع في إرسال مبايعته للإمام الجديد المهدي عباس الذي عارضه عمه في تعز وأمير من آل شرف الدين في كوكبان. وبدلاً من أن يتعرّض الشريف محمد للعقوبات المتوقعة، كافأه الإمام الجديد بتوسيع منطقة نفوذه وزيادة عائداته. فواصل أمير أبي عريش عندئذ سياسته التوسعية، لكنه فقد بالتدريج تأييد يام وبخاصة بسبب اغتيال عمه حوذان الذي ضمنت يام حياته.

وبعد أن قضى الشريف محمد على أغلب منافسيه من آل القطبية، وآل الخواجيين، وآل النعمية، وقبائل البلاد الخلفية، وبني شُعبة، قدر نحو سنة ١٧٥٩-١٧٦٠م أنه يملك من القوة ما يكفي للتدخل في شؤون الحجاز، فاستقبل أحد أشراف مكة جاء إليه مطروداً. لكن الشريف محمد لم يكن يملك وسائل تحقيق سياسة بهذا القدر من الطموح، ولم يكن واثقاً من مساعدة قبائل يام. بل على العكس، لم تلبث العلاقات بين نجران وأبي عريش أن تردت. ومنذ سنة ١٧٦٣م أصاب الشريف محمد الإفلاس بسبب ما بذله لشراء تأييد قبائل قحطان، وبكيل، وغيرها من القبائل، لحماية نفسه من تهديد قبائل يام التي أصبحت معادية له. وانتهى حكمه بمعركة كبيرة دارت رحاها في المِحْصام في شهر سبتمبر سنة ١٧٧٠م، تقاتل فيها عدة آلاف من المقاتلين. وحين مات في أبريل عام ١٧٧١م، ترك لخلفائه إمارة ضعيفة.

* * *

٣- عبد الرحمن البهكلي مؤلف خلاصة العسجد

٣، ١- آل البهكلي في أبي عريش :

ينحدرُ عبدُ الرحمن البهكلي من أسرةٍ ذات شأن، اتخذت مساكنها في هجرة ضَمَد إلى الشمال من أبي عريش في المِخْلاف السليماني، وأصابت شُهرةً مرموقةً في هذا المخلاف، فقد نبغ من أفرادها أدباء ومؤرخون صنّفوا عدداً من كتب الأدب والتاريخ، واشتهر منهم آخرون بالفقه، فوُسِّدَ إليهم مناصبُ القضاء في أبي عريش وجازان وصبيا من بلدان المخلاف السليماني.

كان المجلّي من هذه الأسرة شهرةً في العلم والفقه والأدب عليُّ بنُ عبد الرحمن ابن الحسن بن شمس الدين البهكلي، وهو العمُّ الأعلى لمؤلف (خلاصة العسجد) عبد الرحمن بن حسن البهكلي، إذ كان أخا جده، ولقد وقفنا على أنباذ من أخباره وسيرته في (خلاصة العسجد) أثبتها عبد الرحمن البهكلي في صفحات من كتابه المذكور، وذكر في هذه المتناثرات من الأخبار أنه ولد في هجرة ضَمَد عام : ١٠٧٣ للهجرة = ١٦٦٢-١٦٦٣ للميلاد، وأمضى يفاعته في ضَمَد، ثم ارتحل بعد أن اشتد عوده إلى صعدة،

فأخذ عن علمائها فنوناً من علوم الدين والفقه والأدب ؛ ثم انقلب إلى أهله في ضمد، ولبث فيها وقتاً غير طويل، توجه بعده إلى الشرف للأخذ عن العلامة الفقيه الحُسين المحلا، أحد علماء الشرف المشهورين. ولم يلبث طويلاً حتى عاد إلى المخلاف السليماني، فوُسِّدَ إليه منصب قضاء صَبْيا لدى آل الخواجيين الأشراف حكام صَبْيا والجزء الشّمالي من المخلاف، ومكث هناك في هذا المنصب زمناً. وفي عام : ١١١٣هـ = ١٧٠١م سافر إلى صنعاء للاستزادة من تحصيل العلم على علمائها، واصطحب معه ابنه محمداً، وابن أخيه حسن بن عليّ البهكلي والد مصنف (خلاصة العسجد) عبد الرحمن. وأقام في صنعاء عاماً واحداً، فلم تُمهله المنية فقد توفي في صنعاء عام : ١١١٤هـ = ١٧٠٢م وكان قد صنف كتاباً في التاريخ أسماه : (العقد المفصل بالنوادر والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب) دوّن فيه تاريخاً للحقبة الزمنية القصيرة من حكم الشريف أحمد بن غالب التي لم تتجاوز سنوات خمساً، فكانت من سنة : ١٦٩٠ حتى سنة : ١٦٩٤ للميلاد.

ومن آل بيت البهكلي الفضلاء الأعلام القاضي العلامة محمد بن علي بن عبد الرحمن، وهو أحد أبناء علي بن عبد الرحمن البهكلي الذي عرّفناه آنفاً. وورد ذكره أيضاً عند عبد الرحمن البهكلي في صفحات من تاريخه (خلاصة العسجد).

وُلِدَ محمد هذا في صبيا، ولم نقف على ذكر لتاريخ ولادته فيما توفر لدينا مما كتب في تاريخ اليمن أو المخلاف السليماني. وبعد أن قضى زمن طفولته في صبيا قَصَدَ صعدة للاشتغال على علمائها، ثم عاد ليصطحبه والده معه إلى صنعاء – كما سبق أن ذكرنا – سنة : ١١١٣هـ = ١٧٠١م ليتابع التحصيل والأخذ عن علماء صنعاء، حتى كانت سنة : ١١١٦هـ = ١٧٠٤م بعد مضي عامين على وفاة والده، ولِّي قاضياً لأبي عريش، إلا أنه لم يقيض له الاستمرار في منصب القضاء هذا، يُولّى حيناً ويُصرف حيناً، وهو مقيم في أبي عريش لم يغادرها حتى عام : ١١٦٦هـ = ١٧٥٢م انتقل منها ثم عاد إليها وأقام فيها حتى أدركه أجله فيها سنة : ١١٧٠هـ = ١٧٥٦م، وكان في هذه المدينة من خلصاء الشريف محمد بن أحمد، فعهد إليه بكتابة الردّ على إعلان موت مسعود شريف مكة.

ومن هذا البيت القاضي العلامة حسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي، والد عبد الرحمن مؤلف الحوليات (خلاصة العسجد)، جاء ذكره عند ابنه في بعض صفحات حولياته.

ولد في ضمد عام: ١٠٩٩هـ = ١٦٨٨م، وفي سنة: ١١١٣هـ = ١٧٠١م حين قاربت سنه لواذ أربعة عشر عاماً اصطحبه خاله علي بن عبد الرحمن البهكلي - كما ذكرنا - إلى صنعاء للأخذ عن علمائها، وما لبث أن توفي خاله، فمكث في صنعاء بضع سنين؛ ثم سافر إلى مكة فأقام ثمة سنوات عديدة عاد بعدها إلى ضمد في المخلاف السليماني.

تقلب العلامة حسن البهكلي في منصب القضاء في عدد من بلاد المخلاف السليماني فقد أسند إليه مرة قضاء مدينة جازان حين تولى الحكم فيها الإمام المنشق في شهارة المنصور الحسين بين عامي: ١٧١٢-١٧١٦ للميلاد. ثم ولّي قاضياً لأبي عريش حين صار حكم المخلاف السليماني إلى الإمام الجديد في صعدة المتوكل القاسم في سنة: ١٧١٦-١٧٢٧ للميلاد، وأسند إليه أيضاً مهمة مراقبة عمّال الإقليم، واستمر في وظيفته هذه إلى أن توفي عام: ١٧٤٣م.

وأتيح له في مدة إقامته في أبي عريش وضمد أن يضطلع بخدمة الشريف أحمد التي استمر فيها مدة خمسة عشر عاماً، فتوفي الشريف أحمد عام: ١٧٤٢م وتسنم سدة الحكم ابنه الشريف محمد بن أحمد، فقام بخدمته أيضاً مدة عام واحد توفي بعده البهكلي، فورث ابنه عبد الرحمن تولّي منصب خدمة الشريف محمد أيضاً، واستمر يتقلب في هذا المنصب ثمانية وعشرين عاماً، من سنة: ١٧٤٣م حتى سنة: ١٧٧١ للميلاد، وصنف له الحوليات التي وسمها باسمه: (خلاصة العسجد في حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد).

ومن فضلاء آل البهكلي وأدبائهم ومؤرخيهم سَمِيُّ صاحب (خلاصة العسجد) والمتأخر عنه وفاة بنحو أربعة وعشرين عاماً، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكلي الضمدي ثم الصبيائي التهامي اليماني. ولد سنة: ١١٨٢هـ = ١٧٦٨م بمدينة صبيا، وتنقل بينها وبين صنعاء، وعينه المنصور عليّ بن العباس حاكماً في بيت الفقيه فحمدت سيرته في القضاء.

من الأدباء المؤرخين، والفقهاء القضاة، له كتاب في التاريخ، ذكر فيه حوادث دولة الشريف حمود في تهامة اليمن إلى سنة: ١٢٢٥هـ وسماه: (نفح العود بذكر

دولة الشريف حمود). وله كتاب: (الأفاويق بتراجم البخاري والتعاليق) وكتاب (الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات) و (تيسر اليسرى بشرح المجتبى من السنن الكبرى) للنسائي، ويقع هذا السفر في مجلدات. وتوفي متأثراً من سم دس له في سنة: ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢م[١].

* * *

٣، ٢ - عبد الرحمن بن حسن البهكلي مؤلف الحوليات (خلاصة العسجد):

من فضلاء هذه الأسرة وأدبائها وأعيانها. وهو عبد الرحمن بن حسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي التهامي، وقد تقدمت ترجمة أبيه قبل قليل.

ولد في ضمد من المخلاف السليماني في عام: ١١٤٨هـ = ١٧٣٥-١٧٣٦م، في عهد حكم الشريف أحمد والد الشريف محمد، وكان والده آنئذ قاضياً في أبي عريش.

لم تسعفنا المصادر بما يشفي الغلة من ترجمته وسيرته إلا وجازات غير مغنية وردت عند صاحب (نيل الوطر) في الصفحات: ٢٦-٢٨ من الجزء الثاني من كتابه، ووجازات أخرى جاءت عند الإمام الشوكاني في الصفحات: ٣٣٠-٣٣٤ من الجزء الأول من كتابه الشهير (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، وكلا المصدرين يقبس مما أورده البهكلي من أخبار يتحدث بها عن نفسه في حولياته (خلاصة العسجد).

ومن سيرة عبد الرحمن بن حسن البهكلي هذا مما وقفنا عليه في هذه الوجازات المتفرقة انتثاراً في صفحات تاريخية أصبنا أخباراً تفيد أن والده توفي وهو لما يزل طفلاً في السابعة من عمَره، وأنه اقتدى بوالده في ترسم سنن العلم، وراح يأخذ ويشتغل على أعلامه، فأخذ عن تلميذ أبيه القاضي السيد محمد بن أحمد الحازمي قاضي زبيد. وحين اشتد عوده وبلغ السادسة والعشرين من العمر، قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، ثم عاد؛ فوسد إليه منصب الحكم في قضاء أبي عريش عند الأشراف من آل الخيرات، وربما كان ذلك خلال السنوات الأخيرة من حكم الشريف محمد بن أحمد المتوفى عام: ١١٨٥ هـ = ١٧٧١ للميلاد.

---

١. نيل الوطر: ٢/ ٢٣، الأعلام للزركلي: ٤/ ٦٨، البدر، ج١ ص ٣٣٠-٣٣٤.

وتوفي عبد الرحمن البهكلي في أبي عريش خلال شهر ربيع الأول من عام : ١٢٢٤هـ = إبريل-مايو من عام : ١٨٠٩ للميلاد. ولم نصب له من الكتب إلا تاريخه الذي دون فيه أخبار دولة الشريف محمد بن أحمد ووسمه بخلاصة العسجد على ما عرفناه من فضله في سعة الاطلاع على الآداب وكتب التاريخ واللغة والعقائد والفقه مما دل عليه محتوى كتابه الفريد هذا.

٣، ٣- تراث التأليف في التاريخ عند المؤرخين اليمنيين [١] :

يشتمل هذا التراث على أنماط عديدة تمثل الأعمال المتأخرة ابتداء من القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، شكلاً من أشكال التأليف المستمدة منها.

فمنذ بداية القرن العاشر الميلادي روى علي بن محمد بن عبيد الله العلوي أخبار أول إمام زيدي في (سيرة الهادي يحيى بن الحسين)، ونسج المؤرخون على منواله بعده، وبخاصة في مناطق الزيدية، وقد وصلنا بفضل ذلك سير العديد من الأئمة.

وبسبب تمزق البلاد اليمنية سياسياً ابتداء من القرن التاسع للميلاد، عني مؤرخون منذ وقت مبكر بكتابة تواريخ المدن، عرفنا منهم الرازي المتوفى سنة ١٠٦٨ للميلاد وفي وضعه (تاريخ صنعاء).

واهتم آخرون بتدوين تواريخ الأسر الحاكمة أو المالكة في إقليم من الأقاليم اليمنية، كما فعل جياش بن نجاح المتوفى عام : ١١٠٥ ميلادي، فقد تتبع تاريخ بني زياد وبني نجاح كتاب صنفه ووسمه بعنوان (المفيد في تاريخ زبيد).

واهتم مؤرخون آخرون بوضع ذيول أو تتمات يكملون بها تواريخ مؤرخين سبقوهم، يواصلون بها رواية الأحداث ابتداء من التاريخ الذي توقف سابقوهم عنده، وهكذا فعل ابن الديبع في تكملته تاريخ الخزرجي.

وكان من دأب المؤرخين اليمنيين على الأغلب الاهتمام بالأسلوب والديباجات التي يضفون عليها صبغة بيانية أدبية، فمن ذلك ما نجده منظوماً قصائد، ومنه ما نراه نثراً مزداناً بالسجع والمزاوجة وضروب الصنعة البديعية، ومنهم من يوشح الأخبار والحوادث بشواهد وأمثلة من أشعار القدماء أو ممن يعاصرهم منهم فيوردون بيتاً أو أبياتاً تناسب المقام.

١. مصادر، ص : ٣٩٩-٤٠٠، و(المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول) لسيد مصطفى سالم.

هكذا كان شأن تراث التأليف في التاريخ عند المؤرخين اليمنيين، ونجد منه مثلاً واضحاً عند البهكلي صاحب (خلاصة العسجد).

٣، ٤ - مؤرخو المخلاف السليماني

المخلاف السليماني هو الإقليم الممتد من حَلْي ابن يعقوب شمال تهامة اليمن إلى الشَّرْجة جنوباً ؛ وينسب إلى سليمان بن طَرَف الحكمي الذي كان عاملاً لبني زياد عليه ؛ ثم استقل بحكم هذا المخلاف حين ضعفت الإمارة الزيادية أواخر حكم أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم المتوفى سنة : ٣٧١هـ = ٩٨١م، واتخذ من مدينة عثر عاصمة لحكمه، وقد دام حكمه عشرين عاماً وحَدَّ خلالها تلك المنطقة وأصبحت مخلافاً نسب فيما بعد إليه فقيل : (المخلاف السليماني) [١].

ظهر أول تاريخ خاص بالمخلاف السليماني خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد، وتصاقب هذه الفترة نهاية حكم الطاهريين منطقة المخلاف، وقدوم المماليك، ثم تولي العثمانيين الحكم فيه. وكان المخلاف قد خضع قبل ذلك منذ القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي لحكم الأشراف المنحدرين من أسرة جدها الأعلى داود بن سليمان، وكان استقرار حكم الأشراف لهذا المخلاف السمة الغالبة المميزة له من سائر أقاليم اليمن في وقت تحتدم فيه الاضطرابات والصراعات والمنافسات المتواصلة بين حكام أقاليم اليمن الذين كان الأشراف حكام المخلاف السليماني تابعين لهم. فكانت ظاهرة الاستقرار في هذا المخلاف عاملاً حاسماً بإحساس أهله وحكامه الأشراف بأن له كياناً محلياً شبه مستقل متركزاً في مدينة أبي عريش وما حولها، ويستحق أن يحرّك له تاريخ خاص به مستقل عن تاريخ اليمن بعامة. وهذا ما عزم عليه وأنفذه المؤرخ أحمد بن مغيزل ابن أبي بكر بن محمد الأسدي البلاع [٢] المتوفى سنة ٩٦٣هـ = ١٥٥٥م، فوضع تاريخاً سماه : (الجواهر الحسان في تاريخ صبية وجازان) وهاتان المدينتان من مدن المخلاف السليماني، فروى

---

١. الموسوعة اليمنية : ٢/ ٨٤٦.

٢. عبد الله الحبشي، مصادر، ص : ٤٢٩. أيمن فؤاد، مصادر، ص ٢١٠.

في تاريخه بذلك أخبار المخلاف وحوادثه من سنة : ٩٠١هـ = ١٤٤٥م، ويبلغ فيه إلى تدوين حوادث سنة : ٩٦٠هـ = ١٥٥٣م، فكان البلاع الأسدي رائد من وضع تاريخاً محلياً أفرده للمخلاف السليماني.

وتلاه عبد الله بن علي بن النعمان الشقيري الضمدي[1] المتوفى بعد سنة : ١٠٦٨هـ = ١٦٥٧م، فتابعه وترسم نهجه في إفراد المخلاف السليماني بوضعه تاريخاً له أسماه : (العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني) دون فيه حوادث جازان وصبيا وأبي عريش وما حول هذه المدن، جاعلاً من ذلك تكملة للتاريخ المسمى : (غربال الزمان) للحرضي[2] أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر العامري المتوفى سنة : ٨٩٣هـ = ١٤٨٨م، وغربال الزمان هذا تاريخ عام لليمن وضعه الحرضي وفيه منذ بدء الدعوة الإسلامية حتى حوادث سنة : ٧٥٠هـ = ١٣٤٩-١٣٥٠م، فأكمله الضمدي في تاريخه (العقيق اليماني) ابتداء من حوادث هذا التاريخ. إلا أنه أغفل تدوين أخبار الأقاليم اليمنية وقصره على تسجيل حوادث المخلاف السليماني ووفيات أعيانه.

ثم نجد المؤرخ النُّمازي اليمني قد نسج على منواله فوقف اهتمامه في تاريخه (السلاف في تاريخ صَبْيا والمخلاف)[3] على تاريخ صبيا بعد ظهور آل الخواجي على هذه المدينة وإقليمها وتولوا الحكم هناك.

ودون علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن شمس الدين البهكلي، العم الأكبر لمؤلف (خلاصة العسجد) وقائع ماجريات مدة الحكم القصيرة للشريف أحمد بن غالب من عام : ١١٠٢هـ-١١٠٦هـ = ١٦٩٠-١٦٩٤م. وقد عزم عبد الرحمن بن حسن البهكلي على أن يجعل من تاريخه (خلاصة العسجد) تكملة للتاريخ الذي وضعه عمه الأكبر هذا، كما أشار إلى ذلك في الصفحة : ٤ من بداية الخلاصة المذكورة.

---

١. الأعلام، للزركلي : ٤/١٠٦، والموسوعة اليمنية : ٢/٦٢٢. وعبد الله الحبشي مصادر، ص : ٤٣٧ و أيمن فؤاد، مصادر ص ٣٣١-٣٣٢.

٢. البدر الطالع : ٢/٣٢٧. و عبد الله الحبشي مصادر، ص : ٤٢٤ و أيمن فؤاد مصادر ص ١٨٥.

٣. تاريخ العقيلي : ١/٣١٨.

وجاء من بعد عبد الرحمن بن حسن البهكلي ابن أخيه، واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن حسن ابن علي البهكلي[1] : (١١٨٢-١٢٤٨هـ = ١٧٦٨-١٨٣٢م) ليواصل ما دونه عمه في تاريخه (خلاصة العسجد) فوضع في كتاب سماه (نفح العود في سيرة أيام حمود) ماجريات أيام حكم الشريف حمود : (١٢١٣-١٢٢٥هـ = ١٧٩٨-١٨١٠م) وللمخلاف السليماني، وهو أحد أبناء الشريف محمد.

بيد أن العلامة المؤرخ الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بعاكش الضمدي : (١٢٤٣-١٢٨٩هـ = ١٨٢٧-١٨٧٢م)[2] كان طبقة عليا بين مؤرخي المخلاف السليماني كلهم، فقام - شأن مؤرخي ذاك الزمان - بإكمال كتاب (نفح العود) الذي وضعه عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، فصنف كتاب (نزهة الظريف في دولة أولاد الشريف).

ووضع أيضاً مؤلفات تاريخية أخرى على جانب من الأهمية منها :

- (حدائق الزهر في ذكر أشياخ العصر والدهر).
- (عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) : وهو كتاب في التراجم كان أصلاً بنى عليه محمد زباره كتابه في التراجم (نيل الوطر) المشهور.
- (الذهب المسبوك في سيرة الملوك) دون فيه سيرة الأمير الحسين بن علي البركاتي وحكمه.
- (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) أفرد فيه تراجم أعيان المخلاف السليماني. وهو من أهم ما كتب في تاريخ المخلاف.
- (الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين) سجل فيه سيرة الأمير عائض بن محمد وحكمه في عسير.

وفي بداية القرن الرابع عشر للهجرة = نهايات القرن التاسع عشر للميلاد، ألف المؤرخ محمد بن حيدر النعمي المتوفى سنة : ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م تاريخه الذي أسماه : (الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف سكان صبيا والمخلاف)[3].

---

١. عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، (نفح العود) مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض : ١٩٨٢ و أيمن فؤاد مصادر، ص ٢٩٢-٢٩٣.

٢. عبد الله الحبشي، مصادر، ص : ٤٥٧-٤٥٨ و أيمن فؤاد، مصادر، ص ٣٠٣، الزيلعي، الأوضاع، ص ٢٤٠.

٣. مصادر، ص : ٤٦٤ و أيمن فؤاد، مصادر، ص ٣١٦ والزيلعي، الأوضاع، ص ٢٤٦.

هذا ما وقفنا عليه مما كتب في تاريخ المخلاف السليماني ولعل ثمة تواريخ أخرى لم نحط بها علماً .

* * *

٤ - حوليات البهكلي

خلاصة العسجد في حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد

الكتاب تاريخ على السنين ، دون فيه البهكلي أخبار حوادث المخلاف السليماني من البلاد اليمانية إبان حكم دولة الشريف محمد بن أحمد في أبي عريش من المخلاف ، فسجل أخبار ما جريات أربع وأربعين سنة بدأها بسنة : ١١٤١ للهجرة وانتهى في كتابه بانتهاد حوادث سنة : ١١٨٤ هجرية . واعتمد في إيراد هذه الأخبار على مشاهداته ومشاركاته وما انتهى إليه من الأخبار وذكر الحوادث المعاصرة له سماعاً أو حديثاً ، لذلك فإننا نقف في هذا الكتاب على ما انتهى إليه من أخبار مكة أو صنعاء أو نحو ذلك من الأصقاع . كما تناول البهكلي ترجمة عدد من الأعلام ذوي الفضل والشهرة ممن وقعت وفياتهم في سنوات هذا التاريخ .

ويبدو البهكلي في تاريخه هذا ذا محصول معرفي واسع ، يستوعب ألوان ثقافة عصره ومعارفه ، من علم بأصول الدين ، والفقه ، وعلوم القرآن والسنة ، والفنون الأدبية ، والنحو ، والبلاغة ، وسعة الحفظ من شعر العرب ، فهو حين إيراده الأخبار والحوادث يستطرد إلى ذكر بعض القواعد في أصول الدين ، والفقه ، ومن ذلك نجد مثلاً في الصفحة ٢٠٤ حيث يستطرد إلى أقوال الفقهاء في حكم إنشاء القباب والمشاهد على القبور .

ونجد في الصفحة ٢٢٣ مثلاً آخر من معرفته أقوال علماء الأصول وأصحاب المذاهب في الخلافيات حول معنى (الحسن) و (القبح) فيورد أقوالهم في معنى (القبح العقلي) و (القبح الشرعي) ونحو ذلك مما في هذا الباب .

أما سعة علمه واطلاعه في الأدب ، والشعر ، والنحو ، والبلاغة ، والعروض ، ونقد الشعر ، فإننا نجد عنده شيئاً كثيراً من ذلك حين يستطرد ويورد أنباذاً من الطرائف الأدبية أو من الشعر الذي يناسب مقام خبر أو أمر يذكره ، كما يذكر فنوناً من النقد

البلاغي ومن القواعد النحوية واللغوية ونحو ذلك. والأمثلة على ذلك كثيرة شائعة في الكتاب، نجد أمثلة من ذلك في صفحات كثيرة من الكتاب وغيرها في مواضع كثيرة.

ولما كان اعتماد المؤلف فيما سجله في تاريخه من الأخبار والحوادث على مشاهداته أو على ما انتهى إليه من أخبار الحوادث المعاصرة له سماعاً أو حديثاً، فقد أضفى على تاريخه أهمية متميزة من وجوه :

– معاصرته للأحداث ومشاركته فيها أحياناً، فهو يذكر ما شاهده أو سمع به من الحوادث، كما يسجل ماجريات لقاءاته بمن له شأن ودور في حوادث أيامه ؛ ومن تلك المشاهدات واللقاءات والواقعات أمور وأخبار طريفة مهمة، وتعتبر نادرة الوقوع في غير هذا الكتاب.

– ذكره تفاصيل عن عادات أهل مدن المخلاف وبواديه في مختلف طرائق حياتهم وألوانها. فمن ذلك بعض الأطعمة وكيف تباع في الطرقات، وأساليب اليمنيين في القتال ووصف أسلحتهم، ووسائل العقاب والتعذيب.

– تراجمه للأعلام، وهذه التراجم على قلتها فإنها على جانب كبير من الأهمية، لأن المؤلف يوفي الكلام على العلم المترجم له إيفاء مغنياً فيه الكثير من الفوائد.

– حديثه عن الأسعار والغلاء والرخص، وعن المواسم الزراعية في حالتيها في الإقبال والقحط.

– ضبطه لأسماء الأعلام وأسماء الأماكن ضبط كلمة مراعاة للدقة والتحرير.

– ذكره نبذة من أنواع الملاهي عند اليمنيين، ويصف بعضها وكلمة الشرع فيها، كلعبة البَهْلوان.

– إيراده أخبار ما يجد ويستحدث في عصره من منشآت عمرانية.

– بحثه وتتبعه أصول طائفة المكارمة في اليمن، وهم من الإسماعيلية.

وعلى هذا النحو مما ورد عند البهكلي، فإن مثل هذه الأمور تميز هذا التاريخ بفوائد قد يتفرد فيها ولا نجدها في غيره.

* * *

النسخ الخطية لخلاصة العسجد
وعملنا في التحقيق

سجل الأستاذ أيمن فؤاد سيد في كتابه (مصادر تاريخ اليمن الإسلامي) نسختين مخطوطتين من كتاب (خلاصة العسجد) :

إحداهما : حفظت في دار الكتب الوطنية في باريس .

وثانيتهما : يملكها المؤرخ العلاّمة محمد العقيلي ، ولا تزال محفوظة في مكتبته الخاصة في منزله في جيزان .

أصبنا نسخة دار الكتب الباريسية ، وحاولنا - دون جدوى - اجتلاب نسخة العقيلي ، فتعذر ذلك بل استحال .

بيد أننا حظينا بنسخة ثالثة حفظت في مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء ، ولم يذكرها الأستاذ سيد في كتابه . فاستقام لنا الحصول على مصورتين للنسختين الخطيتين :

ا - نسخة دار الكتب الوطنية الباريسية ، ب - نسخة الجامع الكبير الغربية في صنعاء[١] .

ونود أن نشكر القاضي اسماعيل الأكوع الذي سهّل لنا الحصول على هذه الصورة .

ا - نسخة دار الكتب الوطنية في باريس :

وهي مسجلة برقم : ٥٩٥٥ في خزانة المخطوطات العربية والإسلامية في المكتبة الوطنية في باريس[٢] ، اقتنتها عام : ١٨٩٩م بعد وفاة المستشرق شارل شفر[٣] .

---

١ . فهرس مخطوطات الجامع الكبير ، ص : ٦٣٣ .

٢ . Vajda, *Index général des manuscrits musulmans de* Bibliothèque Nationale de Paris, p. 391 et *GAL. suppl. II*, p. 552.

٣ . عن شفر انظر :
Fück, *Die arabischen Studien in Europa*, Leipzig, 1995, p. 222, 235 et 285, et *Grand Larousse Encyclopédique*, t. IX.

كانت هذه النسخة المخطوطة في المجموعة الخاصة التي كونها المستشرق شفر الذي ولد سنة : ١٨٥٧م، وسافر في شبابه إلى الشرق حيث أمضى سنوات عديدة يتنقل في أقاليمه، وأقام مدة كافية في إسطنبول. وفي سنة : ١٨٥٧م درّس اللغة الفارسية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية قبل أن يصبح مديراً لها. ومن المحتمل أنه اقتنى هذه النسخة الخطية لحوليات البهكلي (خلاصة العسجد) حين كان في اسطنبول حيث عبرت من هناك آلاف المخطوطات العربية إلى أماكن متفرقة من أوربة وغيرها استقرت فيها وحفظت في خزائنها.

تقع النسخة الباريسية هذه في ١١٢ مئة واثنتي عشرة ورقة، قياس وجه الورقة منها ٢٥ × ٢١سم. ومسطرتها في الصفحات غير مطردة، يتراوح عدد الأسطر في الصفحات بين القلة والكثرة، فبينما نراه في بعض الصفحات أربعة عشر سطراً نراه في صفحات أخر خمسة وعشرين سطراً، وهكذا يتراوح عدد الأسطر بين هذين الحدين.

يشغل متن كتاب الحوليات (خلاصة العسجد) من هذه النسخة الخطية : ٩٦ ستا وتسعين ورقة، وذيلت أوراق المتن بست عشرة ورقة أثبت فيها مقطعات من الشعر تحمل موضوعات مختلفة ؛ ومن بين ما تضم هذه الورقات نص مقامة أنشأها والد المؤلف الذي ورد ذكره وأسماها : (المقامة الضدية).

لم تكن هذه النسخة بخط المؤلف البهكلي، بل كتبها ناسخ يبدو أنه قليل الحظ من العلم، وقد أغفل ذكر اسمه فلم نصبه في أي موضع من صفحات النسخة، واكتفى بإثبات تاريخ انتهائه من نسخها، فذكر أنه كان آخر يوم الاثنين التاسع من شهر ذي الحجة من عام : ١٢١٨هـ = ٢١ مارس عام : ١٨٠٤م، وأنه كتب النسخة برسم الشريف محمد بن حسن بن أحمد الحسني، وهو ابن أخي الشريف محمد الحسني الذي حكم والده[1] (أباعريش) نحو عام من الزمن في سنة : ١١٨٩-١١٩٠هـ = ١٧٧٥-١٧٧٦م.

جرى الناسخ في كتابه لهذه المخطوطة على قاعدة خط النسخ، وهو أميل إلى التجويد فيه، وقد أعجمه إعجاماً كاملاً، إلا أنه أهمله من التقييد بالحركات. لم يخل بعض هوامش النسخة من بعض التعليقات أو التنبيهات أو مما يدل القارئ بعنوان لخبر

---

١. انظر الهامش رقم : ١٨ من الفصل : XXXIV ٣٤.

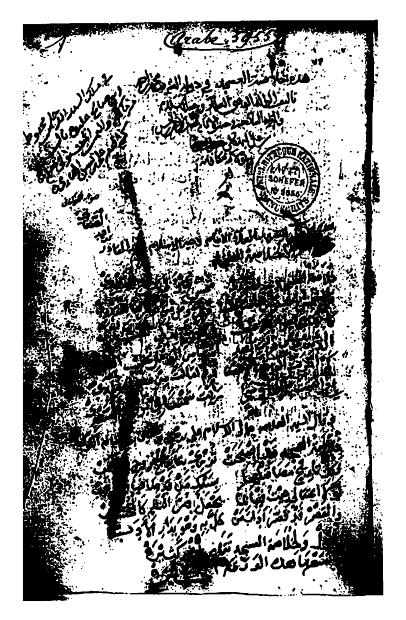
أو ترجمة لعلم، منها ما هو بخط الناسخ فكان من جنس خط المتن، ومنها ما كان بخط قارئ.

في النسخة - على قرب خطها من الجودة ومحاولة ناسخها التأنق فيه - أخطاء كثيرة مبثوثة، لا يكاد يخلو سطر من خطأ نحوي أو لغوي أو إملائي قد وقع في مفردات الكتابة وكلماتها، ويتجاوز الناسخ الحد في أخطائه إلى أن يصيب صياغة عبارات بعض الأخبار، فيتصرف فيها تبديلاً في الصياغة، أو اختصاراً، أو تعديلاً ونحو ذلك مما قد يمسخ فحوى الخبر أو يحرفه عن المبتغى منه.

فأما الأخطاء والتصحيفات والتحريفات التي أصابت مفردات الكتابة - وما أكثرها - فقد أحصيناها تتبعاً واستقصاءً، وصنفناها زمراً لتكرر الأمثال منها، وأثبتنا نماذج من هذه الزمر في هامش الصفحة ٨٤ من طبعتنا هذه.

وأما ما وقع من اختلافات في صوغ العبارات والجمل والفقرات بين هذه النسخة الباريسية وبين ما جاء من ذلك في النسخة الصنعانية فقد تتبعناها كلها أيضاً، وأثبتنا الفروق في الصيغ في هوامش الصفحات التي وردت فيها.

وفيما يلي رواميز من هذه النسخة - نسخة دار الكتب الوطنية في باريس - :



راموز طرة نسخة دار الكتب الوطنية في باريس وفيها عنوان الكتاب.



راموز الصفحتين الأولى والثانية من نسخة دار الكتب الوطنية في باريس، وفي الأولى منهما بداية الكتاب، وواضح ما وقع في الصفحتين من الأخطاء والتصحيفات التي أشرنا إليها آنفاً.

راموز الصفحتين ما قبل الأخيرة والأخيرة مما شغله متن الحوليات (خلاصة العسجد) وعلى الصفحة الأخيرة تاريخ النسخ.

ب – النسخة الصنعانية :

محفوظة في المكتبة الغربية الملحقة بالجامع الكبير في صنعاء[1]. وقد أنشئت هذه المكتبة بعد ثورة عام : ١٩٦٢م، وجمعت فيها المخطوطات التي كانت محفوظة في الخزائن التابعة للأوقاف في صنعاء وغيرها في اليمن، ومما كان محفوظاً منها في الخزائن الخاصة التابعة لإمامي اليمن الأخيرين. وأفراد العائلة المالكة في اليمن، ولم نهتد إلى معرفة أية خزانة من هذه الخزائن كانت هذه النسخة الخطية من (خلاصة العسجد) محفوظة فيها قبل أن تستقر في مكتبة الجامع الكبير المذكورة.

تقع هذه النسخة في : ١٩٦ مئة وست وتسعين ورقة، يشغل متن الكتاب منها : ١٨٩ مئة وتسعاً وثمانين ورقة، والورقات السبع الباقيات شغلتها قصائد ومقطعات من الشعر نظمها عدد من الشعراء في تقريظ الكتاب والإطراء بمؤلفه البهكلي.

قياس الصفحة من النسخة : ٢٢×١٦سم، ويتراوح عدد الأسطر في صفحاتها بين ١٣ و ٢٠ سطراً.

خطها تعليق قريب من الجودة، قليل الإعجام جداً إلا ما ندر مما قد يقع في قراءته اللبس من الكلمات والأعلام من الأشخاص والأماكن والقبائل، ويخشى فيه الوقوع في الخطأ والوهم. وقد خلت الكتابة أيضاً من التقييد بالشكل خلواً تاماً. وفي هوامش بعض صفحات النسخة تعليقات وتنبيهات إلا أنها في غاية القلة، وكتبت بخط الناسخ لأنه من سنخ خط المتن.

أنجزت نساختها في الثلاثين من شهر رمضان سنة : ١٢٢٠هـ = ٢٢ ديسمبر من سنة : ١٨٠٥م، لم يذكر اسم الناسخ كاملاً، بل وقفنا في طرة النسخة في ذيل كلام طويل في إطراء البهكلي مؤلف الكتاب، وقفنا على لقب الناسخ ونسبته، فلقبه (الشريف) ونسبته (اللاهوري) ولم نصب زيادة في ذلك. وذكر تاريخ النسخ الذي أشرنا إليه آنفاً.

وبالجملة فالنسخة الخطية الصنعانية هذه في حالة حسنة قد ترتقي بها إلى الجودة، تكاد تبرأ كتابتها من التصحيف والتحريف ومما شاع في أختها االباريسية من أخطاء

---

١. انظر فهرس مخطوطات الجامع الكبير، ص : ٦٦٣.

نحوية ولغوية وإملائية، إلا ما ند عن الناسخ سهواً أو طفرة قلم أو نظر، وهو قليل. وهذا مما يقوي الترجيح بأن الناسخ إن لم يكن من العلماء فإنه من المتعلمين الذي يغشون مجالس العلماء.

وهذا ما حدا بنا إلى أن نتخذ من النسخة الصنعانية هذه أصلاً نعتمده في تحقيق الكتاب، ونأينا بأنفسنا عن النسخة الباريسية التي كانت أقدم تاريخاً من الصنعانية بنحو ستين، وذلك لكثرة ما اعترى الباريسية من التحريف والتصحيف والخطأ والتصرف المقصود أو غير المقصود في صياغة بعض العبارات والجمل. وقد برئت الصنعانية من كل ذلك إلا نادراً، كما أشرنا إلى ذلك.

وهكذا اقتصر دور النسخة الباريسية على الاستئناس بها لحسن خطها حين يواجهنا ما تلتبس علينا قراءته في الصنعانية.

ولم نأل جهداً في تتبع ما يقع في النسختين من التصحيف والتحريف واستقصاء ذلك، ثم إثبات الواقع من ذلك في الهوامش. وإذا ما وقفنا على اختلاف في صوغ بعض الفقر أو الجمل أو العبارات بين النسختين - وهو قليل - أثبتنا في المتن صيغة ما جاء في الصنعانية، وأثبتنا في الهامش أيضاً نص العبارة أو الجملة أو الفقرة كما وردت صورتها في النسخة الباريسية. وعلى هذا النحو نكون قد وضعنا بين يدي القارئ الصورتين كاملتين لما جاء في النسختين الصنعانية والباريسية.

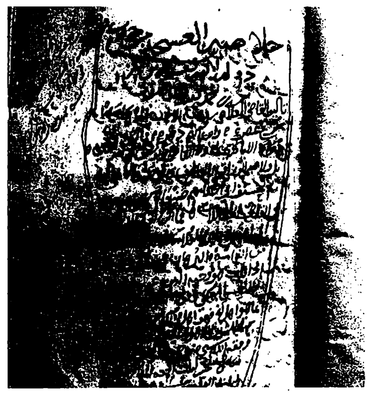
ثم عمدنا إلى ما ورد في النص مما نرى فيه حاجة إلى شرح، أو تعريف، أو تعليق، أو عزو، أو تخريج، أو توجيه معنى، من مصطلحات، وأسماء أعلام الأشخاص والأماكن والجماعات، وآيات قرآنية، وأحاديث شريفة، ونقول نصوص ونحو ذلك، فقمنا بإيفاء الحاجة، ولم نغادر من كل ذلك إلا ما لم نر فيه كبير فائدة أو عائدة في إضاءة نصوص المتن أو إيضاح توجهات الأخبار ؛ لذلك كان عزوُنا ما يرد من أبيات الشعر التي كثيراً ما يتمثل بها المؤلف قليلاً إلا ما نرى منه في حاجة إلى عزْو.

وإذا ما وقعنا في المتن على سهو أو فوت قد يقع فيهما ناسخا النسختين استدركنا ذلك من مظانه ومصادره وأضفناه إلى النص وجعلناه بين حواصر معقوفة على هذا النحو [ ]، وهكذا كان منهجنا في إخراج هذا الكتاب منشوراً.

وقد اضطلع الأستاذ عدنان درويش بمراجعة عملنا في تحقيق النص وإخراجه، فتتبع الاختلافات بين النسختين وما وقع فيهما من تصحيف وتحريف ونحو ذلك على سبيل الاستقصاء وحرر ذلك وأثبته في الهوامش.

كما أصلح ما كان قد ند عنا من وهم أو سهو أو طفرة قلم أو قفزة نظر في المتن أو في تعليقاتنا وشروحنا في الهوامش، وجهد في تقويم ذلك على نحو نرجو فيه أن يقيم المنهج السليم في تحقيق النصوص، ويقدم الفائدة خالصة للقراء.

وفيما يلي رواميز بعض الصفحات من النسخة الصنعانية:



راموز طرة الكتاب في نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء وفيها عنوان الكتاب واسم الناسخ

راموز صفحتين من النسخة الخطية الصنعانية وفي أولاهما بداية الكتاب.

راموز صفحتين من النسخة الخطية الصنعانية وفي أولاهما نهاية متن حوليات البهكلي (خلاصة العسجد)

وفي ثانيتهما الصفحات الملحقة التي شغلت بالقصائد والمقطعات الشعرية.



راموز صفحتين من النسخة الخطية الصنعانية وفيهما آخر ما ألحق بمتن الكتاب من القصائد والمقطعات الشعرية والتقريظات ، وهنا نهاية النسخة الصنعانية .


خلاصة العسجد

خلاصة العَسْجَد

من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد[1]

رحمه الله تعالى، آمين

تأليف

القاضي العلامة، روضة الأدب المُدهامّة، شريحُ عصره، وابن أكثم دهره. فما أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، ولا القاضي أبو يوسف هما مرادي؛ بل ولا عبد الرزّاق، ولا مُطَرِّف قاضي صنعاء؛ فالجميع لم يُحسنوا في أحكامهم صُنْعا، كصنيع هذا القاضي أبي البلاغة. فما ابن أبي ليلى، ولا ابن المراغة غير كالقُلامة، أو كالقطرة من الغمامة. والبرهان في مقالتي جليّ، إذا قلت:

هو: وجيه الدين عبد الرحمن نجل الحسن البهكلي. تولاه المهيمن الخلاّق بما هو أهل له، فهو أهل لكل خير على الإطلاق.

من.... [2] الشريف اللاهوري الحكيم.... [3] بن الحسين وفقه الله سبحانه وجميع إخوانه لخير الدارين.

كتبه سحر ليلة الجمعة المباركة أعني ليلة الوقفة سنة ١٢٢٠، وصلى الله وسلم على رسوله وآله[4].

---

١. بإزاء عنوان الكتاب في طرته نص مطالعة مثالها: «الحمد لله، شرعت بمطالعة هذا الكتاب العظيم في جماد أول عام ٢٢، كتبه محمد بن سعيد بن أحمد غفر لهم».

٢. كلمة صغيرة غير بينة.

٣. الاسم غير واضح ويبدو كأنه (محمود) أو نحوه.

٤. هذا مثال ما أثبت في طرة النسخة الصنعانية. ص

أما النسخة الباريسية س فقد أثبت في طرتها عنوان الكتاب واسم مؤلفه ومقطعتان من الشعر في تقريظ الكتاب، ونص تملك. ونثبت فيما يلي مثال ما أثبت في طرتها برسمه وبما وقع فيه من أخطاء:

«هذه خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد:

=

= تأليف الوالد القاضي العلامة وجيه الإسلام والغرة الباذخة في جبين الأنام عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي، تولا الله مكافاته آمين ».

وتحت العنوان مقطعتان شعريتان في تقريظ الكتاب مثالهما بما وقع فيهما من أخطاء :

« هذه الأبيات للسيد العلامة الإمام وجيه الإسلام عبد القادر بن أحمد الصنعاني (صوابه الكوكباني) معرفا بخلاصة العسجد :

خلاصة العسجد عند النقدي	شمس تنير في بروج السعدي
فالشمس عند نورها مثل السها	والروض من نوارها يستهدي
كأنها مجامرٌ تظوعت [كذا]	في كل ناد بذكيّ الندّي
ألذ من عذب فرات لصد	أشهى من الوصل عقيب الصدي
كم أطربت ألفاظها صمَّ الصفا	وكم أسالت من غصون ملدي
إذا نفثت سحرها في سحر	رأيت شمساً في بروج السعدي

وقال السيد العلامة جمال الإسلام علي بن محمد بن الحسين بن الإمام الكوكباني :

خلاصة العسجد قد أصبحت	تزري بتأريخ مروج الذهب
فكل تاريخ مضا قبلها	بسبك من قد صاغها قد ذهب
لولا اعتقالي جئت فيها بما	يجعل درّ النظم كالمحتسب
والقصر قد قصر آداب من	حلّ به وهو بدار الأدب

أقول : ولخلاصة العسجد تقاريض كثيرة لا تسعها هذه الورقة الحقيرة ».

وفي الزاوية اليسرى من صفحة العنوان بإزاء عنوان الكتاب نص تملك صورته : « في ملك السيد الأجل محفوظ ابن صالح عليوه بالشرا من مالكه والثمن المستوفى يعلم . كتبه الفقير علي بن يس القاري » .

هذا كل ما جاء في صفحة العنوان من النسخة الباريسية .

* * *

وأما ما جاء في صفحة العنوان من النسخة الصنعانية ص من ذكر الأعلام الذين ضاهى بهم كاتب النسخة فضل البهكلي مؤلف (خلاصة العسجد) بفضلهم وعلمهم، فهم :

– شريح بن الحارث بن الجهم الكندي، اليمني، الكوفي، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. ولد في اليمن ثم رحل إلى الكوفة وولي القضاء بها، وكان من الأدباء الشعراء، توفي في الكوفة سنة : ٧٨ هـ = ٦٩٧ م . (طبقات ابن سعد : ٦/ ٩٠).

–ابن أكثم، هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، التميمي الأسيدي، المروزي، قاضي قضاة بغداد أيام المأمون العباسي، وكان رفيع القدر عالي الشهرة . ولد بمرو سنة : ١٥٩ هـ = ٧٧٥م وتوفي بالربذة قرب المدينة سنة : ٢٤٢ هـ = ٨٥٧ م . (وفيات الأعيان : ٢/ ٢١٧).

– أحمد بن أبي دواد بن جرير الإيادي، قاضٍ، من كبار الأدباء الفصحاء، معتزلي، من الدهاة، ولد سنة : ١٦٠ هـ = ٧٧٧ م، وتوفي ببغداد سنة : ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م (وفيات الأعيان : ١/ ٢٢).

– القاضي أبو يوسف، هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، الأنصاري، الكوفي، البغدادي، تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه، من كبار الفقهاء الحنفية العلماء للمحدثين، قاضي القضاة ببغداد في أيام الهادي والمهدي والرشيد، ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ = ٧٣١ م، وتوفي ببغداد في سنة : ١٨٢ هـ = ٧٩٨ م . (تاريخ بغداد : ١٤/ ٢٤٢). =

- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، من كبار حفاظ الحديث الثقات، وله مؤلفات مشهورة في ذلك أشهرها كتاب (المصنف) المشهور بـ (مصنف عبد الرزاق)، ولد سنة : ١٢٦ هـ = ٧٤٤ م وتوفي في صنعاء سنة : ٢١١ هـ = ٨٢٧ م. (وفيات الأعيان : ١/ ٣٠٣).
- مطرف، قاضي صنعاء، لم نهتد إلى التعريف به.
- ابن أبي ليلى، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، الأنصاري، الكوفي، قاض فقيه، من أصحاب الرأي، ولد سنة : ٧٤ هـ = ٦٩٣ م، وتوفي سنة : ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م (وفيات الأعيان : ١/ ٤٥٢)
- ابن المراغة : هكذا جاءت في الأصل، ولعله الحسين بن جعفر المراغي، من فقهاء اليمن في القرن الثالث الهجري = التاسع للميلاد (انظر مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، لعبد الله الحبشي : ٩٨)

* * *

وأما صاحب المقطعة الأولى في تقريظ (خلاصة العسجد) المثبتة في صفحة العنوان من النسخة الباريسية س فهو السيد الإمام العلامة، وجيه الإسلام عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الصنعاني الكوكباني. من كبار علماء اليمن وفقهائها. ولد سنة : ١١٣٥ هـ = ١٧٢٣ م وتوفي بكوكبان سنة : ١٢٠٧ هـ = ١٧٩٢ م. (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني : ١/ ٣٦٠-٣٦٨. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، لزبارة : ٢/ ٤٥ - ٥٢،

(al-'Amri (Husayn), *The Yemen in the 18th & 19th centuries*, p 106)

ولعل ناظم المقطعة الثانية التي تلت المقطعة السابقة هو السيد علي بن محمد الكوكباني النحوي البلاغي الأصولي الشاعر، وكان له مطارحات مع معاصره الإمام الشوكاني. ولد سنة : ١١٤٩ هـ وتوفي سنة : ١٢١٢ هـ (البدر الطالع، للشوكاني : ١/ ٤٩٠).

* * *

[١ ب]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

[أهمية علم التاريخ][١]

حمداً لمَن أبدع صنع مخلوقاته على غير مثال، وأودع في ضمنها[٢] من العجائب ما

---

١ . العناوين التي جعلناها بين قوسين معقوفتين من وضعنا نحن، اتخذناها تيسيراً للقارئ الكريم.

٢ . شاعت في النسخة الباريسية س أخطاء كثيرة إلى الغاية، سببها خروج عن شرط القواعد الإملائية والنحوية، أو عدم مراعاة مقتضيات رسم الحروف وفق ما تواضع عليه أهل اللغة. ونثبت فيما يلي أمثلة من ذلك:

- رسم حرف الضاد ظاء، جاء ذلك في نحو: (ظمنها) (ظمد) (للتظلع) (ظمنها) (تظمين) (ظميركم) (انظم) (حظر) (الظمير) (بنظار) (خظير) (الفيظ) وهكذا، وشرط هذه الكلمات ونحوها أن تكتب بالضاد المعجمة أخت الصاد: (ضمنها) (ضمد) (للتضلع)، وهكذا.

- رسم حرف الظاء ضاداً، وقع ذلك في مواضع كثيرة منها: (لاحضتك) (الضماً) (لاحضت) (حضي) (بوضيفة) (نضمت) (ضبي). وشرط هذه الكلمات ونحوها أن تكتب بالظاء المعجمة أخت الطاء.

- الألف المقصورة التي شرطها أن ترسم ياءً في أواخر الأسماء والأفعال والحروف، رسمت ألفاً طويلة، من ذلك: (إلا) وهي حرف الجر (إلى) (فوقا) (أعلا) (وابتغا) (مدا) (جنا) (حوا) (قرا) (اعتنا) (تولا) (العلا) (ثنا) (تجلا) (يستقا) (القتلا) (بسما) (لاقا) (القلا) (خلاً) (المسما) (أربا) (طولا) (نرا) (أدعا) (توفا) (السرا) (الثرا) (سوا) (الفتا) (فتنحا) (منا)، وشرط هذه الكلمات كلها ونحوها أن ترسم الألف فيها ياءً.

- قصر الأسماء الممدودة وجعل أواخرها حروف (ياء) نحو: (الفضى) (القفضى) (الاعتنى) (الصفى) (قفى) (الوسطى) (الجفى) (واجرى) (الوفى) (الجلى) (الهوى)، وشرط هذه الكلمات ونحوها أن ترسم: (الفضاء) (الاعتناء) وهكذا.

- تسهيل همزة ما آخره همزة ثم رسمها ياء، وقع ذلك في نحو: (تبرى) (تملى) (مبتدى) وهكذا، وصوابها أن تكتب (تبرأ) (تملا) ونحو ذلك.

- الألف الواوية الأصل التي تقع ثالثة في الأفعال الثلاثية وشرطها أن ترسم ألفاً رسمت ياء، وقع ذلك في نحو: (سجى) (خلى) (غزى) (عدى) (دعى) (رسي) (سمى) (عفى) (شكى) (أحيى) ونحوها. وكذا ألف الاثنين أو ما يقع آخراً في بعض الأسماء رسمها ياءً نحو: (كلى) (بلى) (دنيى)، وصوابها: (سجا) (خلا) (غزا) (كلا) (بلا)، وهكذا.

- الهاء وهي التاء المربوطة التي تعلم بها الأسماء المؤنثة رسمت تاءً مبسوطة، من ذلك: (واسطت) (جهت) (كثرت) (بقيت) (غايت) (ولايت) (توليت) (مدينت) (حضرت) (إقامت) (هجرت) (مدت) (وقات) (ثائرت) (ليلت) (موارات) (الكمات) (حقيقت) (مواطآت) (حرقت) (رحمت)، وصواب ما جاء من ذلك: (واسطة) (كثرة) (بقية) ونحو ذلك.

وكذلك جعل التاء المبسوطة أحياناً هاء (تاء مربوطة) نحو: (المسافاة) صوابها (المسافات)

- رسم اسم الإشارة (ذلك) بألف، فتجعل هكذا: (ذالك).

يبهر العقول وتحار عنده أفكار نَحارير[1] الرجال. وأثنى في كتابه العزيز على من نظر إلى[2] ما أبرزه في عالم الوجود بعين الاعتبار، فقال – عز قائلا[3] – : ﴿ إنَّ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ الذين يذكُرونَ اللَّهَ قياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهِم ويَتفكَّرونَ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ ربَّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبْحانَكَ فقِنا عذابَ النَّار[4] ﴾.

والصلاة[5] والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد أفضل من تزينت بتدوين

=
– اسقاط ألف الوصل من الأسماء المعرفة بالألف واللام، فترسم على هذا النحو: (بلإجابة) (كلذي) (بلإنسان) (بلإحراق) (كلقاضي) (بلاستقلال) (بلإكرام) (كلأعياد) (كلأولى) (بلإنجاز) (كلوالد) (بلتأسي) (بلإحسان) (بلاحترام) (بلأمس) (فستباح). وصواب هذه الكلمات: (بالإجابة) (بالإحراق) (فاستباح) وهكذا.

– عدم مراعاة علامة الإعراب في الأسماء الخمسة حيثما ترد، نحو: (أبو) (ذو) ونحوهما يبقيهما هكذا بالواو في حالتي النصب والجر.

– عدم مراعاة علامة الإعراب في جمع المذكر السالم، فما شرطه الياء في حالتي النصب والجر يجعل بالواو، وما شرطه الواو في حالة الرفع يرسم بالياء، وذلك كثير شائع في هذه النسخة.

– وضع ألف في أواخر أفعال معتلة بالواو أو في أواخر أسماء تنتهي بحرف الواو، جاء ذلك في نحو: (فوا) (تخلوا) (يشجوا) (بنوا) (نحوا)، وصوابها بحذف الألف.

– عدم مراعاة مخالفة العدد للمعدود في حالتي التذكير والتأنيث، وقع ذلك في مواضع كثيرة نحو: (عشر رجال) (ستة قبائل) (سبع عشر راجلاً)، وصوابها لا يخفى.

– اختلاف النسخة الباريسية س مع النسخة الصنعانية ص في حروف العطف الواو والفاء وثم، فما كان في الصنعانية واواً يجعل في س فاء، وما كان بالحرف (ثم) في ص يجعل في س واواً، وهكذا، وهو شائع كثير، وقد يسقط حرف العطف في س أيضاً.

– اختلاف النسخة س مع الصنعانية ص في حرفي الجر، (الباء) و(في) فما نجده في س باءً نجده في ص (في) وما نجده في ص بحرف الجر الباء نجده في س بالحرف (في) وهكذا، وهذا شائع كثير.

ولقد أغفلنا الإشارة إلى هذه الأخطاء حيثما تقع في النسخة س لكثرة وقوعها وشيوعها وضربنا صفحاً عن إثبات تصويباتها في الهوامش وذلك لقناعتنا بأنه لا طائل من تصويبها ولا فائدة.

أما النسخة الصنعانية ص التي اعتمدناها أصلاً في التحقيق فقد كادت أن تبرأ من مثل هذه الأخطاء، وما وقع منها – وهو قليل – أشرنا إليه في مواضعه وصوبناه في الهوامش.

١. في س: «نحاير» سهو.

٢. في س «إلا»، انظر تعليقنا في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى ما يقع من مثلها فيما يأتي.

٣. في س «قائل» خطأ.

٤. الآيتان: ١٩٠ و١٩١ من سورة آل عمران.

٥. جاءت في الأصل ص بالرسم القرآني: «الصلوة».

[١٢] أيامه وجوه الأوراق [١] / ، وتشرفت الأقلام والمحابر بما نسخته أكف الكاتبين بها من كل ما حَسُنَ ورقَ أو راق. وعلى آله والسالكين على منواله ما برزت الثريا بجميل ذلك المحيّا، وسطع نور البدر، وتلألأت شمس النهار بالإشراق.

وبعد :

فإنها لما كانت ساحة الاعتبار واسعة الفضا [٢]، ونفوس المتأخرين [٣] مستشرفة [٤] إلى أخبار مَنْ تقدمهم ممن غبر ومضى. وسبقني إلى الاعتناء بعلم التاريخ أكابر الأئمة وأفاضل علماء الأمة؛ وأثنَوا على مَنْ سلك ذلك المنهج بما لا مزيد عليه. وصرّحوا بأنه من المهمات النافعة في الدين والدنيا [٥]. وعولوا على من حرص على الغوص في بحار تدقيقه [٦]، وأشاروا [٧] بالبنان إليه. إذْ به يُعرف الحديث من القديم، ويتميز الصحيح من الأخبار عن

[٢ ب] السقيم. فكم من قضية أشكلت على كبراء / العلماء المحققين، وسجا [٨] ظلامها فلم يكشفه إلا أنوار [٩] حقائق الأخباريين [١٠] المدققين، كما يعرف ذلك من مارس الأخبار من الأسفار، واطلع من كتب التاريخ على خبايا الأسرار.

وكفى بقضية يهود خيبر [١١] ودعواهم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أسقط

---

١. في النسختين ص وس : «الأوارق» تصحيف واضح لا يقوم به السجع والتجنيس بما سيتبعها : «.... ورقَ أو راق».

٢. في س : «الفضى» انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤ وسوف لا نشير إلى ما يقع من مثلها وهو كثير فيما يأتي.

٣. رسمها في النسختين ص و س : «المتوخرين».

٤. في س : «متشرفة» تصحيف قومناه من ص.

٥. في الأصل ص وفي س : «الدنى»، انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى ما يقع من مثلها فيما يأتي.

٦. جاءت القاف الأولى من هذه الكلمة مهملة في الأصل ص، أما في النسخة الباريسية س فقد أعجمت بنقطة واحدة فكانت فاءً، وليس لها وجه بهذا الإعجام، فجعلناها قافاً بنقطتين على النحو الذي أثبتناه.

٧. في س : «وأشار بالبنان» تصحيف.

٨. جاء رسمها في النسختين ص وس : «سجى» انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى ما يقع من ذلك وهو كثير فيما يأتي.

٩. في س : «أنوا وحقائق» بزيادة واو العطف، تصحيف يفسد المعنى.

١٠. في س : «الأخبار يين» تصحيف يفسد المعنى.

١١. يذكر هذه القصة المؤرخون أحياناً في مقدمات كتبهم. (انظر : عبد الرحمن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد : ٢٨، والبهكلي : العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب : ٢٦).

عنهم الجزية، وإبرازهم[١] مسطوراً[٢] بذلك فيه شهادة جماعة من أجلاّء الصحابة، حتى كاد خليفة ذلك[٣] العصر أن يميل إلى تصديقهم ركوناً على ذلك التسجيل؛ حتى بيّن فضيحتهم العلامة الحافظ أبو بكر المعروف بالخطيب[٤] بما اقتبسه من نور التاريخ الجليل. والقضية مشهورة وفي دفاتر التاريخ مأثورة.

فحداني ذلك إلى اقتفاء آثار أولئك الأعلام برقم ما استطعت رقمه من حوادث هذا الزمن وعيون وقائعه العظام، قصداً لتنبيه الغافل على[٥] الاعتبار، وإرادةً لإفادة من يريد الاطلاع على[٦] ما جرت به أيدي الأقضية والأقدار بهذه الديار[٧]:

/ وكَم للدَّهرِ مِنْ فِعْلٍ عَجيبٍ بهِ فيهِ ذَوُو[٨] الألبابِ حَارُوا [١٣]

* * *

فائدة:

قال في كتاب (سير الفلك): «الكونُ قائم على أقطاره على أتم نظام وأحسن إحكام، حتى إن المتسخّطَ من أمره لو اطلع على الحكمة[٩] الإلهية في ذلك لما اختار غير ما هو فيه ولو كان فيه ذهاب روحه وانتهاب فتوحه. والحمد لله على تجلّيه بإيجاده وإمداده وإسعاده ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذو العَرْشِ يُلْقي الرُّوحَ مِن أمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ[١٠]﴾:

---

١. في س: «وإبرازهم» سهو.

٢. في س: «وإبرازهم مسطوراً ينطق بذلك» زيادة لا طائل وراءها.

٣. في س: «ذالك» خطأ إملائي، انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى ما يقع من مثلها فيما يأتي.

٤. هو صاحب (تاريخ بغداد)، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين ولد سنة: ٣٩٢ هـ، وتوفي ببغداد سنة: ٤٦٣ هـ= ١٠٧٢ م له مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه الضخم: (تاريخ بغداد). (معجم الأدباء: ١/٢٤٨).

٥. في س: «عن».

٦. في س: «على العجائب مما جرت».

٧. في س: «الدار».

٨. في س: «ذوي» خطأ، انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى شيء مما يقع من ذلك فيما يأتي.

٩. في س: «الحكمية» تصحيف.

١٠. الآية: ١٥ من سورة: غافر

لَسْتُ أدري ولا المُنَجِّمُ يَدْري ... ما يُرِيدُ القَضَاءُ بالإنْسَانِ [1]
غَيْرَ أنِّي أقُولُ قَوْلَ مُحِقٍّ ... وأرَى الغَيْبَ فِيهِ مِثْلَ العَيَانِ
إنَّ مَنْ كَانَ مُحْسِناً قَابَلَتْه ... بِجَمِيلٍ عَوائِدُ الإحْسَانِ.

* * *

[تاريخ عبد الرحمن البهكلي مكمل لتاريخ نور الدين علي البهكلي]

هذا وقد جعلت ما جمعته مختصاً بالمتفقات في دولة حي مولانا الشريف الرئيس الأمجد، عزّ المعالي محمد بن أحمد بن محمد ؛ ورقمت طَرَفاً يسيراً مما سلف في أيام والده الشريف أحمد، لفوات أكثر ما جرى من الحوادث في أيام دولته عني. إذ وقوع جلّها [2] قبل إبرازي في عالم الوجود، وقلّها [3] في أيام حداثتي وصغر سني، وعدم احتفال المميِّزين من أهل / العصر بتقييد ما وقع في دولته من الأمور. فلم يصل ذلك إلي من [٣ ب] طريق تسكن إليها النفوس، وتنشرح لها الصدور. فرأيت جانب الإعراض عن ذلك أرجح، وترك الخوض مع عدم اليقين أنفع وأصلح :

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ ... وجَاوِزْهُ [4] إلى مَا تَسْتَطِيعُ

وإلا، فقد كنتُ أردتُ أن أجعل هذا الأنموذج [5] مكملاً (للعقد المفصل بالنوادر والغرائب الحادثة في دولة الشريف أحمد بن غالب) [6] الذي ألّفه سيدي الوالد العلامة

---

١ . في س : « بلإنسان » بحذف ألف الوصل، وهو كثير الوقوع في هذه النسخة، انظر تعليقنا السابق في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نشير إلى ما يقع من مثلها فيما يأتي.

٢ . في س : « جلها كان قبل »

٣ . في س : « وأقلها » تصحيف.

٤ . في س : « وجاوزه »

٥ . « الأنموذج » ساقطة في س وموضعها بياض.

٦ . في سنة : ١٦٨٤ تخاصم الشريف أحمد بن غالب والشريف بركات بسبب توزيع إيرادات مكة وبندر جدة ثم عارض الشريف أحمد بن غالب تولية الشريف سعيد في سنة : ١٦٨٧، وبمساندة باشا مصر وأمير الحاج المصري تولى الحكم في مكة لمدة قصيرة، ثم نافسه الشريف سعيد واضطره إلى التنازل عن الحكم، فارتحل الشريف أحمد بن غالب في بداية مايو سنة : ١٦٩٠. (انظر : دحلان، خلاصة : ٩٧-١١٤. وحقق الشيخ محمد العقيلي هذا المخطوط المسمى (العقد المفصل) وطبع في جدة في مطابع دار البلاد.

الإمام الآخذ من فنون العلم[١] النقلية والعقلية بالزمام[٢] نور الدين علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن شمس الدين البهكلي – روّح الله تعالى روحه، وجعل من كؤوس رحيق الرضوان غَبوقَه[٣] وصَبوحه – فإنه افتتح تاريخه المذكور من السنة الأولى في القرن الثاني عشر[٤]، وانتهى به إلى السنة الخامسة[٥] منه عند خروج الشريف المذكور من المخلاف السليماني وتوجهه إلى مكة المشرفة – عمرها الله تعالى – وقد اشتمل ذلك التاريخ على معان جمة، وفوائد ومقاصد علمية مهمة / لست أقدر على أن أتعرض إلى شيء من أمثالها. إذ لست من فرسان ميدانها، ولا من رجالها، لقصر باعي، وقلة اطلاعي : [١٤]

ولكنّ الرِّياضَ إذا اقْشَعَرَّتْ ... وصَوّح[٦] نَبْتُها رُعِيَ الهَشيمُ

لكني وضعت هذا محبة لتقييد ما اطلعت عليه بحسب الطاقة، سالكاً فيه مسلك الهذيان، لا مسلك فحول المؤرخين أولي النباهة والحذاقة. فالمطلوب ممن اطلع على ما رقمته من الإخوان ستر الزلل، وإصلاح الخلل؛ على أنه لا يسلم منهما (إلا كلام من علا وجلّ، وإلا فغيره على وجل)[٧] :

كَفَاني بأنّي يا خَليلي مُقَصِّرٌ ... ومُعترفٌ والمرءُ يُعذَرُ للعُذرِ

وعلى أن من صنف فقد استهدف، ومن خاض هذه الأخواض عرض نفسه للقدح والمناقشة والاعتراض. فأسأل من بيده مقاليد الأمور أن يتجاوز عني كل خطأ مستور، أو على صفحات هذه الأوراق مسطور؛ وأن يكف عني أكف الحاسدين، وشر المعاندين؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١. في س : «العلوم».

٢. في س : «بالذمام» مصحفة.

٣. في س : «عبوقه» بالعين المهملة، ولا معنى لها.

٤. الموافق سنة : ١٦٨٩-١٦٩٠م.

٥. الموافق سنة : ١٦٩٣-١٦٩٤م.

٦. في س : «وضوح» بالضاد المعجمة، وهو خطأ.

٧. العبارة المحصورة بين قوسين جاءت صيغتها في س : «إلا كلام الله وإلا فغيره عز وجل من على وجل» كلام مضطرب فيه تحريف.

وحيث لم أجد ما يعينني على التكميل لذلك التاريخ الجليل مما يجلب إلي الصحيح من / الأقاويل، فاقتصرت على ما ذكرته مما تحققته وعرفته؛ سائلاً من الله - سبحانه - الإعانة والوقاية، والرعاية والحماية : [٤ ب]

فكُنْ بي رَؤُوفاً يا رَؤُوفُ ومُسْعِفاً ولا زلتَ لي يا مالكَ المُلكِ مَوْئِلا

* * *

‹ترجمة مؤلف (العقد المفصل) القاضي العلامة علي بن عبد الرحمن البَهْكلي›[١]

وإذا قد عنَّ ذكر الوالد علي بن عبد الرحمن - غشيه[٢] صيّب الرحمة والرضوان - فلا بأس بأن نتعرض[٣] للنزر من أخباره، ونتبرّك بشيء من حميد آثاره. فهو القاضي العلامة على الإطلاق، الفهّامة من غير شك ولا شقاق، المطلع على دقائق العلوم، المحيط بالمنطوق منها والمفهوم.

ولد في سنة ثلاث وسبعين وألف[٤] ببلدة هَجْرة ضَمَد[٥] المحروسة، وحفظ القرآن العظيم بها؛ ثم ارتحل لطلب العلم الشريف إلى مدينة صَعْدة المحمية، فلقي بها أجلاّء علماء الأمة المحمدية. وبرع في علوم العربية حتى صار فريد الزمان، وقريع الأوان. شهد له المؤالف والمخالف، واعترف له بالسبق أرباب الطيالس من أولي المعارف.

---

١. العنوانات التي جعلناها بين حاصرتين حادثين جاءت في هامش النسخة الباريسية س أما النسخة الصنعانية ص فقد خلت هوامشها من العناوين إلا قليلاً جداً.

وهذا العنوان جاء في هامش ص بهذه الصيغة، وجاءت صيغته في هامش س : « الوالد العلامة عبد الرحمن رحمه الله » وهو خطأ.

٢. في س : « غشيته » مصحفة.

٣. في س : « أتعرض ».

٤. سنة : ١٦٦٢-١٦٦٣م.

٥. هجرة ضمد : على وادي ضمد شرق صبيا (انظر : العقيلي : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، ص : ١٤٨، والعقيلي : تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ : ١/ ١٧-١٨).

صنف شرحاً (للكافية) [١] لم يكن له في شروحها على كثرتها نظير، والتزم فيه ذكر الخلاف بين النحويين واختيار القول الشهير، وذكر الشاهد وقائله ومن قيل فيه، وبعض القصيدة التي هو / منها بلا نكير، فوفى ووفى [٢]؛ وأفاد وشفى، حتى قام أرباب الفضائل [١٥] لإجلال مصنفه صفاً صفاً.

وحقق في الأصلين تحقيقاً عظيماً، وأدرك من كل فن حظاً وافراً جسيماً.

ثم عاد إلى وطنه هجرة ضَمَد، فانتفع به أهل الجهة نفعاً لم يُعْهد. ثم ارتحل مرة أخرى إلى بلاد الشّرف [٣]، يؤم علامة اليمن، قاضي قضاة ذلك الزمن، شرف الأنام، وشيخ مشايخ الأسلام، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلاً [٤]، فظفر في حضرته بالقدْح المُعلّى [٥]. وكان عين أعيان تلامذته، وواسطة [٦] عقد حضرته. فانتشر صيته في ذلك المكان، وأشير إليه بالبنان في البيان. وكاتبه العلماء من أهل عصره والأعيان. فألف ورصف [٧]، وأبدع وأتحف. وكان يأتي بكل [٨] معنى عجيب، ويخترع كلَّ فنّ غريب. خلا أنه أخبر بعض أدباء عصره أنه كان إجادته في السجع أكثر من إجادته في النظم.

---

١. في س: «الكافية» مصحفة.

والكافية: كتاب في النحو، لابن الحاجب، نحوي، مصري، عاش في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد (انظر: EI, 3, P 804) علق على الكافية كثير من النحاة اليمنيين، منهم الرضي ابن السعيد العراقي العلوي (انظر فهرس المكتبة الغربية بجامع صنعاء: ٤٨٤-٤٨٥)

٢. في النسختين ص و س: «فوقا ووفى» كذا بألف في الأولى وقاف في الثانية، وهو تصحيف يفسد المعنى وشرط السجع الذي يلتزمه المؤلف أحياناً، فصححناهما على الوجه الذي أثبتناه.

٣. الشرف: بلد يقع شمالي غرب صنعاء.

٤. من أشهر علماء اليمن في القرن السابع عشر الميلادي، (انظر: البدر: ١/ ٢٣١-٢٣٢، زبارة: تقاريظ نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، إلى سنة: ١٣٥٧ هـ، ص: ٦٢٨-٦٣٤، الحبشي، مصادر: ٥٩، ٣٧٨. العمري (حسين): مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: ص: ٢٨٨-٢٩٠.

٥. جاءت في ص وس: «المعلا».

٦. جاءت في س: «وواسطت» على عادة الناسخ في بسط التاء المربوطة (الهاء)، انظر تعليقنا في الحاشية (٢) ص ٨٤، وسوف لا نعود إلى الإشارة لما يرد من مثلها فيما يأتي.

٧. في س: «ووصف» بالواو، تصحيف.

٨. في س: «لكل» باللام، مصحفة.

ومن نظمه – رحمة الله عليه – لما بنى القاضي الحسين – رحمه الله – داره المعروفة بجهة الشُّجْعَة[١] أبيات[٢] جعلها تأريخاً للبناء، فقال :

هَذَا الحُسَيْنُ النَّجْلُ مِنْ نَاصِرٍ قَدْ سَكَنَ البَيْتَ وَقَدْ حَلَّهُ

[٥ ب] / فَاكْتَسَتِ[٣] الدَّارُ بِهِ بَهْجَةً وَقِيلَ لِلْحَاسِدِ يَا وَيْلَهُ

وَقَالَتِ الحَالُ لَنَا جَهْرَةً قَدْ فَرِحَ الكَيِّسُ وَالأَبْلَهُ

فَمَنْ يُرِدْ تَارِيخَهُ طَالِباً تَحْقِيقَ مَا أَعْنِي[٤] وَتِمْثَالَهُ

فَلْيَحْسِبَنْ تَارِيخَهُ[٥] قَائِلاً سَاعَدَهَا وَقْتٌ وَطَابَتْ لَهُ

والتاريخ سنة ألف ومائة[٦] من قوله : « ساعَدَها ». ولا يخفى[٧] أنه على خلاف قاعدة المؤرخين بالنّظم (أن ما يُعَدُّ لفظ التاريخ هو التأريخ ويُحْسَبُ منه)[٨]. وكان قياس الحساب هنا من قوله : « قائلاً » لو ساعد العدد :

وللنّاسِ فيما يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

* * *

[ذكر الإخراج عن الوطن، وحب الوطن]

ومِمَّا يُنْسَبُ إليه – رحمه الله[٩] – بيتان يتعلق[١٠] بحال الهجرة الصَّمَدِيَّة، ولعلَّهما عند حصول بعض العوارض التي تَعرُض للعلماء أولي الرُّتب العلية. ولا أدري هل

١. في س : « أبياتاً » خطأ. والشجعة : قرية من قرى منطقة الشرف شمال غرب صنعاء.

٢. في س : « أبياتاً » خطأ.

٣. في س : « فاكتسب » تصحيف أفسد المعنى.

٤. في س : « أغني » بالغين المعجمة، تصحيف لا يقوم به المعنى.

٥. في س : « تاريخها » تصحيف لا يقوم به المعنى، لأنه يريد : تاريخ البناء.

٦. الموافق سنة : ١٦٨٨ – ١٦٨٩ م

٧. في س : « ولا يخفى على أنه ».

٨. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « إنما تعد لفظة التاريخ هو التاريخ والحساب منه » والعبارة مضطربة.

٩. في س : « رحمة الله عليه ».

١٠. كذا في النسختين ص و س ولعله سهو وهو يريد : « يتعلقان ».

هو قائلهما أم تَمَثَّل[١] بهما، وهما :

ياصَاحِ عنْ صَمَدٍ ترَحَّلْ إنَّها	بلدٌ تُهانُ بها الكرامُ وتُصفَعُ
ما بَيْنَ واديها وبَيْن عرُوُجِها	سَوْدا تغيبُ وألفُ سَوْدا تَطلُعُ[٢]

لا غَرْوَ[٣]، فهذا غير مستكثرٍ جريانه على ألسنة الفُضَلاء عند وقوع بعض الأذى في الوطن ؛ كما رُوِيَ عن علاّمة النُّحاة مفخر اليمنيين، صدر العلماء المحقِّقين، علي ابن محمد بن هطيل[٤] لما رحل عن بلده هجْرَة حُوث[٥] عند صدور مثل ذلك عليه حيث قال :

/ قَوِّضْ خيامَكَ رَاحِلاً عَنْ حُوثِ   حُوثِ الخَبيثِ مَحَلِّ كلِّ خَبيثِ [١٦]

وهذا بيقينٍ أقذع[٦] من كلام الوالد[٧] نور الدِّين، فإنه غاية ما قال : إن الكرام تهان وتصفع بذلك المُقام. لا جرم أن ذلك من أعدائهم الجاهلين، وكما قيل :

الجَاهِلُونَ لأهلِ العِلمِ أعداءُ

ولم يتعد إلى شتم أهل بلده ومحتِده كما قال ابن هُطَيل –سامحه الله– إن

---

١. في س : «متمثل».

٢. جاء في هامش س بإزاء هذين البيتين نص تعقيب بخط الناسخ مثاله :

«وقد عارضهما بعض علماء العصر حيث قال :

يا صاح في صمد تحلل إنها	بلد تصان بها الكرام وترفع
ما بين واديها وبين عروضها	خضرا تغيب وألف خضرا تطلع

انتهى.

٣. «لاغرو» ساقطة في س.

٤. في س : «علي بن محمد هطيل» بحذف (ابن).

٥. حوث : مدينة بين صنعاء وصعدة.

٦. في س : «أقزع».

٧. في س : «من كلام الوالد القاضي نور الدين».

وهو القاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي عم والد مؤلف (خلاصة العسجد) وللقاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي كتاب في النحو هو (شرح الكافية في النحو) وقد تقدم ذلك في الصفحة : ٩١.

(انظر : العقيلي : العقد المفصل : ص : ٢٢)

صَحّت نسبة الشعر إليه، وإلا فحق الوطن لا يُنكر [١]، ولكم تصبو [٢] إليه نفوس الكرام. ويكفي في عزّته [٣] أنّ الله – سبحانه – قرن مشقة الخروج منه بالقتل. كما أخبر عن ذلك في أصدق [٤] الكلام [٥]. وما أورده إمام المُحدّثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري في كتابه (الصحيح) عند قول ورقة بن نوفل للنبي – صلى الله عليه [٦] وسلم – مخبراً عن قومه: « ليكذّبُنّكَ وليُقاتلُنّكَ وليُخرجنّكَ ». فقال – صلى الله عليه [٦] وسلم –: « أوَ مُخْرِجيَّ هم؟ » استنكاراً منه – صلى الله عليه [٦] وسلّم – وإشفاقاً [٧] من ذكر الإخراج [٨]. وورد: « حبُّ الوطن من الإيمان » [٩] في كلام سيد ولد عدنان. وفي (الصحيح) أيضاً عن عائشة أم المؤمنين لما دخلت على أبيها الصدّيق

---

١. العبارة: « إن صحت نسبة الشعر إليه، وإلا فحق الوطن لا ينكر » جعلها ناسخ س بيتاً من الشعر.

٢. جاءت في ص و س كليهما: « تصبوا » بإضافة ألف، وهذا سهو.

٣. في س: « غرته » تصحيف.

٤. في س: « أفضل ».

٥. قال – عز من قائل –:

﴿ ولوْ أنّا كَتَبْنا عليهم أنِ اقتُلوا أنفسكُمْ أوِ اخرُجوا من ديارِكُم ما فَعَلُوهُ إلا قليلٌ منهُمْ ﴾

الآية: ٦٦ من سورة النساء.

وقال – جل وعز – أيضاً:

﴿ثمّ أنتمْ هؤلاءِ تقتُلون أنفُسكُم وتُخْرِجونَ فريقاً منكُم من ديارِهِم ﴾. الآية: ٨٥ من سورة البقرة. ع

٦. في الأصل ص: « صلعم ».

٧. في س: « تشفقا » مصحفة.

٨. جاء في (مختصر صحيح البخاري) المعروف بـ(التجريد الصريح) أو (مختصر الزبيدي): ص: ٢٧١: باب فضائل المدينة وهو الباب: ٣٥ ورقم الحديث: ٨٧٠، وهو آخر حديث في هذا الباب، ورقمه فيه: ١٧: « وقال: العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد. اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدّنا، وصححها لنا، وانقل حمّاها إلى الجُحْفَة.

قالت [عائشة]: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجري نجلا، تعني ماء آجنا » (التجريد الصريح، مختصر الصحيح، تحقيق مصطفى ألفا / دار اليمامة: ط٣ سنة ١٩٨٨).

٩. بإزاء هذا الحديث في النسخة س تعقيب بخط الناسخ نصه:

« قوله: حب الوطن من الإيمان، هو حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات. بل قال بعضهم: « إنه من كلام بعض السلف، فيتنبه، كاتبه عفا الله عنه ».

وبلال، وقد أخذتهما حُمَّى يثرب وقد [رفع][١] بلال عقيرته[٢] منشداً :

/ ألا ليتَ شعْري هَلْ أبيتنَّ ليْلَةً ... بمكَّةَ حَولي إذْخرٌ وجليلُ[٣]
وهَلْ أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجنَّةٍ ... وهلْ تَبْدُوَنْ لي شامَةٌ وطَفيلُ

وهما جبلان بقرب مكة – شرَّفها الله تعالى –. وفي البيتين[٤] ما لا يخفى من التشوّق[٥] إلى الوطن. ولقد وقع في كلام كثير من الصحابة والتابعين وسائر عباد الله

---

١. «رفع» ساقطة في ص استدركناها من س.

٢. في س: «غفيرته» مصحفة.

٣. في س: «وخليل» مصحفة.

جاء في (التجريد الصريح) للزبيدي: ص: ٢٧١ في الباب: ٣٥ في الحديث: ٨٧٠:
«عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله المدينة وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذ خر وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ ... وهل يبدونْ لي شامة وطفيل

وجاء في معجم البلدان: ٥/ ٥٩: «مَجَنَّة: بلد على أميال من مكة، وهو لبني الدئل خاصة. وقال الأصمعي:

مجنة: جبل لبني الدئل خاصة بتهامة بجنب طفيل، وإياه أراد بلال فيما كان يتمثل:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذ خر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مَجَنَّةٍ ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقال ياقوت في ٣/ ٣١٥: «شامة: بلفظ الشامة... جبل قرب مكة يجاوره آخر يقال له (طفيل). وفيهما يقول بلال بن حمامة وقد هاجر مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فاجتوى المدينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي إذ خر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شارة وطفيل

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «حننت يا بن السوداء؟» ثم قال: «اللهم إن خليلك إبراهيم دعا لمكة وأنا عبدك ورسولك أدعو للمدينة، اللهم صححها وحببها إلينا مثلما حببت إلينا مكة، اللهم بارك لهم في مدّهم وصاعهم وانقل حُمّاها إلى خيبر أو إلى الجحفة».

(وانظر معجم البلدان أيضا: ٤/ ٣٧: (طفيل).

٤. في س: «بما».

٥. في س: «الشوق».

الصالحين من التشوّق[١] إلى الوطن ومحبته والثناء عليه ما يملأ[٢] الطروس، ويُنشّطُ كلَّ النفوس، من غير نظر إلى حسن الوطن وقبحه؛ فقد قيل:

بلادٌ عَشِقناها على كُلِّ حالةٍ ... وقد يُعْشَقُ الشيءُ الذي ليسَ بالحَسَنْ
وتُستَحْسَنُ الأرضُ التي لاهَوَا بها ... ولا ماؤُها عَذْبٌ ولكنَّها وَطَنْ

وعلى الجملة فالقليل من يستعمل ما قيل:

إذا كانَ أصْلي مِنْ تُرابٍ فَكُلُّها ... بِلادي وكُلُّ العالَمينَ أقاربي

* * *

[مناقشة استعمال «لاجرم»]

سانحة:

من قولهم: «لاجَرَمَ»؛ هذه الكلمة كثيراً ما تعرض في الكلام، وقد وردت في كلام الملك العلاّم، قال[٣] — تعالى —: ﴿لاجَرَمَ أنَّهُمْ في الآخرةِ هُمُ الأخسَرُون﴾[٤]، ﴿لاجَرَمَ أنَّ لهُمُ النَّارَ وأنَّهُمْ مُفْرَطون﴾[٥]، ﴿لاجَرَمَ أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُون﴾[٦]، وكذا حيث كانت هذه اللفظة.

[١٧] / اعلم أنها[٧] يتعلق بها مبحثان، أحدهما: في لغاتها، والثاني: في إعرابها.

أما لغاتها: فيقال: «لاجَرَمَ» بفتح الجيم، وهي المشهورة، وبكسر الجيم وضمها، و«لاجَرَ» بحذف الميم لكثرة[٨] الاستعمال، كما قالوا: «سَوْتَرَى» يريدون: «سوف ترى» و«لا ذا جرم» و«لا إذجرم» و«لا ذو جرم» و«لا عن ذا جرم»

---

١. في س: «يملى» وسوف لا نعود إلى الإشارة إلى ما يقع من مثلها فيما يأتي، وهو كثير.
٢. في س: «قال الله تعالى».
٣. الآية: ٢٢ من سورة هود.
٤. الآية: ٦٢ من سورة النحل.
٥. الآية: ٢٣ من سورة النحل.
٦. في س: «أنه» تصحيف.
٧. في س: «لكثرت» وسوف لا نشير الى ما يرد من مثلها فيما يأتي.

و«لا أن[١] جرم» و«لا عن جرم» أي: والله لا أفعل ذلك. وعن أبي عَمْرو[٢]: ﴿ لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ على وزن (كَرُمَ) بضمِّ الراء؛ و«لا جرُ» قال: حذفوه لكثرة الاستعمال كما قالوا: «سَوْ تَرى» إلى آخر ما تقدم.

وأما إعرابها: ففي هذه اللفظة خلاف بين النحويين، ويتلخص[٣] ذلك في خمسة أوجه:

أحدها: وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس أنَّهما رُكِّبًا من (لا) النافية و(جرم) وبُنيا على تركيبهما تركيب: (خمسة عشر)؛ فصار بمعنى فِعلٍ، أي حقَّ وثبت كون النار لهم، أو[٤] استقرارها لهم.

الوجه الثاني: أن «لا جَرَمَ» بمنزلة «لا رَجُلَ» في كون (لا) نافية للجنس، و(جرم): اسمها، مبنيٌّ معها على الفتح/ وهي واسمها في محلّ رفع بالابتداء[٥]، [٧ب] وما بعدهما خبر (لا) النافية، وصار معناهما: «لا محالة» و«لا بد».

الوجه الثالث: كالذي قبله، إلا أنّ (أن) وما بعدها في محل نصب أو جرٍّ بعد حذف الجارّ، إذ[٦] التقدير: «لا محالة في أنَّهم في الآخرة في خسرانهم».

الرابع: أن (لا) نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة، فرد الله — سبحانه — عليهم ذلك بقوله[٧]: (لا)، كما ترد هذه قبل القسم في قوله: ﴿ لا أُقسِمُ ﴾[٨]، وقوله —

---

١. في س: «ولا عن جرم» مصحفة.

٢. في س: «عمر» خطأ.

٣. في س: «ويتخلص» تصحيف.

٤. «أو» ساقطة في س.

٥. في ص و س: «بالابتدى».

٦. في س: «إذا» خطأ.

٧. في س: «لقوله» تصحيف.

٨. جاءت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، في الآية: ٧٥ من سورة الواقعة: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ وفي الآية: ٣٨ من سورة الحاقة: ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾، وفي الآية: ٤٠ من سورة المعارج: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ﴾، وفي الآيتين: ١ و ٢ من سورة القيامة: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾. وفي الآية: ١٥ من سورة التكوير: ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾، وفي الآية: ١٦ من سورة الانشقاق: ﴿ فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق ﴾، وفي الآية: ١ من سورة البلد: ﴿ لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد ﴾.

تعالى – : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُون ﴾[١] ثم أتى بعدها بجملة فعلية وهي : «جَرَمَ أنَّهُم كذا»[٢] و(جَرَم) : فعل ماضٍ معناه : (كَسَبَ) وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام. و(أن) وما بعدها في خبرها[٣] في موضع المفعول لأن (جرم) يتعدّى[٤]، إذ هو بمعنى (كَسَبَ)[٥] ؛ قال[٦] الشاعر :

نَصَبْنَا رأسَهُ في جِذْعِ نَخْلٍ ... بِما جَرَمَتْ يَدَاهُ ومَا اعْتَدَيْنَا

أي : بما كسبته، فتقدير الآية : «كسبهم فعلهم أو قولهم خسرانهم». وهذا قول أبي إسحاق الزَّجّاج ؛ وعلى هذا فالوقف[٧] على قوله : (لا) ثم يبتدئ بـ(جرم)، بخلاف ما تقدم.

[١٨] الوجه الخامس : أن معناها «لاصَدَّ»[٨] و«لا مَنْعَ» / وتكون[٩] (جرم) بمعنى : القطع، لقوله[١٠] : «جَرَمْتُ» : أي قطعت ؛ فيكون[١١] اسم (لا) مبنيّاً[١٢] معها على الفتح كما تقدَّم، وخبرها (أنَّ) وما في حيِّزها، أو على حذف حرف الجر أي : «لا منع من خسرانهم» فيعود فيه الخلاف المشهور، يعني أنه إذا حُذِفَ الجارُّ هل محلُّ مدخوله نصبٌ أو جر ؟

تَنْبِيه : تقدَّم أنه على الوجه الأول يصير ما بعد (لاجَرَم) مرتفعاً بالفاعلية بمجموع

---

١. من الآية : ٦٥ من سورة النساء. وتمامها : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يَجِدُوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً ﴾.

٢. في ص و س : «كذى».

٣. في س : «حيرها» مصحفة.

٤. في س : «يتأدى» مصحفة، ولا معنى لها. ع.

٥. في س : «كتب».

٦. في س : «قول».

٧. في س : «فالواقف» خطأ.

٨. في س : «لا ضد» بالضاد المعجمة، تصحيف.

٩. في س : «ويكون».

١٠. في س : «أقول» مصحفة.

١١. في س : «فتكون» تصحيف.

١٢. في س : «مثنى» خطأ.

(لاجرم) لتأويله بالفعل (أي) أو بمصدر قائم مقامه، وهو حق على ما ذكره أبو البقاء – رحمه الله تعالى – وعليه جرى البيضاوي في بعض المواضع. والله سبحانه أعلم. انتهى منقولاً من خطّ من نقله من خطّ الفقيه العالم محسن بن عليّ جلي الصيّائي – رحمه الله [1] – قال: إنه نقله من خطّ شيخه عبد الوهاب الطنطاوي الأحمدي المصري – رحمه الله –.

وقد خرج بنا القلم عن المقصود محبة لنقل هذه الفائدة مُسْتَكْمَلَة، لأنّ هذه الكلمة كثيرة العروض، وربما خفي معناها عن [2] النّاظرين، فيتطلب [3] الوقوف على حقيقة معناها من يتعلق بفن النحو من الطّالبين. وبالجملة فهي لا تخلو عن [4] فائدة مقصودة بل هي ضالّة منشودة.

* * *

[لغز عن شجرة التنباك]

/ ولنرجع إلى ذكر الوالد عليّ بن عبد الرحمن – عليه رحمة المنان –. فمن [٨ ب] تحفه التي كادت أن تنتشر [5] بها الآذانُ، جوابه على لغز ورد إليه من بعض أدباء عصره والأوان، وهو الفقيه سراج الدين عمر بن محمَّد مكّي بافَضْل الجازاني، نسبةً إلى بندر جازان، في [6] سنة ستٍّ ومائة وألف، وهو في شجرة التنباك [7] المعلومة بالوصف؛ ولفظ السؤال: «ما قولكم – رضي الله عنكم – فيمن عُجِّلَتْ له طيباته في هذه الدار، وأسكن جنّات تجري من تحتها الأنهار؛ حتى إذا صالت عليه يد المنون، أُخْرِجَ من جنات وعيون، وحقَّ عليه العذاب، فما كان بأسرع مِنْ حشره بعد الذهاب، فحشر

١. في س: «رحمه الله تعالى».
٢. في س: «على».
٣. في س: «فيطلب» مصحفة.
٤. في س: «من» وهي وجيهة.
٥. كذا في الأصل ص وفي س، ولعلها: «تشنف».
٦. في س: «وذلك في سنة» زيادة، لعلها من الناسخ.
٧. حسب ما جاء عند مؤلف كتاب (غاية الأماني) يحيى بن الحسين بن القاسم، أن شجرة التنباك أدخلت إلى اليمن سنة ٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠ م (انظر أيضاً: Serjeant *Sana'a*: p. 175-7) وقد نشر الشيخ محمد العقيلي هذه الرسالة في كتابه: (أضواء على أدب وأدباء جازان): ج١ / ص: ١١٢)

في مكان، وأقيم له الميزان ؛ فرجحت سيِّئاته بالحسنات، بسبب تعجيل الطَّيِّبات ؛ فصبَّ عليه الموكل بالحميم، وقال : ﴿ ذُقْ إنك [انت] [1] العزيز الكريم ﴾، ثم ذهب به حتى جعله في أعلى طبقة، وطبق عليه بنارٍ محرقة. فلمّا عاين الشيطانُ النار وهولها نادى : ﴿ أنْ بورك مَنْ في النار ومن حولها ﴾ [2]/ فاجتمع إليه الناس اجتماعهم على [١٩] الخطباء، وعقدوا له الجُثيّ ؛ وصار من في النار لديهم مُعزّزاً مكرّماً فابتغى نفقاً في الأرضِ أو سلّماً في السَّماء. ثم صار يدخل [3] من بابٍ ويخرج من أبواب، فكلُّ أمره وشأنه عجاب. نال الشقاء بعد السَّعادة، وصارت النار مهاده وزاده [4]. أفتونا مأجورين ».

فأجاب – عليه رحمة ربِّ الأرباب – بما صورتُهُ :

« سؤالك أيها المُلْغز بسؤاله، والمُعَمِّي لمراده في مقاله ؛ عن مَنْ سارت به في الفيافي والقفار الرُّكبانُ، ونال من الكرامة والعزِّ مالم ينلْه إنسان. وقبَّلته أفواه الملوك كما لثمته ثغور الخرائد الحسان. ونزلّوه كُلُّهم منزلة الشفاء عند المريض المدنف، وعانقوه معانقة اللاّم للألف. ورفضوا من لم يكرمْهُ وأبى، بعين مُزْوَرَّةٍ [5] غضبى. وجعلوا الخلوة معه بغير جليس ؛ قائمة مقام كل أنيس. وعَدُّوا من لم يخالطه ثقيلاً في المجالس، وعارياً وإن كان في هيئة اللاّبس [6]. ورأوا أنّ/ إحراقه بالنار، ليس لكونه [٩ ب] من الأشرار، بل لما فيه من الإزالة للآلام والمضارّ. ولأجل ما فيه من الفوائد عانده الدَّهر بالإحراق، كما هي عادته مع الكَمَلَة الحُذَّاق ؛ فلسان حاله يُنشد ودمعه مُهْراق :

لا غَرْوَ أنْ تَجْني عَلَيَّ فضَائلي سبَبُ احْتراقِ المَنْدلِيِّ دُخَانُه

فيا للّه العجب من أمره وشأنه، ويا للمسلمين من نفاذ حكمه وقوة سلطانه. لقد ملك أزِمَّةَ القلوب، وصار عندها مقدماً على كل محبوب. فكم عقّوا من عذلهم عن الدُّخول تحت أمره، ونهى من أطاعه واستمسك بتمويهه ومكره. فدولته شبيهة [7] بدولة

---

١. « أنت » : ليست في الأصل ص سهو واضح، انظر الآية : ٤٩ من سورة الدخان.
٢. الآية : ٨ من سورة النمل.
٣. في س : « يدخله » مصحفة.
٤. في س : « ومراده » تحريف.
٥. في س : « مروزة » تصحيف.
٦. في س : « الابس » خطأ.
٧. في س : « شبهته » تصحيف.

الحاكم العُبَيْديّ [١] في مُلك الرقاب، مع ارتكاب الأمور الصعاب. حتى آذنت دولته بالانصرام، وختُم لهُ في أعماله بأقبح ختام، وصار [٢] مثلاً سائراً مدى اللّيالي والأيّام» انتهى.

فللّه درُهُ كم أبدع فيما أودع، وجدَّ جدُّهُ فيما صاغ وصنع. وما ذلك منه بكثير، فتيار فكره غزير.

* * *

[وفاة القاضي علي بن عبد الرحمن البهكلي]

ثمَّ عاد – رحمه اللّه – من حضرة المهَلاّ إلى الجهة، وتولى القضاء [٣] بمدينة صَبْيا/ وفصل الأقضية، وحُمد أثره وسيرته الحسنة، وتزوج بها وأولد. ولم يزل سالكاً [١١٠] للطُّرق [٤] المستحسنة حتى ارتحل منها إلى مدينة صنْعاء المحمية في السنة الثالثة عشرة [٥]؛ فأودع في قلوب تلامذته وأصحابه حسرة وأي حسرة، وأنشد لسان حالهم قول الشّريف عليٍّ بن عيسى [بن] [٦] حَمزَةَ السُّليمانيّ لما عزم شيخه العلاَّمة جارُ اللـه

---

١. الحاكم العبيدي: هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن اسماعيل ابن محمد العبيدي الفاطمي، من خلفاء الدوله الفاطمية العبيدية بمصر، ولد في القاهرة سنة: ٣٧٥ هـ = ٩٨٥م وبويع بالخلافة الفاطمية سنة: ٣٨٦ هـ وعمره إحدى عشرة سنة، وكان غريب الأطوار، وادعى الألوهية، ثم فقد في إحدى الليالي سنة ٤١١ هـ = ١٠٢١م قيل إنه اغتيل.

والعبيديون هم الفاطميون عرفوا بذلك نسبة إلى مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم، الفاطمي العلوي الملقب بالمهدي من ولد جعفر الصادق: مؤسس دولة العلويين في المغرب. ولد سنة: ٢٥٩ هـ = ٨٧٣م، ومات بالمهدية في المغرب سنة ٣٢٢هـ = ٩٣٤م.

(انظر النجوم الزاهرة: ٤/ ١٧٦-٢٤٦ والخطط المقريزية: ٢/ ٢٨٥. والكامل لابن الأثير: ٨/ ٩٠)ع.

٢. في س: «وسار مثلاً سائراً» تصحيف.

٣. في الأصل ص وفي س: «القضى» وقصر الممدود خطأ شائع في النسختين.

٤. في س: «لطرق».

٥. في س: «عشر» خطأ، والتاريخ يوافق سنة ١٧٠١ – ١٧٠٢م

٦. في الأصل ص أقحمت (عيسى) بين السطرين، وسقطت (ابن) في النسختين ص و س وهو سهو صوبه تعقيب أثبت في هامش ص بإزاء هذا الاسم نصه:

«تنبيه: الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس هو من أشراف مكة المشرفة، وهو من بيت الشريف غانم بن يحيى بن حمزة السليماني جد آل قطب الدين وآل أمراء الشطوط أهل جازان معروف نسبهم عند من له إلمام بعلم النسب. توفي في غرة القرن السادس».

محمود بن[١] عُمَرَ الزمخشري – رحمهما الله[٢] – على الرُّجوع إلى خُوارزم وأراد الوداع :

لَقَدْ شَجَّني في أمِّ راسي عَزْمُه فأصْبَحتُ[٣] مِنْ عَزْمِ الإمَامِ أَمِيمَا
فديتُ أمرءاً يحشُو[٤] الفُؤادَ فراقُه كُلُوماً ولُقياهُ حَشَتْه عُلُومَا

وكانت رحلته إلى صنعاء للتَّروّي من معين علمائها المُحقّقين، كالقاضي العلاّمة الإمام الحُسَيْن بن محمد المغربي[٥]، ومن في عصره من المبرزين. وشرع في قراءة عليه (للكشَّاف)[٦] لو سمعها مؤلفه لأنصف في حقه غاية الإنصاف. واستمرَّ على ذلك حتّى اقتطفته[٧] يدُ الحِمام، فانتقل الى دار السَّلام، في جوار الملك العلاَّم.

ومن غرائب ما يُشْهَدُ له – إن شاء الله – بحُسْنِ الختام أنه وقف في قراءته تلك على آخر سورة الحِجْر / وهو قوله تعالى : ﴿ فسبح بحمد ربكَ وكُن من السَّاجدين واعبدْ ربَّكَ حتى يأتيَكَ اليقين ﴾[٨].

وكانت وفاته – رحمة الله عليه – في السَّنة الرابعة عشرة[٩]. ورثاه جماعةٌ من فضلاء ذلك العصر؛ ولم أعثر[١٠] إلا على بعض ما قاله السَّيِّد الأديب البليغ شرفُ

---

١. « بن » ساقطة في س.

٢. في س زيادة : « تعالى ».

٣. في س : « وأصبحت » تصحيف.

٤. في س : « يشجوا » ولا يقوم بها المعنى.

٥. جاء في أسفل التعقيب الأول في هامش ص الذي أثبتاه في الحاشية : (٦) في الصفحة السابقة تعقيب آخر نصه : « إنما قرأ العلامة علي بن عبد الرحمن على العلامة الحسين بن محمد المغربي صنو القاضي المذكور، وكانت قراءته عليه في الكشاف بمسجد داود ».

والمغربي : هو الحسين بن محمد بن سعيد بن عيسى اللاعي المغربي (١٦٣٨ – ١٧٠٧م) قاضٍ كان في عصر الإمام المهدي أحمد، ثم المهدي محمد، (انظر نشر : ٢٦٠ – ٢٦٣، والبدر : ١/ ٢٣٠ – ٢٣١)

٦. الكشاف، لجار الله الزمخشري، من التفاسير المشهورة للقرآن الكريم، طبع عدة طبعات، وهو واسع الانتشار، ومنه مخطوطات كثيرة، منها في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء / ٢٥/ خمس وعشرون نسخة (انظر فهرس المكتبة الغربية : ٢٥)

٧. في س : « اقتطعته » مصحفة.

٨. الآيتان : ٩٨ , ٩٩ من سورة الحجر.

٩. الموافقة سنة : ١٧٠٢ – ١٧٠٣م

١٠. في س : « ولم أقف من ذلك ».

الدين الحُسَيْن بن أحمد [١] بن صلاح، حيث قال :

لاتبخَلي يا عَيْنُ لا تبخلي بدمعك المنسجم المُسْبَلِ
قَدْ كُدِّرَ الخاطرُ لما أتى ناعي الرَّدَى للعالم البَهْكَلي
قالوا علي قَدْ قضى [٢] نحبَهُ فقُلتُ واعالمنا واعلي

وأعقب ولدين فاضلين هما :

الوالدُ القاضي محمد بن علي – رحمه الله – وسيأتي ذكره في [٣] ترجمة وفاته إن شاء الله تعالى.

وصنْوه أحمد حافظٌ للقرآن العظيم، ذو قلبٍ سليم، وفهم غير سَقيم.
وقد طال المجال في هذا المقال بذكر هذا الفاضل الذي هو من نحارير الرجال :

وقد وجَدْتُ مَكانَ القَوْلِ ذا [٤] سَعَةٍ ومنْ يَجِدْ سَعَةً في القَوْلِ [٥] فَلْيَقُلِ

* * *

[وصول أشراف آل خيرات إلى أبي عريش]
‹ ترجمة الشريف خيرات رحمه الله›

ولْنَعُدْ إلى ما نحن بصدده من ذكر هؤلاء الأشراف آل خيرات [٦]، ونقتطف من جنى شجرات وقائعهم الثَّمرات/ فنبدأ أولاً بذكر نسبهم المشهور ؛ ثم نُثَنِّي [٧] بسبب خروجهم من مكة المشرَّفة. [١١١]

١. في س : «أحمد صلاح» بإسقاط : «ابن».
٢. في س : «مضى» تصحيف.
٣. في س : «ذكره وترجمة وفاته» ولا نستقيم.
٤. في س : «ذو» خطأ، وسوف لا نشير إلى ما يرد من ذلك فيما يأتي لأنه كثير الوقوع.
٥. في س : «للقول» محرفة.
٦. عن تاريخ أشراف مكة، انظر ابن دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام :
Uzunçarşili, *Mekke-i mükerreme emirleri*
وعن آل خيرات، انظر البرادعي (الشريف أحمد) : الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، ص : ٣٦.
كان المخلاف السليماني في يد السادة الخواجيين لما وصل الشريف خيرات إلى المخلاف (انظر : البهكلي، العقد : ١٠٨)
٧. في س : «بذكر سبب».

وأولُ خارج منهم هو[١] الشريف خيرات المذكور. أما نسبُهُ: فهو خيرات بن شبيْر بن بشير بن أبي نُمَيّ؛ وبقية[٢] النسب منه إلى أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ ابن أبي طالب – عليه سلام ربّ العالمين[٣] – أشهر من الشمس في رابعة النهار، وأضوأ من القمر ليلة الإبدار. وبشيرٌ هو[٤] شقيق حسَن بن أبي نُمَيّ جدّ مُلوك مكة في زماننا[٥] ذوي زيد؛ وأمُّهما الشريفة فاطمة بنت بساط، كما أفاد ذلك القاضي أحمد بن المقبول الأسدي[٦] المُكنّى بأبي الفضائل في تاريخه الموسوم بـ(الجواهر الحسان في أخبار أبي عريش وجازان)[٧]

* * *

[سببُ خروج الشريف خيرات من مكة]

وأما سببُ خروجه من مكة المشرّفة فأخبرني من وثقت بخبره أنه لمّا رأى انطماسَ المذهب الزيدي – شرفه الله تعالى – بمكّة – عمرها الله تعالى – وعدولَ كثير من أشرافها عنه لا لترجيح علمي؛ بل لغرض في الأغلب دنيوي؛ أنفَ من مساكنتهم على ذلك، فخرج إلى اليمن. وقيل: إنّ السّبب غير ذلك[٨]؛ والله سبُحانه أعلم بما ظهر[٩] وبطن:

١. في س: «وهو» خطأ.

٢. في س: «وبقيت» وسوف لانعود إلى الإشارة إلى ما يرد من مثلها فيما يأتي، فهو كثير.

٣. في س: «عليه السلام» وليس فيها: «رب العالمين».

٤. في س: «فهو».

٥. في س: «زمن ذوي».

٦. القاضي أحمد بن المقبول الأسدي (انظر، أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي: ص: ٢١٠) وكحالة، معجم المؤلفين: ٢/ ١٨٢، الحبشي، مصادر: ٤٢٩)
كان القاضي أحمد الأسدي توسط بين أفراد عائلة الأشراف الخواجيين سنة: ١٠٠٠ هـ = ١٥٩١ – ١٥٩٢م (انظر العقيلي، تاريخ: ١ (٢)/ ٣٣٤).

٧. يشتمل هذا التاريخ على الفترة ما بين: ٩٠١ هـ = ١٤٩٥م و ٩٦٠ هـ = ١٥٥٢ – ١٥٥٣ م (انظر العقيلي، تاريخ: ١ (٢) ٣٢٦ – ٣٢٧، أيمن فؤاد، مصادر: ٢١٠).

٨. عن أسباب خروج الشريف خيرات من مكة انظر: (العقيلي، تاريخ: ١(٢): ٤٢٠ – ٤٢١).

٩. في س: «ظهر وما بطن».

/وغايةُ الأمرِ فالأقدارُ سابقةٌ ... وما قضاهُ إلهُ العرشِ مَحتومُ [١١ ب]
فسلِّمِ الأمرَ تسلَمْ كلُّ غائلةٍ ... فشأنُ أهلِ الصفا صفوٌ وتسليمُ

ولله من قال :

أيُّها العبدُ كُنْ لِمَا لستَ ترجو ... مِنْ نَجاحٍ أرجَى لِمَا أنت راجي
إنَّ موسى مَضَى ليقبِسَ ناراً ... من ضياءٍ رآهُ والليلُ داجي
فأتَى أهلَهُ وقد كلَّمَ اللـ ... ـهَ وناجاهُ وهو خيرُ مُناجي

* * *

[استقرار الشَّريف خيرات بأبي عريش]

وكان وصول[٢] الشريف المذكور إلى اليمن في أواخر القرن الحادي عشر، في خلافة إمام ذلك الزَّمن مولانا الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله ربِّ العالمين إسماعيل[٣] ابن أمير المؤمنين رضوان الله عليه[٤] آمين . فلما بلغ مدينة أبي عريش بقَضِّهِ وقَضيضه[٥] اختار للنزول موضعاً غربيَّ المدينة المذكورة، وهو محلُّ دِيرتهم الآن المشيدة البُيان ؛ وترك أثقالَه وعائلته هنالك . ثم ارتحل إلى الإمام[٦] إلى قرار أوطانه والممالك ؛ فتلقَّاه بالقبول، وأجرى/ عليه من إحسانه ما يفوق به على نُظَرائه ويطول . وقرَّرَ له [١١٢] مِنْ بَنْدَرِ جازانَ ما يَقومُ بأوده، فطاب له النُّزول والحلول .

وكان لهذا الشريف — رحمه الله — علاقةٌ بفنِّ الأدب، و (مُشارقةٌ في غيره

---

١ . في س : « فالأسباب ».

٢ . بإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص عنوان هامشي نصه : « معرفة وصول الشريف خيرات إلى المخلاف السليماني في زمن الإمام المتوكل إسماعيل عليه السلام ».

٣ . في س : « إسماعيل بن القاسم أمير المؤمنين ».

٤ . في س : «عليهم أجمعين آمين » ع . ودولة المتوكل إسماعيل بن القاسم من سنة : ١٦٤٤ إلى سنة : ١٦٧٦م.

٥ . في س : « وقضضه ». مصحفة .

٦ . بعد كلمة : « الإمام » في الأصل ص نكتة صغيرة تشبه : (عه)، ولعل الناسخ يريد بها : « عليه السلام ».

تُميِّزُه على كثير من أهل الرُّتَب) [١] ؛ واستُفاد به بعض فقهاء المدينة العريشية في فنّ العربيّة. ولم يزل مُعاهداً للإمام، جار [يا] [٢] على قواعد الإعزاز والإكرام حتّى انتقل إلى جوار الملك العلاّم، ودفن بمقبرة الأشراف المنسوبة إليه ؛ وعنده قبور جماعة من أولاده وأحفاده، رحمة الله عليهم وعليه.

وأعقب ثلاثة من الأولاد الذكور، وهم : الحَسَنُ بن خَيرات، ومُظَفَّرٌ [٣] ومحمد والد (الشريف أحمد بن محمد، وهو أول) [٤] من ولي الجهة من هؤلاء الأشراف، كما

[١٢ ب] سنبين / ذلك إن – شاء الله – في غضون هذه الوقائع الطِّراف.

فالوالدان المذكوران [٥] انقطع عقبهما، وبقي النّسل جميعه من محمد بن خيرات، وأولاده وغيرُ الشّريف أحمد أربعة، وهم :

الحُسَيْنُ بن محمد، ومبارك، وحواذانُ، وعليٌ.

ولكلٍّ منهم عقب مشهورٌ، وسيأتي ذكر من دعت الحاجة إلى ذكره إن شاء الله في هذا المَسْطور.

* * *

[الشّريفُ أحمد بن محمد عاملُ المخلاف السليماني]

إذا عرفت أيها الناظر هذا فقد أفدناك أنَّ أول من ملك هذا المخلاف السليماني من أهل هذا البيت هو الشريف أحمد بن محمد – رحمة الله عليه [٦] – ؛ وهذا أوان الشروع في المقصود بإعانة الله وتوفيقه فأقول :

إن ابتداء دولته في السنة الحادية والأربعين بعد المائة والألف [٧] ؛ وولايتُهُ مقارنة لدعوة المَوْلى أمير المؤمنين المنصور بالله ربِّ العالمين الحُسَيْن بن المتوكل على الله القاسم

١ . العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « مشاركة في العلم يميزه على غيره من أولي الرتب ».
٢ . أضفنا « يا » تصحيحاً من سهو، والكلمة كلها ليست في س.
٣ . في س : « ومظفر بن خيرات ».
٤ . العبارة التي بين القوسين جاءت في س : « الشريف أحمد وهو أول ».
٥ . في س : « المذكوران أولا ».
٦ . في س : « رحمه الله تعالى ».
٧ . الموافقة سنة ١٧٢٨ – ١٧٢٩ م.

/ ابن الحُسَيْن بن [١] المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الإمام أمير المؤمنين المنصور [١١٣أ]
بالله القاسم بن محمد [٢]، سلام الله عليهم ورضوانه.

وكانت ولاية الشَّريف بسعاية من الأمير الشَّهير عبده جوهر [٣]، وهو العامل يومئذٍ ببندر اللُّحية [٤] من جهة الخليفة المذكور، وإليه جهات الزَّيديّة ومُور. ولعل أمر النظر فيمن يصلح لعمالة المخلاف السُّليماني كان منوطاً به.

* * *

[الوضع في المخلاف السليماني قبل ولاية الشريف أحمد]

والسَّبب في تولية هذا الشَّريف أنه كان أمر هذا المخلاف من حدود وادي بَيْش إلى مدينة حَرَض، غير موجه إلى عامل واحد، بل كان في أيدي عمال مختلفي المقاصد؛ وكثيراً ما يحصل بينهم [٥] الشِّقاق والخلاف، كما هو شأن الخلطاء ومن في حكمهم من الاختلاف. وكانت مدينة أبي عريش وما في حيزها [٦] من وادي جازان وبندره إلى حدود حَرَض تتعاورها أيدي العمال؛ فتارة تكون بيد [٧] السَّادة القَطَبَة [٨]، وتارة يليها السادة آل المرتضى. وربما/ توجه إليها عامل من بيت الإمام نادراً؛ وحيناً [١٣ب]
يتولاها بعض عبيد الإمام. فلا يستقرُّ بها عاملٌ، ولا يأمن غالباً من الغوائل.

وأما وادي ضَمَد فكان إلى مدينة صبْيا مع جهاتها الشَّاميَّة من القرى البَيْشية،

١. «بن»: ليست في س.

٢. كانت دولة الإمام المنصور الحسين من سنة: ١٧٢٧ إلى سنة: ١٧٤٨ م.

٣. عن هذا العامل: انظر: العقيلي، تاريخ: ١ (٢)/ ٤٢٢.

٤. كانت اللحية من أهم الموانئ اليمنية في هذا العصر، وكان أكثر البن المرسل إلى جدة يصدر عن طريق اللحية (انظر:
(Niebuhr, *Travels Through Arabia and other Countries in the East*, 1, p. 252 - 262

٥. في س: «بينهما».

٦. في س: «حيزها».

٧. في س: «يكون بأيدي».

٨. عن الأمراء آل القطبي، انظر العقيلي، تاريخ: (١)، ٢٧٣ - ٢٨٨، وتاريخ: ١ (٢)/ ٢٨٩ - ٢٩١، كان لهم معقل في المعنق في بلاد بني الحارث. (انظر: البهكلي: العقد: ٩٩).

فهي لا يزال عاملها من الأشراف الخواجيين[١] ؛ ولا يكون العامل إلاّ منهم، وإن وقع النزاع في ذات بينهم. واستمر الحال على هذا من بعد خروج الشّريف أحمد بن غالب كما قدمنا تاريخَ خروجه إلى هذا الأوان ؛ حتى إنها قويت شوكة الأعراب، (واتّسع بكثير من الجهات الخراب)[٢]، وربما أشرف بعضها على الاندراس والذهاب.

فروى[٣] لي الثقة أنه وقع من بعض التجار المتَسبِّبِينَ بندر[٤] جازان، ومعهم غيرهم من الأعيان، طلبُ الرَّفع إلى حضرة الأمير عبده جوهر السابق ذكره ؛ وعولّوا في ذلك على السيد العلاّمة عالي الهمة، ومرجع أهل المخلاف في عصره عند كل مهمة، نور الإسلام عليُّ بن شُبير بن عليٍّ النُّعمي[٥] / – رحمه الله – أن يعاونهم في إقامة الشّريف، لما عرفوه فيه من الرياسة والحزم والعزم وحسن السِّياسة، ورجوا إصلاح أحوالهم على يديه، وعولّوا في هذا – بعد الله سبحانه – عليه. ففعل السيِّد ذلك وساعده الأمير، وأسعدت على ذلك المقادير. فبرز له من[٦] حضرة الخليفة المنصور خطٌّ يتضمن العمالة من غير نكير[٧]. كما سيأتي تفصيل ذلك – إن شاء الله – بعون اللطيف الخبير. [١١٤]

* * *

‹ترجمة السيد الشريف علي بن شُبير النعمي رحمه الله›

وهذا السيِّدُ – رحمه الله – كان هو العينَ الناظرة في زمانه، والمجلّي[٨] في حلبة

---

١. عن الخواجيين، انظر العقيلي، تاريخ : ١(٢)/ ٣١٨ – ٣٣٥.
كان الأمراء الخواجيون يحكمون صبيا منذ منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر للميلاد إلى وصول آل خيرات.

٢. جاءت هذه العبارة في س : «واتسع الخراب بكثير من تلك الجهات».

٣. في هامش الأصل ص تنبيه بخط مختلف دقيق نصه : «قيام الأشراف . . . في سعي العلامة علي بن شبير النعمي».

٤. في س : «بندر» بإسقاط باء الجر.

٥. من العشائر المشهورة في المخلاف السليماني ؛ عن النعامية انظر : عبد الرحمن بن أحمد البهكلي : (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، ص : ٨٢ – ٨٣).

٦. في س : «في».

٧. في س : «تنكير» مصحفة.

٨. في س : «المحلي في حلية» تصحيف واضح.

سباق أقرانه. وقد حوى جلالَ الكمال، وفاق في حُسْنِ الرّأي أثباتَ الرّجال. أخذ من العلم بنصيب وافر، ومن الزُّهد والورع بسهم قامر. وبالجملة فهو – كما قيل –:

جَلّ عَنْ مَذْهَبِ المَدِيحِ فَقَدْ كا ... دَ يكُونُ[١] المَدِيحُ فيهِ هِجَاءَ

وبعد فصل عمل الشّريف أحمد، وتوجيه هذه الجهات إليه، انتقل السيّدُ المذكور إلى جوار الله؛ رحمة الله ورضوانه عليه:

سَلّمْ إلى اللّه فَكُلُّ[٢] الّذي ... سَاءَكَ أو سَرّكَ مِنْ عِنْدِهِ

هَلْ هُوَ إلا طَالِعٌ لِلْهُدَى ... سَارَ مِنَ الشّرْبِ إلى سَعْدِهِ

/ وكانت وفاتُه في شهر محرم الحرام غُرّةَ السنة الحادية والأربعين[٣]، أعلى الله روحه[٤] في عليين. [١٤ ب]

* * *

‹ وصول الشريف أحمد بن محمد لعمالة المخلاف السليماني، وصباح مدينة صَبيا›

وفيها، في شهر صفَر[٥]: وصل الشريف أحمد إلى الجهات العريشية، والأقطار الصَّبْيَائية بما معه من الولاية المنصورية. فتلقاه الناس بالطاعة والانقياد، وأمضى فيهم وعليهم كلُّ ما قصده وأراد ما عدا أهل صبّيا فإنهم أبوا ذلك، وما علمتُ مُقتضى ما هنالك. وكان العامل بها يومئذ الشريف حسين بن محسن الخواجي؛ فقصد الشريف إلى أطراف صَبّيا، ومعه محطة[٦] من أهل الشّحْر[٧] وحضرموت، استصحبهم من بندر

---

١. في س: «كاد أن يكون» تحريف، ولا يقوم به الوزن.

٢. في س: «فهو» تصحيف.

٣. في الأصل ص: «وأربعين» والتصحيح من س. ع وهو يوافق: أغسطس سنة: ١٧٢٨م.

٤. في س: «درجته».

٥. الموافق سبتمبر سنة: ١٧٢٨م.

٦. المحطة: جماعة من المسلحين عليهم قائد أو أمير، مع ما يلزمهم من الدواب والتجهيزات القتالية من خيام ونحوها، وليس شرطاً أن يكونوا من قبيلة واحدة. (أفادناه الشاعر العلامة المطهر الإرياني).

٧. الشحر: ميناء على ساحل حضرموت.

وجاء في الموسوعة اليمنية: ٢/ ٥٤٨: «الشحر: بكسر الشين وسكون الحاء المهملة ثم راء مهملة: اسم صقع ومدينة على ساحل اليمن الجنوبي... وهو بين عدن وعمان».

اللُّحيَّة. وجمع معهم نصيباً من أهل أبي عريش، وبعضَ البدو من سفْيان[١] وغيرهم[٢]. فخرج عليهم الشريف حسُين بأهل صَبْيا، ومن أطاعه من أهل المخلاف. فالتقى الجمعان بأطراف المدينة، ووقع بينهم حربٌ؛ كانت الدائرة على الشريف حسين وأصحابه، فأُجلوا عن أوطانهم، وقُتل منهم جماعة. ودخل الشريف أحمدُ المدينة بجنده، (فنهب حيَّها بنهب عظيم)[٣]؛ ثم نشر بعد ذلك ثوب التأمين على التَّعميم وأقام بها أياماً، ثم توجه إلى أبي عريش، فاستمر بالجهة أقل من سنة.

* * *

[انفصال الشريف أحمد بن محمد والأمير عبده جوهر]

[١١٥] / وفيها أو[٤] في أوائل السنة الثانية[٥]: توجه الشريف إلى حضرة الأمير عبده جوهر ببندر اللُّحيَّة، ثم منها إلى حضرة الإمام لسبب[٦] طلاب وَصَلَه منه. ويلوح لي عن خبر بعض المخبرين (أنه وردت به[٧] شكايات) من أهل صَبْيا وغيرهم. وطلب الإمامُ معه الأمير عبده جوهر، فانفصلا معاً. وأقام الشريف[٨] هنالك مدة.

* * *

---

١. سفيان: قبيلة مستقرة في الجبال شرق مدينة أبي عريش.
٢. «وغيرهم»: ليست في س.
٣. جاءت هذه العبارة في س: «فنهب منها نهباً عظيماً».
٤. «أو»: ليست في س.
٥. الأصح في أوائل السنة الثانية والأربعين، الموافق يوليو-أغسطس سنة: ١٧٢٩م.
٦. في س: «بسبب».
٧. جاءت هذه العبارة في س: «أنه بسبب شكايات».
٨. في س: «الشريف أحمد هنالك» زيادة.

السنة الثانية والأربعون[1]

‹ولاية السيد محمد الشريف المرتضى جهات أبي عريش›

فيها : توجهت الجهة العريشية إلى السيد محمد بن القاسم المرتضى . فلما وصل إليها حصل بالمخلاف السُّليماني عَوْث من البَدْوان على يد رجل من آل حبيب يُسَمَّى المخْلَدي ومن الناس من يسميه : ابنَ مُسْلِية ؛ نسبة إلى أمه على عرف أهل البادية . ومُسْلِية : على وزن (مُحسنَة) من السُّوان . فلم يبق قرية من قرى المخلاف إلا صبَّحتْ أو خلت من[2] أهلها . وعامل صبيا يومئذ الشريف أحمد بن المهدي الخَواجي . فانقطعت الطرقات ، وقُتل الضُّعفاء والمساكين من المسافرين والقاطنين . فلم يقرَّ لأهل المخلاف قرار ولا اطمأنت بهم دار ، وأجلوا عن أوطانهم ، فلم يبقَ بها أنيس/ ، إلا اليعافير [١٥ ب] وإلا العيس :

أمْسَتْ خَلاءً وأمسى أهلُها احْتَمَلُوا ... أخْنَى[3] عَلَيْها الذي أخنَى عَلَى لُبَدِ

* * *

‹قتل المَخلَدي ببندر جازان›

حتّى تمادى العَوْثُ والشَّقُّ ، واتسع على الراقع الخَرْق ، وأدى الحال إلى أن ألَّب ذلك البدوي طائفة من البدوان ، وقصد بهم إلى بندر جازان ، وكان العامل به السيِّد الماجد الحُسَيْن بن القاسم من جهة أخيه السيد محمد بن القاسم . فبرز إليه السيد المذكور في جماعة حقيرة من العسكر لا يؤمل بهم حصول الظفر . وكان البدوي راكباً على جواد ، فاعترك هو والسيد ، ثم أولاه الله - سبحانه - الظفر ؛ فظفر بالبدوي وقتله ، ولا علم لي أكان هو المستبدَّ بقتله أم شاركه بعض أصحابه كما قيل ؟ فحصل بقتله للمسلمين الفرج بعد الشِّدَّة ، وكفاهم الله شرَّه وما أعده . وكان مصداق قول أصدق

---

١ . في ٢٧ يوليو سنة : ١٧٢٩م - ١٦ يوليو سنة : ١٧٣٠م .

٢ . في س : «عن» .

٣ . في س : «أجى عليها الذي أجى» مصحفة .

القائلين : ﴿ كَم من فئة قليلة غلبتْ فئةً كثيرةً بإذن الله واللهُ مع الصابرين [١] ﴾. فأضحت[٢] أشلاؤه طعمةً للنُّسور ؛ وأُبين رأسه فأوصل إلى أبي عريش المعمور. وخبت نار تلك الفتنة التي قصمت الظهور، ولله عاقبة الأمور :

[١١٦] / في فَسَاد الأمُور لِلَّه سِرٌّ والقِياس في غَاية الإتضَاح[٣]
فيَظنُّ الجهولُ قد فَسَدَ الأمْـ ـرُ وذَاكَ الفَسادُ عَينُ الصَّلاح

وكان هذا البدوي قد أظهر كثيراً من الفساد، وعجز عن مناوأته كثير من الأفراد والأعداد، والأمراء أهل الاستعداد ؛ حتّى أراد اللَّه – سبحانه – منه الانتقام، في موضع لا يخطر بباله أن يشرب به كأس الحِمام ؛ فصادفته المنية، حيث الأمْنيّة. وهكذا البغي يصرع الجليد، ويذيب الحديد :

مَا طَار طَيرٌ فَارْتَفَعْ إلا كَمَا طَارَ وَقَعْ

***

[موافقة الإمام على عودة الشريف أحمد إلى أبي عريش]

وفيها : ضَجّت النّاس إلى الخليفة، ومدُّوا إليه أكفّ شكواهم الضعيفة ؛ وعوّلوا على من بالمخلاف، من أعيان العلماء وكبراء الأشراف، أن يستمدوا من الإمام – أيده الله – إرجاع الشّريف أحمد ؛ وعلمُوا أنه لا يضبط البلاد ويقمع أهل الفساد إلا سيفُ سطوته المجرَّد. فأنعم الخليفة بذلك، وكان العودُ له وللمسلمين أحمدَ.

***

---

١. الآية : ٢٤٩ من سورة البقرة.

٢. في س : « فأصبحت » مصحفة.

٣. جاء الشطر الثاني في س محرفاً أفسد معناه، على النحو التالي :
« وألف باس في غايت الإيضاح » ع.

السنة الثالثة والأربعون[١]

[عودة الشريف أحمد إلى أبي عريش]

فيها : وصل الشريف [أحمد][٢] من صنعاء، وأحسن إلى جميع أهل ولايته صنْعاً. فتفرق شملُ الأعادي بوصوله، وضُربت البشائر لقدومه ونزوله/ ، وشمل [١٦ ب] الأمان القاصي والداني ؛ فاستمر مُستعملاً للتيقظ[٣] والحزم، والإنصاف والعزم. وحُمِدَت سيرته، وشُكرت أفعاله لـمّا طابت سريرته.

***

‹ ترجمة السيد الحسن بن عزّ الدين الحازمي رحمه الله›

وفيها : تُوُفي[٤] الوالد السيِّد الفاضل، حسن الأخلاق والشمائل، شرف الدين الحُسَيْن[٥] بن عزّ الدّين الحازمي[٦] — رحمه الله — بوطنه هجْرة ضَمَد.

كان — رحمه الله — ممّنْ يصطنع[٧] المعروف، ويُغيث الملهوف. له[٨] المقاصد الحسنة والسِّمات المسْتَحْسَنة، بحيث يُقالُ : إنه كان عزيزَ النَّظير في زمنه وجهته[٩]، أعاد الله من بركاته :

وإنمـا المَـرْءُ حَـديـثٌ بَـعْـدَهُ فكنْ حديثاً حَسَناً لِمَنْ رَوَى

***

١. الموافقة : ١٧ يوليو سنة : ١٧٣٠ - ٥ يوليو سنة : ١٧٣١م.

٢. « أحمد » : ليست في ص استدركناها من س.

وبإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص عنوان هامشي صحف ببعضه القص فلم نستبنه، ونص ما بقي منه : « وصول الشريف. . . لولاية المخلاف. . . ».

٣. جاءت في الأصل ص و س معاً : « للتيقض » وكثيراً ما ترسم الظاء هكذا عند أهل اليمن.

٤. بإزاء خبر الوفاة ونص الترجمة في هامش ص عنوان هامشي نصه : « وفاة العلامة الحسين بن عز الدين الحازمي بهجرة ضمد، رحمه الله تعالى ».

٥. في س : « الحسن » مصحفة.

٦. الحوازمة : من السادة المستقرين في قرية صلهبة (انظر : العقيلي : تاريخ : ١ (٢)/ ٣٢٧)

٧. في س : « يصنع ».

٨. في س : « وله » لا معنى لزيادة الواو.

٩. « وجهته » : ليست في س.

السنّة الخامسة والأربعون[1]

[سفر الشريف أحمد بن محمد إلى صنعاء]

فيها : توجّه الشّريف إلى الحضرة الإمامية لموجب طلاب أيضاً، واستخلف ولده الشّريف محمّد بن أحمد ؛ فأقام هنالك مدّة[2]، ثم أذن له في النّزول[3] ؛ فنزل مُستمراً على عمالته.

***

١. الموافقة : ١٤ يوليو سنة ١٧٣٢ - ١٣ يوليو سنة : ١٧٣٣م

٢. في س : « أياماً».

٣. في س : « بالنزول».

السَّنة السَّادسةُ والأربعون[١]

‹غزوةُ جُبيْرَةَ›

فيها : غزا الشّريف قوماً من البدو[٢] بمحل يُسمَّى : جُبيرة[٣] – بجيم مضمومة، فباء[٤] موحّدة من أسفل مفتوحة، ثم مثنّاة من أسفل ساكنة، فراء[٥] مهملة بصيغة التصغير – وهي من بلاد آل عبَس[٦] ؛ فحصل بينه وبينهم حرب[٧] / وقُتِل من جند [١١٧] الشريف جمعٌ عديد، ولم يقف منهم على طائل.

* * *

١. الموافقة : ١٤ يوليو سنة : ١٧٣٣ إلى : ٢ يونيو سنة : ١٧٣٤م
٢. بإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص عنوان هامشي نصه : « غزوة البدو أهل الكبر والزهو ».
٣. جبيرة : قرية مجاورة لجبل هروب (انظر : العقيلي : معجم : ٦٨)
٤. في س : « وياء ».
٥. في س : « براء ».
٦. آل عبس : قبيلة مستقرة في جبال هروب (انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 484)
٧. في س : « حرب شديدة » زيادة.

[من السنة : ١١٤٧ حتى سنة : ١١٥٤]

[تردّد الشريف في أطراف بلاده]

ومن هذه السنّة فما بعد لم يبلغني شيء من الحوادث المقتضية للرقْم، سوى أنه كان جار [يا] [١] في أغلب أحواله على السّداد، والمسايرة الحسنة لكافة العباد ؛ فيلين في مواضع اللّين، ويخشن في مواضع التخشين. فأمنَتْ بولايته الناس، وذهب عنهم السُّوءُ والباس. وما زالوا متفيِّئين لظلِّ أمانه، كارعين من أنهار جوده وإحسانه. ناهياً آمراً تطيعه الأقدار، وتتباهى بدولته الشهور والأعصار. يترددُ في أطراف بلاده، ويحميها بأطراف أسنّته وحداده.

* * *

‹وفاة الشريف أحمد بن محمد، رحمه الله›

حتّى اقتطفته [٢] يدُ المنون، وثوى بجوار الحيّ القيُّوم. فأصاب الناس لموته حزنٌ عظيم، ومصابٌ جسيم، ووقعوا [٣] في المقعد المقيم :

كأن لم يمُتْ حيٌّ سواهُ ولم تقُم ... على أحدٍ إلا عليه النوائحُ

وكانت وفاته يوم الأربعاء الرابع من شهر ذي القعدة الحرام عام أربعة وخمسين ومائة وألف [٤] بمحلٍّ من بلد ولايته يُسَمَّى : الحَقْلة — بحاء مُهملة مفتوحة، فقاف [٥] ساكنة — من بلاد الواعظات [٦] / ونُقل منها ميتاً إلى حَرَض فدفُن بها، وبني عليه بها [١٧ ب]

---

١. جاءت في الأصل ص وفي س : «جار» على الرفع فصححناها.

٢. في س : «أقطفته» مصحفة.

٣. في س : «ووقعوا منه في المقعد» زيادة.

٤. الموافق : ١١ يناير سنة : ١٧٤٢م.

٥. في س : «بقاف» تصحيف.

٦. الحقلة : قرية جنوب شرق أبي عريش في وادي تعشّر.
والواعظات : من قبائل تهامة مضاربها في شمال شرق مدينة حرض.
(انظر : Chelhod, *L'Arabie du sud, histoire et civilisation* 3, p. 60)

قبةٌ عظيمةٌ[١] مشهورة مزُورَة.

فمدةُ ولايته أربعة[٢] عشر سنةً من غير ازدياد ؛ وكلُّها مواسم وأعياد. كان — رحمه الله — شجاعاً جواداً، ممدَّحاً مقصوداً من الجهات الشاسعة، يفيد قُصاده العطايا الواسعة.

* * *

[تولية الشريف محمد لمقام أبيه]

وأعقب جماعةً من الأولاد، أحقُّهم وأولاهم بالتقديم ابنه الأكبرُ، القائمُ بعده في مقامه الأطهر، الشريف الهُمام، والليثُ القمقام، القُضا قض[٣] الهصور، محمد ابن أحمد المذكور.

فتحمَّل الأعباء، وتصدَّر للأنباء ؛ ورفع بوفاة أبيه إلى حضرة الخليفة، فعادت عليه الجوابات الشَّريفة القاضية بإقامته في مُقامه، وتوليته لما كان يتولاّه والده في نقضه وإبرامه. فضبط البلاد، وقرر أحوال الأجناد، ونظم أمر الرَّعايا. فاطمأنت عند ذلك أنفس[٤] العباد، وأنشد لسان الحال قول من قال :

إذا سَيِّدٌ مِنّا خَلا قامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

* * *

[عمُّ الشريف محمد الشريف حَوْذَان ينازعه]

وقد كان همَّ بمُنازعته عمُّه الشريف[٥] حَوْذان[٦]، لكنه لم يتمكن من شيء لما رأى

---

١. يذكر الرحالة نيبور هذه القبة، انظر :

Niebuhr, *Description de l'Arabie d'après les observations et recherches faites dans le pays même*, 2, p. 109.

٢. كذا في النسختين، صوابها : « أربع عشرة » وهو سهو يقع كثيراً في النسختين.

٣. في س : « القصاوص » تصحيف.

٤. في س : « نفوس ».

٥. « الشريف » : ليست في س.

٦. في س : « حوذان بن محمد » زيادة.

وطلب الشريف حوذان العمالة لنفسه بصفته الأكبر من إخوة المتوفى، (انظر : العقيلي، تاريخ : ١(٢) : ٤٢٥).

[١١٨] من انقياد العامّة والخاصّة له طوعاً وقسراً[١] / ، وامتثالهم[٢] لأوامره ونواهيه سراً وجهرا. ولمّا وصل تأييد الخليفة له بتلك النِّيابة أعرض عن المعارضة في ذلك، وسلك سبيل الإنابة، ولله من قال :

بَلاءُ النّاسِ مُذْ كانوا إلى أنْ تَقُمْ[٣] السّاعَهْ
طِلابُ الأمرِ والنَّهْيِ وحُبُّ السَّمعِ والطّاعَهْ

***

١. في س : « وقصداً » مصحفة.
٢. في س : « وامتثالاً ».
٣. كذا جاءت في النسختين، ولعله جزم ضرورة.

السنّة الخامسة والخمسون [1]

[استقرار الشريف محمد في أبي عريش]

في المحرَّم منها، أو في آخر ذي الحجّة من السنّة الأولى [2] : وصلَ الشّريف إلى أبي عريش، فقصده أعيانُ المخلاف للعزَاء. وافتقد الخزائن والآلات ؛ وأجرى لأهل الحقُوقِ ما تعوَّدوه من العادات.

* * *

‹ خروجُ الشريف حَوْذان إلى اليمن ›

ولَمْ يزلْ يحصل بينه وبين عمه الشريف حوذان المُنافسة والمناقشة بسبب المقررات، حتى أدى الحال إلى خروج الشريف حوْذان وارتحاله عن الأوطان. فتوجه إلى مدينة بيت الفقيه ابن عُجَيل [3]، وبها إذ ذاك الأمير ألماس عبد الرحمن [4] عاملاً من جهة خليفة الزّمان، مُوجهاً إليه كافّةُ البنادر [5] الإمامية، والمدائن اليمنية التّهامية، من بندر المُخا [6] إلى حدود وادي [7] مَوْر. وشأنه فيها مذكور مشهور.

وكان هذا الأمير من أهل الكرم والسماحة، والتدبير والرجاحة ؛ واصطناع المعروف الكثير إلى النّاس على طبقاتهم / ، لا سيما لأهل [8] البيت النبوي، فإنه كان يعتني بهم غاية الاعتناء، رعاية لحق جدهم المصطفى. حتى طار ذكره كل مطار، [١٨ ب]

١ . الموافقة : ٨ مارس سنة : ١٧٤٢-٢٤ فبراير سنة : ١٧٤٣م.

٢ . يناير - فبراير سنة : ١٧٤٢م

٣ . بيت الفقيه : مدينة في تهامة قرب الحُدَيْدة، كانت أهم مركز في تجارة البن.

٤ . اللقب (ألماس) يدل على أن هذا العامل كان من عبيد الإمام، وكان أئمة اليمن يستخدمون العبيد عمالاً في إدارة بلادهم. (انظر : Niebuhr, *Description*, 2, p. 34)

٥ . البنادر : مفردها : بندر، وهي كلمة فارسية الأصل معناها : الميناء.

٦ . المخا : ميناء يمني في جنوب تهامة، قرب باب المندب.

٧ . « وادي » : ليست في س.
ومور : مدينة صغيرة على وادي مور شمال الحديدة بالقرب من مدينة حرض ومدينة اللحية.

٨ . في س : « أهل ».

وامتلأ بحميد صفاته كثيرٌ من الأقطار ؛ وبلغ صيته إلى مكة المشرفة، فقصده أرباب الحاجات من هنالك لتحقيق المعرفة :

يسقطُ الطيرُ حيثُ يلتقطُ الحبْ ـــبَ ويَغْشى مَنازلَ الكُرماءِ

وكان بينه وبين الشريف حَوْذان سابقة ألفة، وقديم معرفة، فنظر إليه بعين الإنصاف والإجلال. وحرص [١] على توجيه أعمال المخلاف السُّليماني إليه بالاستقلال، ولكنه لم يتمكن من ذلك في تلك الحال. فبقي عنده أياماً، ثم توجّه إلى شريف الحضرة، ولعلّه يُحاول الوصول إلى ما يطلبه من الإمرة [٢]. ولما لم يقف [٣] على طائل عاد إلى حضرة الأمير فتوسط بالصلح بينه وبين ابن أخيه ؛ والتزم له بأن [٤] يُعيد عليه جميع ما يتعوّدُهُ من المقرّرات ويُجريه. فعاد إلى وطنه بأبي عريش.

* * *

‹ سيدي الوالد العلامة الحسن بن علي البهكلي [٥] ›

وفيها، في اليوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام : كان انتقال الوالد المبرور المرحوم المنتقل إلى جوار الحيّ القيوم، العلامة المحقق، الفهامة المدقق، عين الأعيان، وبديع الزمان ؛ بدر الإسلام، قاضي قضاة الأنام، صدر القضاة والحكام، الحَسَن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي، رحم الله مثواه، وجعل/ جنّةَ الخلد [١١٩] مأواه، ويحق لنا أن نتبرك بشيء من أخباره، ونأتي بالنزر اليسير من حميد صفاته وآثاره، فنقول :

وُلد – رحمه الله – بوطنه هجْرَة ضَمَد في عام تسع وتسعين بعد الألف [٦] ؛ وربّي في حجر والده – رحمه الله – على الطهارة والعفاف، وسلوك سبيل صالحي

---

١. في س : « حرض » بالضاد المعجمة.
٢. في س : « الأمر » تصحيف.
٣. في الأصل ص : « يعد » وهي سهو قومناه من س.
٤. في س : « بأنه ».
٥. انظر عن القاضي الحسن بن علي البهكلي والد المؤلف، الحبشي : مصادر : ٣٤٦.
٦. سنة ١٦٨٧ – ١٦٨٨م.

الأسلاف . وقرأ القرآن العظيم ؛ ثم انتقل إلى خاله ، والده وشيخه ، العلامة عليّ بن عبد الرحمن المارّ ذكره ، فقام بتربيته وتهذيبه ، وأحسن تأديبه وتخريجه ، حتى تضمخ من طيب أخلاقه بغوالي طيبه ؛ واستصحبه حضراً وسفراً . واعتنى به أشد الاعتناء ، حتى فاق أقرانه والنظراء :

ذاكَ أبـو الـرُّوحِ لا أبـوُ الـبَـدَنِ

ولما ارتحل إلى صنعاء صحبه في تلك الرّحلة [١] ؛ وأكبَّ هنالك على طلب العلم الشّريف حتى استنار سبُلَهُ [٢] . ثم أقام بعد وفاة خاله المرحوم مدة مديدة ، وظفر من فوائد العلوم [٣] بكل فريدة . وبرع في علوم العربية ، والأصول الفقهية ، والقواعد الفروعية [٤] ، على العلماء الجُلَّة [٥] والفضلاء الذين هم للمُهتدين أوضح قِبْلَة ، كالسيد الإمام هاشم بن يحيى الشامي [٦] ، والسيد العلامة النبراس ، المزري في ذكائه وفطنته بإياس ، البدر المنير ، عبد الله بن علي الوزير [٧] ؛ وغيرهما من المبرِّزين / الذين يفتخر [١٩ ب] بهم عصرهم ويزين .

ثم رحل من صنعاء إلى هجْرة كُحْلان [٨] للقراءة على السيد العلامة صلاح بن الحُسين [٩] الذي صار في عصره عظيم الشّأن منقطع الأقران ، ولا [١٠] سيّما في الفروع الفقهية ، حتى لقد رُوي أنه كان ربما يأتي على أكثر (شرح الأزهار) [١١] غيباً لكثرة تكرار

١ . في س : « الدخلة » مصحفة .

٢ . في س : « سبيله » تصحيف .

٣ . في س : « العلم » .

٤ . في س : « المفروعة » مصحفة .

٥ . في س : « الأجلاء » .

٦ . كان السيد هاشم بن يحيى الشامي يتولى القضاء ، (انظر : البدر : ٢/ ٣٢١ - ٣٢٤) .

٧ . ألف السيد عبد الله بن علي الوزير التاريخ المعروف بـ (طبق الحلوى) الذي يشتمل على الفترة ما بين : ١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٦م إلى ١٠٩٠ هـ/ ١٦٧٩م (انظر : أيمن فؤاد سيد : مصادر : ٢٦٤ - ٢٦٦ . البدر : ١/ ٣٨٨ - ٣٩٠ . فهرس المكتبة الغربية : ٦٠٨) ؛ حققه ونشره محمد عبد الرحيم جازم تحت عنوان (تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر) دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٥ .

٨ . هجرة كحلان : قرية بالقرب من عمران ، شمال غرب صنعاء .

٩ . كان السيد صلاح بن الحسين من حكام كحلان (انظر : نشر العرف : ٧٩٧)

١٠ . واو العطف : ساقطة في س .

قراءته . ثم عاد إلى صنعاء للتضلع من العلوم ؛ وتردد منها إلى حج بيت الله الحرام أعواماً . ثم عاد إلى وطنه هجرة ضمد ، فتزوج بها وأولد ؛ ثم تولى قضاء بندر جازان في خلافة الإمام الصوّام القوّام ، أمير المؤمنين ، المنصور بالله رب العالمين الحُسين بن القاسم بن المؤيد بالله المعروف بصاحب شهارة . فأقام [١] بالبندر المذكور محمود السيرة ، مشكور الطريقة المبرورة . ثم انتقل إلى أبي عريش لتولي عُهدة القضاء [٢] بها في خلافة الإمام [٣] المتوكل على الله القاسم بن الحُسين . وكان العين الناظرة بالمخلاف السليماني بحيث إنه جعله مهيمناً على العمالة [٤] ، ناظراً فيما يصلح أحوال الناس [٥] على كل حال . فلا يقع – في الغالب – إيراد ولا إصدار ، ولا عزل ولا استمرار / إلا وهو المشارف على ذلك بلا إنكار . واستمرّ كذلك [٦] في خلافة ولده الإمام المنصور بالله [الحُسين بن القاسم [٧]] . ولم يزل قائما بشرائف الوظائف والمعالم ، متّصفاً [٨] بأحسن الخلائق ، حتى انتقل إلى دار رضوان الخالق ، بالتاريخ السابق . ودفن بأبي عريش ، وقبره مشهورٌ مَزُور ، يلوح عليه البهاء والنور . ورثاه حيّ القاضي العلامة ، عين الأعيان ، المُزري ببديع همذان [٩] ، عزّ الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله مَشْحَم [١٠] الصعدي – رحمه [١٢٠]

١١ . شرح الأزهار : من مؤلفات عبد الله بن مفتاح ، في الفقه (انظر : فهرس المكتبة الغربية : ٢٦١) .

١ . كان الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم من منافسي الإمام المهدي محمد ، فاستقر بشهارة ، ومن مؤيديه أمير أبي عريش عز الدين القطبي (انظر : الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن : ١٧٧ – ١٧٩)

٢ . في س : « عهدة الأقضية » .

٣ . « الإمام » : ليست في س .

٤ . في س : « العمال » تصحيف .

٥ . في س : « أحوال المسلمين » .

٦ . في س : « ذلك » بلا حَرف الجر الكاف .

٧ . ما بين الحاصرتين المعقوفتين ليس في الأصل ص استدركناه من س .

٨ . في س : « مضيفا » تصحيف .

٩ . هو بديع الزمان الهمذاني ، أحمد بن الحسين بن يحيى ، صاحب المقامات ، أحد أئمة الكتاب ، وله شعر . ولد في همذان سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٩م وتوفي سنة : ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨م (يتيمة الدهر : ٤/ ١٦٧ ، ومعجم الأدباء : ١/ ٩٤) .

١٠ . محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله مشحم الصعدي ، من أهم مؤيدي الإمام المنافس للمنصور الحسين المستقر بشهارة . له مؤلفات عديدة في الفقه ، وله شعر . (انظر : أيمن فؤاد سيد : مصادر : ٢٧٥ ، فهرس المكتبة الغربية ، البدر الطالع : ٢/ ١٠٢ – ١٠٣ . نشر العرف : ٢/ ٤٦٣ – ٤٨١) .

الله – بأبيات رُسمت على ضريحه ضمّنها تاريخ وفاته وانتقال روحه ؛ مستهلُّها :

ضَريحٌ حَوَى الحَاكِمَ المُؤتَمَنْ ... وبَحْرَ المَعارِفِ في كُلِّ فَنْ
ونُقْطَةَ بيكارِ[1] أهْلِ العُلَى ... وقاضي القُضاةِ بهذا الزَّمَنْ
وزينَةَ أيَّامِنَا والَّذي ... يُباهي[2] بِهِ شامُنَا واليَمَنْ
لَقَدْ خَصَّهُ اللّهُ سُبْحانَهُ ... بِجاهٍ عظيمٍ وخُلْقٍ حَسَنْ
وعِلْمٍ إذَا ما عَنَا[3] مُشْكِلٌ ... يُوَضِّحُ[4] مِنْ سِرِّهِ ما بَطَنْ
ورأيٍ بأنْوارِهِ يُقْتَدَى ... إذا اسْتَبْهَمَتْ ظُلُماتُ الفِتَنْ

حتَّى قال :

عَلَيْهِ سَلامٌ مِنَ اللّهِ ما ... هَمَى وابِلُ الوَدْقِ يَوْماً وشَنْ
فَمَنْ رامَ تاريخَهُ فَهْوَ قَدْ[5] ... ثوَى في جِنانِ النَّعيمِ الحَسَنْ

/ والتاريخ من لفظ (قد)، وهو على حسب اصطلاح الوالد عليٍّ بن عبد [٢٠ ب] الرحمن – سقى ضريحه وابل الرحمة والرضوان – في تأريخه لدار القاضي حُسين المُهلاً.

وكان الوالد – رحمه الله تعالى – فصيحاً شاعراً، بليغاً مُفلقاً، ناظماً ناثراً ؛ شعره في الطبقة العليا، له أشعار عزيزة النظير من إخوانيات[6] ووسايل، ومراسلات بديعة الفواصل. فمن شعره – رحمه الله – يتجرم من الزمن :

خَليلَيَّ كَم أُخفي هَوىً لا أُطيقُهُ ... وأكتُمُ حَرَّ البَيْنِ بينَ ضُلُوعي
وحَسْبُكُما[7] مِمّا تُجِنُّ جَوانحي ... مِنَ الوَجْدِ أو مِمّا تُفيضُ دُمُوعي
مَبِيتي على شَوكِ القَتَادِ مُسَهَّداً ... ومَاءُ عُيُونِي مِنْ دَمٍ ونَجيعِ

---

١. في س : « تنكار » مصحفه، ولا معنى لها.
٢. في س : « تباهي » تصحيف.
٣. في الاصل : ص وفي س : « عنى »، على عادتهما في رسم الألف المقصورة أحياناً.
٤. في س : « يبين ».
٥. تحت هذه العبارة في الأصل ص حل لحساب الجُمَّل الذي تحمله العبارة وهو تاريخ الوفاة، نصه : « سنة ١١٥٥ ».
٦. في س : « أجوبات » تصحيف يفسد المعنى.
٧. في س : « وحبكما » مصحفة.

وقوله من هذا القبيل – عليه رحمة الملك الجليل – :

مَنْ جَرَّبَ الدَّهرَ الخَؤُونَ وأهْلَهُ أضحَى لِجَيْشِ الهَمِّ فيه مُطارِداً
مَنْ لي بِمَنْ تَشْكو إليْهِ جوانحي[1] لَهَباً فيرْويها نُقَاخاً[2] بارِداً
ويَرَى الخَلِيُّ بَشَاشَتِي وطَلاقَتِي فَيَظُنُّ أنّي للخُطُوبِ مُسَاعِداً[3]

وقوله مخاطباً لبعض أصدقائه معاتباً، وفيها تضمين البيت الأخير :

صدَدْتَ اعتماداً عَنْ وِصَالي تَجنُّباً عَلَيَّ ومامِثْلي بِذلكَ خَليقُ
/ ولَو تَدْرِ ما عِنْدي لِمثلك لَم تزَلْ تَسيرُ عَلَى الأحْداقِ لي وحَقِيقُ[4]
وهَذا[5]، ودَاري حَولَ دارِكَ مُلْصَقاً فكَيفَ إذا كانَ المَكَانُ سَحيقُ[4]
ولو صَدَّ عَنّي مَنْ أُرِيدُ صُدُودَهُ لقُلْتُ لِرَحْلي حِينَ مَلَّ رَفِيقُ :
« عَدَسْ ما لِعبّادٍ عَلَيْكَ إمارَةٌ نَجوتِ وهَذا تَحْمِلينَ طَلِيقُ »

[١٢١]

ولا يخفى أن « عَدَسْ » زَجْرٌ للبغل. وهذا البيت الأخير من أبيات، وله قصة[6] مشهورة.

---

١. في س : « حوائجي » تصحيف يفسد المعنى.

٢. في س : « نقاظ » ولا معنى لها.

٣. بإزاء هذا البيت في هامش الأصل ص تعليق بخط مختلف، نصه : « الذي تقتضي به القواعد النحوية، ويتمشى عليه وجه العربية رفع لفظ (مساعد) لأنه خبر (إن) التوكيدية لأنها ناصبة للاسم ورافعة للخبر اللهم إلا أن يقال على مذهب من ينصب الخبرين، وقد استدل القائلون بهذا بقول امرئ القيس :

إذا اشتد جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إنّ حراسَنا أسدا

وينبغي حمل قول القائل على ما قلناه. . . الكامل ».

٤. بإزاء هذا البيت أيضاً في هامش ص تعليق نصه : « ينظر في قوله : ولو تدر ما عندي، فقد جزم بغير جازم؛ وكذا قوله : فكيف إذا كان المكان سحيق، محل نظر، فالوجه النصب ».

٥. في س : « فهذا »، وقد جاءت (سحيق) مرفوعة في هذا البيت، انظر الحاشية السابقة.

٦. في س : « قصيدة » مصحفة.

والأبيات التي اقتبس الشاعر منها هذا البيت هي للشاعر يزيد بن مفرّغ الحميري المتوفى سنة : ٦٩هـ = ٦٨٨م حين خاطب بغلته وسماها (عدس) في حادثته مع عبّاد بن زياد، فقال :

عَدَسْ، ما لعبّاد عليك إمارة نجوت وهذا تحملين طليق
فإن تطرقي باب الأمير، فإنني لكل كريم ما جد لطروق
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ومثلي بشكر المنعمين خليق

وله — رحمهُ الله — التَّسميط البليغ على أبيات الشريف قتاده بن إدريس مَلِك مكة المشرفة، وقد استحسنت نقلهما[1] هنا لبلاغتهما :

يـقُـولـونَ فـي الـتَّـرحـال دُرٌّ كـثـيـرةٌ
ومـجـدٌ أثـيـلٌ أو خـلالٌ[2] وخـيـرةٌ
فـقُـلْـتُ لـهُـمْ والـصَّـدرُ فـيـه أزيـزةٌ

بِـلادي وإنْ جـارَتْ عَـلـيَّ عَـزيـزةٌ ولَـوْ أنَّـنـي أعْـرَى بِـهـا وأجُـوعُ

= قال صاحب لسان العرب في (عدس : ٦/ ١٣٣) : «وعباد هذا : هو عباد بن زياد بن أبي سفيان، وكان معاوية قد ولاه سجستان واستصحب يزيد بن مفرغ معه، وكره عبيد الله أخو عباد استصحابه ليزيد خوفاً من هجائه، فقال لابن مفرغ : أنا أخاف أن يشتغل عنك عباد فتهجونا، فأحب ألا تعجل على عباد حتى يكتب إلي، وكان عباد طويل اللحية عريضها، فركب يوماً وابن مفرغ في موكبه، فهبت الريح فنفشت لحيته ؛ فقال يزيد بن مفرغ :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

وهجاه بأنواع من الهجاء، فأخذه عبيد الله بن زياد فقيده، وكان يجلده كل يوم ويعذبه بأنواع العذاب، ويسقيه الدواء المسهل ويحمله على بعير، ويقرن به خنزيرة، فإذا انسهل وسال على الخنزيرة صاءت وآذته. فلما طال عليه البلاء كتب إلى معاوية أبياتاً يستعطفه بها ويذكر ما حل به، وكان عبيد الله أرسل به إلى عباد بسجستان وبالقصيدة التي هجاه بها، فبعث خمخام مولاه على الزند وقال : انطلق إلى سجستان وأطلق ابن مفرغ ولا تستأمر عباداً. فأتى إلى سجستان وسأل عن ابن مفرغ، فأخبروه بمكانه، فوجده مقيداً، فأحضر قيناً فك قيوده، وأدخله الحمام، وألبسه ثياباً فاخرة، وأركبه بغلة، فلما ركبها قال أبياتاً من جملتها :

عدس مالعباد عليك إمارة. . . .

فلما قدم على معاوية قال له : صنع بي ما لم يصنع بأحد من غير حدث أحدثته، فقال معاوية : وأي حدث أعظم من حدث أحدثته في قولك :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال : أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زياداً وصخر من سمية غير داني

فحلف ابن مفرغ له أنه لم يقله، وإنما قاله عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان، فاتخذه ذريعة إلى هجاء زياد. فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم وقطع عنه عطاءه».

١. في س : «نقله». مصحفة.

٢. في س : «جلا» تصحيف.

إذا رُمْتَ[١] إدرَاكَ السِّماكيْن نِلْتُها
أو الجَدْيِ والجَوْزاءِ يَوْماً لَطُلْتُها
وإنّ مُقَامي في العُلُوِّ بِمُنْتَهَى
ولي كفُّ ضِرْغامٍ إذا ما بسَطْتُها[٢] بِهَا أشْتَري يَوْمَ الوَغَى وأبِيعُ

[٢١ ب] / تجُودُ علَى العَافينَ حِيناً[٣] بوَفْرِها
وحِيناً عَلَى الأعْدَا تَصُولُ بِعُسْرِها[٤]
فَمِنْ خَائِفٍ مِنْهَا ورَاجٍ لِبِرِّها
مُعَوَّدَةٌ لَثْمَ المُلُوكِ لِظَهْرِها وفي بَطْنِها لِلمُجْدِبينَ[٥] رَبِيعُ
فَلَسْتُ وإنْ حَسَّنْتُمُ[٦] القَوْلَ أنْصَفي
وأنّي لِمَا قَدْ قُلتُمُ اليَوْمَ مُبْتَغي
لأنَّ[٧] سَديدَ الرأي لا يأمَنُ البَغي
أأتْرُكُها تَحْتَ الرِّهانِ[٨] وأبْتَغي خَلاصاً لَها إنّي إذاً لَرَقيعُ[٩]
لَقَدْ فَطِنَتْ نفسي الّذي في ضَميرِكُمْ
فَلَوْ صِرتُ مُنْقَاداً لِقَوْلِ مُشيرِكُمْ
لَهُنْتُ عَلَى مأمورِكُم وأميرِكُمْ
وما أنا إلا المِسْكُ في أرْضِ غيرِكُمْ أضُوعُ وأمّا عِنْدَكُم فَوَضِيعُ

انتهت ولله درُّهما .

---

١ . في س : « إذا نلت » وبجانبها فيها تصحيح بخط مختلف نصه : « إذا شئت » وكلاهما تصحيف .

٢ . في س : « بسطها » مصحفة .

٣ . في س : « يوما » .

٤ . في س : « بنصرها » تصحيف .

٥ . في س : « للمجذبين » بالذال المعجمة ، تصحيف يفسد المعنى .

٦ . في س : « أحسنتم » .

٧ . في س : « لئن » .

٨ . في س : « الذهاب » تصحيف يضعف المعنى .

٩ . في س : « لرفيع » بالفاء ، وهو تصحيف لا يقوم به المعنى ، بل يفسده .

وله المقامة الصَّمديَّة، في الكرمة التي وجدها في بعض تلك الرّياض النديّة؛ وهي مشهورة بالجهة، وعليها شرحٌ وافٍ لحيٍّ الفقيه النّبيه أحمد بن محمد النمازي. وكم له غير ذلك مما يفتقر إلى كراريس، أعاد الله من بركاته.

[١٢٢] / وبلغني أنه كان له تاريخ منظوم في حوادث أيامه لم أقف عليه. وقد أملاني بعض الفضلاء شيئاً[١] منه في سن الحداثة وعدم الاشتغال بهذا الفن؛ فلم أعرف من أين ابتداؤه ولا إلى أين انتهاؤه.

وبالجملة، فلسان العلم كليل عن الإحاطة بجميع وصفه الجميل. وكثير من أشعاره ورسائله مدونة بأيدي من يتعلق بالأدب من أهل الجهة وغيرها.

* * *

١. في س: «شيء».

السنة السادسة والخمسون[١]

‹حرب الموقَص والحِجرة›

في المحرم منها، أو في أواخر ذي الحجة من السنة التي قبلها[٢] : وقع الحربان المعروفان بحرب الحِجْرَة وحرب المُوقَص بين الشريف وبين بني الحارث[٣] ؛ وبين[٤] الحربين قدر نصف شهر أو أقل. وبنو الحارث هم سكنة الحُقَّار[٥] ؛ وهم قبائل شتى يعتزون إلى آل الإمام أهل صَعْدَة[٦] وجبل رازح[٧] في ظاهر الأمر، ويعترفون لهم بالطاعة. وربما يدفعون إليهم شيئاً من الواجبات الشرعية كالزكاة[٨] ونحوها.

وكان يصدر منهم تعدٍّ[٩] في الطرقات النافذة من بلادهم إلى الجبال، فيأخذون من المارة من رعية الشريف وغيرهم أرصاداً وجبايات ؛ وربَّما نهبوا القافلة/ [٢٢ ب] في بعض الأحيان ؛ فيحصل من الشريف الزجر لهم عن ذلك، فحيناً يقع التأثير ؛ وتارة لا يقع ذلك منهم في قبيل ولا دبير.

* * *

‹خُروج الأمير أحمد بن خيرات القطبي› [إلى بني الحارث]

ثم انضمَّ إلى هذه الأسباب خروج الأمير الشهير أحمد بن خيرات بن الحسن[١٠]

---

١. الموافقة : ٢٥ فبراير سنة : ١٧٤٣ - ١٤ فبراير سنة : ١٧٤٤م

٢. يناير - فبراير سنة : ١٧٤٣م

٣. بنو الحارث أو الحريث : من القبائل المقيمين في جنوب شرق أبي عريش بجوار قرية المعنق (انظر العقيلي المعجم، الفهرس ؛ Chelhod, *L'Arabie du sud*, 3, p. 56)

٤. في س : «وبين أهل الحربين» زيادة لا معنى لها.

٥. الحقار : أهم قرى بني الحارث (انظر العقيلي، المعجم : ٨٧).

٦. صعدة : مدينة في شمال اليمن، بالقرب من نجران.

٧. جبل رازح : من الجبال بين صنعاء والحديدة.

٨. في س : «كزكاة».

٩. في س : «تعدي» خطأ.

١٠. في س : «حسن».

القطبي إليهم لحظ نفس وقع بينه وبين الشريف بسبب إقامة عقم[١] خُرَيم[٢] الشريج[٣] المعروف أعلى وادي جازان.

* * *

[نزاع بين الأمير القطبي والشريف محمد بسبب عقَم]

وذلك أنّ مَعْقَمه قد[٤] كان معطلا من قديم الزمان، وغالب أراضيه للسادة القطبة. فرغب الأمير أحمد في إقامته وعمارة الأراضي التي تَشْرب به له ولغيره من إخوانه وعشيرته وغيرهم. فاستأذن الشريف، فأذن له في العمارة. فشرع فيها، وأحيا بعض الأرض؛ وغرم غرامات مُستكثرة هو وشركاؤه. فلما تم أو كاد[٥] رجّح للشريف من رجّح، حسداً للأمير على ذلك، أن يمنعه من إتمامه؛ واحتج أنه ربّما يُحمل الماء إلى غير مستحقيه، ويتعطل سقي الشَّرج التي هي أسفل منه، كأملاك أهل العُقْدة فمن بعدهم من رعية الشريف. فأصغى الشريف إلى قوله، ومنعه عن التمام/ فحصل من [١٢٣] الأمير محاججة وخصام؛ وذكر أنه قد غرم[٦] بسبب هذا الإذن الحاصل غرامات، وطلب أن يعين له من الخبراء[٧] بالحراثة من ينظر في ذلك. وما رأوا فيه الصلاحُ من البقاء أو التعطيل كان العمل عليه والرُّجوع إليه. فعيّن الشريف جماعة من أهل النظر، وحضر الشريف بنفسه في خيله ورجله، وكأنه قد صمم على إخراب[٨] المَعْقَم المذكور،

١. العقم: سد صغير.

(وعن الري في تهامة انظر: (Kamal Abd al-Fattah, *Mountain Farmer*, p. 57-62)

٢. مازال هذا العقم موجوداً إلى الآن: (انظر العقيلي، تاريخ: ١ (١)، ٣٥)

٣. الشريج: ترعة صغيرة للري (انظر: Landberg, *Glossaire*, p. 2035)

وقال الأستاذ المؤرخ المطهر الإرياني: «الشريج: قناة ري كبيرة على واد، يتم بها تحويل أكبر قدر من مياه السيل حينما ينزل في الوادي إلى الأراضي الزراعية على جانبيه لإروائها.

٤. «قد»: ليست في س.

٥. «أو كاد» سقطت في س.

٦. في س: «غرم فيه بسبب» زيادة.

٧. في س: «من أهل الخبرة».

٨. في س: «خراب».

سواء استحسن أرباب النظر بقاءه أم تعطيله . وحضر الأمير أحمد بن خيرات ، وأخواه الأميران الكبيران : محمد بن خيرات ، وخالد بن خيرات ؛ فرجّح أولئك النُّظار تعطيل المعقم المذكور بعد تكرير النظر . وأكثر الناس ممّن حضر يقولون : إن ذلك لم يكن منهم إلا مطابقة لغرض [١] الشريف وللخوف منه والتعنيف :

دعِ الأتـــراكَ والـــعَـــرَبَـــا وكُــنْ فــي حَــرْبِ مَــنْ غــلَــبَــا

والله أعلم بحقائق الأمور ، وهو المطلع على خبايا الصدور . فأمر بتبريج المعقم فوراً [٢] . وكان هذا / هو السبب في خروج الأمير أحمد [٣] إلى المعتق [٤] وانضمامه إلى قبائل بني الحارث منشداً لسان حاله : [٢٣ ب]

لا رَعَى اللهُ من يَنَامُ على الذُلِّ وفي الأرْض مَذْهَبٌ والفَضاء

ولم تزل المراسلة والمكاتبة بينه وبين الشريف تَترى ، ونار الفتنة تشب سراً وجهرا ، حتى وقع الحربُ المعروف بحرب الحجرة .

* * *

[وقعة الحجرة]

وهي [٥] موضع من بلاد بني الحارث [٦] . وكاد الأمير والقبائل أن يظهروا على الشريف لانه لم يكن معه إلا عسكر قليلون من أهل الشِّحْرِ وأهل البلاد ، ولولا أنه لاحظه الإسعاد ، وجرى له القدر بحسب المراد .

* * *

١ . في س : « مطابقة للشريف » نقص .
٢ . « فوراً » : ليست في س .
٣ . في س : « أحمد بن خيرات » زيادة .
٤ . المعتق : قرية على وادي جازان ، كانت فيها قلعة الأمراء القطبيين . (انظر : البهكلي ، العقد : ٩٩)
٥ . في س : « وهذا الموضع هو من بلاد » .
٦ . انظر : بني الحارث ، فيما سبق ص : ١٢٨ .

‹ وصول المكارمة بيام إلى الشريف›

فكان من أعظم أسباب نصرته وصول القضاة بني المكرمي [١] بمحطة من بني يام [٢] إلى حضرته، ولم يكن قد سبقت إليهم منه إشارة، ولا استدعاء بأدنى عبارة.

* * *

[خلاف بين الإمام المنصور وبني يام]

إنما كان الباعث لهم على الوصول أن [٣] حصل بينهم وبين الخليفة المنصور [٤] خلاف شأنه يطول، بسبب أنه قد أقطعهم بلاد حَرَاز [٥] بأسرها من جبال اليمن لنصرهم إياه في ابتداء دولته بعد وفاة والده ؛ لأنه عارضه في الدَّعْوة جماعة من آل الإمام، فأخذوا عليه البلاد، وأطاعهم جميع العباد ؛ ولم يبق في يده إلا مدينة صنعاء، حتى وقع الحصار عليه بها / برهة [٦] من الدَّهر. فاستدعى يام والمكارمة من نَجْران، وحصل له على يدهم [١٢٤] النصر فطردوا جميع المحاصرين له، واسترجع البلاد على أكمل الوجوه ؛ فأقطعهم تلك الجهة مقابلة [٧] فيما صنعوه. ثم عنَّ له الرُّجوع في ذلك، وثنى عنانه عما هنالك، وصمم على أخذها، فوقعت بينهم فتن أدى [٨] الحال فيها إلى نزولهم إلى التِّهائم، ونهبوا بيت الفقيه ابن عُجيل، وبندر الحُديدة ؛ وأخذوا جُملاً مُستكثرةً من العُرُوض والدراهم والبهائم.

* * *

١. ينتسب بنو المكرمي إلى مكرم بن سبأ بن حمير الأصغر
(انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 355-360)

وفي سنة : ١٦٣٣م أصبح إبراهيم بن محمد المكرمي أول داع إسماعيلي من بني المكرمي. وفي سنة : ١٧٠٦م طرد الإمام المهدي محمد الداعي الإسماعيلي من قرية الطيبة بالقرب من صنعاء، فنزل الداعي عند أهله بنجران حيث قويت شوكته.

٢. يام : من أهم القبائل ما بين صعدة ونجران. (انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 242-5)

٣. في س : «أنه».

٤. الإمام المنصور الحسين (١٧٢٧ - ١٧٤٨). (انظر : الجرافي، المقتطف : ٢٥٠ - ٢٥١)

٥. حراز : جبال وعرة ما بين صنعاء والحديدة، بعض أهلها من الطائفة الاسماعيلية.

٦. في س : «نزهة» مصحفة.

٧. في س : «مقابل» مصحفة.

٨. في س : «فتأدى» مصحفة.

[وقعة الموقص]

ولما انْصرفوا راجعين إلى نجران جاءت طريقهم على مور، فأحسَّ[١] بهم الشَّريف، وأرسلَ من يستدعيهم له، وأجابوا مناديه، ولبُّوا داعيهُ ؛ فتَقَوَّى بهم على بني الحارث ودخل بلادهم ثم وقع حرب المُوقص فكانت الدائرة عليهم، وأنزل بهم الذلَّ والصَّغار.

* * *

[مُعاقبة الشريف للسادة القطبية]

ثم قصد إلى المعنَّق مسكن السادة القُطْبيَّة[٢]، فهدم قلعتهم التي به، وشردهم أيدي سبا، واستقصى أموال بني الحارث نهباً وسلباً / . ثم عادإلى أبي عريش منصوراً، مؤيداً مجبوراً. وهكذا شأن[٣] الإقبال، يتهيأ للمرء معه ما لا يخطر في البال. ولله من قال :

[٢٤ ب]

وإذا السَّعادةُ لاحظَتْكَ عُيُونُها نَمْ فالمَخاوفُ كُلُّهُنَّ أمَانُ

وبعد استقراره بأبي عريش زُكِّجَ يام.

* * *

‹وصول السيد يحيى الأمير›

وفيها : كثُر الرَّفع من أكابر أهل المخلاف السُّليماني وعلمائه إلى الحضرة بالشكايات، وأن الشريف أهلك الرعية، وسلك غير المسالك الشرعية ؛ وتعدى، وظلم وتجبر، وغشم، و لم يقبل نصائح النصحاء[٤]، ولا راعى جناب الأفاضل والصلحاء ؛ إلى غير ذلك من الأمور التي لا يتَّسع[٥] للإتيان على جميعها هذا المسطور.

---

١. في س : « فاحتس » تصحيف.
٢. في س : « القطبة » مصحفة.
٣. في س : « بيان » تصحيف.
٤. في س : « الفصحاء » ولا معنى لها. مصحفة.
٥. في س : « يسع » مصحفة.

وقد سبقت قبل ذلك الشكاية من الأمير أحمد بن خيرات بسبب تلك المنفقات ؛ فوصل السيّد يحيى الأمير كاشفاً[١] من جهة الامام، ناظراً بينه وبين الأمير أحمد في ذلك الشّجار والخصام ؛ ولعله حضر كلا الحربين السابقين أو أحدهما ؛ فلم يترم على يده كلام ؛ فعاد، وبقي الاشتغال في نفس الإمام ؛ لا سيما مع ما بلغه من الاستنصار بيني يام.

إذَا صَافَى صَدِيقُكَ مَنْ تُعَادِي ... فَقَدْ عَادَاكَ وَانْصَرَمَ الكَلامُ

* * *

‹القبض على السيد علي بن الحسين بن ابراهيم›. [والسيد عليّ بن محمد] [١٢٥]

وكان يومئذ العين الناظرة والحدقة الباصرة بالمخلاف / السليماني من السادة النُّعْمِيِّين، السيد الأمجد [علي بن] الحسين[٢] بن ابراهيم بن محمد، سيداً رئيساً سرياً كامل الرأي، واسع التدبير :

ويَعْرِفُ الأمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

ومن علماء السادة المذكورين السيد العلامة التقي إسماعيل بن عز الدين بن علي النعمي، وغيرهما منهم في حكم الأتباع. وكان قد وقع بينهما[٣] وبين الشريف بسبب النصائح[٤] والرعايا الذين تحت أيديهم منافسة[٥] أدت إلى الشقاق. ومازال[٦] الحال بينهم في ازدياد حتى أدّى إلى أن حبس الشريف السيد علي[٧] بن حُسين بن إبراهيم المذكور، والسيد عليّ بن محمد المعروف بالعُقْعُق كاسم الطائر المعروف ؛

---

١. «كاشفاً» : ساقطة في س.

٢. في النسختين ص و س : «الحسين بن ابراهيم» وهو على ما يبدو سهو من الناسخين فقد أثبت في هامش س عنوان هامشي كما أثبتناه وفيه «علي بن حسين» والخبر نفسه بعد قليل في ص يورده بهذا الاسم أيضاً فاعتمدناه.

٣. في س : «بينهم» مصحفة.

٤. كذا في النسختين الأصل ص و س، ولعلها : «التصالح».

٥. في س : «مناقشة»، مصحفة.

٦. في س زيادة نصها : «ومازال الأمر والحال».

٧. «علي بن» ليست في س، ويبدو أن ما جاء في الأصل ص هو الصواب، فأثبتناه.

وهما من أكابر السادة ؛ وكان حبسهما بقلعة أبي عريش . فعَظُم الأمر على السيد الحُسين وأصحابه، وازدادت[١] الوحشة، واشتعلت[٢] نار الفتنة ؛ وبقيا في حبسه أياماً، ثم أطلقهما بعهد وضمان، وجرت أسباب غير ذلك :

وكَانَ ما كانَ مِمّا لَسْتُ أذْكُرُهُ فَظُنّ خَيْراً ولاتَسْألْ عَنِ الخَبَرِ

فاستقصاء الأخبار تستوعب الأسفار .

* * *

[فتنة بني شعبة وانتقاضهم على الشريف]

ثُمّ حصل أيضاً بين الشريف وبين بني شعبة مثل ذلك، حتى اضطرم الشام عليه ناراً / وكانت هذه الأمور من الأسباب في حرب العقدة الآتي تفصيله - إن شاء الله - قريباً في[٣] هذا المزبور[٤] . [٢٥ ب]

* * *

‹ خروج الشريف حوذان ثانياً إلى اليمن و . . . [٥] بخط العمالة ›

وفيها : توجه الشريف حوذان إلى جهة اليمن مرة أخرى . وكثير من الناس من يقول : إن ذلك لطلاب[٦] وصله من الأمير الماس عبد الرَّحمن، وأن الإمام أمره بذلك رغبة في توجيه البلاد إليه، ورفع يد الشريف لأسباب تلك الشكايات . فأقام بحضرة الأمير أياماً، ثم عاد إلى أبي عريش من غير وصول إلى الحضرة ؛ وقد صار خطُّ العمالة بيده وهو مُخفيه مُترقباً أن تلوح له الفرصة على ابن أخيه .

* * *

١ . في س : « فأزادت » سهو .

٢ . في س زيادة : « فاشتعلت بينهم نار الفتنة » .

٣ . في س : « من » .

٤ . في س : « المسطور » .

٥ . العنوان من العناوين التي اثبتت في هوامش النسخة الباريسية س وموضع النقط عـف به قص حرف النسخة .

٦ . في س : « بطلاب » .

السنة السّابعة والخمسون [1]

[وساطة الشريف بين بني يام والإمام]

فيها : احتركَتْ يام مع [2] المكارمة للنُّزول على [3] بلاد الإمام مرة أخرى، فتلقاهم [4] الشريف إلى أطراف بلاده، وتوسط الحال بينهم وبين الإمام، وحسم مادة الخلاف والخصام ؛ وأرجع الإمام لهم بعض الإقطاع مما طابت به نفوسهم وصَلُحَتْ عليه أمورهم . وأكد الشّريف بينه وبينهم المواثيق، وأنهم أعوان على كلّ أحد حتى لو ظهر [5] عليه خلاف من الخليفة [6] كانوا أعوانه، وهو كذلك . فالتأم [7] حالُهُم واتحد . وكانت تلك المساعدةُ من الإمام للشريف بقبول تلك الوَساطة / إنما هي بحسب الظاهر [١٢٦] [وقصداً لنفوذ يام مِنْ حضرته [8]]، وإلا فهو يصمم [9] على رفع يده، وقد أولى الشريف حوذان أعمال بلده، إنما الحال كما قال :

البينُ فيَطْمَعُ في لِبِنَتِي   وسَهْمي قد غَصَّ في المِفْصَلِ

ثم بعد تمام الصُّلح زوَّج الشريف بعض المكارمة وأكثر بني يام مُسْتَصْحِباً للسلامة من حوادث الأيام .

* * *

‹خروج الشريف حوذان إلى صبّيا›

وفيها : بعد انفصال المذكورين، ثارت ثائرة الشريف حوذان، فخرج من مدينة

---

١ . الموافقة : ١٥ فبراير سنة ١٧٤٤ - ٢ فبراير سنة ١٧٤٥م .

٢ . في س : « والمكارمة ».

٣ . في س : « إلى ».

٤ . في س : « فلقاهم ».

٥ . في س : « يظهر ».

٦ . « من الخليفة » : ليست في س .

٧ . رسمها في ص : « فالتثم ».

٨ . ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ص استدركناه من س .

٩ . العبارة في س : « فهو قد صمصم ».

أبي عريش ليلة السبت العاشرة من شهر جمادى الأولى [١] بعد العصر، وقد استأذن من الشريف أنه يريد الوصول إلى بعض مواطن الحراثة من وادي جازان؛ وهو مصمم [٢] على التوجه إلى مدينة صبيا لإضرام شبّاً ذلك الدخان، منشداً لسان حاله :

لَهُمْ أيَّامٌ انْبَعَثَتْ عَلَيْنَا وأَيَّامٌ لَنَا فِيهَا انْبِعَاثُ

فسار، ولم يصبح إلا بها، وقبض على عاملها من جهة الشريف، وكبّله بالحديد؛ ثمّ نشر أمره بها حيثما يريد، ونادى مناديه : بأنه قد توجّهت إليه البلاد على رؤوس الأشهاد. وكتب إلى السادة النُّعميّين[٣]، والمشايخ الشعبيين، وكافة أعيان المخلاف أخباراً بوصوله إلى صبيا، وبما بيده من خطّ العمالة. فأجابوا لذلك سقياً ورعياً، ووصلوه على كلّ صعبٍ وذلول، ورأوا أنهم [٤] قد حصل لهم بذلك غاية [٥] السُّول، ونهاية المأمول / وأسرع منهم إلى حضرته كل مقاتل، واستعدوا للقتال معه البواتر والعواسل [٦]؛ واجتمع معهم عدة من قبائل، كأهل صلب[٧]، وبني جُونَة [٨]، وسائر قبائل الحجاز تبعاً لبني شُعْبَة. فاجتمعت بحضرته منهم كل قبيلة وشعبة، وصادف ذلك مع الجميع أغراضاً في الصدور، وغيظاً طالما احتبس عن الظهور؛ فصار بمدينة صبيا من الأجناد ما يملأ الآكام والوهاد :

كَتَائِبُ قَدْ زُفَّتْ إِلَيْهِ وأُجْلِبَتْ بِنَارٍ [٩] صُرُوفٍ لِلرِّجَالِ ومِخْلَبِ

---

١. الموافق : ٢١ يونيو سنة : ١٧٤٤م.

٢. في س : « مصمصم » سهو.

٣. كان أكثر السادة النعميين يستقرون في وادي بيش. (العقيلي : ١ (٢) / ٤٢٨).

٤. في س : « أنه ».

٥. « غاية » : ليست في س.

٦. البواتر : مفردها : باتر، وهو السيف القاطع، والعواسل : مفردها : عاسل، الرمح ذو الاهتزاز الشديد لكثرة مرونته ولدانته.

٧. أهل صلب : هم سكان جبل صلب، وليسوا قبيلة بعينها. (انظر : النعمي، تاريخ عسير : ٣٨ و (Kamal Abd al Fattah, *Mountain Farmer and Fellah in 'Asir Southwest Arabia*, p. 84

٨. بنو جونة : قبيلة مجاورة لأهل صلب، تنتمي إلى قحطان. (انظر : النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر : ص : ٣٨)

٩. في س : « بنان » مصحفة، ولا معنى لها ههنا.

عَلَى كُلِّ جَرْداءِ الإهَابِ طِمِرَّةٍ[١] ومُنْجَرِدٍ عَبْلِ الذِّرَاعَيْنِ سَلْهَبِ
وجَاشَتْ أُسُودُ الغَابِ مِنْ كلِّ جانبٍ بجُرْدٍ تَسَامى في الأعِنَّةِ شُزَّبِ[٢]

* * *

[فتنة بين أهل الحقْو وبني شعبة]

ومن عجائب الاتفاق أنه لم يصل الشريف حوذان إلى صبيا، إلا وقد صار بسلامة العرب[٣] جمعٌ كثيرٌ ألْبَهم[٤] بنو[٥] شُعْبة بنيّة قصد قرية الحقو[٦] لإحن[٧] وفتن سابقة بينهم وبين أهلها؛ وقد قتل أهل الحقو رجالاً من بني شعبة. وكانت أيام تلك الفتنة بينهم وبين أهل الحقو تظهر لهم المظاهرة من الشريف عليهم، وأنه يعين عدوَّهم بالسلاح والكراع[٨]، فطالما قدتجرعوا من الشريف المرار؛ وتأبطوا له الشر المقتضي لإنزال الضرار. وربما انطوت نيتهم بعد الظفر بأهل الحقو[٩] والأخذ بالثأر على قصد الشريف إلى عقر الدار، / ولكنه كان يبعد عليهم هذا المقصد لعدم الاقتدار : [١٢٧]

وكيفَ يُطيقُ العنْزُ أنْ يَنْطَحَ الصَّفا ويَبْعُدُ أنْ يَقْوَى الزُّجاجُ على الصَّخْرِ

إلا أنه لما صادف وصول الشريف حوذان منهم هذا الضمير، وانضمت تلك الأسباب إلى هذا السبب الخطير، وساعدتهم على[١٠] ذلك المقادير، لاحت لهم الفرصة

---

١. في س : « ضمرة » تصحيف.

٢. في س : « سرب » مصحفة.

٣. يذكر العقيلي أربع قرى باسم (سلامة العرب)، (انظر : المعجم : ١٢٠) والأرجح أن القرية المذكورة ههنا هي المسماة : (السلامة العليا) بوادي بيش.

٤. في س : « إليهم »، تصحيف.

٥. في س : « بنوا » وكثيراً ما يثبت لمثل هذه الأسماء الألف.

٦. الحقو : قرية شمال شرق بيش.

٧. في س : « لأجل فتنة » تصحيف سقيم، ولا يقوم بها المعنى.

٨. في س : « الكداع » مصحفة، لا معنى لها.

٩. في س : « أو ».

١٠. في س : « عند ».

على الشريف، فقد قال القائل الظريف [١] :

احْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً	واحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيـ	ـقُ فَصَارَ [٢] أَعْرَفَ بِالمَضَرَّهْ

* * *

‹ خُروجُ الشريف محمد من أبي عريش ›

وقد قدَّمنا أن الشريف قد كان زلَّج الكثير من بني يام، فلم يبْقَ لديه إلا جمعٌ قليلٌ لا يقوم بهم نظام، ولا يبلغ بهم مرام. ولم يكن يخطر له هذا الحادث ببال، ولا يرتسم منه في لوح الخيال، لشدَّة شكيمته وقوة عزيمته ؛ فهو لا يزعزعه الوعيد، ولا يرهبه لمعانُ صفائح الحديد، فشأنه كما قال الشاعر المُجيد :

يَغْشَى الأُمُورَ إذَا تَعَاظَمَ خَطْبُهَا	بِرِدَاءِ [٣] ذِي حُبُكٍ وَعَشْمٍ مُخَاطِرِ
يُجْلَى [٤] بِغُرَّتِهِ العَمَاءُ ويُسْتَقَى	مَاءُ الغَمَامِ [٥] بِجُودِهِ المُتَكَاثِرِ

وحين أنْ بلغته هذه الأخبار، التي تحار عندها الأفكار، يوم السبت صُبح الليلة التي خرج فيها الشريف حوذان، لم يكن همّهُ / إلا بحشد أجناده من كل مكان. ثم [٢٧ ب] خرج إلى هجرة ضمد فأقام بها بقية يومه، وعزم على القدوم إلى صبيا لمواراة الشريف حوذان بها.

* * *

[الوساطة بين الشريفين]

وقد كان عزم الشريف ناصر بن الحُسين، ومعه غيره من مدينة أبي عريش، عند بلوغ الخبر إلى مدينة صبيا، قاصدين للشريف حوذان، ومتعرِّضين لإصلاح ذلك

---

١ . « الظريف » : ليست في س.

٢ . في س : « فكان » وهي أوجه كما جاءت في مصادرها.

٣ . في س : « بروا » تصحيف.

٤ . في ص و س : « يجلا، . . . ويستقا ».

٥ . في س : « الغمام » مصحفة.

الشان [١] حسب الإمكان. فلما وصل إليه، وعرض ما استحسنه من الخطاب عليه، أجاب عليه بأنه لا يصدُّه عن إمضاء ما بيده من العمالة [٢] صادٌ، ولا يردُّه عنه رادّ. وكيف يجمل به التقاعد عن إمضاء ما فيها من المراد؟. فرجع حينئذٍ إلى الشَّريف ووافقه بهجرة ضمد، متأهِّباً للقدوم إلى صبيا بمن معه من العساكر، غير حافل بمن هنالك من الأجناد والعشائر:

يَختالُ في زَرَدِ الحديدِ كأنَّهُ سَيْفُ بنُ ذي يَزَنٍ لحِمْيَرَ [٣] قائدُ
وكأنّما رَهَجُ الفوارسِ في الوغى تحتَ العَجاجِ صَواعِقٌ ورَواعِدُ

فرجّع له الشريف ناصر [٤] العود إلى أبي عريش، وأخبره بما في يد الشريف حوذان من العمالة التي كان بسببها [٥] هذا التشويش؛ فرأى أنّ في العود وصمة وغضاضة [٦]، وجدد إلى صبيا عزمه وانتهاضه. فكلفه الشريف ناصر أنْ يستقرَّ بمحلٍّ / [١٢٨] يُسمَّى: كوكب، كاسم واحد [٧] الكواكب السيَّارة، وهو غربي هجرة ضمد أكثر من الميل بقليل. ثم سبقه الشريف ناصر إلى صبيا، معيداً للخوض مع الشريف حوذان؛ فوافقه بقرية الضَّبِّية [٨] وقد انفصل بأجناده من [٩] مدينة صبّيا، وبعض الجند بقرية صلْهَبَة ورئيسهم السيِّد الحُسين بن إبراهيم النُّعمي.

* * *

[صلح يدوم ثمانية أيام بين الطرفين]

فأعاد معه الخوض ولم يُؤثر. فعند ذلك رجع مُسْرِعاً إلى الشريف، وقد طلب

---

١. في س: «البيان» مصحفة.
٢. في س زيادة: «الإمامية».
٣. في س: «بحمير».
٤. في س زيادة: «بن الحسين».
٥. في س: «سببها».
٦. في س: «وضمة وغضاضة» تصحيف.
٧. في س زيادة: «من».
٨. الضبية: قرية جنوب صبيا. (العقيلي، المعجم: ١٥٠).
٩. في س: «عن».

من الشريف حوذان كلفة ثمانية أيام ليدور فيها الكلام. وقد هاله ما رأى من قوة الشريف حوذان بكثرة جنده واتساع نطاق استعداده لعُدده. وقد أنشد لسان الحال قول من قال :

يا مُوقِدَ النَّارِ البَعِيدَةِ أجِّجِ واشْهرْ بُمضرِمِها شِعَارَ المخرَجِ

ولما وصل إليه [١] لم يزل يعالجه على العَوْد إلى أبي عريش (حتى أسعده، فعاد) [٢] ؛ ورجع الشريف حوذان إلى صبيا انتظاراً لذلك الميعاد.

* * *

‹ وقعة العُقْدة ›

فلما آن الأوان نهض الشريف حوذان بمن معه من الرَّجّالة [٣] والفرسان، وذلك بعد صلاة الجمعة من مدينة صبيا قاصداً إلى أبي عريش. فأصبح أوائل جنده يوم السبت بقرية العُقْدة، وأمسى هو ومن نقل [٤] معه من الأجناد على بئر محلَّة بني مُطير بوادي ضمد. وخرج الشريف تلك الليلة بعد صلاة العشاء الآخرة من مدينة أبي عريش، وهي الليلة السّابعة عشرة/ من الشهر المذكور [٥] ؛ فأمسى بشعب مَشْرَف [٦] بين أبي عريش والعُقْدة. ثم نهض قبل الفجر وقد عبأ جنده، وصادف مقدمات جند الشريف حوذان بالقرية المذكورة، فولت تلك المقدمة مكسورة، وتبعهم جند الشريف إلى قبلي القرية يقتلون من لحقوه. وكان ممن عصفت به ريح ذلك اليوم السيد الفاضل أحمد بن إبراهيم الأخرس النُّعمي، — رحمه الله —.

واتصل الفارُّون بالشريف حوذان ومن معه من الأجناد. فأغاروا دفعة واحدة وقد تأهبوا للحرب وصدق الميعاد ؛ فَشَمَّرَتِ الحرب عن ساق. وبلغت الأرواح

---

١. « إليه » : ليست في س.

٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « حتى أذعن له بذلك فعاد ».

٣. في س : « الرجال ».

٤. في س : « نقل » مصحفة.

٥. الموافق : ١ يوليو سنة : ١٧٤٤م.

٦. شعب مشرف : واد صغير من روافد وادي جازان. (انظر : العقيلي، المعجم : ٢٠٨).

التراقي . ﴿ وقِيلَ مَنْ راقٍ[١] ﴾ ، وهزّت الكُماة الأرماح ، وتجالدت بالبيض الصفّاح :

والشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماءِ مُظلَّةٌ والجَوُّ أقْتَمُ بالعَجاجِ المرْهِجِ

وكان يوم عبوس قمطرير ، تشيب منه ناصية الصغير ؛ قُتل فيه من أصحاب الشريف العدد الكثير . وكانت الدائرة على أصحابه فولّوا الأدبار ، وولجوا إلى المعاقل من مدينة أبي عريش ، بعد أن كابدوا مشقة الفرار . ويُروى أنَّ عدد المقتولين قريب من ثلاثمائة أكثرهم من بني يام . وقُتل من أصحاب الشريف حوذان جماعة من الفرسان منهم أربعة/ من بني شُعبة ، أهل فراسة ونجدة . ومن غير بني شعبة السيد العُصيري [١٢٩] العمّاري . وبالجملة[٢] فالقتلى من رؤساء الجند الخيالة ، أُولي البأس والنجدة والبسالة :

ومَوْتُ الفَارِسِ الصِّنْديدِ نَقْصٌ فكَمْ شَهِدَتْ لَهُ بالنَّصْرِ عَزْمَه

* * *

[تأييد الإمام والأمير أحمد بن خيرات القطبي للشّريف حوذان]

وامتلكت للشريف حوذان[٣] من يومئذ البلاد ، وجبيت[٤] إليه المواد ، وخضعت له رقاب العباد ؛ رفع إلى الحضرة المنصورية ذلك الواقع ، فوصلته الجوابات مع الإمداد النافع على نظر الأمير ألماس ، ومن جملة الإمداد محطة من أهل الشّحْر ، ومقدّمهم رجل اسمه النقيب حصن الذيباني[٥] ، كان قد أعدهم الأمير لديه انتظاراً لما يبدو عليه . ثم لقيهم الأمير أحمد بن خيرات القطبي من الدامغ ، ولعله بتنبيه من الأمير ألماس جبراً لخاطره على تلك الوقائع [ومن[٦] مقدمهم الأمير يحيى سرور برأي الأمير ألماس ، عن حقيقة من يهمّنا منه من الثقات][٧] . وكان وصولهم إلى مدينة أبي عريش يوم

---

١ . الآية : ٢٧ من سورة القيامة .

٢ . « الواو » : ليست في س .

٣ . « من » : ليست في س .

٤ . في س : « وحسنت » مصحفة .

٥ . في س : « الديباني » مصحفة .

٦ . « من » ساقطة في س أضفناها لإقامة النص .

٧ . ما حصرناه بين معقوفتين ليس في الأصل ص استدركناه من س .

السَّبت لعله[١] مُستهلّ شهر جمادى الأخرى[٢]، فدخلوا من يماني المدينة هامِّين بافتتاح المعاقل، غير معُولّين على ما بها من المراجل ؛ فكانوا كالباحث[٣] عن حتفه بظِلْفِه أو الجادع مارِن أنفه بكفه :

ولَمْ يُنْجِهِمْ إلاَّ الفِرارُ وطَالَما غَدَتْ بِهِمُ الآمالُ في كُلِّ مَذْهَبِ

[٢٩ ب] / وقتل منهم جماعة ولم يقفوا على طائل. وأغار أصحاب الشريف حوذان من قرية العُقْدة، فاستخلصوهم من تلك الشدة، ثم انصرفوا بهم إلى مخيمهم من القرية المذكورة ؛ وأقام الأمير أحمد ومن معه بقرية البديع.

* * *

[بنو يام لم يستجيبوا لطلب الشريف محمد]

ولم تزل الحرب بين الفريقين قائمة، والنسور على أشلاء القتلى حائمة ؛ والشريف في خلال ذلك يكرر الكتب إلى المكارمة وبني يام وغيرهم ممن يظنُّ به المناصرة[٤] على ما طرقه من حوادث الأيام، فيمدون له حبائل التأميل، ويزخرفون له الأقاويل بالأباطيل :

وما أكْثَرَ الإخْوانَ حِينَ تَعُدُّهُم ولكِنَّهمْ في النَّائباتِ قليلُ

فأقام في الحصار إلى عاشر شعبان[٥].

* * *

‹ خروج الشريف من أبي عريش إلى نجران›

ثم توسط بالصُّلح بعض الناس على أن يخرج الشريف إلى حيث أراد، ويسلم للشريف حوذان اعتماداً لرأي الخليفة البلاد ؛ فأجاب كلٌّ[٦] منهما إلى ذلك، ورضي

---

١. « لعله » : ليست في س.
٢. الموافق : ١٨ يوليو سنة : ١٧٤٤م
٣. في س : « كباحث ».
٤. في س : « النصر ».
٥. الموافق : ٢١ سبتمبر سنة : ١٧٤٤م.
٦. في س : « كلا ».

ما هنالك ؛ وشرط الشريف شروطاً تُعينه على أهبة السَّفر، فأعطوه. ثم خرج من المدينة العريشية في الليلة الخامسة عشرة من الشهر المذكور بأبهة مشهورة وأعلام منشورة، قاصداً إلى نجران لطلب الثأر، مُريداً لغسل دنس الغَلَب والعار، مُنشداً لسان حاله، مساعداً له بفعاله :

/ لَقَدْ رَمَتْني صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ   بأَسْهُمٍ مَاضِياتٍ عِنْدَهَا العَطَبُ

فلَمْ تَجِدْني جَبَاناً حين تَطرُقُني   ولا جَزُوعاً لَدَى[1] البأساءِ أنْتَحِبُ

وصحبه في سفره ذلك جماعة من الأشراف، منهم ابن عمه الشريف ظافر بن الحُسين، وصنوه الشريف الحَسن[2] بن أحمد، وابنه الشريف أحمد بن محمد. فأمسى ليلته تلك قريباً من مدينة أبي عريش بموضع يُسمَّى[3] الجِرْبَة[4] — بجيم مكسورة ثم راء مهملة ساكنة ثم مُوَحَّدة من أسفل مفتوحة —.

* * *

‹وصول الشريف محمد إلى جبل رازح›

ثم نهض صبيحة تلك اللّيلة يؤمُّ جبل رازح ؛ وأميره إذ ذاك السيد العظيم عزُّ الإسلام محمد بن الحُسين بن علي بن أحمد ابن[5] أمير المؤمنين، فتلقاه بالبشر والإقبال، وأنزله أحسن نزل[6] يقصر عنده لسان المقال، وقد كان سبقت بينه وبين الشريف مواطأة أيام الحصار أنه سيجدُّ ويجتهد في نصرته، وربما وعده بالنزول إلى حضرته. فأقام عنده بجبل رازح نحو خمسة أشهر.

* * *

١. في س : «لذي» مصحفة.

٢. في س : «حسن».

٣. «يسمى» : ليست في س.

٤. الجربة : قرية من القرى الواقعة جنوب أبي عريش. (انظر : العقيلي، المعجم : ٦٩).

٥. «ابن» : ليست في س.

٦. في س : «منزل» مصحفة.

[وساطة أمير رازح بين الشريف وبين الإمام]

وكأنه توسَّط بالصُّلح بينه وبين الخليفة، على أن يصل الشريف إلى الحضرة الشريفة، وربما يوجه إليه جهات الزَّيدية [١] عوضاً عن الجهات العريشية. ولا يبعد أن ذلك ليس على ظاهره. وأرسل الإمام للشريف بكسوة وبعض صلة يتأهب بها للسفر. فأظهر الشريف قبول ذلك وأبطن خلاف ماأظهر، وقد خطر بباله أن تلك حيل وخدائع / (إلا أنه اقتضى حاله)[٢] الدخول تحت المثل الشائع :

وصَلْتُ قَسْراً وعلى القَسْرِ رِضَى ... مَنْ كانَ ذا سُخْطٍ علَى صَرْفِ القَضَا

وذلك لما شاهد من السيد [مَحمد بن [٣]] الحُسين الميل إلى تتميم الصلح، وحسَّنه له بضروب من التحسين ؛ وتنكرت له معارفه حتى كان يمزج له الجدَّ باللين. بل صرح له في بعض المواقف أنه لا عذر من ذلك، ولا سبيل إلى غير ما هنالك ؛ فأغمض، وفي الحلق شجاً، وفي العين قذى ؛ وصار الحال كما قال :

مَتى ما يَكُنْ مَولاكَ خَصْمَكَ لم تَزَلْ ... تَذِلُّ ويَصْرَعْكَ الَّذينَ تُصَارِعُ

ولكنه جف القلم بما هو كائن.

* * *

[ذهاب الشريف محمد إلى نجران]

ولم يَعقب ذلك إلاّ شروع علَّة الموت في السيد محمد المذكور، فانتقل إلى جوار الله، كما هو في الكتاب مسطور. فحصل للشريف بذلك فُرجة وأي فُرجة ؛ (واستُبان له عند ذلك واضح المحجة [٤]) وأنشد لسان حاله :

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ لَها الفَتَى ... ذَرْعاً وعِنْدَ اللَّهِ مِنْها المَخْرَجُ
عظُمتْ فلمّا استَحْكَمَتْ حلَقَاتُها ... فُرِجَتْ وكانَ يَظُنُّها لا تُفْرَجُ

---

١. الزيدية : من مدن تهامة شمال الحديدة، وهي الفاصلة بين عمالة اللحية وعمالة بيت الفقيه.

٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « ولكن اقتضى الحال ».

٣. ما بين المعقوفتين ليس في ص استدركناه من س.

٤. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « واستبان له عند ذلك مما يقصده واضح المحجة ».

وكانت وفاة [١] السيد المذكور في اليوم الخامس عشر من شهر ذي الحجة الحرام [٢] .
فأقام الشريف بعد موته [٣] أياماً يُعمل الفكر في الاتصال بنجران لأنه قد كان [٤] زلّج المحطة الخارجة معه من الحصار ؛ والخليفة قد أغلق عليه طرقات الذهاب والاستمرار/ [١٣١] وألزم جميع القبائل (بالتعرض له عن الوصول [٥]) إلى (نجران، وأين منه المطار) [٦] .
ومازال يقدِّم رجلاً ويؤخر أخرى حتى قضت همته بركوب الأخطار وسلوك تلك الفيافي والقفار، وآخذاً بقول من قال :

إذا لَم يكُن إلاّ الأسِنَّةَ مَركَبٌ   فَلا رأيَ للمُضطَرِّ إلاّ رُكُوبُها [٧]

***

‹ وفاة الأميرين محمد بن خيرات وخالد بن خيرات — رحمهما الله — ›

وفيها : توفي الأميران الشهيران الكبيران : محمد بن خيرات، وصنوه خالد ابن خيرات . وكانت وفاتهما بالدامغ عقيب خروجهما من مدينة أبي عريش بسبب ما وقع من الفتنة .

أمّا الأمير محمد : فهو ممن حاز رئاستي السيّف والقلم ؛ وقد تولّى أعمال هذه الجهات مراراً، فعدل وما ظلم، فأوصافه شهيرةٌ، وسيرته بالصّلاح مشهورة، فما أحقه بما قيل :

سهْلٌ لطيفٌ لَيِّنٌ جَنَابُه   على البُغاة [٨] بأسُهُ شَديدُ

---

١ . في س : « وكان وفات » كذا .

٢ . « الحرام » ليست في س، و يوافق التاريخ المذكور يوم : ١٩ يناير سنة : ١٧٤٥م .

٣ . في س : « وفاته » .

٤ . في س : « لأنه كان قد زلج . والتزليج : والفعل منه : زَلَّجَ، أي أعطى مبلغاً من المال إلى شخص أو جماعة يرغب في انصرافهم وذهابهم إلى حيث يريدون . والمبلغ المعطى يسمى : الزَلاَّج . (أفادناه المؤرخ العلامة، الأستاذ المطهر الإرياني.) .

٥ . ما بين القوسين جاء في س : « بالتعرض له والقمع من الوصول » .

٦ . ما بين القوسين جاء في س : « إلى نجران رأس المطار » مصحفة .

٧ . كذا جاء الشطر الثاني في ص و س، وما في المصادر : « فما حيلة المضطر إلا ركوبها » .

٨ . في س : « الطغاة » .

وأما الأمير خالد : فمعدود من الفضلاء الأعلام النُّبلاء، له مشاركة [١] في فنونٍ من العلم تُقدِّمه [٢] على غيره ؛ وتشهد [٣] له بيُمْن طيره .

ولهذين الأميرين من الإخوان من لا يقصر عنهم في علوِّ المنزلة والشأن :

مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلُ النجُومِ التي يَسْرى بها السَّارِي

— رحمهم [٤] الله تعالى — .

* * *

١ . في س : « مسكة » .

٢ . في س : « نقدمه » مصحفة .

٣ . في س : « ويشهد » مصحفة .

٤ . في س : « رحمهما » .

السَّنة الثامنة والخمسون[١]

‹وصول الشريف إلى نجران›

/ في المحرم منها أو في شهر صفر[٢] : توجه الشريف من جبل رازح إلى نجران ، [٣١ ب]
منشداً لسان حاله قول بعض الأعيان :

مَاذا بنَا في طِلاب العزِّ نَنْتَظرُ … بأيِّ عُذرٍ إلى العَلياء نَعتذرُ
لا الزَّند كابٍ ولا الآباءُ مُقْرِفةٌ … ولَيْس بالبَاعِ عن نَيْلِ العُلى قِصَرُ

وكان رئيس يام يومئذ القاضي هبة الله بن ابراهيم المكرمي[٣] . فلما وصل الشريف إلى نجران تلقاه جميع من به بالإكرام ، ونهاية الرعاية و غاية الاحتشام . ووعده القاضي بالمناصرة له بمن يريده[٤] من الأجناد ؛ وظلت أيام قدومه عندهم[٥] كالأعياد ، يشهدها الحاضر والباد . فلما بلغ الخليفةَ (وصوله هنالك[٦]) ، عظم عليه الأمر ، من حيث إنه قد بذل في سد الطرقات عليه[٧] أموالاً جزيلة ، وأعطى على ذلك الرغائب المُهيلة ، وأعمل في إهلاكه ومَن بين يديه كل حيلة أعظم من قبيلة :

ولكنه ما قدر الله واقع

وعلى الجُملة[٨] فالشريف قد لاقى في سفره ذلك من الأهوال ما يشيب منه القَذال .

* * *

١ . في س : « والخمسين » خطأ . وهذا التاريخ يوافق : ٣ فبراير سنة ١٧٤٥ – ٢٣ يناير سنة : ١٧٤٦م .
٢ . فبراير أو مارس سنة : ١٧٤٥م .
٣ . وهو الداعي الثالث من المكارمة ، كان داعيا من سنة : ١٧١٧م إلى سنة : ١٧٤٧م .
(انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 359)
٤ . في س : « بمن يريد » .
٥ . « عندهم » : ساقطة في س .
٦ . ما بين القوسين جاء في س : « وصوله إلى نجران » .
٧ . « عليه » ساقطة في س .
٨ . في س : « وعلى الجملة إن الشريف » .

[ولاية الشريف حوذان]

ولنعد إلى ذكر حَوْذان ؛ وذلك أنه لما انفصل الشريف من البلاد، استقل بها على سبيل الاستبداد ؛ ولكنها استقوت عليه شوكة مَنْ بين يديه من الأجناد، حتى كاد في الغالب لا يتم له المراد، ولا يبلغ من قصده إلى ما أراد :

[١٣٢] / وتَفَرَّقُوا فِرَقاً فكلٌ[١] قَبِيلَةٍ فِيهَا أميرُ المُؤْمِنِينَ ومِنْبَرُ

مع أنه كان من أشجع الفرسان، وممن يُضْرَبُ به المثل عند تزاحم الأقران، فما أحقه بقول القائل :

فتىً لم يزلْ مُذْ كانَ يُخْشَى ويُرْتَجَى إذا قَصُرَتْ في يومِ خَطْبٍ رِجَالُها
فَيَخْشَاهُ جَبَّارٌ ويَرْجُوهُ آمِلٌ وأرْمَلَةٌ قَدْ باتَ هَزْلَى عِيَالُها

إلا أنه كان سلس القياد سريع الانقياد، غير مستعمل لحزم الملوك في المحافظة على قوانين الاستقلال، ولا مكدِّراً لخواطر مواليه وإن شقَّ به الحال :

سَلِيمُ دَوَاعِي الصَّدْرِ لا باسطاً[٢] أذىً ولا مَانِعاً خيْراً ولا قائلاً هُجْرا

فغالباً يحصل الإبرام والنقض بيد كُبراء أعوانه، وهو مُرخٍ للزِّمام، مستسلمٌ لهم أشدَّ الاستسلام[٣]، جانحٌ عن قول بعض الأنام :

وإنّما رَجُلُ الدُّنْيَا وواحِدُها مَنْ لا[٤] يعوِّلُ في الدُّنْيا علَى رَجُلِ

فمكث، والحالة هذه، في مدينة أبي عريش إلى مُستهل شهر رمضان المعظَّم من السنة الأولى[٥] ؛ ثم نهض لافتقاد الجهات الشامية من وادي ضَمَدَ وصبيا، فأقام بها أياماً ثم عاد إلى أبي عريش.

***

---

١. في س : « وكل ».
٢. في س : « باسط » خطأ.
٣. في س : « استسلام » مصحفة.
٤. في النسختين الأصل ص و س : « لو يعول » ولا يقوم وزن البيت بالجزم فصححناها.
٥. أوائل نوفمبر سنة : ١٧٤٤م.

‹ صباح الشريف حوذان للحقو ›

وفي شهر شوال من تلك السَّنة : خرج إلى قرية البدوي[١] ، فأقام بها إلى سلخ ذي الحجة الحرام[٢] ؛ ثم استنهضه / بنو شُعبة لصباح قرية الحَقْو بسبب ما جرى من [٣٢ب] الفتن[٣] بينهم والإحن[٤] ؛ ولأنهم قد شرطوا عليه أيّام خروجه إلى صبيا أنّهم لايعينونه[٥] على حرب الشريف إلا بشرط[٦] أن يُعينهم على إخراب الحقو بعد قضاء الأرب ؛ والتزم لهم يومئذٍ. فرجع إلى أبي عريش، ثم نهض إلى هجْرة ضَمَد، فأقام بها[٧] يوماً واحداً، ثم توجه إلى مدينة صبْيا، ثم منها إلى قرية السَّلامة من وادي بيش، ثم إلى الحَقْو[٨] بجندٍ لا طاقة لأهله به. فلما بلغهم ذلك أيقنوا بعدم القُدرة، فأجلُوا عن بلادهم، وفي القُلوب حسرة، عملاً بقول من قال :

وفي الأرْض مَنْأىً للكَريمِ عَنِ الأذَى وفيها لِمَن خَافَ القِلَى مُتَحوَّلُ

فوصل الشريف حوذان بجنده إلى القرية، وأخربوا مساكنها، ومحوا محاسنها ؛ حتى انتهى الحال إلى إخراب المساجد والآبار، ولم يُراقبوا عقاب الملك الجبَّار :

أمُورٌ لا يَتِمُّ لَها قِيَاسٌ أرانَا شَأنَها الفَلَكُ المُدارُ

وانقلبوا بعد ذلك راجعين في سَلْخ شهر محرمٍ الحرام افتتاح عام ثمانيةٍ وخمسين[٩] ؛ فاستقرَّ الشريف حوذان بأبي عريش. وبينما هو متفيِّءٌ ظلال تلك

---

١. البدوي : قرية في وادي خُلُب. (انظر : العقيلي، المعجم : ٥٧)
وكان قد أسس هذا البلد الشريف أحمد بن غالب. (انظر : العقيلي، تاريخ : ١ (٢)/ ٤٩)

٢. أوائل فبراير سنة : ١٧٤٥م.

٣. « من الفتن » ليست في س.

٤. في س : « الإحن التي قدمنا ذكرها » زيادة.

٥. في س : « لايعينوه » خطأ.

٦. « بشرط » ساقطة في س.

٧. في الأصل ص : « به » سهو، صوبناه من س.

٨. في س : « الحقوا » خطأ.

٩. أوائل مارس، سنة : ١٧٤٥م.

الولاية، آمناً للدهر الخؤون أن يعامله بالنكاية:

فَيَا ليتَ هَذا الدَّهْرَ لا دَرَّ درُّهُ يُسالمُ أرْبابَ العُلَى ويُوادِعُ
/ ولكنَّه يختارُ كُلَّ مُهذَّبٍ له الفَضْلُ حقّاً والنُّهى[2] والدَّسائعُ [١٣٣]

***

[انفصال الشريف محمد من نجران]

وقد أقام بأبي عريش إلى شهر ربيع الآخر[3]؛ وإذا قد ورد عليه الخبر اليقين بانفصال الشريف من نجران بجند لا يجاوز الألف، حاملين لكأس المنية الممزوج بالحتف:

ثِقالٍ اذا لاقَوا خِفَافٍ إذا دُعُوا كثيرٍ إذا شَدُّوا قليلٍ إذا عُدّوا[4]

و صحبته أولاد القاضي هبة الله، وهم: إسماعيل، وأخواه[5] حسن، وعبد الله مَقَادمة للجيش. فلما وصلوا إلى أطراف مدينة صَعْده، لقيهم السيد الماجد جمال الدين علي بن القاسم بن علي[6] ابن أمير المؤمنين، وقد جمع جموعاً من قبائل سحار[7]،

---

١. في س: «فينا».

٢. في س: «والنهى» ولا معنى لها في هذا المقام، واللهى: مفردها: لهية، وهي العطية السنية أو أفضل العطايا. والدسائع: مفردها: دسيعة، وهي العطية الجزيلة. (المحيط: لهى ودسع).

٣. في النسختين: «الأخرى» سهو.ع، وهو يوافق أواخر مايو- أوائل يونيو سنة: ١٧٤٥ م.

٤. البيت في س:

ثقالاً إذا لاقوا خفافاً إذا دعوا كثيراً إذا شدوا قليلاً إذا عُدُّوا

كذا بنصب (ثقال) و (خفاف) و(كثير) و(قليل) وهو خطأ، والكلمات هذه روايتها الجر في هذا البيت، وهو لأبي طيب المتنبي، والكلمات الأربع هذه صفات لـ(مشايخ) الواردة في بيت قبله هو:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ

٥. في س: «وأخوه» خطأ، لأنهما اثنان.

٦. «بن علي»: ساقطة في س.

٧. سحار: قبيلة من خولان الشام.

قاصداً لمنع الشريف عن المضي والاستمرار، لمواطأة سبقت بينه وبين الخليفة المنصور. فناوشوه القتال، وأصبحت رحى الحرب تدور، فكانت الدائرة على أصحاب ابن الإمام، فولوا منهزمين، ولم ينجهم إلا سور مدينتهم الحصين. وقُتل منهم من قُتل وقبض الشريف على خادم ابن الإمام الذي يضرب نقّارته، فمثل فيه بجدع الأذن، فكان عبرة للأقوام :

ثُمَّ أضحَوا كأنَّهُم وَرَقٌ جَـفَّ م فَـألْوَتْ بـه الـصَّبـا والـدَّبُورُ

ثم ارتحل الشريف الى العَمْشِيَّة[1] فأقام بها ثمانيه أيام ريثما[2] يستريح هو ومن بين يديه من الأنام[3].

***

[توسط بعض عقال بكيل بالصلح بين الشريف وبين الإمام]

[٣٣ب] فوصله هنالك عقّال بكيل[4] / للتوسط بالصلح بينه وبين الإمام، وكأنه[5] مأمور بذلك، لمقصد لا يخفى على أولي الأفهام. فلم يلتفت الشريف إلى ذلك المقال، ولا خطر له الإسعاد ببال، واستعمل قول[6] من قال :

خُذْ جَانِبَ العَلْيَا ودَعْ ما يُتْرَكُ	فَرِضَى البَرِيَّةِ غَايَةٌ لا تُدْرَكُ
واجْعَلْ سَبِيلَ الذُّلِّ عَنْكَ بِمَعْزِلٍ	فَالعِزُّ أحْسَنُ مَا بِهِ يُتَمَسَّكُ
وإذَا بَدَتْ لَكَ مِنْ عَدُوٍّ فُرْصَةٌ	فَاقْتُكْ فإنَّ أخَا العُلَى مَنْ يفتكُ
لا يُدْرِكُ الغَايَاتِ إلا مَنْ لَهُ	في كُلِّ حَيٍّ مِنْ عِدَاهُ مَسْلَكُ

***

١. العمشية : قرية قرب من مدينة صعدة.

٢. بدلها في س : « وفيها » مصحفة.

٣. في س : « الأقوام ».

٤. بكيل : من كبريات قبائل اليمن، موطنها بين صنعاء وصعدة

٥. في س : « وكأنهم مأمورين ».

٦. في س : « بقول ».

[احتلال الشريف محمد مدينة حرض]

ثم زمّ نجائب[1] عزمه قاصدا لعداه، والأخبار في خلال ذلك تترى بالعشي والغداة:

قالُوا ابْنُ ذي يَزَنٍ يَسيرُ إليكُمُ ... فَحَذَارِ مِنْهُ ولاتَ حِينَ حَذَارِ

فلما أحس الشريف حَوْذان بقرب مقدمه أخذ في الاستعداد بتحشيد الأجناد. ولما وصل الشريف الى موضع يسمى الشاطىء فوق مدينة حَرَض تزعزع أهل المخلاف السليماني، وأجلى منهم الأول والثاني. وفر أهل القرى اليمنية من حرض والبدوي وخبت[2] المسارحة[3] وغيرهم، فتفرقوا أيدي سبا، وأمعنوا في الأرض هربا. وحَقَّ الفرار على أهل بندرجازان، فركبوا السفن الى جزيرة فَرَسان[4]. ثم لما وصل الشريف إلى حَرَض في أواخر شهر ربيع الأخرى[5] / وبه صِنْوُهُ الشريف علي بن أحمد عاملاً من قبل عمه حَوْذان، ومعه جماعة من العسكر قريب من ثلاثمائة، ومعهم النقيب أحمد القَرْمُوشي كبير تلك الفئة؛ فلم يكن همهم سوى التحصن بتلك القلعة التي هناك[6] خشية من الوقوع في شَرَك الهلاك. فحاصرهم الشريف ثمانية أيام، وكانت لهم بئر بجنب[7] القلعة يستقون[8] منها الماء لهم ولما معهم من الأنعام. فاحتال عليهم ببعض [١٣٤]

---

١. في س: «بجانب» مصحفة، والنجائب: مفردها: نجيبة، وهي الناقة الكريمة، وزمها: أعد زمامها أي هيأها للسير أو القتال (المحيط: نجب، زم).

٢. الخبت: وجمعه خبوت، وهي أرض رملية تسقى بمياه الأمطار، وتزرع دخنا. (العقيلي: تاريخ ١: (١)/٤٤)

٣. المسارحة: من أشهر قبائل المخلاف السليماني، جنوب أبي عريش في أسفل وادي خُلَب (انظر: العقيلي: المعجم: ١ (١)/ ٨٥).

٤. جزيرة فرسان: في غرب جازان.

٥. كذا في الأصل. ص وفي س، وهو سهو، صوابه: «الآخر». ع، أواخر مايو-أوائل يونيو: ١٧٤٥م.

٦. في س: «هنالك» مصحفة.

٧. في س: «تحت» مصحفة.

٨. في س: «يسقون» تصحيف.

أصحاب الشريف، وقد أرخى الليل سدول الظلام، وطَمَّها بسَحَرٍ من حيث لا يشعرون، فأصبحوا ولا ماء لهم منه يشربون. فلما اشتد عليهم الظمأ، نادوا لطلب الأمان. فبذل لهم الشريف ذلك، وخيَّرهم بين الاقامة عنده أو اللحوق بصاحبهم الشريف حوذان؛ فاختار علي بن أحمد البقاء مع أخيه، والنقيب القرموشي وأصحابه اللحاق[1] بصاحبهم عملا بالوفاء ورغبة فيه. ولم يأخذ الشريف عليهم شيئا من السلاح والكراع:

إنَّ الأسُودَ أسُودَ الغَابِ هِمَّتُها   يَوْمَ الكَرِيهَةِ في المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

* * *

[استعداد الفريقين للحرب]

ثم أقام الشريف بحَرَض خمسة وعشرين[2] يوماً بمن بين يديه من الأجناد [والأتباع][3]؛ وفي أثناء إقامته فأصحاب الشريف حَوْذان فريقان/ : [٣٤ب]

منهم : من يُشير بالتقدم إلى لقاء الشريف، وإلى هذا مال هو وكثير من الأعيان.

ومنهم : من يشير بالبقاء في المدينة حتى يصلَهم إلى ذلك المكان.

فصمم[4] الشريف حَوْذان على الخروج؛ وكانت طريقه على الدامغ[5]، بجند قد ملأ الفجاج، (وطبق القاع بالقسطل العَجَّاج[6])، وهُم قريب ثلاثة آلاف من الرجال، وما يقارب ثلاثمائة خيال. فأقام قريبا من الدامغ المذكور.

وكان كل من الفريقين ينتظر قدوم الآخر وهو يحور؛ فأحجم كل عن صاحبه أياماً؛ ثم دبَّر الشريف التقدم الى قرية البدوي، فأسرع إليها إقداما. ولم يكن ذلك

---

١. في س : «لحقوا».
٢. في س : «وعشرون» خطأ.
٣. الإضافة من النسخة الباريسية س.
٤. في س : «فصمصم».
٥. الدامغ : من القرى المندثرة في وادي خلب. (انظر : العقيلي، المعجم : ١٠٤)
٦. ما بين القوسين ساقط في س.

للشريف حوذان وأصحابه في حاصل، لأن ذلك الموضع مُتَزّو[1] عن جهتهم غير مقابل؛ لكنه اقتضى هذا إعمال الشريف للغوائل، والحرب — كما ورد — خدع ومخاتل. وقد كان الشريف أرسل ابن عمه ظافر بن الحسين وجماعة من العسكر نحو ثلاثمائة بصفة العين متجسّسين عن أخبار الشريف حوذان، ومتوهمين أن يكون[2] قد سبقهم أحد من جنده إلى ذلك المكان. فلما شاهدوا القرية المذكورة خالية عن السكان، دخلوها على حين غفلة. وكان قدوم / الشريف بعدهم آخر يوم من شهر جمادى الأولى[3] مستصحباً خيله ورَجْله.

***

‹ وقعة جحا ›

فلما بلغ الشريف حوذان ذلك قوّض خيامه عند بلوغ الخبر؛ وتوجه نحوهم حتى طرح قريبا من قرية البدوي من جهة الشرق على مسافة بلوغ النظر بمحل يسمى جُحًا[4] — بجيم مضمومة ثم حاء مهملة مفتوحة — وكان كل من الفريقين يرى مخيم الآخر عيانا، ويتحققه بيانا. حتى كان ليلة السبت الثالثة من شهر جمادى الأخرى[5]، فقصدهم الشريف حوذان بجموعه بعد صلاة العصر، ولقيه الشريف بجنده إلى طرف القرية[6] بقلب أشد من الصخر. فلما التقى الجمعان، وكشفت عن ساقها الحرب العوان؛ لم يكن بأسرع من فرار أصحاب الشريف حوذان، فانهزموا مُوَلّيي[7] الأدبار، متقلدين قلائد الذلّ والصَّغَار:

وما يَنفعُ الجَيْشَ الكَثيرَ التفَافُه ... إذا لم يكُنْ نَصرٌ مِنَ اللهِ يَشْمَلُ

---

١. في س: «متزه».
٢. في س: «ديكن» مصحفة.
٣. في س: «جمادى الأول».
٤. جحا: قرية من القرى الواقعة على الضفة الشمالية لوادي حُلْب. (انظر: العقيلي، المعجم: ٦٨)
٥. الموافق: ٤ يوليو سنة: ١٧٤٥ م.
٦. في س زيادة: «المذكورة».
٧. في س: «مولين».

فظل جمعهم مكسوراً، وتفرقوا في الفلاة فكانوا هباءً منثوراً. وظفر[١] أصحاب الشريف بخيمة الشريف حوذان، ونهبوا ما فيها مما عزَّ وهان، وأصبح بعض من فر بمدينة صبيا وقت طلوع الفجر. وقد طوى في ليلته تلك / مسير يومين، وأخبر بالواقع يقينا لا [٣٥ ب] يشوبه[٢] مَيْن؛ وأرجف هنالك إرجافاً، واستنفرهم[٣] عن مساكنهم فنفروا ثقالاً وخفافا، وزعم أن العدو على أثره يعدون، وقطع أنهم به لاحقون:

وضاقَتِ الأرضُ حتَّى إنَّ[٤] هارِبَهُمْ إذا رأى غَيْـرَ شَـيءٍ ظَنَّـهُ رَجُـلا

وكانت الحال كما قال أبو سفيان: «يَومٌ بيومِ بَدْرٍ[٥] والحَرْبُ سِجَال»

***

[خروج الشريف حوذان من أبي عريش]

ولم يدخل إلى مدينة أبي عريش مع الشريف حوذان إلا جماعة قليلون من عسكره، وأكثرهم من خواص خدمه. فتديَّر بالقلعة غير مُريد للقتال، بل طالبٌ للتأمين مُصرٌ على الارتحال. لأنه لم يكن مُعداً[٦] لآلة الحصار، ولا خطر بباله مع ما بين يديه من الأجناد، أن يصير الحال إلى ما صار؛ ولله من قال:

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ في أوقاتِهِ نَدِما ومَنْ فَتَى العَزْمَ في كُلِّ الأمُورِ سَمَا

فبقي بأبي عريش نحوَ ثمانية أيام في أمرٍ عُجاب، تحار له البصائر والألباب. وفي خلالها نهض الشريف من قرية البدوي حتى طرح بوادي مقَاب[٧] قريباً من مدينة أبي عريش؛ فعند ذلك طلب الشريف حَوْذان/ الأمان، وخرج بجميع من معه من [١٣٦]

---

١. في س: «وظفروا» خطأ.

٢. في س: «يشبهه بنين» تصحيف قبيح.

٣. في س: «وأستفزهم» ولا معنى لها ههنا، وهي مصحفة.

٤. في س: «كان».

٥. «بدر»: ليست في س وموضعها بياض فيها.

٦. في س: «معه» مصحفة.

٧. وادي مقاب: من روافد وادي خمس، جنوب أبي عريش.

الخَوَلَ[١] والحشم والموالي والغلمان، وصحبه[٢] في خروجه ابن أخيه الشريف ناصر بن الحسين وغيره من الأشراف.

***

[عودة الشريف محمد إلى مدينة أبي عريش]

ثم تعقب خروجَه دخولَ الشريف إلى المدينة العريشية بأبهة تملأ الأذن والعين بلا اختلاف؛ ولله من قال في مثل هذا الحال:

هِممُ الخَطيرِ جَليلَةُ الأخْطارِ	مَحمُودَةُ الإيرادِ والإصْدَارِ
والنّاسُ مُشْتَبِهُو الذّوابِ وإنّما	لَيسَ المعَادِنُ كُلُّها بنُضَارِ[٣]
وتَفاضُلُ العَزَماتِ في أربابِها	تَجْري بحَسْبِ[٤] تفاضُلِ الأقْدارِ

ولما استقر بقلعة[٥] أبي عريش، نشر الأمان، (وكاتب أهل المخلاف)[٦] وغيرهم من البلدان، وأمرهم بالرجوع إلى الأوطان؛ وأرسل إلى أهل البندر إلى جزيرة فَرَسان. ومكث بالمدينة العريشية، ولم يتعدها إلى جهة الشام، ولا روع أحداً من الأقوام. فلما أمن الناس غوائله، هرعوا إليه أفواجا، وأتوا سُوحَه فرادى وأزواجا، وسلكوا من طاعته سبيلاً ومنهاجا؛ بعد أن كانوا قاطعين بأنه يعاقب كل من أسدى إليه شراً، فانكشف لهم الحال على خلاف ما توهموه سراً وجهرا / [٣٦ب] واستعمل قول من قال:

خذ العفو وأمُرْ بعُرْفٍ كَمَا	أُمِرْتَ وأعرِضْ عنِ الجَاهِلِينْ
ولِنْ في الكَلامِ لِكُلِّ الأنامِ	فَمُستحسَنٌ من ذَوي الجاهِ لِينْ

---

١. في س: «العدل» مصحفة، والخول: ما أعطيه الإنسان من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية والأعوان.

٢. في س: «وأصحبه» تصحيف.

٣. الشطر الأول من هذا البيت في س: والناس من هو والذات وإنما . . . تصحيف أفسد معنى البيت.

٤. في س: «بحسن» تصحيف يفسد المعنى.

٥. في س: «بلقلعة» مصحفة.

٦. ما بين القوسين جاء في س: «وكانت لأهل المخلاف» تصحيف.

ثم أرسل للشريف مطاعن بن أبي طالب الخواجي صاحب صبيا أمانا، فوصل إليه، وأمده بعمالة جهات صبيا ؛ وعول في استرجاع أهلها عليه. فتراجع أهلها إلى أوطانهم، واستقروا بمساكنهم.

***

‹وفاة السيد مهدي بن عز الدين النعمي – رحمه الله –›

[1][وفيها، لعله في ذي الحجة الحرام[2]: توفي السيد العلامة الجليل مهدي بن عز الدين بن الحسن النعمي الحاكم بمدينة صبيا ؛ وكانت وفاته بها – رحمه الله –، وكان سيداً حسن الأخلاق، بشّاشاً في وجوه الأخلاَّء والرفاق. له دراية[3] في علم النحو، ورعاً ؛ كان يأتي على أكثر (شواهد العيني)[4] غَيباً. وله عبارة مأنوسة سلسة، – رحمه الله وأعاد من بركاته –.

وهو والد السيد العلامة الإمام شرف الإسلام الحسين بن مهدي النعمي الآتية ترجمته إن شاءالله].

***

[الشريف محمد يخبر إمام صنعاء بالوقائع]

وفيها: بعد استقرار الشريف بأبي عريش، رَفَع إلى حضرة الخليفة بصنعاء أخباراً بالوقائع، وساق في كتابه كلاماً يظهر من فحواه أنه أقرب ممتثل وطائع، وصرّح بأنه

---

١. هذه الترجمة التي حصرناها بين المعقوفتين ليست في الأصل ص. وهي زيادة في س.

٢. الموافق يناير سنة: ١٧٤٦ م.

٣. في س: «درية» مصحفة.

٤. هو الكتاب المعروف بـ(الشواهد الكبرى) وعنوانه الذي وضعه له المؤلف: (المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية) شرح فيه شواهد شروح ألفية ابن مالك في النحو.

ومؤلفه العيني هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني الحنفي، علامة من كبار المحدثين المؤرخين، وله مشاركة في النحو، أصله من حلب ورحل إلى القاهرة وتوفي فيها سنة: ٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م وكانت ولادته سنة: ٧٦٢ هـ = ١٣٦١ م (انظر: الضوء اللامع: ١٠/ ١٣١. وكشف الظنون: ٢/ ٧٠).

داخل تحت الطاعة، معتمد[١] للأوامر والنواهي، مجانب[٢] لطرق الشّناعة[٣]، وإن جميع هذه المتفقات ليست من باب العناد لجانب الخلافة، ولا جهل لحقّها الواجب عليه إعزازه، وأن يتجنب خلافه، ولكنها معاملة للشريف حوذان، ومن أطاعه من الأضداد أولي العدوان والحسد والشنآن[٤]؛ وشاهد الحال كما قال:

كُلُّ المصائب قَدْ تَمُرُّ على الفَتَى ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الحُسَّادِ
/ كُلُّ المصائبِ تَنْقَضِي أسْبَابُها ... وشَمَاتَةُ الحُسَّادِ بالمرْصَادِ

ومن جملة ما قال في كتابه ما معناه: أنه[٥] لو كان العامل بالجهة من بيت الإمام، أو من مماليكه، ما خالف ولا نافس؛ وإنما أوجب جميع هذا تولية عمه واعتضاده بأهل الشام من النُّعميّين والشُّعبيِّين وغيرهم من الأقوام.

وبالجملة فهي[٦] معاذير بعد قضاء الأرب والوصول إلى الطلب، كما قال الأول[٧] ولا عجب:

ولَسْتُ أُبالي بَعْدَ إدراكي العُلَى ... أكانَ تُراثاً ما تَنَاولتُ أمْ كَسْبا

***

‹الشريف حوذان يرفع بالمتفقات إلى حضرة الإمام›

والشريف حوذان لما وصل إلى مدينة مَوْر[٨]، رفع إلى الخليفة بحقيقة ما قد[٩] صار عليه من الأمور. فلما وصلت الكتب من الجانبين، شق الأمر على الخليفة، ونسب الشريف حوذان إلى الهمة الضعيفة، من حيث إنه قد بذل له أموالاً في أيام

---

١. في س: «معتمداً» خطأ.
٢. في الأصل ص وفي س: «مجانبا» سهو.
٣. في س: «للطرق الشاقة» تصحيف لا يستقيم به المعنى.
٤. في س: «السان» صحفها الناسخ لجهله بمعناها.
٥. «أنه»: ساقطة في س.
٦. في س: «إنها».
٧. «الأول»: ليست في س.
٨. مور: مدينة صغيرة في وادي مور على بعد خمسة عشر كيلومتراً شرق اللحية.
٩. «قد»: ليست في س.

الجهاد ؛ وكان قصده أن يبقى بقلعة أبي عريش حتى يصله الإمداد، وأن يفعل كما فعل الشريف محمد في أيام حصاره، ويقاوم العدو مقاومة تشهد له بعلو همته وطيب نجاره[١].

***

‹وصول القاضي حسن بن أحمد العكّام› [إلى المخلاف السليماني]

وصمم الخليفة عند ذلك / أن يفصل مدينة صبيا وجهاتها عن يد الشريف، [٣٧ب] ورجح أن يعيّن لها عاملاً من أهلها الأشراف الخواجيين رفقاً بالضعيف، وأسند الاختيار في ذلك إليهم وإلى أعيان المخلاف ؛ وألزمهم التراود في هذا الأمر ومن يصلح للقيام به من أولئك الأشراف.

وعين على القاضي المقام الحسن بن أحمد العنسي المعروف بالعكّام[٢]، وأصحبه قريباً من ستمائة نفر من أعيان بكيل لافتقاد البلد[٣] وأهلها، وتعريف[٤] الشريف بما رجّحَهُ النظر الجليل. ثم إن الإمام أصحبه طلاباً للشريف أن يصل إلى حضرته اختياراً له فيما لهج به من التَّظَهُّر[٥] بطاعته، وإلا فالظاهر أن الخليفة يعلم يقينا بلا إشكال عدم وقوع ذلك المقال.

وأخبرني بعض المطلعين أن الإمام خيَّر الشريف في إحدى ثلاث خصال أسرّها إلى القاضي حسن، وألزمه أن يلقيها إلى الشريف مُرتَّبة، فما وقع منه الرضى به كان العمل عليه :

أولها : أن يعرض عليه الطّلاب[٦].

---

١. في س : « نجادته » مصحفة.

٢. كان من أشهر رؤساء قبيلة بكيل في جبل برط ؛ وورد ذكره في كتاب الرحالة نيبور (انظر : Niebuhr, *Description*, 2, p. 98)

٣. في س : « البلاد ».

٤. في س : « ويعرف ».

٥. في س : « النظر » مصحفة، لا معنى لها.

٦. في س : « أن يعرض الطلاب عليه » تقديم وتأخير.

وثانيها : أنه إن منع أخرج عن يده جهات اليَمَن من حَرَض إلى الواعظات[١] .

[١٣٨] / وثالثها : إن لم يرض بذلك أخرج عن يده جهات صبيا .

حاصله أن له الخيار في أي الجهتين، فإن تم هذا، وإلا أبقى الجهات كلها بنظره، وأخذ عليه الميثاق في السلوك والامتثال .

فلما طرق مسمع الشريف نزول القاضي المذكور، وأنه قد صار بأطراف البلاد، خرج من أبي عريش ومعه المكارمة وجماعة من العسكر . وحين وصل القاضي إلى حرض أجمع الرأي على[٢] أن يكون الملتقى قرية البدوي، كل[٣] منهم في جماعة قليلين[٤] . فاجتمعوا هنالك، وعرض عليهم القاضي ترجيح الخليفة ؛ وقبل[٥] الشريف رأيه[٦] بإخراج جهات صبيا، حيث لم يطلع على آخر الترجيحات . بل لما كان قد عظم عليه شأن الخلاف، رأى أن فصل أعمال صبيا أخف حالاً . وأما التوجه إلى الحَضْرة فإنه اعتذر بمعاذير .

وبالجملة، فتخلص بإرسال ابن عمه الشريف ظافر بن الحسين، وابنه الشريف أحمد بن محمد من ورطة تلك الشدة .

***

‹عزم[٧] الشريف ظافر بن الحسين – رحمه الله – إلى صنعاء›

فسارا[٨] مع القاضي ؛ ولما وصل إلى مدينة مَوْر لقيه هنالك الشريف حوذان، [٣٨ب] فأوضح له جميع الأمور/ . فلما أيس الشريف حوذان ارتحل عند ذلك إلى بيت الفقيه

---

١ . في س : « الوعظات » مصحفة .

٢ . « على » : ليست في س .

٣ . في س : « كلاً » خطأ .

٤ . في س : « قليلون » خطأ .

٥ . في س : « فامتثل » مصحفة .

٦ . « رأيه » : ليست في س .

٧ . العزم : السفر من مدينة الى أخرى . (أفادناه الأستاذ الشاعر المحقق المطهر بن علي الارياني) .

٨ . في س : « فساری » .

ابن عجيل قاصداً للأمير ألماس عبد الرحمن. وعند وصول القاضي إلى الزيدية أرجع ابن الشريف، وانفصل بالشريف ظافر وبعض المكارمة. ثم رجع الشريف من البدوي إلى أبي عريش، وقرّر[١] أحواله عن[٢] التربيش[٣].

وكان وصول القاضي بالشريف ظافر ثاني يوم من شهر شوال الكريم من السنة المذكورة[٤]، فصادف الإمام بالروضة[٥] المشهورة. فتهدد الشريف ظافر تهدداً أشفق[٦] منه على نفسه، وخشي من الوقوع في الهلكة، فشتان[٧] بين يومه وأمسه. ولم يكن همه سوى الاعتراف بالذنب الذي غبر، وطلب العفو فيما وقع وصدر. ومن جملة ما قاله للإمام[٨]، حسبما أخبرني به مشافهة في بعض الأيام: «إن هذا الواقع من الشريف ومنا ليس باستخفاف بحقكم الرفيع، ولا تَجارٍ[٩] على جنابكم المنيع، ولكنها أسباب الوشاة»، حتى استشهد في تلك الحال بقول من قال:

وَلَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا عَصَى ... وَقَالَ عَلَى اللّهِ إِثْماً وَزُوْرا
أَنَابَ إِلَى اللّهِ مُسْتَغْفِراً ... لَمَا وَجَدَ اللّهَ إِلا غَفُوراً

[١٣٩] / قال: «فعند ذلك حصل العفو من[١٠] الإمام، وأمر بإنزالي وإكرامي غاية الإكرام، وأجرى علي ضروباً من الإنعام» فاستقر بحضرته قريباً من تسعة أشهر. ثم وقع نزوله كما سيأتي تحقيق ذلك — إن شاء الله — فيما سنذكر.

* * *

١. في س: «وقدر» مصحفة، ولا تصح، وقرر أحواله: أي جعلها تهدأ وتستقر.
٢. في س: «من».
٣. التربيش: إثارة الشغب والمشاكل بغية الفتنة، ومنه الربش. (أفادناه العلامة المؤرخ المطهر الإرياني).
٤. في ٢٩ أوكتوبر سنة: ١٧٤٥ م
٥. الروضة: مدينة صغيرة تقع على بعد عشرة كيلومترات شمالي صنعاء.
٦. في س: «شفق» مصحفة.
٧. في س: «شتان» بلا فاء العطف.
٨. العبارة في س: «ومن جملة ما قاله له الإمام» تحريف فيه مخالفة للسياق.
٩. في س: «تجاوز» مصحفة. وليست من مواضعات ذلك العصر.
١٠. في س: «أمن» تصحيف لا معنى له.

‹ولاية الشريف أبي طالب الخواجي صبيا›

وأما شأن صبيا، فإنه حصل التراود بين أهلها فيمن يصلح للولاية ؛ فرجّح نظر أهل النظر إقامة الشريف الفاضل أبي طالب بن أحمد الخواجي لديانته وأمانته وعفته وصيانته. ورفعوا ذلك إلى الخليفة، فأمده بعمالة شريفة ؛ وكان وصولها في شهر شوال من سنة[١] التأريخ. فعُمِرت بولايته تلك البلاد، واطمأنت أنفس العباد ؛ وحصلت الأمطار، ورخت[٢] الأسعار، حتى بلغ حمل الجمل[٣] بقرش[٤] من ضربة[٥] الوقت وقدره تسع قفال إسلامية إلا ثلث قفلة تقريباً. واستمر الحال على عمالته تجبى إليه البلاد، والكتب بينه وبين الخليفة تترى، ولا يخلو من وصول إمداد[٦]. وعمر بصبيا قلعة جدد بها آثار سلفه الماضين، وسلك مسلكاً حسناً من الرفق بالمسلمين حتى أصبحت صبّيا طية الأرجاء صبيّة[٧] المحيا:

وإذا نَظَرْتَ إلى البِقَاعِ وجدْتَها تَشْقَى كما تَشْقَى الرِّجَالُ وتَسْعَدُ

[٣٩ب] ولم يزل[٨] على ذلك حتى وقع بينه وبين السيد الحسين بن إبراهيم[٩] / الشقاق، وبعُد بينهم الوفاق[١٠] ؛ وأدى الحال إلى صباح مدينة صبّيا وذهابها بالإحراق[١١]، كما سيأتي تفصيل ذلك — إن شاء الله — في ضمن هذه الأوراق. ثم

---

١. أي في نوفمبر سنة : ١٧٤٥ م.

٢. في س : « ورخيت » خطأ.

٣. عن المكاييل في اليمن في القرن الثامن عشر (انظر : Niebuhr, *Description*, 2, p. 50)

٤. القرش هنا إما ان يكون من النقد الفضي المضروب في النمسا والمعروف إلى اليوم في بعض مناطق الجزيرة العربية بالريال الفرنسي، أو أن يكون الريال المعروف حينذاك بالريال المشط الحجر المضروب في أسبانيا. انظر : (Raymond, *Artisans et Commerçant du Caire au XVIII^e siècle*, 1, p. 20-40)

٥. في س : « صربية » تصحيف لا يقوم به المعنى، والضربة : يريد بها السكة سكة النقود.

٦. في س : « الإمداد » تصحيف.

٧. في س : « حسنة » تصحيف.

٨. في س : « تزل » مصحفة.

٩. في س : « حسين بن إبراهيم النعمي ».

١٠. « الوفاق » : ليست في س.

١١. في س : « وإذهابها بلإحراق » تصحيف وخطأ.

تمادى الحال إلى صباح جميع قرى السادة النعميين والقبض عليهم، كما سيأتي لذلك زيادة التبيين ؛ وصار الحال كما قال :

إذا ما أخٌ خَلَّى[١] أخاهُ لحادثٍ بَدا بأخيهِ الأكْلَ ثُمَّ بِهِ ثَنَّى

***

‹المصالحة بين الشريف محمد والشريف حوذان›

وأما الشريف حوذان فإنه أقام بحضرة الأمير أشهرا ؛ ثم وقع الصلح بينه وبين الشريف، فعاد إلى أبي عريش، والتأم[٢] الحال بينهما بعد التريش ؛ وأنشد لسان حاله :

ولما لم أجد لي منه بُدّاً صَبَرْتُ تكلُّفاً بَعْدَ اللُّتَيَّا[٣]

***

١ . في الأصل ص وفي س : « خلا » تصحيف يفسد البيت فصو بناه على الوجه الذي أثبتناه .

٢ . رسمت في الأصل ص وفي س : « التم » ولا تصح .

٣ . في س : « الليتا » مصحفة ، يفسد بها معنى البيت ورويه .

السنة التاسعة والخمسون بعد المائة والألف[1]

‹خلوص الشريف ظافر بن حسين – رحمه الله – من صنعاء›

في شهر جمادى الأخرى[2] منها : خَلَص الشريف ظافر من حضرة الإمام، لأن الشريف لم يزل يكاتب الخليفة في ذلك، ويتوسل بمن يظن به المعاونة هنالك، حتى خلص؛ فتنزل بعد أن شرط الخليفة شروطاً على الشريف، وضمن فيها الشريف ظافر، منها: عدم التعرض لأهل صبيا فيما تحت أيديهم مما دقَّ وجلّ. وحصل للشريف بنزوله السرور التام، وانقضى له غاية المرام.

* * *

‹وصول القاضي يحيى بن أبي النجم وعلي العبدي›

[١٤٠] ثم ما برح يقع بينه وبين أهل صبيا ما يقع/ بين المُتحاددين، وكلٌّ يشكو إلى الخليفة ما يقع من الآخر من الشَّيْن. وكان الإمام يرسل كُشّافاً لافتقاد الأمور؛ فممَّنْ وصل لهذا المقصد من أعيان الجبال القاضي الأجل عماد الدين يحيى بن أبي النجم [الصَّ]عْدي، وصحبه القاضي الأوحد علي بن إسماعيل العَبدي، اختارهما الإمام لما كانا من الجهات الصَّعْدية، وهي بمعزل عن مخالطة الوزراء ممن له علاقة بأحد الجانبين. فوصلا إلى مدينة أبي عريش، ثم توجها إلى صَبْيا؛ ورمَّما كلاماً لم يقف أحد منه على طائل؛ ولله القائل:

كُلٌّ يُداوي سَقِيماً مِنْ مَقَالَتِهِ   فَمَنْ لنا بِصَحِيحٍ مَا بِهِ سَقَمُ

ثم أقام القاضي يحيى[3] بحضرة الشريف، وانفصل القاضي علي بما ترجح لهما من الخوض إلى المقام العالي المنيف. وكان القاضي يحيى له نباهة وجلالة بجهات[4]

---

١. الموافقة : ٢٤ يناير سنة : ١٧٤٦-١٢ يناير سنة : ١٧٤٧ م.

٢. أواخر يونيو-أوائل يوليو سنة : ١٧٤٦ م.

٣. «يحيى» : ليست في س.

٤. في س : «بجهة».

صعدة المحمية، يتولى الحكمَ بها بين البرية ؛ [وكان مسموعَ الكلمة] [١] عند القبائل، جاريا [٢] على الطريق السنية.

***

[مناقشة أبيات أنشدها القاضي يحيى الصَّعْدي]

ومما فاه به [أيام] [٣] بقائه بحضرة الشريف أبيات أرسلها إليه [٤] يتشوق فيها إلى وطنه وبعض أطفاله وهي :

مولايَ عِزّ الدين لي طِفْلٌ بكُمْ ... مُتَبَرِّكاً أدْعُوهُ عِزَّ الدين
قَدْ عِيلَ صَبْري مِنْ مُفارقَتي له ... لا للرِّياب ولا لِفَقْدِ خَدِين
مُنُّوا بإسْماعي نَعَمْ يا سَيِّدي ... كَيْما أعُودَ بِهِ قَرِيرَ العَيْنِ

/ ولا يخفى ما فيها من الركة، سيما مع اختلاف حركة ما قبل الرَّوي في البيت [٤٠ ب] الثالث كونها مفتوحة وهي مكسورة في البيتين السابقين، وذلك معيب عند العروضيين ويسمونه : السِّناد - بكسر السين المهملة - ؛ وأما الاختلاف بالضمة والكسرة، فيجوز تعاقبهما عندهم ولا يكون عيبا في اصطلاحهم.

وأكثر أبيات القاضي يحيى مأخوذ من كلام القاضي العلامة البليغ محمد بن إبراهيم السُّحُولي [٥] - رحمه الله وأعاد من بركاته - وهي أبيات كتبها إلى المولى الإمام المتوكل على الله زين الأنام إسماعيل بن القاسم أمير المؤمنين [٦]، رضوان الله عليهما [٧] آمين. وإنما غيَّر القاضي يحيى القافية واسم الابن، وهيهات أين نَجْدٌ من تهامة، بل

---

١. ما بين المعقوفتين ذهب بخرم في الأصل ص استدركناه من س.
٢. جاءت في النسختين ص و س : «جار» غير منصوبة فصوبناها.
٣. «أيام» : عسف بها خرم في الأصل ص، واستدركناها من س.
٤. في س زيادة كلمة : «كأنه».
٥. محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي من أشهر شعراء اليمن وقضاته في القرن الثامن عشر (انظر : البدر الطالع : ٢/٩٦-٩٧ ؛ الحبشي، مصادر : ١٣٠-١٣١)
٦. في س : «القاسم بن أمير المؤمنين» سهو.
٧. في س : «عليهم».

أين الـغَرْقد من الفَـرْقَد[١] في بلاغة المعاني [واللفظ وحسن السبك][٢] والاستقامة. وأبيات العلامة السُّحُولي — رحمه الله — هي قوله:

مَوْلاي إسْمَاعِيـلُ لي طِفْلٌ بكُمْ ... مُـتَـبَـرِّكـاً أدْعُـوهُ إسْـمـاعِـيـلا

قَدْ عِيلَ صَبْرِي مِنْ مُفَارَقَتِي لَهُ ... لا [لـلـرِّبـاب ولا لأسْـمـا][٣] عِيـلا

مُنُّوا بإسْماعِي: نَعَمْ، يا سَيِّدي ... لا تَـقْـطَـعُـوا قَـلْـبِي بإسْـمـاعِي لا

فتأمل ما فيها من أنواع[٤] البديع من الجناس اللفظي والخطي والمقابلة.

* * *

‹وصول السيد العلامة محمد بن أحمد الحازمي›

نعم، ولما لم يتم من سعايتهما شيء، رجح الإمام إرسال السيد العلامة محمد ابن أحمد الحازمي/ إذ هو الخِرِّيت[٥] الماهر، لكونه من أهل الجهة الممارسين لإبراز [١٤١] الضمائر. فوصل كذلك إلى الشريف، ثم إلى صبيا، ولكن كانت الحالة كالأولى:

إنَّـمـا تَـنْـجَـعُ[٦] المَقَـالَـةُ في الأمْــ ... ــرِ[٧] إذا صادَفَتْ هَوىً في الفُؤادِ

ثم خلفه سيد من بني المدومي، والحال الحال، في عدم انتظام المقال:

ولَـمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ دَهْرِنا ... سِوَى أنْ نَقَلْنَا[٨] مِنْه قِيلَ وقَـالُوا

* * *

---

١. الغرقد: شجر عظام من العضاه، أو هو كبار العوسج، والفرقد، بالفاء: واحد الفرقدين وهما نجمان في السماء لا يغربان، وقيل: هما كوكبان قريبان من القطب. (اللسان: غرقد، فرقد).

٢. ما بين المعقوفتين زيادة في س.

٣. ما بين المعقوفتين عسف به خرم فذهب به، وأستدركناه من س.

٤. «أنواع»: ليست في س.

٥. في س: «الحريز» مصحفة. والخريت: الدليل الحاذق الماهر (اللسان: خرت).

٦. في س: «ينجع»، والبيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وفي الديوان: «تنجح».

٧. كذا الأصل ص مصحفة، وفي س: «المرء» وهي الصواب.

٨. بدلها في س: «قول» ولا يقوم بها البيت.

[بنويام لا يناصرون الشريف في تملك صبيا]

وما زال الأمر في اتساع، والتباين[١] في استتباع، والشريف يوجه[٢] همته إلى تملك صبيا لا يصده عن ذلك صاد، ولا يرده عن مطلبه راد؛ فطلب أهل نجران وغيرهم من قبائل سَحَار[٣] ووائلة[٤]، حتى جمع محطة عظيمة هائلة؛ وعزم على النهوض لأخذ صبيا المحمية، وإضافتها[٥] إلى ما تحت يده من الجهات العريشية، عملا بقول القائل :

إذا لم تَمْلُكِ الدُّنْيا جَميعاً كما تَخْتَار فاترُكْها[٦] جَميعا

والحال، أن يام والمكارمة لم يكن في بالهم إسعاده على أخذ صبيا ومخلافها لمواثيق قد جرت بينهم وبين الخليفة لا يقضي الشرع ولا العرف بإخلافها. وقد ألزمهم الإمام بعدم المظاهرة للشريف على ذلك، بل وحذرهم أشد التحذير عن التعرض لما هنالك. فلم يتبين لهم من الشريف إلا أنَّ قصده استخدامهم في جهات بلاده، وأنه غير مُتَعدٍّ إلى شيء من حدود أضداده. ونزلت منهم / محطة رئيسهم النقيب[٧] علي ابن جابر بن نُصَيِّب اليامي. [٤١ ب]

فلما استقر بحضرته، وتبين له من فحوى خطابه محض إرادته، أجابه بعدم الامتثال والإسعاد؛ وأنه لا يتم ذلك إلا برأي إماميٍّ يقتضي ذلك المراد؛ فورَّى له الشريف بأنه (ستكون حركته إلى أطراف)[٨] البلاد، يحد ذلك إلى قرية الريان[٩] من قرى وادي جازان. فطاوعه على ذلك، وخرج بمن لديه لهذا الشأن؛ وكان خروجه

---

١. في س : «واستتباع».

٢. في س : «موجه» تصحيف.

٣. في س : «أسحار» مصحفة.

٤. وائلة : بطن من قبيلة ذي محمد المتوضعة في جبل بَرَط شرقي مدينة صعدة.

٥. في س : «وأضافها» مصحفة.

٦. كانت في الأصل ص : «فاملكها» وبإزائها في الهامش تصحيح بما أثبتناه، وذلك التصحيح يوافق ما جاء في س.

٧. في س : «الفقيه» مصحفة.

٨. ما بين القوسين جاء في س : «سيكون إلى أطراف» تحريف.

٩. الريان : قرية من القرى الواقعة في أسفل وادي جازان. (انظر : العقيلي : المعجم : ١١١)

في أوائل شهر[١] شوال الكريم، فاستقر بقرية الريّان، وصُحْبته جماعة من الفرسان، منهم عمه الشريف حوذان. ثم عزم على النهوض إلى قرية صنّبة[٢] من قرى وادي ضمد، وهو من حدود أهل صبّيا. فانخزل[٣] عنه النقيب[٤] علي بأكثر الجند ورجع إلى أبي عريش، وتقدم الشريف ببقية القوم، وقد كانوا باطنوه على مقصده، واستعطفهم بالطمع، ومعه أهل الخيل، وما كان يظن أنه يقضي بذلك الجمع وطراً، ولا أن يحصل له نيل:

ولـكـنَّـهُ إنْ سَـاعَـدَ المَـرْءَ جَـدُّهُ   تَـهَـيَّا لَـهُ مـا لَـمْ يَكُـنْ في جَـنـانِـهِ

***

[مفاوضات بين الطرفين]

فلما استقر بقرية صنبة، بلغ خبره إلى الشريف أبي طالب، فخرج إلى قرية الضّيّة، وأرسل في لقياه[٥] جماعة من الجند والخيالة، أولي البأس والنجدة والبسالة/ [١٤٢] أكثرُهم من السادة النعميين، ومعهم جماعة من الأشراف الخواجيّين؛ فوصلوا إلى هجرة ضمد، ثم رحلوا منها الى قرية خُضَيّرة[٦]، وهي محاذية لصَنّبَة من جهة الشرق، وتقارب الجمعان بحيث يسمع كل منهما صوت[٧] بندق الآخر. على أن الحال على خلاف ما قال:

وأكْـثَـرُ مـا يـكُـونُ المَـرْءُ شَـوْقـاً   إذَا دنَـتِ الـدِّيَّـارُ مِـنَ الـدِّيَّـارِ

وبقوا على ذلك أياماً. ثم ترجح للشريف إرسال بعض الأعيان إلى أهل صبيا للسعاية في صلح مضمونه: أنهم يسوقون له نصف متَحصَّل بلدهم في السنة، ثم يعود إلى أبي

---

١. في النصف الثاني من أوكتوبر سنة: ١٧٤٦ م.

٢. صنبة: قرية تقع شمال الريان بالقرب منها: (انظر: العقيلي: المعجم: ١٤٤)

٣. في س: «فا نعزل» مصحفة.

٤. في س: «الفقيه» مصحفة.

٥. في س: «لقاه» تصحيف.

٦. يحدد العقيلي موقع قرية الخضيرة في الغرب من مدينة ضمد، بينما تقع جنوب ضمد في الخرائط الحديثة. (انظر: العقيلي: المعجم: ٩٥)

٧. «صوت» ليست في س.

عريش فوصل أولئك الوسطاء [١] ؛ وعرضوا على أهل صبيا ذلك الخطاب، فعدوه من قسم الخطأ؛ ورأوا أن هذه خطة لا يقبلونها حتى يؤوب العارضان. وردوا عليهم أقبح رد لا يليق بمثل أولئك [٢] الأعيان ؛ واعتقدوا فيهم ما لا يحسن اعتقاده في أحد من أهل الإيمان. فانصرفوا راجعين إلى الشريف، وعرّفوه بجميع ما فهموه بلا تحريف. ولعل أهل صبيا قد طلبوا من الوسطاء أن يُعَرّفوا الشريف في كَفْلَة ثلاثة أيام، فعرفوه بذلك، ولم يسعدهم إلى ذلك المرام.

***

‹حرب خضيرة›

بل كان همه، في صبيحة الليلة التي وافَوْهُ بها، التقدم على أهل خُضَيرة من جند الشريف أبي طالب/ وذلك في العشر الأواخر من [٣] شوال. فالتقى الجمعان، [٤٢ ب] وانكسر جند أهل الشام [٤]، وقُتِل منهم جماعة في ذلك الصدام، منهم السيد الباسل [٥] محسن بن عبّده النُّعْمِي، وهو فارس صنديد. وقتل من أصحاب الشريف حامل لوآء خيله الشريف محمد بن غنية الذروي، نسبة إلى أمه على عرف أهل البادية. وولى أهل الشام الأدبار. [ودخل الشريف وأصحابه قرية خُضَيّرة، فأشعلوا في مساكنها النار][٦]. ثم توجه الشريف إلى هجْرة ضَمَد فدخلها ونهب [٧] جنده أكثر مواشيها، وأحرقوا أكثر مساكنها، ومحوا رسومها، وغيروا محاسنها، فتفرق [٨] أهلها في كثير من الجهات، وانحل سِمْط اجتماعهم فكانوا أبناء عَلاَّت [٩]، وقذائف فلوات.

---

١. في س: «الوسطى» وكثيرا ما يقع الناسخ في مثل هذا الخطأ.

٢. في س: «إلا ذالك» تحريف.

٣. في س زيادة: «من شهر شوال». ويوافق أوائل نوفمبر سنة: ١٧٤٦ م.

٤. أهل الشام ههنا يريد بهم أهل منطقة صبيا.

٥. في س: «الفاضل» سهو.

٦. ما حصرناه بين المعقوفتين زيادة جاءت في س على ص.

٧. في س: «فنهب» مصحفة.

٨. في س: «وتفرق».

٩. في س: «علان» مصحفة، ولا معنى لها. والعلات: مفردها: علة، وهي الضرة، وأبناء العلات: =

وولج منهم جماعة إلى معقل قد كانوا عمروه أيام مقاومتهم، فرموا منه بالبنادق، فامتنعوا هم ومن في حوزتهم، وكان فيه فرجة من بعض ما حل لهم.

***

‹مقتل الشريف مبارك بن محمد›

ووُضع للشريف سرير يماني القرية المذكورة ليستريح عليه ساعة، فلم يشعر إلا بمفاجئة الخبر له بقَتْلِ عمه الشريف الفاضل مبارك بن محمد بن خيرات الحسني، رحمه الله، وكان سرياً[1] تقياً، ملازماً لحج بيت الله الحرام في غالب الأعوام، فأكرمه الله بالشهادة القاضية له بحسن الختام:

ما نالَهُ غَيْرُ ما نال الكِرامِ وهَلْ　　　بالقَتْلِ في اللهِ يا للنَّاسِ مِنْ عَارِ

[١٤٣] / والسبب في قتله أنه كان ساكنا بقرية الريان، فلما سمع أصوات البنادق أغار من ذلك المكان طمعاً في تدارك بعض الأمر، وإشفاقاً على بعض أولاده الذين بين يدي الشريف، وخشية من الوقوع في الأمر المخيف؛ فلم يصل إلى قرية خضيرة إلا بعد توجه عسكر الشريف منها إلى ضمد، وخلت منهم القرية فلم يبقَ بها أحد. وصادف وصول جماعة من فرسان أصحاب الشريف أبي طالب قد أغاروا من جهات صبيا لما شاهدوا اشتعال النيران، وما حلَّ بأهل تلك القرى من المعاطب. فوقع بين أيديهم وهو غير متأهب لقتال[2]، ولا مستشعر لآلة الحرب والنزال؛ بل مستصحب منهم ومن غيرهم للسلامة[3]، فاتخذوه مغنما، ولم يراقبوا من الله — سبحانه — فيه العقوبة يوم القيامة، وشاهد الحال:

غَيْرِي جَنَى وأنا المُعَاقَبُ فِيكُمُ[4]　　　فكَأنَّنِي سَبَّابَةُ المُتَنَدِّمِ

---

* بنو أمهات شتى من رجل واحد. ويضرب ذلك مثلاً على أن هؤلاء لم يكونوا على كلمة واحدة بل هم شتى متفرقون. (المحيط).

١. في س: «شريفا».

٢. في س: «للقتال» مصحفة.

٣. في س: «السلامة» تصحيف.

٤. في س: «بينكم» مصحفة.

أو كما قال :

وحَمَّلْتَني ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ كَذي[1] العرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وهْوَ رَاتِعُ

وكان القاتل له – كما قيل – بعض أقرباء السيد أحمد بن إبراهيم المقتول في حرب العقدة، كأنه رآه نظيراً له في الصلاح والعفاف. وعند الله يجتمع الخصوم، وينتصف من الظالم للمظلوم.

فلما علم[2] الشريف بقتله دخل عليه غم عظيم / ومصاب جسيم. ثم كر راجعاً [٤٣ ب] من حينه حتى وصل إلى مقتله وحمله إلى أبي عريش فدفنه[3] بمقابر أهله.

وعند ذلك اضطرمت نار الفتنة اضطراما شديدا، وحصل من الوقائع ما سيأتي ذكره – إن شاء الله – منضدا مقصودا مسرودا :

فكَمْ مَنْ قتيلٍ قَدْ[4] تَوَلَّى كأنَّما خُضِبْنَ[5] بِماءِ الأرْجُوانِ ثِيابُه[6]

***

‹عزْم الشريف شبّير بن مبارك – رحمه الله – إلى مكة المشرفة›

وفيها : ترجح للشريف إرسال الشريف شبير بن مبارك المذكور إلى مكة المشرفة مستنجداً بمليكها الشريف مسعود بن سعيد[7] لما بينهما من الرّحِمِ المؤلفة[8]، ومستنصراً به على أهل صبيا لسبب هذه المتألفة. فلما وصل إليه، وأفضى إليه ما لديه، قابله بالقبول، وأنزله المنزل المأهول؛ ووعده ببلوغ القصد والسُّول.

***

١. في الأصل ص وفي س كليهما : «كذا» خطأ. والبيت للنابغة الذبياني، انظر ديوانه، واللسان : (عرر). والعر : الجرب، أو قروح بأعناق الفصلان. أو قروح تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها، فتكوى الإبل الصحاح لئلا تعديها الإبل المريضة.

٢. في س : «عرف».

٣. في س : «ودفنه».

٤. «قد» : ساقطة في س.

٥. في س : «حضبن» مصحفة.

٦. في س : «ثنائه» تصحيف قبيح.

٧. حكم الشريف مسعود بن سعيد بن سعد مكة المشرفة من سنة : ١٧٣٢ م حتى سنة : ١٧٥٢ م (انظر : دحلان، خلاصة : ١٨٧ – ١٩٥ و(Uzunçarşili, *Mekke-i mükerreme emirleri*, p. 104-108

٨. في س : «والمؤلفة» زيادة واو.

[قبض شريف مكة على حجاج من جهة صبيا]

وفيها: حج جماعة من علماء[١] مخلاف صبيا من السادة النُّعْميين، وغيرهم من ضعفاء[٢] المسلمين؛ فقبض[٣] عليهم الشريف مسعود، وأودعهم[٤] حبس القُنْفُذَة[٥]؛ فبقوا فيه أكثر من سنة، ثم أطلقهم لعدم الجدوى. والظاهر أنه شفع فيهم الخليفة. والله أعلم بحقائق الأمور اللطيفة.

***

[رفض شريف مكة مناصرة شريف أبي عريش]

وبقي الشريف شبير بحضرة صاحب مكة مدة طويلة الحد، لم يتم له فيها مقصد، بل كان يُنَوِّع له المعاذير، إلى أن قال له: «تلك الديار نظرها إلى الإمام، ليس لنا فيها تقديم ولا تأخير/، وإن الرجوع في مثل هذا الأمر إليه». ثم أصحبه كتباً إلى الخليفة وعوّل عليه. [١٤٤]

***

[وفاة السيد مهدي بن عز الدين بن علي النعمي]

وفيها، لعله في ذي الحجة الحرام[٦]: توفي السيدالعلامة الجليل مهدي بن عز الدين بن علي النعمي، الحاكم بمدينة صبيا. وكان سيداً حسن الأخلاق، بشاشاً في وجوه الرفاق. له دُرْبَةٌ بعلم[٧] النحو تُقدمه على غيره ممن[٨] في طبقته وجهته. رُوِي أنه

١. «علماء»: ليست في س.
٢. الضعفاء: هم الرعايا الذين لا يحملون السلاح في النظام الاجتماعي اليمني التقليدي. (انظر: Serjeant, San'a', Glossary)
٣. في س: «وقبض».
٤. في س: «وأودع بهم» تحريف.
٥. القنفذة: ميناء على ساحل الحجاز جنوب جدة على بعد ٣٠٠ كيلومتر منها.
٦. الموافق أواخر ديسمبر سنة: ١٧٤٦ ـ أوائل يناير سنة: ١٧٤٧.
وقد جاء في هامش س تنبيه بخط الناسخ نصه: «قد سبق تاريخ وفاة هذا السيد المذكور في هذا الكتاب في سنة ثمانية و ستين بعد المائة والألف، فهذا سهو أو تكرير، فتدبر».
٧. في س: «لعلم» تصحيف.
٨. «ممن»: ساقطة في س.

كان يحفظ كثيراً من الشواهد النحوية، والغرائب العربية؛ وربما كان يأتي على أكثر ما في (شواهد العيني) غيباً. وله عبارة مأنوسة.

وهو والد[١] العلامة الإمام الحسين بن مهدي الآتية ترجمته، إن شاء الله تعالى.

* * *

١. في س: «ولد» سهو.

السنة الستون بعد المائة والألف[١]

[الشريف محمد يبيّت الانتقام من أهل صبيا]

لم يقع فيها شيء من الوقائع ؛ لكن ما برح الشريف يتطلب الغوائل [ويحشد الجحافل][٢]، ويكرر إلى أهل نجران وغيرهم الرسائل[٣]، مجتهداً في طلب الثأر، ساعياً في غسل دنس العار، منشداً بلسان الحال قول بعض عظماء الشؤون[٤] من الآل[٥].

أليّةٌ بالجياد الجُرْد ساهمةً تَرْدَى[٦] بكلِّ طويلِ الباع وقّاع[٧]
وكُلِّ مَسْرودةٍ كالنهر سابغةٍ[٨] وكُلِّ ماضٍ رقيقِ العضب[٩] قطاع
لأبعثنَّ على الأعداء داهيةً زَحّافةً[١٠] في خُرومِ[١١] الأرضِ والقاع

وما برح كذلك حتى لاحت له الفرصة، فجرع أهل صبية مرارة الغُصَّة.

* * *

١ . الموافق : ١٣ يناير سنة ١٧٤٧-١ يناير سنة ١٧٤٨ م .

٢ . ما بين الحاصرتين المعقوفتين ليس في ص وهو في س ورأيناه وجيها فأثبتناه .

٣ . في س : « الوسائل » مصحفة .

٤ . في س : « الشأن » .

٥ . في س : « الأول » لعله تصحيف .

٦ . في س : « تروى » تصحيف . وتردى : ردى الفرس كرمى، رَدْياً ورَدَياناً : رجمت الأرض بحوافرها، أو هو بين العدو والمشي (المحيط : ردي) .

٧ . في س : « دفاع » مصحفة . والوقاع من الخيل : السريع الانطلاق والجري (المحيط : وقع) .

٨ . في س : « متابغة » مصحفة . والمسرودة السابغة : الدرع المحكمة النسج الطويلة .

٩ . في س : « العصب » بالصاد المهملة . والعضب، بالضاد المعجمة : السيف القاطع الحاد .

١٠ . في س : « رجافة » مصحفة .

١١ . في س : « في تخوم » ولعلها تصحيف .

[خلاف بين الشريف أبي طالب الخواجي والسيد حسين بن إبراهيم النعمي]

[٤٤ب] / وفيها : وقع الخلاف بين الشريف أبي طالب وبين[١] السيد الحسين بن إبراهيم، كما قد سبقت الإشارة إلى ذلك. والسبب أن السيد طلب الاستيلاء على بعض الرعايا[٢]، وذكر أن بيده عليهم أوضاعاً إماميةً. وأدى الحال إلى المباينة والجفاء، والتكدر وعدم الصفاء ؛ فكاتب السيد إلى الشريف بالتبرِّي من أهل صبْيا. وكان ذلك من أقوى الأسباب في تقوية الشريف على أخذها بلا ارتياب.

***

١. «وبين» : ليست في س.

٢. الرعايا : هم الفلاحون. (انظر : Landberg, Arabico 5, p. 116)

السنة الحادية والستون بعد المائة والألف[1]

[نهوض الشريف محمد لأخذ صبيا]

في شهر صفر[2] منها : جنَّد الشريف الجنود، وبنَّد البنود، ونهض لأخذ مدينة صبيا بجنود لا قبل لهم بها من يام وقبائل المشرق[3]، ومن البدو كسفيان[4] وغيرهم. وخرج من أبي عريش، فلم يرُعْ أهل صبيا إلا أصوات بعض بنادق أصحابه بموضع يسمى : الغَرَى[5] — بغين معجمة مفتوحة وآخره راء مهملة ثم ألف مقصورة — وهو قريب من صبيا من جهة اليمن يميل الى الغرب، وذلك على حين غفلة من أهل صبيا ؛ ولم يكن يخطر على بالهم أنه يطرح بذلك المطرح وعلى تلك الصفة.

[١٤٥] فلمّا بلغ الشريف أبا طالب خروج الشريف من أبي عريش خرج بمن معه / من الجند إلى قرية الضبية. فلما شعروا بقدوم الشريف إلى الغَرَى حصل معهم الفشل العظيم، ووقعوا في المُقْعد المُقيم ؛ وتوجهوا راجعين إلى صبيا، فخيموا في طرف المدينة من جهة اليمن لقصد اللقيا.

***

[محاولة للصلح]

فلم يشعروا إلا بوصول رسول إليهم من الشريف، وهو الشيخ علي بن مَرْبَع الشُّعْبي، يعرض عليهم الصلح، وأنهم (يلتزمون له في تسليم نصف مُتَحصَّل بلدهم)[6] ؛ كما سبق منه ذلك أيام أخذه لهجرة ضَمَد، ويجعلون له بذلك قواعد[7] وضمناء يرتضيهم، ويرجع عن بلادهم.

---

١ . الموافق : ٢ يناير سنة : ١٧٤٨–٢١ ديسمبر سنة : ١٧٤٨ م.

٢ . فبراير، سنة : ١٧٤٨ م.

٣ . يريد بقبائل المشرق تلك المتوضعة في المشرق وهو المناطق الجبلية والصحراوية الواقعة شرق المخلاف السليماني.

٤ . سفيان : إحدى قبائل الجبال شرق أبي عريش، وديرتهم بين بني الحارث في الجنوب وبين جبل فيفا في الشمال. (انظر : العقيلي، تاريخ : ١ (١)/٨٨)

٥ . انظر : العقيلي، المعجم : ١٧٨.

٦ . العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « يلتزمون في تسليم ما يتحصل من بلدهم ».

٧ . في س : « قواعد وظمان وظمناء » زيادة.

فأجاب بعض من حضر مجلس الشريف أبي طالب من أصحابه بالامتناع، وأنفوا من قبول ذلك؛ وطاوعهم الشريف أبو طالب، وعزم على الخلاف والدفاع. وقد كانت لهم خطة رشد لو قبلوها في تلك الساعة، ولكن ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[١]. فانصرف رسول الشريف خائباً، وأخبره الخبر. فبقي الجمعان كل[٢] بموضعه إلى آخر وقت الظهر من ذلك اليوم.

***

‹وقعة الغَرَى›

ثم قصد أهل صبيا محطة الشريف، وذلك عشية السبت لعله حادي عشر[٣] شهر صفر الخير. وكان أهل صبيا في غاية من القلة، إنما معهم أخلاط[٤] من أهل المخلاف. فلما عاينهم الشريف وأصحابه/ هيأ جنوده. ولما تقارب الجمعان، وتزاحف[٥] الصفان، [٤٥ ب] كانت الوقعة المعروفة بوقعة[٦] الغرى. وفر أصحاب الشريف أبي طالب منهزمين إلى الورا، ولم يثبت إلا أهل صبيا، فإنهم ثبتوا ثباتاً[٧] عظيما طار ذكره كل مطار، وامتلأت بصيتهم[٨] الأقطار.

***

‹قتل النقيب علي بن جابر اليامي›

وقُتل منهم نحو أربعة وثلاثين رجلا، وأسر منهم جمع. وقتل من أصحاب

---

١. من الآية: ٤٤ من سورة الأنفال، وتمامها: «وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور».

٢. في س: «كلاً».

٣. في س: «حادي عشر من شهر» وهو يوافق: ١١ فبراير سنة: ١٧٤٨.

٤. المراد بالأخلاط ههنا: الفلاحون القاطنون في أسفل الوديان. (انظر: Kamāl Abd al-Fattāh, *Mountain Farmer*, p. 88-89)

٥. في س: «وتزاحفا» خطأ.

٦. «بوقعة»: ساقطة في س.

٧. في س: «إثباتا».

٨. في س: «بصيتهم جميع الأقطار» زيادة.

الشريف جماعة منهم النقيب علي بن جابر[١] رئيس محطة بني يام، وآخرين[٢] من عقّالهم.

والقاتل للنقيب علي هو الشريف الشجاع مَهْدي بن أحمد بن خضير الخواجي من أشراف السَّلامة[٣] الساكنين بمدينة صبْيا، فضربه في وسط المعركة عند انهزام أهل صبيا، وهو يعالج بعضهم على سلب بُنْدُقه، فأطلق عليه جواده، وطعنه طعنة زهقت بها روحه، ورجع ظافراً؛ فحصل على يام بسبب قتله حاصل عظيم.

وأما الشريف، فأخبرني من يوثق به، أنه حصل له السرور التام، لأنه كان غالبا يعاكسه في الإقدام والإحجام، حتى روي أنه لم يساعده على أخذ صبيا والتقدم إليها إلا بالالتزام بشيء كثير من الحطام يثقل على الشريف تسليمه في تلك الحال. فكان له في قتله فُرْجَةٌ كَحَلِّ العقال؛ / ولله من قال: [١٤٦]

سَعادةُ المرءِ ويُمْنُ طَيْرِهِ * * قَتْلُ أعاديهِ بِكَفِّ غَيْرِهِ

‹خروج الشريف أبي طالب الخواجي إلى الدرب› [درب بني شعبة]

وبعد انكسار أهل صبيا وتوليتهم الأدبار، رجع الشريف إلى مخيمه بالغرى مسروراً بما ظفر به منهم من القتل والإسار. وبيَّتت[٤] أهل صبيا في تلك الليلة إلى قرى بيش، والضعفاء منهم كالنساء ونحوهن إلى قرية صلهبة لحصول التأمين لأهل القرية المذكورة من الشريف.

وأمسى الشريف أبو طالب أول[٥] تلك الليلة[٦] بمدينة[٧] صبْيا، ونهض في آخرها إلى قرية السلامة، فأقام بها يومين؛ ثم ارتحل إلى درب بني شُعْبة طريداً[٨]. وهذا شأن

---

١. في س: «علي بن جابر بن نصيب» زيادة.
٢. كذا جاء هذا الجمع بالياء والنون في النسختين ص وس وشرطه أن يكون بالواو والنون.
٣. السلامة: قرية في وادي بيش.
٤. في س: «وبث». مصحفة.
٥. «أول»: ليست في س.
٦. «الليلة»: ليست في س.
٧. «بمدينة»: ليست في س.
٨. أهم قرية في بلاد بني شعبة. (انظر: العقيلي، المعجم: ١٠٢).

هذه الدار التي لا تقر على قرار. وكانت مدة عِمالته بصبيا سنتين وثلاثة شهور، ولله عاقبة الأمور.

***

[دخول الشريف محمد إلى صبيا]

وأما الشريف فإنه أقام بمخيمه يوماً قصداً لخروج من بقي بصبيا من الضُّعفاء، خشيةً من مَعَرَّة الجيش، ثم دخلها في يوم الاثنين[1] لعله الثالث عشر من الشهر المذكور[2]، ولسان حاله ناطقاً بالظفر والحبور. مخاطباً له بقوله:

[٤٦ ب] / دَخَلْتُها وشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ ... ونُورُ وَجْهِك بَيْنَ الخَيْلِ سَافِرُهُ

في فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بهِ ... صَرْفَ الزَّمانِ لما دَارَتْ دَوَائِرُهُ

فاستقر بقلعة الشريف أبي طالب أياماً، ثم أمر بإخرابها وإخراب بيت الشريف حسين بن محسن الخَواجي، وكان بيتاً عظيماً شامخاً من أساس سلفه. فأصبحت تلك القلعة مهدمة الأرجاء موحشة الجوانب مورثة للشَّجا، ثم أحرقت محطته[3] المدينة بأجمعها عند خروجهم منها، فأصبحت[4] أثراً بعد عين، يصيح في جوانبها الصدى، وينعق بأطرافها غراب البين.

كأنْ لَمْ يَكُنْ بينَ الحُجُونِ إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولَمْ يَسْمُرْ بِمَكّةَ سَامِرُ

[بلى نَحْنُ كُنّا أهْلَها فأبادَنا ... صُرُوفُ اللّيالي والسِّنين الغوابرُ][5]

وكانت مدة إقامته خمسة عشر يوماً، واستباح جميع ما وجد[6] فيها من الأموال، وكانت جملة مُستكثرة يصعب حصرها بكل حال.

---

١. بإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص تعقيب، نصه: «بل دخلها صبح ليل الحرب، رواه المشاهد، ولم يبق بمطرحه قربها سوى طائفة قليلة».

٢. الموافق: ١٣ فبراير سنة: ١٧٤٨م.

٣. في س: «محطة المدينة» تصحيف يفسد السياق.

٤. في س: «فأضحت».

٥. البيت الثاني ليس في الأصل ص وهو في س.

٦. «وجد»: ليست في س.

وفي خلال إقامته بها رفع إلى الخليفة بما وقع بصبيا، وزعم أن ثم موجبات اقتضت فعل ما صدر منه بأهلها من الجنايات وكما قيل:

لا بُدَّ لِلمَرْءِ مِنْ تَقْدِيمِ[1] حُجَّتِهِ ... بِبَاطِلٍ أو صَحِيحٍ هَكَذا عُرِفَا
فَلِلمُحِقِّ[2] بَرَاهِينٌ يَفُوزُ بِهَا ... والحَقُّ حُجَّتُهُ لَيسَتْ بِذَاتِ خَفَا

* * *

‹وصول الشريف شبير – رحمه الله – من مكة›

وفي أيام إقامته بصبيا وصل الشريف شُبَيِّر بن مبارك من مكة المشرفة بعد أن أيس من نصرة مليكها إلى الغاية/ خلا أنه أصحبه خطوطا إلى الخليفة في حكم الإعانة [١٤٧] والشكاية؛ لكن[3] كما ورد: «إذا جاء نهرُ اللّه بطَلَ نهر[4] مَعْقِل» من حيث إنه لم يصل إلا وقد قضي المراد بأخذ صبيا والانتقام[5] من أهلها حسب ما يُراد؛ فأنشد لسان حال الشريف شُبَيِّر[6] قول بعض العرب وقد ضلت ناقته، فتطلَّبها ولم يجدها، وكانت ليلة مظلمة، فانتظر إلى أن طلع القمر. فرآها في بعض تلك المواضع التي قد[7] تطلبها فيها، فأخذ بزمامها، ثم رفع رأسه إلى القمر قائلا في مدحه:

مَاذَا أقُولُ وفيكَ القَولُ ذَا[8] حَصَرَ ... وقَدْ كَفَيْتَني التَّفْصِيلَ والجُمَلَا
إنْ قُلْتُ لا زِلتَ مَرْفُوعاً فأنْتَ كَذا ... أو قُلْتُ زَانَكَ رَبّي فَهْوَ قَدْ فَعَلَا

* * *

---

١. في س: «تقويم». مصحفة.
٢. في س: «وللمحق».
٣. في س: «ولكن».
٤. بدلها في س: «كل» تحريف لا يقوم به المعنى في هذا القول المأثور.
٥. في س: «وانتقام». مصحفة.
٦. في س زيادة: «شبير بن مبارك».
٧. العبارة في س: «وقد كان يطلبها فيها». تحريف
٨. كذا في الأصل ص و س كليهما، ولعله سهو صوابه: «ذو».

‹وفاة الإمام المنصور بالله›

ولما انتهت كتب الشريف إلى الخليفة إخباراً بما جرى[١] في صبيا، قام لذلك وقعد، وأنف مما صار، وهم بالانتقام من الشريف لو تم له المقصد؛ ولكنه[٢] سبق عليه حكم الله بما أراد، فانتقل من هذه الدار إلى جوار الملك الجواد، فسبحان الدائم بلا[٣] زوال، المتفرد بالبقاء والسلطان[٤] والجلال، ولقد صدق من قال:

ما اخْتَلَفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ ولا ... دارَتْ نُجُومُ السَّماءِ في الفَلَكْ
إلا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ مِنْ مَلِكٍ ... قَدْ زالَ سُلْطانُهُ إلى مَلِكْ
/ ومُلْكُ ذِي العَرْشِ دائِماً أَبداً ... لَيْسَ بِفانٍ ولا بِمُشْتَرَكْ [٤٧ ب]

فلما وصل الخبر إلى الشريف بوفاته، كانت له في ذلك فُرْجَةٌ، حيث أمن الانتقام، ومصائب قوم فوائد آخرين، كما قضت بذلك الأيام. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول من هذا العام[٥].

* * *

‹دعوة الإمام المهدي›

وفيها: دعا مولانا أمير المؤمنين المهدي لدين الله، رب العالمين، العباس بن الحسين المنصور[٦]، بعد وفاة والده، فنشر رسائله وكتبه إلى جميع الجهات الإمامية؛ وأرسل إلى الشريف يطلب بيعته لكونه واسطة عقد أمراء الأقطار التهامية. فسارع

---

١. في س: «بما قد جرى» زيادة.
٢. في س: «ولكن».
٣. في س: «بما». مصحفة.
٤. في س: «والسطان» سهو.
٥. تختلف المصادر في تاريخ وفاة الإمام المنصور بالله، فقد ذكر محمد زبارة في النشر: ٥٧٥ أن الإمام المنصور توفي في ذي القعدة سنة: ١١٦١ هـ = نوفمبر سنة: ١٧٤٨م، بينما يحدد الدكتور حسين العمري: Al-'Amri *The Yemen*, p. 7 وفاة الإمام في السابع من ربيع الأول سنة: ١١٦١ هـ = ٧ مارس سنة: ١٧٤٨م.
٦. «المنصور»: ليست في س.

إلى ذلك استعطافاً[١] لعلته[٢]، وتداركاً لما قد كان حصل منه في أيام والده.

***

[معارضة أمير تعز للإمام المهدي عباس]

وعارض الإمام في الدعوة عمه السيد القمقام، صفيُّ الإسلام أحمد بن الإمام المتوكل على الله[٣]؛ وكان المذكور مالكاً بجهات تَعِزّ وأكثر بلاد اليمن الأقصى[٤]. وقد تقاوم هو وأخوه الخليفة المنصور مدة من الدهر، وحصل بينهما ملاحم كثيرة قُتِل فيها من الجانبين خلائق غير محصورة، وخربت بسبب ذلك مدائن وأمصار. وبالجملة فإنه[٥] مات الخليفة والحال بينهما مضطرب ليس له قرار؛ حتى قال / أديب صنعاء [١٤٨] وشاعرها في عصره الشهاب أحمد بن الحسين الرقيحي[٦] الصنعاني[٧] (واصفاً لتلك الحروب الحاصلة بين ذينك الأخوين)[٨]، ومُوَرِّياً بهما فيما وقع من الخراب الذي (أبكى كل قلب وعين)[٩]، إذ يقول:

صِنْوان قَدْ سُقِيَا بماء واحد — والفَضْلُ خَالٍ من[١٠] كلا الإثنَيْنِ
جَرَحَا قُلُوبَ العَالَمين فَمَا لَهَا — مِن مَرْهَمٍ إلا دَمُ[١١] الأخَوَيْنِ

---

١. في س: «استعطاف» خطأ.

٢. في س: «لعلمه». تصحيف.

٣. عين الأمير أحمد بن المتوكل على الله القاسم والياً على تعز سنة: ١٧٣٦ م (انظر: Niebuhr, *Description* 2, p. 22)

٤. اليمن الأقصى: يريد به المناطق التي تقع جنوب مدينة تعز

٥. في س: «إنه».

٦. رسمها ناسخ الأصل في ص: «الركيحي» وذلك حسب نطق القاف إذا عقدت.

٧. أحمد بن الحسين، شهاب الدين، الرقيحي، من الشعراء المشهورين في القرن الحادي عشر، الثاني عشر للهجرة = الثامن عشر للميلاد. ولد في صنعاء سنة: ١٠٨٦ هـ = ١٦٧٥م، وكان يعمل فيها صباغاً. وتوفي في سنة: ١١٦٢ هـ = ١٧٤٩ م. (انظر: البدر الطالع: ١/ ٥٢-٥٣. نشر العرف: ١٢٥-١٣٢. الحبشي، مصادر: ٣٤٦)

٨. ما بين القوسين ساقط في النسخة س.

٩. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «أبكى العيون».

١٠. في س: «عن».

١١. دم الأخوين: نبات ذو زهر أحمر قان شديد الحمرة يتخذ منه أدوية و عقاقير للعلاج.

ولا يخفى ما فيهما من النكتة البديعية ؛ وغير بدع من الشعراء التَّجاري في حق الخلفاء والأمراء، ومن طالع تاريخ الدولتين عرف صحة تجاريهم بلا مَيْن :

وليْسَ الَّذي يَحكي كَمَنْ هُوَ قائلٌ كَمَا أنَّ حاكي الكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرِ

* * *

[اختلاف الآراء حول أبيات الرُّقَيحي]

ونقل بعض الأفاضل أن البيتين ليسا للرُّقيحي، وإنما هما للسيد الأديب حسن ابن عبد الله الكِبْسي[1] : قال : ، كان هجاء له مقاطيع في غاية الحسن، منها قوله، وقد فر من سجن صنعاء السيد إبراهيم الأخفش، فقال :

قالَ لي مَنْ رأى الأمير[2] عَلى القَصْـ ـرِ ذليـلاً قَـدْ ضَـاقَ ذَرْعـاً وصَـدْرا

مـا لَـه[3] تَـعْـلَـبُ فَـقُـلْـتُ لـهُ الأخْـ ـفَـشُ أعْيَـى[4] الخَلِيـلَ في اللَّيْلِ فرا

والله أعلم أيهما[5] القائل.

* * *

‹ترجمة الشهاب الرقيحي رحمه الله›

وعلى ذكر هذا الأديب الرقيحي[6] ذكرت ما دار[7] بينه وبين حيّ والدي العلامة ذي الفضل/ الجلي الحسن بن علي البهْكَلي — روَّح الله تعالى روحه — أيام هجرته [٤٨ ب] بصنعاء المحمية لطلب العلم الشريف، وذلك أنه أصبح في بعض تلك الأيام وقد

---

١. حسن بن عبدالله الكبسي من الأدباء الشعراء، كان في خدمة الإمام بمدينة اللحية، وتوفي سنة : ١١٤٠ هـ = ١٧٢٧ م. (انظر : نشر العرف : ٤٩٠-٤٩٣. والحبشي، مصادر : ٣٤٣)

٢. في س : « الأمر ». مصحفة.

٣. في س : « ماله ». تصحيف يفسد معنى البيت.

٤. في س : « أعني ». تصحيف لا يقوم به معنى البيت.

٥. في س : « أيها ». تصحيف.

٦. رسمت في الأصل ص : « الركيحي ». بالقاف المعقودة.

٧. في س : « وقع » تحريف.

ثارت عليه حمى صفراوية أحرمته لذيذ المنام، فتشوق إلى شيء من اللبن المخيض المسمى بالرَّيب في عرف تهامة، وهو اللبن الحامض الذي قد خلَّص[١] منه الزبد[٢]. ومن هذا النوع نوع آخر يسمى[٣] القطيب من المُطفّيات للحمّيات. فكتب الوالد - رحمه الله - أبياتا هي[٤] :

مَنْ لجسْمٍ في رُبا صنْعاء ظَنٍّ[٥]	كُلُّ لَذَّاتٍ حَوتْها يتَّقيها
غَمَرتْهُ مُرَّةٌ ناريَّةٌ	فهْو يَشكُو ويُنادي سَاكنيها
يا عِبادَ اللّه هَلْ مِنْ شُربَةٍ	مِنْ مَخيضٍ قيلَ لي لا رَيْبَ فيها

فلما اطلع عليها ذلك الأديب، أجاب بلا تثريب فقال :

كَمْ بِصَنْعا مِنْ كَريمٍ ماجِدٍ	كادَ يُعْطي النَّفْسَ حقاً سائليها
وبِها ما يَدفَعُ الرَّيبَ بِها	مِنْ معانٍ تُسْلَبُ[٦] الأَرْواحُ فيها
لكَ عِنْدي رائبٌ أَرْبى عَلَى	لَبَنِ الخُور وسَائلْ قاطِنيها
لَوْ دَعَوْتَ النّاس لَبُّوا سُرْعَةً	إنَّما أنْتَ بِها تُدْعَى فَقيها

والخور : موضع من بوادي صنعاء

(وأذكر في القَطيب)[٧] بَيْتَيْ العلامة بدر الدين الدَّماميني — رحمه الله — لما دخل مدينة[٨] زبيد، وسمع نداء نسائها على القطيب لبيعه في الأزقة :

[٤٩ أ]

/ نِساءُ زَبِيدَ مِنْ[٩] بَيْنِ البَرَايا	بِأنْواعِ القَطيبِ مُعَذِّبَاتُ
فَقُلْ لي كَيْفَ يَبْدي الوَجْهُ يَوْماً	بَشَاشَتَهُ وهُنَّ مُقَطِّبَاتُ

---

١ . في س : « يخلص ».
٢ . بعدها زيادة في س : « ويصير سمن ».
٣ . « يسمى » : ليست في س.
٤ . في س : « وهي » بواو زائدة.
٥ . في س : « ظن ». مصحفة.
٦ . في س : « تلسب » سهو.
٧ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « وذكرت عند ذكر القطيب ».
٨ . « مدينة » : ليست في س.
٩ . في س : « ما » خطأ.

وفيهما تورية، لأن التقطيب[1] هو تعبيس الوجه.

***

[نبذة عن بدر الدين الدّماميني]

وهذا البدر الدماميني اسمه: محمد بن أبي بكر المخزُومي، علاّمة شهير، وخضمٌ غزير. له مؤلفات في فنون من العلم. وله في الأدب يد طولى، وسابقة أولى. وقد أحببت أن أورد هنا اعتراضه على الشيخ العلامة خليل بن أَيْبَك الصَّفَدي[2] شارح (لامية العجم[3]) في شرحه الموسوم بـ(الغيث الذي انسجم) لما أنشد قول البحتري في مدح بعض الرؤساء:

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا ... ئِكَ جُنْداً[4] لا يأخُذونَ عَطَاءَ
فَيَوَدُّ الأَعْداءُ لَوْ تُضعِفُ الجَيْـ ... ـشَ عَلَيْهِم وتَصْرِفُ الآراءَ

***

[مناقشة بيْتَي البحتري]

فقال الصفدي[5] بعدهما[6]:

«قلت: لو كان لي في البيت حكم لقلت[7] بدل (وتَصْرِف) (وتُضْعِف)، فيكون

---

١. في س: «القطيب». مصحفة، ويفسد المعنى بهذا التصحيف.

٢. خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين، الصفدي، أديب، مؤرخ، كثير التصانيف، ولد في صفد سنة: ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م وتوفي بدمشق سنة: ٧٦٤ = ١٣٦٣ (تاريخ ابن قاضي شهبة: ٢/ ٢٢٧).

٣. قصيدة نظمها الحسين بن علي بن محمد، مؤيد الدين، أبو إسماعيل، الطغرائي، الأديب، في وصف حاله وشكاية زمانه سنة: ٥٠٥ هـ، ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

واعتنى بها كثير من الأدباء منهم الصلاح الصفدي، وعدد من الأدباء اليمنيون.
ولد الطغرائي سنة: ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ وتوفي مقتولاً سنة: ٥١٣ هـ = ١١٢٠ م. (وفيات الأعيان: ١/ ١٥٩ وكشف الظنون: ٢/ ٣٤٨).

٤. في س: «جند» خطأ.

٥. في س: «الصمدي» بالعين مصحفة.

٦. في س: «بعد ذلك».

٧. في س: «القلب». تصحيف.

الأول من (الأضْعاف) وهو الزيادة بالمثل، والثاني[١] : من (الضَّعْف) وهو المرض. على أن (تَصرِف) أمدح، و (تُضْعِف) أصنَع» انتهى كلامه.

وتعقّبه العلامة الدماميني - رحمه الله - بأن قال:

«أقول: إنه لو أتى بـ(تُضْعِف) مكان (تَصرِف) لحصل بين قوله أولا: (وتُضْعِف) وقوله ثانيا: (تُضْعِف) جناس تام؛ فيكون / في البيت على هذا التقدير نوع من البديع». ثم اعترف بأن (تَصرِف) أمدح من (تُضْعِف) وهو صحيح؛ لأن في ود الأعداء لصرف رأيه عنهم حمّله إشعاراً بأنهم[٢] لا قِبَل لهم بشيء من رأيه، ولا طاقة لهم بمعاداته[٣]، فهم يودّون صرف رأيه عنهم رأسا، ويختارون مقابلة الجيوش الكثيرة دونه. وحسبك (هذا آية)[٤] على أن هذا الممدوح بمكان من الإصابة، ومحل رفيع من أصالة الرأي وحسن التدبير، بخلاف ما لو قال: إن الأعداء ودّوا أن يوهن[٥] رأيه و[٦] بجعله ضعيفاً، فإنه لا إشعار له بهذا المعنى المتقدم؛ بل مقتضاه حينئذ أنّ توهينه لرأيه كاف في حصول المطلوب لأعدائه. وأن ما هو حاصل من الرأي الضعيف لا مبالاة لهم به أصلا. وفي ذلك من نقص طبقة الممدوح عن المرتبة الأولى ما لا يخفى عن الفَطِن.

[٤٩ ب]

فانظر حرص هذا الرجل على نوع من البديع الذي لا ينظر فيه إلى تطبيق الكلام لمقتضى[٧] الحال المتكفّل به علم المعاني، ووضوح الدلالة المتكفل به علم البيان كيف أوقعه[٨] في هذه الورطة، فيتخيل[٩] على نفسه بأنه لو ولي الحكم في هذا البيت

١. في س: «والباقي» خطأ.
٢. في س: «لأنهم».
٣. في س: «بمعاواته». تصحيف.
٤. بدل ما بين القوسين في س كلمة واحدة هي «هداية» تحريف قبيح.
٥. في س: «لواهن». تصحيف.
٦. «الواو» ساقطة في س.
٧. في س: «المقتضى» خطأ.
٨. في س: «أوضعه». تصحيف.
٩. في س: «فيخيل». مصحفة.

[٥٠ا] لقضى فيه بما أداه إليه هوسهُ . / وهو حكم باطل كما قررناه[١] . ولقد[٢] جرى هذا الأديب على ما هو متعارف عنده وعند الأدباء المتأخرين[٣] من نظرهم في النظم إلى اشتماله على شيء من الأنواع البديعية ، وجعلهم ذلك هو المقصودَ بالذات في أشعارهم ومخاطباتهم ؛ حتى نرى كثيرا منهم يغير الكلمة عن موضعها اللغوي ، ويخرجها عن القانون العربي ، والقياس التصريفي ، حرصاً على مجانسة أو تورية أو غير ذلك من الأنواع التي اشتمل عليها هذا الفن » . انتهى كلامه بحروفه .

ثم تعقب الدماميني العلامة علي بن أَقْيَرْس[٤] في (شرح اللامية) فقال :

« أقول[٥] هذا تحكم لاحكم ، إذ لا تثريب على قوله (تُضْعِف) فكان (تَصْرِف) فساد[٦] معنى ؛ بل الكلام تام المعنى صحيح الغرض في كون[٧] للأعداء . فإذا انضم إليه تحسين اللفظ كان في غاية الحسن . على أن في كون الأول أمدح منافسة ، لأن (تَصْرِف) مبني للفاعل ، ولهذا نصب (الآراء) ، فيكون طلب صرفها عنهم مع بقائها في نفس الأمر . و(تُضْعِف) إذا كان من (الضَّعْف) الذي هو المرض يلزمه الفساد ؛ فتحصيل غرضهم من فساد الرأي أدعى في الغرض من الصرف عنهم مع البقاء في نفس الأمر ، لاحتمال العَوْد . وحسبك ما دل عليه هذا المعنى من بلوغ الممدوح الغاية القصوى في حسن الرأي/ . حتى إن الأعداء يتمنون فساده بوقوع الخلل فيه حسداً . فبان لك من تمهيد هذه الأصول أن اعتراضه لم يقع محل القبول » انتهى . [٥٠ب]

وأقول : على قول ابن أَقْيَرس لاحتمال العَوْد ، يعني في قوله (تَصْرِف) بخلاف (تُضْعِف) فغير محتمل للعود ، أي صحيحاً . بل يستمر بحاله ضعيفاً . وعلى هذا فقد بنى علَى أنّ (تُضْعِف) أمدح من (تَصْرِف) ، والله سبحانه أعلم .

---

١ . في س : « قدرناه » . تصحيف .

٢ . في س : « ولو جرى » . مصحفة .

٣ . رسمها في ص : « المتوخرين » ، وكثيرا ما يجري على هذا الرسم في مثل هذه الحالات .

٤ . لم يذكر صاحب الكشف من شراحها شارحاً بهذا الأسم .

٥ . « أقول » : ساقطة في س .

٦ . في س : « ساد » بإسقاط الفاء ، فأفسد المعنى .

٧ . كذا في النسختين ، ولعلها : « كونه » ليستقيم المعنى .

[الرقيحي الأديب]

ولنرجع إلى ذكر الأديب الرقيحي — رحمه الله — فكم له من أشعار غالية الأسعار ؛ لا تخلو غالباً من نكت البديع ؛ فمن ذلك ما روي أنه كان له[1] بصنعاء بيت أو حانوت قريب من الجامع الكبير. وللإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بيت هناك. وكانت حرفةُ هذا الأديب صبغَ الثياب بالسواد. وعادة النُّوَب تخدم على باب الإمام بالزُّمُر[2] بعد صلاة العصر، فيحصل على هذا الأديب وأقرانه[3] ربَشٌ كثير، وانزعاج غير يسير، بسبب ما يقع هنالك من [الطبول][4] والمزامير، وحضور[5] أخلاط من الناس وزحام فكتب — رحمه الله — إلى الإمام هذه الأبيات الحسنة الانسجام :

أمولايَ لا زلتَ في رتْبَةٍ	تخرُّ النُّجومُ لَهَا ساجِدَه
ويَبْرُكَ الملكُ في منزلٍ	منَ المُلْكِ آساسُهُ صاعِدَه
/ أجرْنِي بحقِّ الجوارِ الذي	عَلَى مثلهِ تحْصُلُ الفائِدَه
فَمِن نُوَبِ الدَّهْرِ أشْكو إليْـ	ـكَ فَحَسْبِي بها نَوْبةٌ واحِدَه

***

[ذكر مقتل النقيب بخيت]

ومن بدائعه لما قُتِلَ النقيب بُخَيْتٌ المعروف بشُلُق — بضم الشين المعجمة واللام وآخره قاف — أحد رؤساء الإمام المهدي صاحب المواهب[6] وعبيده بموضع يسمى مُذَع. وكان قتله بأيدي جند الإمام المنصور بالله صاحب شهارة، رضوان الله عليه. وقد كان النقيب ممن شارك في قتل الأمير الشهير عز الدين بن حسن

---

١. «له»: ساقطة في س.

٢. الزمر: حارة في صنعاء (انظر: Serjeant, San'a').

٣. في س: «وأعوانه» تصحيف لا يستقيم به المعنى.

٤. «الطبول»: ليست في الأصل ص استدركناها من. س.

٥. بدلها في س: «وحصول» ولا معنى لها.

٦. الإمام المهدي، صاحب المواهب، محمد بن المهدي أحمد: (١٦٨٧ - ١٧١٨) كان مقر حكمه البلدة الصغيرة المعروفة بالمواهب قرب مدينة ذمار.

القطبي[١]، رحمه الله؛ وممن أغرى به الإمام صاحب المواهب، وقصته مشهورة. فقال الرقيحي مشيراً إلى هذه القصة الشهيرة:

سَرَى بُخَيْتٌ إلى ذُرَى مُدَّعٍ ... فَجاذَبَتْهُ بها يَدُ العَطَبِ
دارَتْ رَحَى مَكْرِهِ عليه كما ... أدارها سابقاً[٢] على القُطْبِي

ولا يخفى ما فيها من التورية.

***

[ذكر مقتل إسماعيل بن الإمام المهدي]

ولما قتل إسماعيل بن الإمام المهدي بموضع يسمى: العيون[٣]، قال في ذلك:

راحَ قتيلاً بالعُيُون الضِّيَاءُ ... وذاقَ فيها المَوْتَ رَيْبَ المَنُونِ
واهاً لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ بالعُلَى ... يا مُغْرَماً راحَ قَتِيلَ العُيُونِ

***

وكم له غير ذلك مما لا يأتي عليه إلا ديوان، والقليل يدل على الكثير، [ولا أقول: البعرة تدل على البعير[٤]]

***

[معارضة أمير كوكبان للإمام المهدي عباس وعمه]

نعم، ولنعد الى ذكر[٥] دعوة الإمام[٦] المهدي ومعارضة عمه له. ثم عارضهما

---

١. كان الأمير عز الدين بن حسن القطبي أمير المخلاف السليماني في أيام الإمام المهدي محمد، من مؤيدي المنصور بالله الحسين بن القاسم لما خرج على طاعة إمام اليمن ودعا من جبل شهارة، فأرسل المهدي محمد جيشا إلى المخلاف السليماني للقبض على الأمير عز الدين القطبي. ثم أمر أحد قادة جيشه وهو الأمير بخيت بقتل القطبي. (انظر: الجرافي، المقتطف: ٢٤٦).

٢. في س: «سالفاً» تصحيف.

٣. وقعت هذه الأحداث سنة: ١١٠٤ هـ = ١٦٩٣ م (انظر: الجرافي، المقتطف: ٢٤١) والعيون: موضع قرب صعدة.

٤. ما بين المعقوفتين: ليس في الأصل ص، وهو من س. ولعله تعقيب من ناسخها وليست من كلام المؤلف

٥. بدلها في س: «ذلك».

٦. «الإمام»: ليست في س.

[٥١ ب] السيد العلامة، الصوام، القوام/ صفي الإسلام أحمد بن محمد بن الحسين[١] أمير كوكبان[٢]؛ وكان من أهل العلم و العمل وصدق الإيمان، وسيأتي طرف[٣] من حميد ذكره عند ذكر وفاته، رحمة الله عليه وعظيم بركاته.

***

[مبايعة الشريف للإمام المهدي عباس]

فلما بلغت رسائل الجميع إلى الشريف، ترجّح له مبايعةُ ابن الإمام، وآثره بالطاعة على أولئك الأعلام[٤]، وأجاب عليه بالامتثال التام. وصرح بطاعته على منابر الخطابة وفي كل محفل ومقام. وأرسل بيعته إلى الحضرة المهدوية بعضُ السادة من أعوانه. فلما وصلت الى صنعاء سُرَّ بها الإمام سروراً عظيماً، وكان لبيعته موقع جسيم[٥]، وشكر له هذه الصنيعة شكراً عميماً[٦]؛ وسكنت مودته في قلبه، وأرسل له ولاية عامة على جميع أعمال المخلاف السليماني من حدود وادي مَوْر إلى وادي بَيْش؛ وأجرى له زيادة في المقرر الذي من بَنْدَر اللُّحَيَّة، على ما كان لحيٍّ والده الشريف أحمد. فاستقر بذلك قراره، وانتشرت في الجهات أخباره.

***

<وصول الشريف أبي طالب الخواجي من الدرب>

ولنعد إلى ذكر الشريف أبي طالب، فإنه لما وصل إلى الدرب، استنجد ببني شُعْبَة، وطلب منهم على الشريف النُّصرة وإرجاعَه إلى بلده؛ فأجابوه في تلك الحال إلى قصده/ فأقام بين ظهرانيهم أحسن مقام، وتلقوه بالقبول والإكرام. وقد كان رفع [١٥٢]

---

١. السيد أحمد بن محمد بن الحسين، من سادة بيت شرف الدين. (انظر: البدر: ١/ ١٠٤-١٠٦. نشر ٢٥٨-٢٧٢)

٢. كوكبان: مدينة صغيرة غرب صنعاء، على بعد ثلاثين كيلو متراً منها.

٣. في س: «طرفاً» خطأ.

٤. في س: «الأقوام».

٥. في الأصل ص وفي س: «موقعا جسيماً» بالنصب، سهو.

٦. في س: «عظيماً» مصحفة.

إلى حضرة الخليفة المنصور بما صار عليه ؛ ووصلت كتبه قبل موت الإمام، رحمة الله عليه، فعجل له الجوابات[١] بما تطيب به نفسه، وأمده ببعض إمداد وصل[٢] إليه من طريق البحر ونزل من مرسى عتْوَد[٣] أو من بعض المراسي [الشامية][٤] . لكنه عقب ذلك موت الإمام، ففات عليه جلُّ المطلب والمرام ؛ وأنشد لسان حاله، شاكياً لما[٥] عانده به الدهر من أهواله :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي ... ما ليسَ يَبْلُغُهُ في نَفْسِهِ الزَّمَنُ

ولم يزل يبالغ على[٦] بني شُعْبَة في إنجاز الوعد[٧] بالنصرة، فجمعوا له من أطاعهم من قبائل الحجاز، مبالغة لوفاء الوعد بالإنجاز ؛ وساروا معه حتى أدخلوه مدينة صبيا، وذلك في شهر جمادى الأولى من سنة التاريخ[٨] . فلما علم بقدومهم العامل بها[٩] من جهة الشريف، فر إلى أبي عريش من دون أن يقابلهم بمكروه، من حيث إنه لم يأت عليه إغارة من الشريف ؛ والعلّة أنه قد كان زلّج المحطة التي أخذ بها مدينة صبيا، ظنا منه أن الفتنة قد ماتت فلن[١٠] تحيا. وتزعزع أهل وادي جازان لقدوم الشريف أبي طالب، وفروا من مساكنهم فرار المطلوب من الطالب :

/ كَذَلِكَ قَدْ هَزَّ أبو عَرِيش ... عِطْفَيْهِ لِلنَّفْرِ بِغَيْرِ رِيشِ [٥٢ ب]

***

---

١ . في س : « الجوبات » سهو.
٢ . في س : « ووصل » بزيادة الواو العاطفة، ولا موضع لها ههنا.
٣ . أحد المراسي، في بلاد بني شعبة، شمال المخلاف السليماني.
٤ . ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ص، استدركناه من س.
٥ . في س : « بما عايده » تصحيف.
٦ . « على » : ليست في س.
٧ . في س : « في انجاز ما وعدوه »
٨ . مايو سنة : ١٧٤٨ م.
٩ . « بها » : ليست في س.
١٠ . « فلن تحيا » : ساقطة في س.

[دخول بعض بني شُعْبة إلى حزب الشريف محمد]

فأقام الشريف أبو طالب ومن صَحِبَهُ[١] من الشُّعْبيين وأتباعهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى للقدوم إلى أبي عريش، ويودون الطيران إليه لو ساعدهم الريش.

ولما مضت لهم أيام كاتب بعض الشُّعْبيين إلى الشريف خفية عن أصحابه وعن أبي طالب استجلاباً[٢] للأطماع؛ وأظهروا الندم على ما صار منهم من المطاوعة لأبي طالب والاستتباع. والحاصل[٣] أنهم قهقروا عن معاداة الشريف وحربه؛ فقبل منهم الشريف ذلك، ودخلوا في حزبه، ودخل بعضهم إليه؛ وقلب[٤] لأبي طالب ظهر المجن، ونبذوا ما عاهدوا الله عليه طلبا للرغائب والمنن، ولله القائل:

لعَمْرِي[٥] كم صاحبْتُ في الدهر صاحباً فَمَا نَالَني منهُ سوى البُؤْس والعَنَا
وجرَّبْتُ أبْنَاءَ الزَّمان فَلَم أجد فتىً منهُمُ في النّائبات ولا أنَا[٦]

ما خلا الشيخ محمد أبو مَطْمِي أحد كبراء[٧] الشُّعْبِيّين، فإنه كان خاصة للشريف أبي طالب، وكانت إقامته بالدرب[٨] في بيته، وصغى إليه بما كان من أصحابه بني شعبة.

***

‹صلح بين الشريف محمد والشريف أبي طالب›

ورجح له صلح الشريف، ورأى أنه بعد انخزال[٩] أولئك الأقوام لا يستطيع حربه. ولم يزل يعالجه/ ويتدرك له في انتظام الحال حتى أسعده إلى ما قال؛ وأنشد [١٥٣]

١. في س: «صحبته» مصحفة.
٢. في س: «استحباباً» مصحفة.
٣. في س: «والغالب» تحريف.
٤. في س: «وقلبوا».
٥. في س: «لعمرك ما» تحريف.
٦. الشطر الثاني في س: «خليلاً وفيا بالعهود ولانا».
٧. في س: «أكبر».
٨. في س: «في الدرب».
٩. في س: «انخزل».

لسان حاله[1] بلا إشكال :

إذَا ما الدَّهْرُ لم يُسْعِفْ بِقَصْدٍ ولَمْ يُسْعِدْكَ فاحْسِبْ ما يُرادُ

فوصل الشيخ محمد [أبو مَطْمي] [2] إلى الشريف، وطلب منه أمانا مؤكداً [3] للشريف أبي طالب . ثم أوصله إلى حضرته بأبي عريش في شهر رجب الفرد الحرام [4] ؛ فتلقاه بالإكرام، وأنعم عليه غاية الإنعام ؛ وأنزله في بعض بيوته ، وقرر له من الكفاية ما يقوم بمقصوده . فأقام بين يديه ، وما زال إحسانه يترى إليه .

ومن جملة ما شرطه الشريف عند تمام الصلح بينهما خروج الشريف حسين بن محسن الخواجي من صبيا ، والشريف مهدي بن خضير [5] قاتل النقيب علي بن جابر ؛ فامتثلوا ذلك ، وخرجوا إلى جهة اليمن ، قاصدين خليفة الزمن . فقبلهم وأكرم نُزُلَهم ، وقررهم بمدينة بيت الفقيه ابن عجيل ، وأجرى لهم ما يقوم بأودهم من النَّيْل ؛ وعقبهم بالمدينة المذكورة إلى حال رقم هذه الصورة .

***

[تعيين الشريف أبي طالب عاملاً لصبيا ، ثم فصله عن العمالة]

ومن حينئذ استقرت جميع جهات المخلاف تحت يد الشريف ، ليس له فيها منازع من قَوِيٍّ ولا ضعيف . ثم بعد أيام أنعم على الشريف أبي طالب بعمالة صبيا من تحت يده ، ثم عزله بعد مدة ، ثم أرجعه مرة أخرى ؛ ثم عزله ولم يلتفت إليه/ ، وقطع [٥٣ ب] عنه ذلك الإنعام الذي أسدله عليه . فبقي بمدينة صبيا قانعاً بما رزقه الله –تعالى– من الحلال ، ملازماً للجمعة والجماعة ، عاكفاً على أشرف الخصال .

***

---

١ . في س : « الحال » .
٢ . ما بين المعقوفتين زيادة من س .
٣ . في س : « موكد » .
٤ . يوليو ، سنة : ١٧٤٨ م .
٥ . في الأصل ص : « خظير » .

[توجيه صبيا إلى الشريف ظافر بن الحسين]

وترجَّح للشريف بعد استمرار يَدِه على مخلاف صبيا أن يوجه تلك الأعمال إلى ابن عمه الشريف ظافر بن الحسين، مكافأةً له على ما حصل من الموالاة[١] والمعاونة له أيام خروجه الى نجران. فكان يخرج على رأس كل سنة إلى تلك الجهات لقبض ما يطالب به أهلهامن التعلُّقات، ويستصحب معه محطة من العسكر، وجميع الأشراف وأهل الخيل من جند الشريف. وربما قلده أعمالها والنظر في شكايات أهلها. حتى استمرت حالته على ذلك، وتوجه إليه من أهل صبيا أكثر من بها من أهل المتاجر. وكاد أن يستبد بتملكها، فكان حكمه فيها أعظمَ من حكم الشريف من غير منازع ولا مشاجر:

وسَاعَدَهُ المقْدُورُ فيما يُريدُه ودارَت لَهُ أفلاكُهُ بسُعُودِها

ولم يزل مستمراً[٢] على ذلك حتى جرى بينهما ما سيأتي ذكره من المعادات والمناوأة والأحقاد التي أدت إلى خروج الشريف ظافر إلى جهة اليمن مفارقاً للأهل والأولاد:

[١٥٤] / وهكَذا الدَّهرُ مُغْرىً بالشَّتَات فلا تَرَى به سِمْطَ[٣] شَمْلٍ غَيْرَ مُنْخَرِمِ

***

١. في س: «المولاة» تصحيف.
٢. في س: «مستمر» خطأ.
٣. في س: «عقد» لعله تحريف.

السنة الثانية والستون[١] ‹والمائة بعد الألف›

‹قبض الشريف على السادة بني النّعْمي›

فيها، في أواخر شهر شعبان[٢] : توجه الشريف من مدينة أبي عريش مورّياً أنّ قصده إخراب درب بني شُعْبَة لأسباب تصدر منهم في جانب رعيته، فوصل إلى وادي صبيا بجميع مَنْ بين يديه من الأشراف والأتباع، والعساكر والأشياع، ومن جملتهم عمه الشريف حوذان وغيره من الأعيان ؛ فأقام به أياما قلائل، ثم نهض إلى وادي بيش، فنزل منه بمحل يسمى : الدُّحْل - بضم الدال المهملة وسكون الحاء[٣] مهملة أيضاً - وهو مَعْقَم قريب من قرية سلامة العرب ؛ فأقام هنالك أياماً، ثم عزم على قبض السادة بني النعمي أصحاب[٤] الترب[٥] والسوابق التي تُصمي[٦] من تجريّهم[٧] مع الشريف حوذان، أيام حرابات[٨] العقدة وما تعقبها في تلك الأزمان ؛ ولله من قال :

لا تأمَنَنَّ فتىً أودعتَ مُهْجَتَهُ غَيْظاً وتَحسَبُ ذاك الجُرح يَندمل[٩]

---

١ . الموافقة : ٢٢ديسمبر سنة : ١٧٤٨-١١ ديسمبر سنة : ١٧٤٩ م.

٢ . النصف الأول من أغسطس سنة : ١٧٤٩ م.

٣ . في س : « حاء ».

٤ . بدلها في س : « لتلك ».

٥ . كذا جاء رسمها في الأصل ص، وفي س : « التراب » ولم نهتد إلى مراده منها.

٦ . في س : « تضمن » مصحفة.

٧ . في س : « محربهم » مصحفة.

٨ . في س : « حربات » سهو.

٩ . كذا جاءت رواية هذا البيت في الأصل ص بقافيته اللامية . أما في س فقد أثبت فيها بيتان أولهما بمعنى البيت الوارد في ص وباختلاف يسير في ألفاظه . وبعده بيت آخر، وهما على روي الباء، ونصهما فيها :

« لا تأمنن فتى أسكنت مهجته غيظاً وتحسب ذاك الغيظ قد ذهبا

إن العدو وإن أبدى مسالمة إذا رأى منك يوما فرصة وثبا »

فأما[١] السيد الحسين[٢] بن إبراهيم فإنه كان[٣] كثير الحذر، وكأنما[٤] ينظر للأمور من وراء ستر رقيق؛ فلما استشعر هذا خرج من قريته المحلة، ولحق[٥] بدرب بني شُعْبَة/ [٥٤ ب] ولاذ بهم مستجيراً من الوقوع في هذه الكربة، وأنشد لسان حاله:

إذا البِلادُ تغشَّاك الهوانُ بِها فَخَلِّها لدكيكٍ[٦] العزمِ[٧] وارْتَحِلِ

***

[القبض على أهل الدَّهْناء وإخراب محلَّة السادة]

ثم إن الشريف أرسل الشريف ظافر بن الحسين لقبض[٨] أهل الدَّهناء[٩]، ومعه جماعة من العسكر وأهل الخيل والشريف حسن بن أحمد[١٠] لقبض[١١] أهل المحلة ومعه جماعة كذلك؛ وذلك في شهر رمضان المعظم[١٢] من شهر، ووقع القبض على جماعة من أعيان السادة، منهم: السيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن عز الدين وغيره من أكابرهم. وأرسلهم تحت الحفظ الى مدينة أبي عريش، وأخرب محلة[١٣] السادة وأحرق مساكنها، حتى كاد أن يقع الإياس من الإعادة، ونهب جميع ما فيها من الحبوب. وتشتت أهلها تحت كل (نجمٍ وشمالٍ وجنوب)[١٤].

---

١. في س: «وأما».

٢. في س: «حسين».

٣. «كان»: ليست في س.

٤. في س: «كأنما» بلا واو العطف.

٥. في س: «ولحق».

٦. كذا جاءت في النسختين ص و س بالدال، ولا يقوم بها معنى البيت، ولعلها بالراء (لركيك)، والركيك من الناس: الضعيف في عقله ورأيه، أو من لا يهابه أهله. (المحيط: ركك).

٧. في س: «الغرم» مصحفة.

٨. في س: «يقبض» تصحيف.

٩. الدهناء: قرية في وادي بيش، يسكن فيها سادة من النعميين. (انظر: العقيلي، المعجم: ١٠٥)

١٠. في س بعدها زيادة: «رحمة الله عليه»

١١. في س: «يقبض» مصحفة.

١٢. في س: «العظيم». وهو يوافق أغسطس-سبتمبر سنة: ١٧٤٩ م.

١٣. لم يذكر هذا المكان في معجم العقيلي، ولعل هذا المكان لم يبن بعد احتراقه.

١٤. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «نجم وشمأل وراء كل هبوب وجنوب».

‹ترجمة السيد العلامة محسن بن شُبَيْر النعمي›

وفيها: في شهر ذي القعدة الحرام[١]: توفي[٢] السيد العلامة حسام الدين محسن ابن شُبَيْر بن علي النعمي، رحمه الله، وكان سيداً فاضلاً عالماً بالفروع الفقهية، محققاً، عاقلاً[٣]، ورعاً، ليس له في الورع نظير من أهل زمنه في جهته، رحمه الله وأعاد من بركاته.

***

‹خروج الشريف حوذان من الدَّحل›

ولما وقع القبض على السادة، وكان الشريف حوذان من جملة جند ابن أخيه، أوهمه بعض الناس أنه/ لابد من القبض عليه، وأن الشريف لم يعاقب المذكورين إلا [١٥٥] بسبب[٤] الجرم المنسوب اليه. فأصبح مكانه مقفراً، وقطع مشقة الفلا على مطية[٥] السُّرى، مستعملاً قول القائل:

أذن النَّجيبةَ للتَّرْحالِ وارخِ لهَا زمامَها واخلُطِ الدَّوحاتِ بالبَكَرِ

وطلبه الشريف فلم يظفر به، وكان يظن أن توجهه الى درب بني شُعْبة، وصحبه[٦] الشريف علي بن أحمد صنو الشريف؛ ويروى أنه المُصغي إليه[٧] والموهم عليه. فلم يستقر الشريف حوذان إلا بموضع يسمى: المَرْوة[٨]، من بلاد بني الحارث عند جماعة من المغاربة ساكنين هنالك. والشريف عاد إلى وادي صبيا، فنزل بقرية الظبية إلى شهر شوال الكريم[٩].

***

١. أكتوبر-نوفمبر سنة: ١٧٤٩ م.
٢. في س: «توفا».
٣. في س: «عاملاً» ولا معنى لها ههنا.
٤. في س: «لأجل».
٥. في س: «وطية السرا»، تصحيف.
٦. في س: «وصحبته».
٧. في س: «عليه».
٨. تقع المروة جنوب شرق أبي عريش، على الجبال، (انظر: العقيلي، المعجم: ٢٠٩)
٩. سبتمبر - أوكتوبر سنة: ١٧٤٩ م.

[قتال بين بني شعبة وأشراف السلامة الخواجيين]

وفيها : في خلال إقامة الشريف بالظَّبية حصل قتال بين أشراف السلامة الخواجيين وبين بني شعبة لسبب يطول الكلام بذكره، وحصل قتل في الجانبين، وانتهى الحال إلى إحراق السلامة. فخرج أهلها إلى صبيا، وشكوا على الشريف الظُّلامة، فتأكدت في قلبه عداوة بني شُعْبة، وكان ذلك من جملة الأسباب الداعية إلى صباح الدرب وما حصل على أهله من النكبة. ثم توجه الشريف إلى أبي عريش، وقد رمَّ [٥٥ ب] / صلحا بين الفريقين سكَّن به ذلك التشويش.

***

[التبرؤ من الشريف حوذان]

وبعد عوده اهتم بشأن عمه الشريف حوذان، لأنه شن الغارات على العرب المَسارحَة رعية الشريف، وقُتل منهم رجل أو رجلان [١]، وأخذ عليهم أهواشاً كثيرة المقدار، فوصلوا يشكون على الشريف ما نزل بهم من الأضرار. فتبرأ منه وقال لهم : «إن ظفرتم به فاقتلوه ولا عقوبة عليكم فيه»، فاحتجوا [٢] بأنه لا قدرة لهم على ذلك حتى يقع التبري من جميع قرابته وذويه. فألزمهم الشريف بذلك، فتبرؤوا منه تطييبا [٣] لنفس الشريف وإسعاداً [٤] منهم لجانبه المخيف [٥]، وذلك بعد أن وصل منهم إلى الشريف حوذان من وصل، وعالجوه على الرجوع إلى أبي عريش بعد تأكيد الأمان، فلم يفعل.

***

<لحوق الشريف ناصر بن حسين بعمه الشريف حوذان>

ما عدا الشريف ناصر بن الحسين فإنه امتنع من التبري من عمه حوذان، فحصلت

---

١. في س : «رجلين» خطأ.

٢. في س : «وجنحوا».

٣. في س : «تطييت نفس».

٤. في س : «وإسعاد».

٥. في س : «المنيف» مصحفة.

عليه في نفس الشريف وحشة كانت سبب إجلائه عن الأوطان، فلحق عاجلاً بعمه واجتمع[1] به فكان حكمه كحكمه.

***

[مكاتبة الشريف حوذان المكارمة]

وبعد وصوله إليه، واتحاد[2] الكلمة منهما ومن الشريف علي بن أحمد، ترجح للشريف حوذان مكاتبةُ المكارمة يستأذنهم في الوصول إليهم لإلقاء ما في نفسه/ من المقصد. فعاد عليه الجواب بالإسعاد، وطاوعوه إلى ذلك المراد. [١٥٦]

***

[اتصال الشريف حوذان بالأمير ألماس عبد الرحمن]

فأرسل ولده الشريف أحمد بن حوذان، وابن أخيه الشريف مبارك بن الحسين صنو الشريف ناصر إلى حضرة الأمير ألماس عبد الرحمن بمدينة بيت الفقيه، وأصحبهما رأساً أو رأسين من الخيل حكم الهدية؛ وطلب منه بقاء المذكورين بين يديه حتى يصلَه منه الرأي. ولعله أخبره بتوجهه إلى نجران. فتلقاهما الأمير المذكور بالقبول، وأجرى عليهما إحسانه المأهول.

***

‹وفاة الشريف أحمد بن حوذان›

فبقيا هنالك أياماً، حتى اقتطفت الشريف أحمد بن حوذان يد الحِمَام، وانتقل إلى جوار الملك العلام. فدخل على أبيه لفراقه أعظمُ مصاب، وتجرع لفراقه [غصة][3] أعظم من الصَّاب[4].

ولقد أخبرني بعض الأشراف أنه كتب إلى الشريف حوذان كتاباً يعزيه فيه عن

١. في س: «فاجتمع».

٢. في س: «وإنجاد».

٣. «غصة»: ليست في الأصل ص أضفناها من س لوجاهتها في هذا المقام.

٤. في س: «المصاب» مصحفة.

ابنه المذكور بعد وصوله من نجران إلى أبي عريش، فأجابه[1] عليه جوابا مستهله قول علي بن محمد التهامي في مرثاة ولده :

جَـاوَرْتُ أعْـدائـي وجَـاوَرَ رَبَّـهُ شَـتَّـانَ بَـيْـنَ جِـوارِه وجِـوارِي

***

[رجوع الشريف علي بن أحمد إلى أخيه الشريف محمد]

(ثم نفذ الشريف حوذان والشريفان ناصر وعلي إلى نجران)[2]؛ فلما وصلوا إلى جبل رازح صمم الشريف حوذان وناصر، وتقاعد الشريف علي بن أحمد عنهما، ثم عنَّ له مكاتبة أخيه، / وطلب منه الأمان وربما أخبره أنه قد تطلع على جميع مقاصد [٥٦ ب] عمه حوذان. فبذل له الشريف ما طلب ثم عاد إلى حضرته، وكأنه ألقى اليه أمورا زادت في[3] استيحاش الشريف على حوذان، وتأكيد عداوته والشنآن. ومن جملة ما شاع أنه أخبره بأنه «عازم على الفتك بك إذا قدر» وحذَّره منه غاية الحذر. هذا ما انتشر بين الناس وظهر، والله أعلم بالسرائر، وبما تنطوي عليه الضمائر، ولله من قال :

أصادِقُ قَوْماً لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ على سرِّ بعضٍ إنَّ صَدْرِي لواسِعُ

وقول[4] الآخر :

وللسِّرِّ عِنْدي[5] موضعٌ لا ينَالُه خليلٌ ولا يُفْضِي إليْه شَرابُ

***

---

١. في س : «فأجاب».

٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : «ثم نفذ الشريف حوذان وناصر بن الحسين وعلي بن أحمد إلى نجران».

٣. «في» : ليست في س.

٤. في س : «وقال».

٥. في س : «مني».

‹ وصول الشريفين حوذان وناصر إلى نجران ›

ولما وصل الشريف حوذان[1] وناصر إلى نجران تلقاهما القاضي إسماعيل بن هبة الله بالإكرام . وقد كان توفي والده قبل التاريخ بأكثر من عام . فأقاما عنده بأحسن مقام . وما برح يكاتب الشريف للصلح بينهما ، وإجراء ما يقوم بحالهما . وشرط الشريفان أن يكون ذلك في وجه المكرمي وبضمانه [2] ؛ فساعد الشريف إلى ذلك ، وبذل لهما ما هنالك .

وحين وصلت الجوابات على المكْرمي ، توجها إلى أبي عريش بأمور محسومة ، وثيقة في الظاهر معلومة ، وأصحبهما[3] المكرمي جماعة من عقَّال يام ومن العسكر ؛ فتلقاهما الشريف وأجرى لهما ما شرط في الالتزام .

***

---

١ . في س : « والشريف ناصر » زيادة .

٢ . في س : « وبضمان » .

٣ . في س : « القاضي المكرمي » زيادة .

[١٥٧] / السنة الثالثة والستون[١]

‹رجوع الشريفين حوذان وناصر من نجران›

في شهر جمادى الأخرى منها[٢] : كان وصول الشريفين ومن معهما إلى حضرة الشريف.

***

[قتل الشريف حوذان بن محمد]

وقد كان صمم على قتل حوذان، واستعد لذلك جماعة من أمراء[٣] الجَوْف[٤] من الفرسان، ورتَّبهم عنده للاستعانة بهم على هذا الشأن ؛ وما زال يعمل المكايد في قتله.

فرجّح في بعض الأيام أن يجعل صريخاً في مدينة أبي عريش[٥] موهماً أن بعض البدو أخذوا أهواشا على أهل المدينة، لعله يُغير الشريف حوذان، فيقع الفتك به خارج البلد. فأغار أمراءُ[٦] الجوف مع الشريف ؛ وأغار الشريف حوذان إلى جهة غير جهتهم لأمر أراده الله سبحانه، فلم يتم لهم فيه المقصد.

ومن جملة ما أعمله[٧] من المكايد في هذا الشأن أنه أمر الشريف ظافر بن الحسين أن يتوجه بالعسكر الواصلين صحبة الشريف حوذان إلى مدينة صبيا، خشية أن يقع منهم إعانة للشريف حوذان إن أحسّوا ببعض المكروه. ورأى أن قتله بغير ذلك لا يتهيأ لكونه في وجه سيدهم المكْرمي كما مر. فخرج بهم وأقام هنالك

---

١. الموافقة : ١١ ديسمبر سنة : ١٧٤٩ - ٢٩ نوفمبر سنة : ١٧٥٠ م.

٢. « منها » : ليست في س.

٣. في س : « أشراف ».

٤. الجوف : واد شمال شرق صنعاء بالقرب من مأرب.

٥. في س : « أبي عريش مظهراً موهماً » زيادة.

٦. في س : « أمراء أشراف الجوف » زيادة.

٧. في س : « ومن جملة ما أعمله الشريف من المكائد » زيادة.

كثير [١] أيام حتى قضي الأمر. ومع خلو المدينة منهم سارع الشريف إلى اغتنام الفرصة، وحذف ضمير الشأن من هذه القصة.

وكان الشريف حوذان يصل إليه ويسلم عليه في محله لا يداخله منه واهمة خوف، / ولا يخطر بباله أن يفتك به هو وأمراء الجَوْف. فمشى إليه في بعض الأيام، [٥٧ ب] وذلك يوم الأربعاء في العشر الأُوَل [٢] من شهر رجب الحرام [٣]، قاصداً للتسليم عليه؛ فصادف في حضرته الشريف علي بن أحمد وغيره من الأشراف، وجماعة من أهل الجوف بين يديه. فلما [٤] سلم على الشريف، وجلس إلى جنبه، أشار الشريف إلى بعض أهل الجوف إشارة خفية قد عرفها بقلبه؛ فقام [٥] المشار إليه إلى الشريف حوذان كأنه يريد التسليم، وقبض على إبهام كفه اليمنى [٦] بفمه حتى أبان إصبعه (أو كادت، فيا له) [٧] من خلق ذميم:

والعَيْرُ يُقْدِمُ نحوَ اللَّيْثِ من ذُعُرِ

ثم اعتمد عليه، وأسنده إلى جدار المكان؛ فقام الشريف حوذان من مكانه لقصد المدافعة حسب الإمكان، فلم يقدر على أخذ سلاحه باليمين فأخذه بيساره وجرده، ثم طعن الجوفي طعنة هو بها قمين. ثم أقدم عليه آخر من أمراء الجوف، وطعنه طعنة قاتلة وصلت إلى الجوف؛ فالتفت قاصداً نحو الشريف، فضربه الشريف ضربة أصابت رأسه، وغشّى الدم على عينيه حين أذهبت إحساسه، ثم طعنه بعض الحاضرين، فسقط ميتاً، رحمه الله، في [٨] الحين. فما أحقه بقول محمد بن زياد

---

١. «كثير»: ليست في س.

٢. بإزاء هذا التاريخ في هامش الأصل ص تعقيب بخط الناسخ نصه: «بل في العشر الأوسط إن لم يكن يوم عشرين من الشهر المذكور».

٣. يونيو سنة: ١٧٥٠

٤. في س: «ولما».

٥. في س: «وقام».

٦. في س: «اليمين».

٧. جاءت العبارة المحصورة بين قوسين مضطربة في س على النحو التالي: «أو كادت أن تبين إذ كادت فياله».

٨. في س: «في ذلك الحين» زيادة.

المأربي[١]، رحمه الله في الشريف عيسى بن حمزة السليماني من قصيدة لما قتله أخوه يحيى بن حمزة[٢]/ [١٥٨] ببندر عثّر[٣] في قصة طويلة مشهورة، وفي كتب تواريخ الجهة مأثورة، إذ يقول:

قَدْ كانَ يَشْفي بَعْضُ ما بِي مِنَ أسىً ... لَوْ طاحَ يَوْمَ الرَّوْعِ في الخَيْلَيْنِ
هَيْهاتَ أنَّ يَدَ الحِمَامِ قَصيرةٌ ... لَوْ هَزَّ مُطَّرِدَ الكُعُوبِ[٤] رُدَيْني

ثم تولى بعض الأشراف وغيرهم تجهيزه، وأخرجوه من الدار ضحوة ذلك النهار، وأنشد لسان الحال:

ما كُنْتُ أحْسَبُ قَبْلَ نَعْشِكَ أنْ أرى ... رَضْوَى عَلَى أيْدِي الرِّجالِ تَسِيرُ

وقبروه بمقبرتهم المعروفة عند مسجدهم المشهور، ألا إلى الله تصير الأمور.

* * *

[انفصال يام والمكارمة]

ولما حصل في الشريف حوذان هذا الحاصل، كتب الشريف إلى الشريف ظافر يخبره بالأمر النازل؛ فلم يقُم بعد وصول الكتاب إلا يوماً واحداً، ثم قوَّض خيامه وتوجه بالمحطة إلى أبي عريش عائداً. فلما وصلوا وعلموا بقتل الشريف حوذان، عظم عليهم ذلك الشان، وطلبوا الفسح من الشريف ليتوجهوا إلى نجران؛ فأذن لهم بعد أن استمالهم بالمطامع. وحالفه بعضهم أوكلُّهم على ألا يطاوعوا المكرمي إن[٥] همَّ

---

١. محمد بن زياد المأربي، شاعر يمني عاش في النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد. (انظر: العقيلي، تاريخ: ١(١)/ ٢٠٧)

٢. حكم عيسى بن حمزة السليماني وأخوه المخلاف السليماني في أيام دولة بني نجاح. (انظر: العقيلي، تاريخ: ١(١)/ ٢٠٧-٢٠٨؛ الزليعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ٤٦-٦٠)

٣. عثر: أهم ميناء المخلاف، ثم هو مقر أمراء المخلاف في أيام سليمان بن طرف الحكمي في القرن الرابع للهجرة = القرن العاشر للميلاد. (انظر: العقيلي، تاريخ: ١(١)/ ٨٠)

٤. في س: «الكعود» مصحفة. والكعوب: مفردها: كعب، وهو عقدة بين أنبوبين من القصب ومن قناة الرمح. (اللسان: كعب).

٥. في س: «إذ».

بالنزول لطلب الثأر في هذا الأمر الواقع . وسار منهم الأكثرون، وبقي جماعة قليلون .

***

‹وصول القاضي المكرمي مطالباً بدم الشريف حوذان›

[٥٨ ب] فلما بلغ قتل حوذان إلى المكرمي/ بلغ منه ذلك مبلغاً عظيماً، ورآه من الشريف ارتكاباً جسيماً. ثم صمم هو ومن أطاعه من يام على النزول، وأجلب معه بأكثرهم على كل صعب وذلول :

كُلَّمَا نَادَى مُنَادٍ مِنْهُمُ   يَا لَتَيْمِ اللهِ قُلْنَا يَا لَمَا

وكان انفصالهم من نجران في شهر شعبان [١]. وفي أواخره وصلوا إلى حَرَض وبه إذ ذاك الشريف علي بن أحمد عاملاً من قِبَل أخيه، فتحصن بالقلعة التي هنالك، فحاصروه أياماً، ثم دخلوا عليه وقتلوه ومثلوا به أشنع مثلة لاعتقادهم أنه السبب في قتل الشريف حوذان، وانتهبوا [٢] جميع ما معه بالقلعة من الأثاث ؛ وقتلوا جُلَّ [٣] عسكره، وأسروا [٤] الباقين. ثم منّوا عليهم بعد أن صاروا من الطير كالبُغاث.

***

[تعيين المكارمة عمالاً على صبيا ووادي ضمد]

ثم توجهوا بعد ذلك إلى أبي عريش، وكتبوا إلى جميع كبراء المخلاف من السادة بني النعمي، والأشراف الخواجيين، وجميع من بتلك الأطراف وأخبروهم : « أنّا متوجهون على الشريف بأمر إمامي يقتضي عزله وتوجيه البلاد إلى غيره »، وأرادوا بذلك استمالة الناس لأنهم مقهورون [٥] من الشريف. فأمدهم [٦] أهل المخلاف بإعانات

١ . في شهر يوليو سنة : ١٧٥٠ م.
٢ . في س : « وأنهبوا » مصحفة.
٣ . « جل » : ساقطة في س.
٤ . في س : « وأيسروا ».
٥ . في س : « مقهورين » خطأ.
٦ . في س : « فأمدوهم ».

من الأطعمة والجَزور. ووصل أعيانهم للمواجهة وفرحوا بذلك لقضاء أغراض في الصدور. فنصبوا عاملاً لصبيا، وعاملاً لوادي ضمد؛/ وقد كان تلقاهم الأمير الأكرم [١٥٩]. فارس بن عبده بن أحمد القطبي صاحب المُعَنَّق[١] بالضيافة، وسار[٢] صحبتهم. وانتظم في سلكهم، ولعلهم قد أطمعوه بتوجيه الجهات[٣] العريشية إليه:

والمَرْءُ ما دامَ ممدُوداً[٤] لَهُ أَملٌ لا تَنْقَضِي العيْنُ حتّى يَنْقَضِي الأَثَرُ

***

[حصار أبي عريش]

وكان وصولهم إلى أبي عريش (في العشر الأول من شهر)[٥] رمضان المعظم[٦] من شهر[٧]؛ ومروا من شرقي المدينة، وقد فرَّ أكثر أهلها إلى مدينة صبيا وغيرها؛ فتحصن[٨] الشريف بالقلاع، إذ لم يكن له قدرة على الخروج للدفاع؛ فحطوا[٩] قبلي أبي عريش بشعب مشرف الموضع المعروف بين أبي عريش والعقدة، وسارحوا[١٠] الشريف وراوحوه بالغارات والحرب غدواً وعشياً؛ واشتد عليه الحصار فلم يستطع ذهاباً ولا مجيّاً:

وفي كُلِّ يومٍ للحوادثِ غُدْوَةٌ لها في سُوَيْدا حَبَّةِ القَلْبِ صَادِعُ

فأقاموا على حصاره إلى أواخر ذى القعدة الحرام[١١]، وأحرق الشريف المدينة العريشية، وأنتهب عسكره جميع ما فيها.

---

١. في س: «المتعنق» مصحفة.
٢. في س: «وصار» تصحيف واضح.
٣. في س: «البلاد» ولعلها سهو.
٤. جاءت في النسختين ص وس بالرفع «ممدود» وهو سهو واضح.
٥. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «لعشر مضين من شهر».
٦. بدلها في س: «الكريم». وهو يوافق أغسطس - أوائل سبتمبر سنة: ١٧٥٠ م.
٧. «من شهر»: ليست في س.
٨. في س: «وتحصن».
٩. في س: «فخيموا».
١٠. كذا جاءت في النسختين الأصل ص وس، ولعل صحيحها: «وبارحوا» وما أثبت سهو. ع
١١. أوائل نوفمبر سنة: ١٧٥٠ م.

[صلح بين الشريف وبين يام والمكارمة]

ولم يزل الحال كذلك حتى وقع بينهم الصلح على شرط تسليم مال وإجراء مقررات لهم ولأولاد الشريف حوذان في كل شهر، ويكون ذلك بضمانة الشريف ظافر بن الحسين[١]، والشريف حَسَنِ بن أحمد[١]، فرضي الشريف ذلك. ثم أخرج إليهم الشريف ظافر إلى مخيمهم / لتمام الصلح. ثم خرج إليهم بنفسه، وأدخل المكارمة إلى المدينة، فأقاموا عنده عدة أيام، ورأوا أنهم قد قضوا ما يجب عليهم من الوفاء بالذمام. وحقيقة الأمر كما قال بعض الأنام[٢]: [٥٩ ب]

إذَا مـا كَـانَ فـي الـقِـنْـديـلِ زيْـتٌ ... أضَـا الـقِـنْـديـلُ وانْـشَـرَح المُقَـنْـدِلِ

ثم تراجع أهل المدينة إليها بعد الشتات؛ وسكنت الأحوال بعد اضطرابها من تلك المتفقات.

* * *

---

١ ـ في س زيادة: «رحمه الله».

٢ ـ جاء في س بعد هذه الكلمة زيادة لا معنى لها، نصها: «نزال المدة».

السنة الرابعة والستون[١]

[انفصال بني يام والمكارمة إلى نجران]

في أواخر المحرم[٢] منها: عزم المكارمة ومن صحبهم[٣] من يام إلى نجران بعد أن أخذوا الجميع من واجههم وأطاعهم على حرب الشريف[٤] الأمان. وشرطوا عليه أن لا يعاقب أحداً من أهل المخلاف. فبذل لهم ذلك[٥] ووفى به ؛ فلم يقع منه على أحد[٦] خلاف.

* * *

‹ظهور أبي علامة›

وفيها، في شهر رجب الفرد الحرام[٧] : كان ظهور أبي علامة[٨] بموضع يسمى: (الشُّجْعَة[٩] قريب من بلاد نُهُم – بضم النون –[١٠]) ؛ وهو رجل مغربي الأصل – فيما قيل – يُروى أنه كان في أول بدايته سيّاحاً يتتبع المساجد والزوايا ومشاهد الأولياء ؛ حتى ولج إلى هذا الموضع فابتنى فيه عكفة[١١]، ودعا الناس إلى طاعته ؛ وشاع للعامة

---

١. الموافقة : ٣٠ نوفمبر سنة : ١٧٥٠-١٩ نوفمبر سنة : ١٧٥١ م.

٢. أواخر ديسمبر سنة : ١٧٥٠ م.

٣. في س : «صحبتهم» تصحيف.

٤. جاء فوق هذه الكلمةفي س : «من أهل الجهة» مقحمة بين السطرين.

٥. بدلها في س : «الأمان».

٦. في س : «أحدا» خطأ واضح.

٧. يونيو- يوليو سنة : ١٧٥١ م.

٨. هو أحمد الحسني المعروف بأبي علامة، أصله من المغرب. (انظر : نشر : الجرافي، المقتطف : ٢٥٣-٢٥٤)

٩. قرية من بلاد الشرف من بلاد حجور (انظر : القاضي محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، (٣) ٤٤٦)

١٠. ما حصرناه بين قوسين جاءت صيغته في س : «بلاد فجور بقدر ربع ميل أو أقرب» ويبدو في العبارة اضطراب. ولعل كلمة (فجور) الواقعة في النسخة س هي (حجور) وبلاد حجور : من الجبال شمال غرب صنعاء.

١١. في س : «مسجد يسمى مسجد شجعة» هكذا بالزيادة. والعكفة : مكان يعتكف فيه المتصوف للعبادة، وهو يقابل الزاوية في مصر والشام. (أفادناه الأستاذ مطهر الإرياني).

أنه المهد للمهدي المنتظر آخر الزمان. فافتتن به عوام الناس افتتانا عظيما؛ وكانت له أعمال رائعة [١] / وأحوال فاجعة. [١٦٠]

دخل كثير من الناس في طاعته اختياراً. وكان يظهر على أتباعه حكم الجذب، فوقع للعوام فيه اعتقاد عظيم؛ وطار ذكره في أقطار اليمن وتلك الأقاليم، ووصله الناس من كل فج، وتزعزع منه [٢] خليفة صنعاء وسلطان عدن ولَحَج، وداخلتهم منه الواهمة العظمى. وكان كلما اجتمع عنده جماعة من الناس وجههم إلى حرب من يريد، ولا يرجع جنده إلا منصوراً؛ وجهز على قبائل حاشد وبكيل، فملك الكثير من بلادهم، وأخرب حصونهم بعد كسر أجنادهم، وأنزل بهم أشد العذاب، حتى دخل الكثير في طاعته رغبة ورهبة.

ثم وجه همته إلى التهائم، فملك مَوْر وبَنْدر ‹اللُّحيَّة؛ وحجر المتحصل فيها من الدراهم› [٣] لبيت المال أن يسير إلى الإمام؛ فامتثل أمره أولئك الأقوام، وعظم صيته حتى ملأ اليمن والشام.

* * *

‹قبض الوالد القاضي أحمد بن محمد العواجي›

وقبض على الوالد القاضي أحمدبن محمد العواجي الحاكم ببَنْدر اللُّحيَّة، فأوصل إلى حضرته، وبقي في سجنه فلم [٤] يخرج إلا بعد قتله، كما سيأتي، إن شاء الله، استيفاء قصته

* * *

‹حرب أبي علامة جند الإمام›

وكانت عساكره تخرب الحصون الشامخة، والقلاع الباذخة بلا مشقة ولا كثرة

---

١. في س: «رائعة» مصحفة.

٢. «منه»: ليست في س.

٣. ما حصرناه بين قوسين جاء نصه في س: «اللحية والزيدية والضحي وحجر ما فيها من الدراهم».

٤. في س: «ولا».

مؤونة. وبالجملة، فجميع أحواله عجاب، تحار[1] لها البصائر والألباب، إذ لا يقوم بحربه أحد لما داخل الناس من الرعب والفشل، ولم يزل أمره في ازدياد حتى جهز جيشاً جراراً إلى مدينة/ بيت الفقيه ابن عجيل. والعامل بها يومئذ أمير اسمه: سليم [٦٠ ب] رواًض، من أكابر رؤساء الدولة؛ وقد عزُل الأمير ألماس[2] به؛ فأخرج الأمير في لقاء جنده عسكرا كثيفا، والتقى الجمعان بأطراف وادي مَوْر، فانهزم أصحاب الأمير هزيمة فاضحة، وتبعهم أصحاب أبي علامة إلى مدينة الزَّبِيدية، يقتلون وينهبون ويأسرون؛ ثم ملكوا الزيدية وأقاموا بها يوماً واحداً، وانفصلوا إلى بيت الفقيه.

فجهز الأمير سليم جيشاً آخر، فالتقوا بقرية المَراوعَة[3]، وحصل بين الفريقين قتال شديد، وقتل من الجانبين قريب من مائة قتيل، وأكثر القتلى من أصحاب الأمير من أهل الخيل. وممن قتل في هذا اليوم وفاز بالشهادة الشريف حسين بن محسن الخواجي السابق ذكره في أهل صبيا. ووصل أصحاب أبي علامة إلى بيت الفقيه، فنهبوا المدينة نهباً عظيماً، وخرج الأمير سليم بنفسه، فأصابته جراحات أثخنته. ثم عاد إلى القلعة فتحصن بها، ورجعوا عنه. وأظن هذه الحرابات في شهر شعبان أو رمضان[4].

* * *

‹خروج الشريف إلى اليمن لحرب أبي علامة›

وفيها، في شهر شوال[5]: خرج الشريف من مدينة أبي عريش إلى جهة اليمن قاصداً لحرب أبي علامة. والسبب أن المذكور أرسل جماعة من عسكره المجاذيب إلى أطراف بلاد الشريف، / فوصلوا إلى الدامغ، وهم جماعة قليلون، معهم راية، [١٦١] فطردهم الأمير الماجد أحمد بن خيرات القطبي من ذلك الموضع. ويُروى أنه أطعمهم طعاماً أودع فيه شيئاً مما يحلل عمل السحر، فأكلوه، فزال عنهم ما يجدونه من سلب

---

١. في س: «يحتار».
٢. في س زيادة: « السابق ذكره».
٣. المراوعة: قرية بالقرب من الحديدة.
٤. يونيو أو يوليو سنة: ١٧٥١ م.
٥. سبتمبر سنة: ١٧٥١ م.

الاختيار والتمييز، فرجعوا عن ذلك الموضع. ثم رفع إلى الشريف يخبره بما صدر منه؛ فشكر له ذلك.

* * *

‹حرب الشريف لأصحاب أبي علامة›

وقد أرسل الشريف بمحطة من أهل نجران لهذا المقصد، فوصلوه إلى قرية البدوي[١]، فتوجه بهم إلى مور. وكان وصوله إليه في ذي القعدة[٢]. ولما بلغ خبر[٣] وصوله أبا علامة أرسل إليه جيشاً كثيفاً، فوصلوا إلى محطة الشريف، وذلك يوم الثلاثاء في أواخر[٤] الشهر المذكور[٥]. فعبأ جنوده، والتحم القتال[٦]، وما كان بأسرع من انهزام أصحاب أبي علامة. وقد شاع على ألسنة الناس أنه لا يقطع فيهم الحديد ولا الرصاص. فبقي أصحاب الشريف في أمر مريج، وكاد أن يداخلهم الجبن؛ فلما رأوا تأثير السلاح صدقوهم[٧] الحملة، وقتلوهم أشر قتلة، وظفروا بسلبهم.

وكان لهذا اليوم موقع عظيم[٨] عند الناس، وهان بهم[٩] ما قد حل بهم من الخوف واليأس. وأسر من أصحاب أبي علامة خلق كثير، وقطعت رؤوس القتلى وأرسل بها إلى مقام الخليفة الشهير.

* * *

[حصول الشريف على المال الذي حجره أبو علامة]

[٦١ ب] / وتوجه بعد ذلك الشريف ظافر عن أمر الشريف[١٠] إلى بندر اللُّحَيَّة، فحصل

١. قرية البدوي: من قرى وادي خلب، فيما بين أبي عريش وحرض.
٢. أوكتوبر سنة: ١٧٥١ م.
٣. «خبر»: ساقطة في س.
٤. في س: «آخر».
٥. في ٢٠ أوكتوبر سنة: ١٧٥١ م.
٦. عن هذا الحادث (انظر أيضا نشر العرف، ٥٦)
٧. في س: «أصدقوهم» تصحيف.
٨. في النسختين ص وس كليهما «موقعاً عظيماً» سهو.
٩. في س: «عنهم» مصحفة.
١٠. «عن أمر الشريف»: ليست في س.

على ذلك المال المجموع الذي حجره أبو علامة واستولى عليه ؛ ورفع إلى الشريف بحقيقة الحال، ونقل أكثر المال إليه :

لِكُلِّ ضيقٍ مِنَ الأُمُورِ سَعَهْ ... واللَّيْلُ والصُّبْحُ لا بَقَاءَ مَعَهْ
قَدْ يَجْمَعُ المالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... ويأكُلُ المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

وأقام الشريف ظافر ببندر اللُّحَيَّة (أيام إقامة الشريف)[1] بوادي مور حتى وصلت الجوابات الإمامية، وأمره بالرجوع إلى أبي عريش، فرجع على الفور.

وقد كان أوهم بعض حساد الشريف على الإمام أن الشريف مع حصول هذه اليد له ربما يرغب في تملك اللُّحَيَّة. فلم يصح لهذا الإيهام أصل ؛ بل كان همته التوجه بعد وصول الجوابات إليه بلا مهل[2].

* * *

[أحد أصحاب أبي علامة بجامع اللحية]

ومن عجائب أحوال أبي علامة : أنه أرسل رجلاً من أصحابه المغاربة اسمه جُمْعان إلى بندر اللحية قبل وصول الشريف، فدخل الجامع في يوم الجمعة، والمسجد غاصٌّ بالخلائق، فمنعهم من الخطبة للإمام، ونُفِّذت منه فيهم الأوامر والأحكام، لعظم ما وقع مع الناس من الفشل ؛ فلله[3] الأمر والقوة وعليه المتّكل :

وإذَا السَّعَادةُ لاحَظَتْ عَبْدَ الشَّرَى ... نَفَذَتْ عَلَى سَادَاتِهِ أحْكَامُهُ

* * *

١. ما بين القوسين جاء في س : «أياماً مدت إقامت الشريف» كذا.
٢. جاءت : «بلا مهل» في الأصل ص : «بلا وصل» ولا معنى لها، فصوبناها من س.
٣. في س : «لله» بلا فاء العطف. ع.

[١٦٢]

/ السنة الخامسة والستون[١]

‹وصول قحطان إلى أبي علامة›

في المحرّم[٢] منها : وصل الشريف إلى أبي عريش من جهة اليمن.

وفيها : وصلت المحاط الكثيرة التي قل أن يعهد مثلها بالمخلاف السليماني من قحطان[٣]، بسبب استدعاء أبي علامة لهم إلى نصرته، وما موَّه به عليهم من إجابة دعوته، لأنه أرسل إليهم الرايات والمجاذيب ؛ فنهض إليه منهم ما ينيف على سبعة آلاف مقاتل مشاة وعلى كل نجيب.

* * *

‹قتل أبي علامة›

ولما وصلوا إليه، لم يجدوا عنده[٤] طائلاً من المال لكفايتهم. فطلبوا منه الخروج معهم بنفسه من العكفة إلى أي المحال ؛ فامتنع، لأنه قد وطَّن نفسه ألا يخرج منها البتة ؛ وإنما اصطنع فيها كوّة ربما يخرج منها[٥] للمصافحة وجهه وكفه[٦]. فأخرجوه عند ذلك قسراً[٧]، وساروا به غير بعيد ؛ ثم قتله رجل من مشايخهم اسمه : ابن حرملة، وأبان رأسه، ووصل به إلى الخليفة ؛ فشكر له ذلك أعظم شكر، وأجزل[٨] إليه أجراً، وقرر له مقرراً نافعاً يترى. وكان قتله في شهر صفر[٩] الخير. وهذا ما انتهى من حاله بعد أن تسلطن وقهر، ونهى وأمر. فسبحان من لا يدوم إلا ملكه :

---

١. الموافقة : ٢٠ نوفمبر سنة : ١٧٥١-٧ نوفمبر سنة : ١٧٥٢ م.

٢. نوفمبر-ديسمبر سنة : ١٧٥١م.

٣. قحطان : إحدى قبائل بلاد عسير. (انظر : فؤاد حمزة، في بلاد عسير : ١٤٠-١٥٠)

٤. «عنده» : ليست في س.

٥. في س : «فيها» مصحفة.

٦. عن هذه الأحداث، انظر : نشر : ٥٦.

٧. في س : «قهراً» تصحيف.

٨. في س : «وأحسن له».

٩. ديسمبر سنة : ١٧٥١-يناير سنة : ١٧٥٢م.

لا يأمَنِ الدَّهْرَ ذُو بَغْيٍ ولو مَلِكا جُنودُهُ ضَاقَ عَنْها السَّهْلُ والجَبَلُ

وأطلق من [1] في حبسه من أعيان الناس، كالوالد القاضي أحمد بن محمد العوَاجي وغيره من المشايخ الذين حل بهم اليأس، وفرّج الله عنهم بسبب قتله/ في ذلك الأوان، فلله الأمر والقوة والسُّلطان : [٦٢ ب]

لِكُلِّ شيءٍ مُدَّةٌ [2] وتَنْقَضي لا يَغْلِبُ الأيّامَ إلا مَنْ رَضي

* * *

‹ترجمة القاضي أحمد العواجي›

وفيها، في ذي الحجة الحرام، ليلة عيد الأضحى [3] : توفي القاضي العالم [4] الفاضل، حسن الأخلاق والشمائل، أحمد بن محمد العواجي، رحمه الله، ببندر اللُّحيّة ؛ وكان موته فجاءة. أخبرني بعض الثقات أنه صام يوم عرفة، وبعد الإفطار وصلاة المغرب انتقل إلى دار القرار :

ومَا المرءُ إلا كالشِّهاب وضَوْئِهِ يَعُودُ رماداً بَعْدَ أنْ كانَ ساطِعاً [5]

وكان متولياً [6] لقضاء البندر المذكور، جارياً على السنن القويم المبرور.

* * *

‹وفاة وترجمة الشريف مسعود بن سعيد› [شريف مكة]

وفيها : توفي [7] أمير مكة ومليكها الشريف مسعود بن سعيد [8]. وكان شريفاً

---

١. في س : «من كان في حبسه» زيادة.

٢. الواو العاطفة ساقطة في س.

٣. أكتوبر سنة : ١٧٥٢م.

٤. في س : «العلامة».

٥. في س : «ساطع» خطأ.

٦. في س : «متول» خطأ.

٧. في س : «توفي الشريف أمير» زيادة.

٨. كان الشريف مسعود بن سعيد أميراً لمكة من سنة : ١٧٣٢ . إلى سنة : ١٧٥٢م. (انظر : دحلان، خلاصة : ١٨٧-١٩٥ ؛ Niebuhr, *Description*, 2, p. 235-6)

هماماً، شجاعاً صمصاماً. حفظ البلاد وأمّن العباد، وقمع أولي الفساد؛ حتى استقامت أحوال الحرم الشريف في أيامه، وأمن الضعفاء والمساكين من (التخطف في أعوامه) [١].

ووردت الكتب إلى الشريف بوفاته، وبقيام أخيه الشريف مساعد بن سعيد في خلافته على جهاته. وتولى كتابة ذلك الخط الشيخ الأديب البارع بفن الأدب صارم الدين إبراهيم بن سعيد المنوفي [٢]. وضمّن ذلك الكتاب من الشواهد والأمثال ما يعجز عن الإتيان بمثله فحول الرجال. ومن جملة ما استشهد به شعر الخنساء [٣] في أخيها صخر [٤] بن الشريد:

[١٦٣] / يُذكّرُني طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْراً ... وأذكُرُهُ بكُلِّ غُروبِ شَمْسِ

ولَولا كَثْرةُ الباكِينَ حَولي ... عَلَى إخْوانِهِم لقَتَلْتُ نَفْسي

وما يَبْكُونَ مِثْلَ أخِي ولكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ [٥] بالتَّأسِّي

والكتاب موجود بالجهة بأيدي بعض الأشراف. وبلغني أنه تولى الجواب عن ذلك الكتاب الوالد القاضي محمد بن علي البهكلي، فأجاد؛ لكن لم أقف عليه.

* * *

١. ما بين القوسين جاء في س: «التخطف من أهل الفساد في أعوامه» زيادة لا معنى لها.

٢. الشيخ إبراهيم بن سعيد المنوفي من علماء مكة، كان لوالده دور هام في مخاصمات أشراف مكة. (انظر: دحلان، خلاصة: ١٣٤).

٣. الخنساء لقبها، وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من بني سليم، أشهر شواعر العرب، مخضرمة بين الجاهلية والإسلام، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها صخر ومعاوية. توفيت سنة: ٢٤ للهجرة = ٦٤٥م. (انظر: الشعر والشعراء: ١٢٣).

٤. هو أخو الخنساء، صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي، من فرسان بني سليم وأجوادهم توفي نحو سنة: ١٠ قبل الهجرة = ٦١٣م. (جمهرة الأنساب: ٢٤٩).

٥. جاءت في الأصل ص وفي س: «عنهم» سهو، والتصحيح من الديوان وهو أقوم للمعنى.

السنة السادسة والستون[1]

‹خروج الشريف على قبائل الحارث›

فيها : حصل من قبائل الحارث تَعَدٍّ[2] في الطرقات على بعض القوافل من رعية الشريف المسافرين إلى الجبل، وأخذوا أموالهم. فطلب محطة من نَجْران، وخرج عليهم بجنود عظيمة الشان ؛ فنفروا عن مواطنهم، وتحولوا عن مساكنهم، ولاذوا بالمواضع الحصينة من بلادهم. فوصل الشريف إلى الدامغ ؛ وقد خرج عنه الأمراء القطبة، والتحقوا ببني الحارث ؛ وتجمعت القبائل، فقويت شوكتهم، وهموا بحرب الدولة[3] لانضمام[4] القطبة إليهم.

* * *

‹قتل الأمير وهّاس بن حسن القُطْبي›

وكان رئيس القطبة يومئذ الأمير وهّاس بن حسن بن هاشم، وهو مطاع في عشائره الهواشم. ولما عبَّأ القبائل للقتال، وهموا بقصد[5] عسكر الشريف، كَمَنَ جماعة من القبائل أهل بنادق ببعض الأمكنة يترصدون لأول طليعة تصل إليهم من جند الشريف. وقد كان الأمير / المذكور تقدم هو وجماعة من الفرسان عيناً على أصحاب الشريف ؛ فلما أقبل، بَصُرَ به أولئك الكامنون، فظنوهم من العدو، ورموهم بالبنادق، فأصيب الأمير في ركبته، وكانت سبب ميته. فانهزموا لذلك، وتشتت شمل جماعته :

لَعَمْرُكَ ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ شَاةٍ ولا فَرَسٌ تَمُوتُ ولا بَعِيرُ
ولكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

---

١. الموافقة : ٨ نوفمبر سنة : ١٧٥٢–٢٨ أكتوبر سنة : ١٧٥٣م.

٢. في س : «تعدي» خطأ.

٣. الدولة : هو الاسم الذي كان يطلق أحيانا على حاكم عمالة – محافظة –. (انظر : Niebuhr, *Description*, 2, p. 34)

٤. في س : «لانتظام» مصحفة.

٥. في س : «لقصد» مصحفة.

[خروج الشريف على بني مروان]

ثم حصل القتال بين الشريف والقبائل، فكانت الدائرة عليهم. ثم وقع الصلح، فتوجه[١] الشريف إلى اليمن لإصلاح أحوال الرعايا من بني[٢] مروان وغيرهم[٣] لخروج بعضهم عن الطاعة. فقتل من قتل وأسر من أسر؛ ثم رجع إلى أبي عريش وقد لاح على أساريره لائح[٤] الظفر.

* * *

‹وفاة السيد الحسين بن إبراهيم النُّعمي›

وفيها، أو فيما يليها: كانت وفاة السيد الرئيس الحسين بن إبراهيم النعمي[٥]، بقرية المحلّة؛ رحمه الله تعالى[٦].

* * *

---

١. في س: «وتوجه».

٢. بنو مروان: من قبائل تهامة، تقع بلادهم في أسفل وادي تعشر ووادي حرض. (انظر: العقيلي، تاريخ: ١ (١) / ٨٣)؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن ٤، ٧٠٦.

٣. «وغيرهم» ليست في س.

٤. في س: «لوائح».

٥. بعدها زيادة في س: «رحمه الله».

٦. في س: «رحمت الله عليه».

السنة السابعة والستون[١]

[خروج الشريف على المجارشة]

فيها : وجه الشريف سريَّة على المجارشة[٢]، وأمَّرَ على تلك السرية صنوَه الشريف حسن[٣] بن أحمد[٤]؛ فصبّحهم، وقتل بعضهم لأمور أنكر صدورها منهم، منها قتل بعض بني يام.

* * *

---

١ . الموافقة : ٢٩ أكتوبر سنة : ١٧٥٣-١٧ أكتوبر سنة : ١٧٥٤م.

٢ . المجارشة : بطن من قبيلة بني الحارث. (انظر : العقيلي، تاريخ : ١ (١)/ ٨٦).

٣ . في س : «الحسن».

٤ . بعدها زيادة في س : «رحمة الله عليه».

السنة الثامنة والستون[1]

[سنة الخير]

لم يقع فيها شيء من الحوادث مما يقتضي[2] الرَّقْمُ.
وأرخها[3] بعض أدباء الشام بأن قال – ولله دَرُّهُ – في النظام :

[١٦٤]

/ يا أخا الهَمِّ لا تَضِق ... قَطُّ ذَرْعاً مِنَ الحَرَجْ
سَنَةُ الخَيْرِ أقْبَلَتْ ... وانْطَوى الهَمُّ وانْدَرَجْ
[فاشْرَحِ القَلْبَ بالرِّضَى ... تَرْتَقِي أرفَعَ الدَّرَجْ][4]
فَبِتَارِيخِهَا حَكَوا ... أذِنَ اللهُ بالفَرَجْ[5]

* * *

١ . الموافقة : ١٨ أكتوبر سنة : ١٧٥٤–٦ أكتوبر سنة : ١٧٥٥م.

٢ . في س : « يقضي » مصحفة.

٣ . في س : « فأرخها ».

٤ . البيت من س ولم نجده في الأصل ص.

٥ . يساوي هذا التاريخ في حساب الجُمَّل سنة : ١١٦٨هـ = ١٧٥٤–١٧٥٥م.

السنة التاسعة والستون[١]

[بنو شُعْبة يأخذون الجَبا من ركب الحاج]

فيها : تجددت نية الشريف على صباح درب بني شعبة ؛ إذ هو لم يزل يحاول ذلك منذ أزمان ويُسِرُّهُ غالباً، وربما أظهره في بعض الأحيان. وإنهم كانوا غيرَ منقادين للشريف، ولا داخلين تحت أوامِرِهِ ونواهيه دخول اللائذ المستخيف. وكانوا يأخذون الجبا[٢] من ركب الحج إذا مر ببلدهم.

* * *

‹حج السادة بيت الإمام أهل كوكبان›

فاتفق أنه مرّ ركب من أهل اليمن، وفيهم أعيان من السادة آل الإمام أهل كوكبان[٣]، ومنهم السيد العلامة عيسى بن محمد بن الحسين وبعض إخوانه وبنو أخيه من [٤] الأكابر. وقد كانوا مضوا على أبي عريش، فأنصفهم الشريف غاية الإنصاف. ولما وصلوا إلى بلاد بني شعبة طالبوهم بالجَبا، ولم يحترموا جنابهم المنيع، ولا عرفوا مقدارهم الرفيع؛ وقد ورد في الحديث : « إنما يعرف الفضل لأهل الفضل من الناس ذوو الفضل ». فأخذوا من السادة الرصد ؛ ثم أخذوا من مقدم الشريف ظافر بن الحسين على دبش له خاص. وجرى من بعض جُهَّالهم ثَلْبٌ[٥] في عِرْضِ الشريف غير لائق بمنصبه العالي المنيف، / ولله القائل : [٦٤]

---

١ . الموافقة : ٧ أكتوبر سنة : ١٧٥٥-٢٥ سبتمبر سنة : ١٧٥٦م.

٢ . الجبا، في الأصل : الهدية النقدية، وما يقدم للعروس في عرسه من أصحابه يسمى : الجبا، ولكنها في هذا الموضع استعملت مرتين بمعنى الضريبة أو الرسوم الملزمة، أو أخذ شيء من المال عنوة، ولعلهم سموها (الجبا) لإعطائها معنى مقبولا، وكأنها تسلم لهم عن طيبة نفس. (أفادناه المؤرخ المحقق الأستاذ المطهر الإرياني).

٣ . هم من نسل الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى. (انظر : الجرافي، المقتطف : ٢٠٢-٢٠٥).

٤ . « من » ساقطة في س.

٥ . « ثلب » ليست في س

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرةٍ بلِسَانِهِ ... ولَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرتُهُ بالـلِّسْنِ تَرْمِي بِرأْسِهِ ... وعَثْرتُهُ بالرِّجْلِ تَبْرأ[1] عَلَى مَهْلِ

وقال الآخر :

وجُرْحُ السَّيْفِ تُدْمِلُهُ فَيَبْرا[2] ... ويَبْقَى الدَّهْرَ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

والبغي -كما قيل- مصرعه ، قال :

يا صَاحِبَ البَغْيِ إنَّ البَغْيَ مَصْرَعُهُ ... فَاعْدِلْ فَخَيْرُ فِعَالِ المَرْءِ أعْدَلُهُ
ولو بَغَى جَبَلٌ يوماً عَلَى جَبَلٍ ... لانْهَدَّ مِنْهُ أعالِيهِ وأسْفَلُهُ

وقيل أيضا :

فَإنَّ النَّارَ أوَّلُهَا ضِرَامٌ ... وإنَّ الحَرْبَ أوَّلُهُ كَلامُ

* * *

[خروج الشريف على بني شعبة]

فعند ذلك اشتد تغيظ الشريف عليهم ، وجرد همته إليهم ؛ وطلب من بني يام ما يزيد على ألفي مقاتل من الرجال . ثم توجه عليهم فأذاقهم النَّكال .

* * *

‹ترجمة القاضي محمَّدِ بن علي البهكلي›

وفيها ، في شهر شوال الكريم[3] : كانت وفاة الوالد القاضي الفاضل ، العالم ، الحلاحل ، عز الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن البهكلي ، رحمه الله ، بمدينة أبي عريش .

كان من الذكاء[4] والنباهة بمكان ، وممن[5] يشار إليه في جودة الحفظ بالبنان ؛ فصيح

---

١ . في النسختين كليهما : « تبرى » خطأ .

٢ . في س وحدها : « فيبرى » .

٣ . يوليو سنة : ١٧٥٦م .

٤ . في س : « من أهل الذكاء » زيادة ليس لها معنى .

٥ . في س : « مما » ولا تصح .

اللسان، محبباً[١] إلى كل إنسان؛ حسن المخاطبة والمفاكهة، لا يكاد يملُّه جليسُه؛ ربما[٢] يساعده السجع في الكلام بلا تكلف، ويسوق العبارة الجزلة بسهولة من غير تعسف. واسع التدبير، منقطع الشكل في أهل زمنه عزيز[٣] النظير.

[١٦٥] تفقه بصعْدة في الفروع، وقرأ الفرائض حتى وقف على شطر صالح منهما[٤]/ يقدمه على غيره. ثم لازم حضرة الوالد، رحمه الله تعالى، وتحلى بآدابه، وحفظ أشعاره، ونقل آثاره.

وبالجملة، فإنه[٥] كان نادرة زمنه، وتولى القضاء، رحمه الله، بعد وفاة الوالد بسنتين[٦] بأبي عريش. ولم يزل جارياً على السنن المرْضي. وكان في أكثر ما يرد عليه من القضايا ينهج[٧] منهج الصلح بين المتخاصمين على السداد، قل أن يوجد له حكم صريح بين العباد.

وقلتُ في تأريخ[٨] وفاته ما هو في حكم المرثاة، أسكنه الله فسيح جنّاته:

رحمَةُ اللّه عَلَى القاضي الَّذي	خُصّ بالإحْسَان إذ طابَ نَجارُهْ
وغَدَا في عَصْرِه يُولِي الوَرَى	منَحاً فَهْي[٩] مَدَى الدَّهْرِ شعَارُهْ
كُلُّ مَنْ لاقاهُ يَهْوَى قَلْبَهُ	حُسْنَ أخْلاقٍ له تلْكَ ادّخَارُهْ
ولِذا قالَ النَّبيُّ المُصْطَفَى	صادقُ اللَّهْجةِ مَنْ يأمَنُ جَارُهْ
إنَّه أثْقَلُ ما يُوضَعُ في	كفَّةِ الميزانِ يا نِعْمَ اعْتِبارُهْ
قَدْ حَوَى فضلاً وعِلماً وتُقىً	وارْتَدَى بالزُّهْدِ والزُّهْدُ دِثارُهْ

---

١. في س: «مجيب» مصحفة.
٢. في س: «وربما» زيادة واو.
٣. في س: «عديم».
٤. في س: «فيها» خطأ.
٥. في س: «وبالجملة فكان» سقط وتصحيف.
٦. كانت وفاة والد المؤلف سنة: ١١١٣هـ=١٧٠٢م.
٧. «ينهج»: ليست في س.
٨. في س: «تاريخ عام وفاته» زيادة ليس لها معنى.
٩. «فهي»: ليست في س.

فَلَقَدْ صارَ إلى خالقه ... بيقين غير مدزوك غُبارُهْ
فَحَسَبْنا العام إذ مات به ... فأتى تاريخُهُ : الخُلْدُ قَرارُهْ

وقولي :

إنّه أثقلُ ما يُوضَعُ في ... كِفَّةِ الميزان . . .

إشارة إلى الحديث الصحيح : « أثقل ما يوضع في الميزان حُسْنُ الخلق » . والتاريخ : بإسقاط الألف/ من حرفي التعريف في قولِه : (الخلد) عملا بأن آلة التعريف هي : اللام فقط ، كما نقله[1] الحريري[2] ، رحمه الله ، عن جماعة من النحاة .

* * *

١ . بدلها في س : « مثل » مصحفة .

٢ . هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، الحريري ، البصري ، صاحب المقامات المشهورة ، من كبار الأدباء وله شعر ، واسم مقاماته (مقامات أبي زيد السروجي . ولد سنة : ٤٤٦هـ = ١٠٥٤م وتوفي بالبصرة سنة : ٥١٦هـ = ١١٢٢م . (وفيات الأعيان : ١/ ٤١٩) .

السنة السبعون ‹ومائة وألف›[1]

[شفاعة الشريف أحمد لبني شعبة عند أبيه]

في النصف الآخر من المحرّم[2] : وصلت المحاطُّ من بني يام إلى أبي عريش بسبب طلاب الشريف لهم للتوجه إلى درب بني شعبة ؛ فانفصل بهم إلى صبيا، ثم منها إلى وادي بيش، ثم إلى بَيْض[3] . فشفع إليه ابنه الشريف أحمد بن محمد، وطلب منه الإذن في التوسط بالصلح، لأنهم أخواله . فأذن له في الوصول إليهم، وأن يشرط عليهم إيصال المتكلم بتلك المقالة، ووصول من يريد وصوله منهم تحت العفو أو المؤاخذة بالاجترام . فإن امتثلوا هذا وإلا حصل التوجه إليهم والإقدام .

فلما وصلهم الشريف أحمد وأخبرهم بذلك، لم يرتضوا[4] ما هنالك ؛ بل صمموا على قتال الشريف، ورأوا أن الملاقاة بالحرب أخف من التعنيف :

ونركَبُ حدَّ السَّيفِ والسَّيْفُ قاطعٌ إذا لم يكُنْ مِنْ شَفْرةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

فلما أيس منهم رجع إلى والده وأخبره بما صار .

* * *

[قتال بين الشريف وبين بني شعبة]

فانفصل الشريف من بيْض، وسلك في الطريق العليا التي تقارب جبل عُكاد[5]، وهو الجبل الذي أشار إليه الشيخ الأديب عمارة بن أبي الحسن[6] علي بن زيدان في

---

١ . الموافقة : ٢٦ سبتمبر سنة : ١٧٥٦-١٤سبتمبر سنة ١٧٥٧م.

٢ . أوائل أكتوبر سنة : ١٧٥٦م.

٣ . البيض : يذكر العقيلي في المعجم : ٦٤ أنها قرية تقع على الضفة الشمالية من وادي جازان، ونفهم من النص ههنا أنها تقع شمال بيش.

٤ . في س : «لم يرضو».

٥ . جبل عكاد : يقع على بعد / ٥/ كيلو مترات شرق درب بني شعبة. (انظر : العقيلي، المعجم : ١٦٤-١٦٥)

٦ . الشيخ عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان، مؤرخ يمني عاش في القرن السادس للهجرة = الثاني عشر الميلادي، له (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، وشعراء ملوكها وأعيان أدبائها). (انظر : فهرس المكتبة =

قوله يخاطب نفسه، وقد أشرف عليه وهو قريب من وطنه :

/ إذا رأيتِ جبلَيْ عُكادِ وعكوتَيْن منْ مكانٍ بادي [١٦٦]

فاستبشري يا عيْنُ بالرُّقادِ

فلما قارب الدرب لقيه بنو شعبة بجموع تملأ الوهاد ؛ فالتحم القتال، وكانت الدائرة على بني شعبة لما عصفت بهم ريح تلك الأجناد ؛ وقتل من عساكرهم جمع كثير، وأسر جمٌّ غفير. فأرسل الشريف برؤوس القتلى مع الأسرى إلى أبي عريش ؛ ودخل قرية الدرب، فاستباح بها النهب والسلب، وأخرب حصونها، وكشف مستورها ومكنونها[١] ؛ وأحرق جميع ما فيها من المساكن، حتى تكدر صفوُها الذي كان غير آسن. وأقام هنالك يومين ؛ ثم طلبوا منه الأمان، فبذله لهم، وارتحل عنهم.

وكان لهذه الواقعة موقع عظيم، فرسخت هيبته في قلوب جميع أهل الإقليم[٢]، لأن الدرب من أعظم المعاقل الحصينة، وبنو شعبة أهل شوكة ونجدة غيرِ مهينة.

ومن حينئذ خضعت للشريف رقاب العباد، وتمهدت لعظيم سطوته البلاد ؛ ولم يهمّ أحدٌ[٣] بمناوأته ولا معاداته من أهل القرى ولا من أهل البواد. ولم يُقتل من جنده إلا قليلون، ووقع في بعض الأشراف جراحات[٤] انتهت إلى السلامة.

* * *

[خروج الشريف علَى بني الحارث]

وبعد وصوله إلى أبي عريش توجه بذلك الجند إلى بني الحارث/ فاستولى على بلادهم، وقتل كثيرا منهم، وأسر من أسر ؛ ثم عاد إلى أبي عريش. وبعد استقراره زلّج أكثر المحطة وقد قضى أربه من ضده، وطلع في سماء الفخار طالع سعده. ثم بعد مدة أطلق الأسارى من عسكر بني شعبة بفداء[٥] وبغيره. [٦٦ ب]

الغربية : ٧٠٠. أيمن فؤاد سيد، مصادر : ١٠٨-١١٠ و(Kay, *Yaman, its Early Mediaeval History*

١ . في س : «ومكتومها» مصحفة.

٢ . في س : «الأقاليم» تصحيف.

٣. في س : «أحدا» : خطأ.

٤ . في س : «جرحات» تصحيف.

٥ . رسمت في الأصل ص وفي س : «بفدى» مقصورة، وكثيراً ما يقع من مثلها.

‹الشيخ عيسى بن زيد وأصحابه›

وفيها : وقع من بني مروان تعدٍّ[١] في الطرقات، وأخذوا دراهم وقُماش، على بعض رعية الشريف المسافرين، وكانت أموالاً مستكثرة ؛ فخرج عليهم بمحطة وافرة، وطلب خيلا وعسكرا من بني شعبة، كأنه للاستعانة بهم في الظاهر ؛ فوافوه بقرية البدوي، فقبض على جماعة من مشايخهم، منهم الشيخ عيسى بن زيد وغيره ؛ ثم أرسلهم إلى قلعة أبي عريش. وسبب ذلك أنه وقع منهم بعض تشويش بعد انفصال الشريف عن[٢] الدرب، وهموا باللحاق بعده، حتى أغار الشريف إلى صبيا ولم يصح منهم شيء.

وبعد القبض على المذكورين توجه على بني مروان فغرَّمهم أضعافاً مضاعفة على ما أخذوه من تلك الأموال في ذلك الأوان.

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

ثم رجع إلى أبي عريش، ومكث الشيخ عيسى ومن معه في الحبس قريباً من ثلاث سنين حتى حصل صباح الدرب في المرة الأخرى[٣]، ثم أطلقهم من الأسر[٤].

* * *

‹ترجمة الفقيه علي بن حسن البهكلي›

[١٦٧] / وفيها، في ذي الحجة الحرام، ثاني عيد الأضحى[٥] : كانت وفاة الصنو الصالح التقي علي بن الحسن[٦] بن علي البهكلي، رحم الله مثواه، بوطنه هجرة ضمد. كان،

---

١. في س : «نهب».

٢. في س : «من».

٣. بعدها زيادة في س : «لأسباب يأتي ذكرها».

٤. بإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص تعقيب عسف ببعض كلماته سوء التصوير وجور القص من أطراف النسخة، وصورة ما تبيناه منه : «بل أطلق الشيخ عيسى ومن معه قبل صباح الدرب بأشهر، وكنت أعرف بعض أصحاب عيسى . . . واطلعوا . . . في شهر صفر وما بعده سنة ١١٧٠ وهم بمدينة أبي عريش ولم يقع الصباح . . . وهم بالحبس» ولعل قارئاً يعنى بالتاريخ عاصر تلك الأحداث فعقب بهذا التصحيح.

٥. الموافق : ٢٧ أغسطس سنة : ١٧٥٧م.

٦. في س : «حسن».

رحمه الله، من فضلاء الرجال، مُرتزقاً[1] من الحلال؛ صابراً على البأساء[2] والضراء على كل حال؛ معدوداً من أهل سلامة الصدور، قانعا من الرزق بالميسور؛ بشاشاً في وجوه الإخوان، مصاحباً[3] للأصدقاء والخلان، كريم السجايا كثير الإحسان، رحمه الله وأعاد من بركاته؛ وقد قلت من البحر الوافر في تاريخ وفاته:

ألا[4] رَحِمَ الإلهُ فَتىً تَولّى	إلى مَولاهُ مَحمُودَ المحاسِنْ
تَقيّاً فاضلاً بَرّاً زكيّاً	على تَقوى المهَيْمِنِ أيَّ راحِنْ[5]
فعاشَ مُحَبَّباً ومَضَى شَهيداً	فَقيداً في المجالِسِ والمَواطِنْ
وقد شهِدَ الأنامُ لهُ بخَيْرٍ	ومَنْ شَهِدوا له لاشكَّ آمِنْ
بهذا أخبَرَ المختارُ حَقّاً	وتاريخُ الوفاةِ بذاكَ ضَامِنْ
فخُذْ تَجِدِ الحِسابَ بهِ حَكاهُ	عليٌّ في جِنانِ الخُلْدِ قاطِنْ[6]

والحساب من لفظ «به»، ولفظة «الحساب» قائمة مقام لفظة التاريخ. وقولي: «بهذا أخبر المختار»: إشارة إلى ما ورد في الحديث الصحيح في شأن الخيار بين اللذين شهد الناس لأحدهما بالخير وللآخر بالشر، فقال، صلى الله عليه وسلم[7]، عند ذلك: «وجَبَتْ». فقيل له[8]: يا رسول الله، وما[9] وجبت؟ فقال: «الجنة أو النار»، ثم قال: «أنتم شهداء الله في أرضه» الخ[10].

* * *

١. في س: «مرتزق» خطأ.
٢. بدلها في س: «السراء».
٣. في س: «مصادقاً».
٤. في س: «إلى» مصحفة.
٥. كذا في النسختين.
٦. في س: «ساكن» وبهذه الرواية يختل حساب الجمل لتاريخ الوفاة.
٧. رسمها في الأصل ص: «صلعم».
٨. «له»: ليست في س.
٩. الواو: ليست في س.
١٠. كذا جاءت في الأصل ص. وبدلها في س: «الحديث» وهي أوجه.

السنة الحادية والسبعون[1]

[ارتفاع الأسعار]

في شهر صفر[2] منها : ابتدأ ترافع الأسعار ؛ وشمل ذلك أكثر النواحي والأقطار / وحصل على[3] من بالمخلاف مشقة عظيمة ؛ فانكشفت عند ذلك الأستار، وخرجت[4] المخدرات من خدورهن للاستماحة على أبواب الديار[5] ؛ وكان ينقل الطعام من أرض اليمن كزبيد ونواحيها. ولم يزل الترافع في ازدياد حتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشاً[6]، وفي هجرة ضمد[7] خمسين قرشا. ومات عالم كثير بالجوع والمرض ؛ وهلكت الأنعام. وشُهرت هذه الأزمة على ألسنة العامة بـ(لكَّة)، حتى فرَّج الله عن[8] المسلمين بنزول الغيث السابغ في شهر رجب[9] الفرد الحرام ؛ وكانت المدة خمسة أشهر، توازي خمس سنين، والحمد لله رب العالمين :

جَرَتْ عادَةُ اللهِ في خَلْقِهِ إذا ضَاقَ أَمْرٌ[10] أَتَى بالفَرَجْ

---

١ . ١٥ سبتمبر سنة : ١٧٥٧–٣ سبتمبر سنة : ١٧٥٨م.

٢ . رسمت في س : « ظفر » ع ويرافق أكتوبر – نوفمبر سنة : ١٧٥٧م.

٣ . « على » : ليست في س.

٤ . في س : « وخرجن ».

٥ . تستخدم هذه الكناية كثيراً عند المؤرخين للتعبير عن الشدائد. انظر :
(Tritton, *The Rise of the Imams of Sanaa*, p. 118).

٦ . عن النقود المتداولة في منتصف القرن الثامن عشر، انظر :
(Niebuhr, *Description*, 2, p. 48-9 ; Raymond, *Artisans*, 1)

٧ . بإزاء هذا الخبر في هامش الأصل ص تعقيب بخط الناسخ ذهبت كلمات منه عسف بها قص أطراف النسخة، ونص ما قرأناه منه : « ينظر في ارتفاع السعر، بضمد، وهو قرية بين مدينتين، والعمل على ما تقرر في الأسواق، فإن جمد لم يكن به سوق يجلب فيه الحبوب، بل هو محل مزرعة، ولعلها في ديار هذا السوق من قبيل زراعي توفرت له جهات، فباع من ذوي الحاجة بعض طعامه بسبب زيادة في الثمن. . . المؤرخ. . . بأن بلغ الحمل ثمنه خمسون قرشا فأثبته في تاريخه عملا بما شاع له من الخبر، وإلا فمن العادة اللازمة أن سعر البادية أدون من أسعار المدينة. وهذه الزيادة الناجمة مع قرب المحل لا تكون إلا من قبل ما ذكرناه، وهو القول المحقق. فسبحان الله من هذه المناقشة فأن ضَمَد حكمه حكم البادية تضُدُ الأربعين في المدن والخمسين في ضمد وغيره و. . . سعر . . . في المدينة الى الخمسين فيرتفع في البوادي إلى الستين وهَنا . . . حكمه . . . الأربعين . . . في . . . ».

٨ . في س : « على » مصحفة.

٩ . سنة : ١١٧١هـ=

١٠ . في س : « أمراً » خطأ.

السنة الثانية والسبعون[1]

‹اختطاط أبي النُّورة›

في المحرم منها : اختطّ[2] الشريف قلعة أبي النُّورَة[3] ، وعمّر بها عمارات شامخة منظورة ؛ وأحيَا بها أراضي للحراثة ، فكان يحصّل منها حبوباً كثيرة . وحصل للناس بسببها غاية الأمان والاطمئنان ، وانقطع فساد كافة البدوان[4] أهل الطغيان .

* * *

‹ترجمة القاضي العلامة إبراهيم بن محمد النعمان›

وفيها[5] : توفي الوالد القاضي العلامة برهان الدين ، نبراس[6] المحققين ، إبراهيم ابن محمد بن عبد العزيز النعمان الضمدي ، رحمه الله تعالى ، ببندر الحُدَيْدَة .

كان من العلماء العاملين . تفقه بصَعْدة على الجلّة من مشايخها ، كالقاضي العلامة إمام الفروع يحيى بن جار الله / مشحم الصَّعْدي ؛ والفقيه العلامة إمام العربية [١٦٨] في عصره ، أحمد بن علي الحبشي[7] ، وغيرهما من الأفاضل . وهاجر هنالك قريباً من ثلاث عشرة سنة ، حتى وقف من العلوم على نصيب وافر ، وحظي منها بسهم قامر . وبلغ الغاية في علم الفرائض ؛ وفاق على كل قرين ولو كان له فيها ألف رائض ؛ وله فيها مؤلّف جعله حاشية على (المصباح)[8] .

١ . هذا العنوان : « السنة الثانية والسبعون » ليس في س في هذا الموضع ، ووضع بعد خبر اختطاط أبي النورة . ٤ سبتمبر سنة : ١٧٥٨-٢٤أغسطس سنة : ١٧٥٩م .

٢ . العبارة في س : « وفيها في المحرم اختط » .

٣ . تقع أبو النورة على وادي جازان شمال شرق مدينة أبي عريش .

٤ . في س : « البدو » .

٥ . جاء في س : « قبل كلمة : « وفيها » عنوان السنة : « السنة الثانية والسبعون » .

٦ . في س : « نبراز » مصحفة .

٧ . في س : « الخيثي » .

٨ . كتاب في الفرائض ، عنوانه الكامل : (مصباح الأسرار ، في الفرائض) . ألفه يحيى بن محمد بن حسن بن حميد بن مسعود الحارثي اليماني الزيدي المتوفى سنة : ٩٩٠هـ (انظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : ٢/ ٤٩١) .

(ثم نزل إلى هجرة ضمد)[١] ملازماً لنشر العلم، سالكاً سبل[٢] الصلاح. وولّي القضاء ببندر جازان مدة مديدة، فشكرت سيرته وطريقته الحميدة. ثم انتقل إلى مدينة أبي عريش بعد وفاة الوالد، رحمه الله، فأقام بوظيفة الحكم[٣] قريبا من سنة؛ ثم عرضت له عوارض فرجع إلى هجرة ضمد، فانتفع[٤] به من هنالك (من طلبة العلم، وحظوا بمقامه الأسعد)[٥]. وكان يكتسب بالحراثة؛ ثم ترجح له لما ضاقت عليه المعيشة أن يقصد خليفة الزمن بصنعاء اليمن[٦]؛ فلما اتصل به أكرم نُزُلَه، وعين عليه القيام بوظيفة القضاء ببندر الحديدة؛ فأقام بها مدة[٧] مشكور الطريقة سهل الخليقة. ولم يزل يتردد فيها إلى هجرة ضمد لزيارة أرحامه حتى وافاه[٨] الأجل المحتوم بالبندر المذكور / ، وانتقل إلى جوار الرب الغفور. وكان، رحمه الله، غايةً في صلة الأرحام، وكرم الطباع للخاص من الأنام والعام.

ورثيته بأبيات من البحر الطويل[٩]:

أيَا دَهْرُ مهلاً كَمْ تَرُوعُ وكَمْ تَسْعَى ... إلَى كُلِّ جَمْعٍ كَي تُبَدِّدَهُ قَطعَا

وتخربَ بُنْيَاناً وتَعْدمَ لَذَّةً ... وتَنْقُضَ أطرافاً فَلا حبَّذا[١٠] المَسْعَى

لقَدْ هدَمَتْ أيديكَ طَوداً مُثَبَّتاً ... رساَ في الثرَى أصْلاً كما قد سَمَا فَرْعا

وذَلكَ طَوْدٌ طَوْدُ عِلْمٍ وحِكْمَةٍ ... نَعِمْنا به دهْراً ونِلْنا به نَفْعَا

فدَكْدَكْتَهُ حتَّى مَحَوْتَ رُسُومَهُ ... فَلَمْ[١١] يَسْتَطِعْ إذْ كانَ ذاكَ إذاً دَفْعا

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «ولم يزل في هجرة ضمد» خطأً لا يستقيم مع سياق الخبر.
٢. في س: «سبيل».
٣. في س: «الحكم الشرعي» زيادة.
٤. «به»: ليست في س.
٥. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «من الطلبة بمقامه الأسعد».
٦. بدلها في س: «المحمية».
٧. «مدة»: ليست في س.
٨. في س: «وفاه».
٩. بعدها في س زيادة: «مستهلها» ولا معنى لها ههنا.
١٠. في س: «جتد» مصحفة.
١١. في س: «ولم».

فَمَنْ لِعلُومِ الفِقْهِ طُرّاً بأسْرِها ... يُبَيِّنُ مِنْ أشكالِها الأصْلَ والفَرْعَا
ومَن لعلوم النحو في الناس متقنٌ ... يُوضِّح فيه الخَفْضَ والنَّصْبَ والرَّفْعا
ومَنْ للمَعَاني والبيانِ ومَنْطِقٍ ... وإنْ أشكَلَتْ بَيْنَ الأنامِ فَمَنْ يُدْعَى
ومَنْ قائمٌ بالحَقِّ بين الوَرَى فَلا ... يخَافُ مِنَ اللُّوّامِ فيه ولا يَرْعَى
فَيَا صارمَ الإسْلامِ وابْنَ مُحمَّدٍ ... ومَنْ جُمِعَتْ فيه خلالُ التُّقَى جَمْعا
لَقَدْ كُنْتَ فينا حُجَّةً أيَّ حُجَّةٍ ... فَذُو الاعْتِدا لا يَسْتَطِيعُ لَها دَفْعا
وكُنْتَ على الدُّنْيَا شحاكا[1] لِلْمحِدِ ... إلى أنْ دَنَتْ حَقّاً إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى
فَجَازاكَ رَبُّ العَرْشِ خيْرَ جَزائه ... وأولاكَ ما أولَى الَّذي أحْسَنُوا صُنْعَا
وأنْزَلَ مِنْهُ الرُّوحَ في قَبْرِكَ الَّذي ... هُوَ الرَّوْضةُ الغَنَّا[2] وأمْطَرَهُ هَمْعَا
ولا بَرِحَتْ تَغْشَى ضَرِيحَكَ رَحْمَةٌ ... مِنَ المَلِكِ الأعْلَى الذي أخْرَجَ المَرْعَى
وصَلَّى إلهُ العالمِينَ بِفَضْلِه ... عَلَى أحْمَدَ المُخْتَارِ مَنْ نَصَرَ الشَّرْعا
/ كَذا الآلُ والأصْحَابُ ما ارفَضَّ عَارِضٌ ... وسَلَّمَ ما أبْدَى سَنَاً بارِقُ الجَرْعا [١٦٩]

انتهت[3]

وإنما نقلتها[4] عن حفظي، ولا أدري هل هي مستكملة أم (فيها نقص لضياع مسوَّدتها)[5].

* * *

[غلاء آخر في المخلاف السليماني]

وفيها: حصل غلاء آخر بالمخلاف السليماني، وسمَّته العامة: حنُّون -(بالحاء[6]

---

١. كذا جاءت في النسختين، ولم نهتد إلى قراءة لها.

٢. في س: «القنا». مصحفة.

٣. «انتهت»: ليست في س.

٤. في س: «وإنما نقلت هذه».

٥. ما بين القوسين، جاءت صيغته في ص: «قد فات منها شيء، فإن ظفرت بمستوفيتها أثبتها، إن شاء الله».

٦. ما بين القوسين ساقط في س.

المهملة مفتوحة وتشديد النون) – فبلغ إلى قريب[1] ذلك الغلاء ؛ ثم منّ الله ، سبحانه ، بالفرج عاجلاً .

* * *

‹وصول الشريف عبد الله الفعر إلى اليمن›

وفيها ، في شهر جمادى الأولى[2] : وصل الشريف الماجد ، حاوي خلال المحامد ، عبد الله بن أحمد بن زين العابدين النّموي الحَسَني الملقب بالفعْر[3] ، – بالفاء المكسورة ، والعين المهملة ساكنة ، وآخره[4] راء مهملة – من مكة المشرفة إلى حضرة الشريف[5] ، طريداً من شريف مكة ومليكها الشريف مساعد بن سعيد[6] .

* * *

[تدخُّل الباشا المصري في خلافات أشراف مكة]

والسبب الذي بلغ عن الثّقات في خروجه[7] أنه كان رجل[8] من تجار[9] جُدَّة اسمه : حسن خليل ، بينه وبين الشريف عبد الله خلة[10] وصداقة ؛ وكأنه صدر منه في جانب شريف مكة ما كدَّر خاطره عليه ، فقبض عليه وأودعه الحبس ؛ فشفع فيه الشريف عبد

---

١ . في س : « بلغ قرب » نقص وتصحيف .

٢ . يناير سنة : ١٧٥٩م .

٣ . كان السيد عبد الله بن أحمد بن زين العابدين النموي الحسني ممن يثق به شريف مكة . ففي سنة : ١٧٥٢م توسط بين الشريف مساعد بن سعيد وابن عمه محمد بن عبد الله بن سعيد . ثم كلفه شريف مكة مهمة إلى الباب العالي باستبول . ثم حدث خلاف شديد بين السيد عبد الله الفعر وبين شريف مكة . (انظر : دحلان ، الخلاصة : ١٩٦) .

٤ . « وآخره راء مهملة » : ساقطة في س .

٥ . في هذا الموضع من س زيادة : « بمدينة أبي عريش » .

٦ . عن الشريف مساعد بن سعيد ، انظر : دحلان ، خلاصة : ١٩٥-٢٠١ . انظر : (Niebuhr, *Description*, 2, p. 235-236 ; Uzunçarşili, *Mekke-i Mükerreme*, p. 106-110.)

٧ . في س : « خروج المذكور » .

٨ . في س : « رجلاً » خطأ .

٩ . في س : « تجار بندر جدة » زيادة .

١٠ . في س : « مخاللة » .

الله، فأطلقه على تسليم مال كثير؛ فعاد إلى بيته بينْدر[١] جُدَّة؛ فأرصد له شريف[٢] مكَّة جماعة من العسكر في طريقه، وأمرهم بإرجاعه قَسْراً. فقبضوا عليه وأرجعوه؛ فردَّه إلى السجن. فعظُم الأمر على الشريف عبد الله ولم يسعه إلا الصبر لعدم / طاقته على [٦٩ ب] مُدافعة[٣] الشريف. ثم شفع[٤] فيه مرة أخرى وخلَّصه بمَغْرَمٍ أثقل من الأول، وقد دخل في نفسه شيء كثير. وما زال يترقب الفرص[٥] على شريف مكة ويعمل له المكائد حتى حج الباشوات[٦] في آخر هذا العام، فباطن الباشا المصري على شريف مكة؛ ورُوي أنه وعده بشيء من المال أو سلمه إليه؛ وطلب منه أن يشدَّ أزره ويوفيه وتره على خلع شريف مكة وإقامة الشريف مبارك بن محمد بن عبد الله بن سعيد لولاية مكة. فطاوعه الباشا المصري على ذلك[٧]، وانتظم الحال بينهما فيما هنالك.

فلما توجه الركب الشامي تأخر عنه المصري، وأثار الفتنة هو والشريفان المذكوران (عبد الله ومبارك)[٨]، ورموا بالبنادق إلى قصر السعادة بيت الشريف حتى[٩] من الحرم الشريف[١٠]؛ وحاصروه حتى ضاق[١١] من العيش ضَنْكُهُ. وأعانهم[١٢] على ذلك أقوام[١٣] آخرون، فنادى الشريف بلسان الحال:

١. «بينْدر»: ساقطة في س.

٢. في س: «الشريف» دون ذكر مكة.

٣. في س: «مدافعته».

٤. في س: «تشفع».

٥. في س: «الفرصة».

٦. هم أمراء قوافل الحاج القادمة من دمشق والقاهرة، وكان لهاتين المدينتين دور سياسي هام في شؤون الحجاز. إذ كانتا في كثير من الأحيان تتدخلان في الصراعات الدائرة بين أشراف مكة أيام وجود الباشوات من هاتين المدينتين بمكة. عن قافلة الحج المصري انظر: (سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية رسالة غير منشورة، جامعة الاسكندرية كلية الآداب، ١٩٨٢).
وعن قافلة الحج الشامي: (Barbir (Karl), *Ottoman Rule in Damascus*, 1708-1758.)

٧. عن هذه الأحداث انظر: دحلان، خلاصة: ١٩٧. وكان أمير الحاج المصري هو كشكش حسين.

٨. ما بين القوسين ليس في س.

٩. «حتى»: ليست في س.

١٠. بعدها ههنا زيادة في س: «ومن غيره من بيوت مكة».

١١. في س: «ذاق» مصحفة.

١٢. في س: «وعاونهم».

١٣. في س: «قوم».

تمالا النَّاس كُلُّهُم عَلَيْنا كَأَنَّ خُروجَنا مِنْ خَلْفِ رَدْمِ

وضاقت عليه[١] الأرض بما رَحُبَتْ ؛ وقُتِل جماعة من الضعفاء والمساكين الحجاج والمجاورين، حتى انتهى[٢] الأمر إلى القتل في الحرم الشريف الذي قال الله تعالى فيه[٣]: ﴿ومَنْ دخلَهُ كان آمنا﴾[٤] فنعوذ بالله من التحريف.

[١٧٠] / وبالجملة، فقد كاد الشريف أن يسلِّم الأمر ويطلب الأمان، لولا تثبيت الله، سبحانه[٥] وتعالى، له، وإعانة أخيه الشريف أحمد بن سعيد له في ذلك الأوان، فإنه دافع[٦] أشد دفاع، وامتنع من التسليم إلا بعد إظهار أوامر سلطانية قاطعة للنزاع. وأنشد[٧] بلسان الحال قول من قال مخاطباً لأخيه عند حصول تلك الأهوال :

أحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَة وأحْبِسُ[٨] مَالِي أنْ غَرِمْتَ فَأعْقِلُ

والحال أنه لم يكن بيدهم أوامر من السلطان، ولا حجة يقيمونها[٩] ولا برهان. ولم تزل الحرب قائمة حتى غربت شمس ذلك اليوم[١٠] ؛ فحصلت السعاية بين الفريقين، ونودي بالأمان، فسكنت أنفس القوم ؛ وارتحل الباشا المصري وقد ندم على ما أسلف، لكن[١١] حيث لا ينفع الندم ؛ وصدق عليه قول القائل[١٢] الذي سلف وقدم :

---

١. في س : «على الشريف».
٢. في س : «انتهى القتل» محرفة.
٣. «فيه» : ليست في س.
٤. من الآية : ٢٧ من سورة آل عمران.
٥. «سبحانه» : ليست في س.
٦. في س : «دافع معه أشد دفاع» زيادة وجيهة.
٧. في س : «وأنشد عنه لسان الحال».
٨. في س : «وأحسب» تصحيف يفسد معنى البيت.
٩. في س : «يقيموا بها» تحريف واضح.
١٠. في س : «النهار».
١١. في س : «لكن لا ينفع الندم» تحريف ونقص.
١٢. هو أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله التنوخي المتوفى سنة : ٤٤٩هـ وقد جاء البيت الأول من البيتين في إحدى لزومياته في (لزوم ما لا يلزم : ٢٥٨) ولم تتضمن هذه اللزومية البيت الثاني.

حكَوا باطلاً وانتَفضوا صارماً — وقالوا صدّقنا فقلنا نعم

ومَن دفَعَ الحقَّ عن نفسه — مُجازفةً[١] فهو أعمى أصم

وتعقَّب ذلك خروج الشريفين عبد الله[٢] ومبارك عن مكة إلى بعض المحلات القريبة حتى[٣] طلب لهما الأمان، ثم عادا إلى بيوتهما[٤] بعد تلك الفعلة الغريبة .

* * *

‹وصول القاضي إسماعيل المَكْرَمي مُسترفداً للشريف›

وفيها : وصل القاضي إسماعيل بن هبة الله المَكْرَمي إلى حضرة الشريف، ومعه جماعة من أولاده وبني أخيه وافداً[٥] ومُسترفداً[٦] له في ديون لحقته[٧] / لبَني[٨] يام بسبب تجهيزه لأجناد معه[٩] صحبة أخيه حسن بن هبة الله إلى بلاد حَضْرَمَوت[١٠] قصداً لتملكها، فرجعوا ولم يقفوا[١١] على طائل سوى أنهم خسروا أموالاً عظيمة الحاصل[١٢] . (وأشبهت قضيتهم في أنهم لم يقفوا على غير الحركة ما قاله بعض السادة الأفاضل)[١٣]،

---

١ . كذا في الأصل ص، وفي س : « وخالفه ».

٢ . في س : « مبارك وعبد الله » تقديم وتأخير .

٣ . في س : « حين » مصحفة .

٤ . « إلى بيوتهما » : ليست في س .

٥ . في س : « وفداً » مصحفة .

٦ . في س : « مسترفداً » بإسقاط واو العطف .

٧ . في س : « لزمته ».

٨ . « لبني » ليست في س .

٩ . بدلها في س : « منهم ».

١٠ . ورد ذكر هذه الحملة على حضرموت عند نيبور . انظر : (Niebuhr, *Description*, 2, 208-209)

١١ . في س زيادة : « لم يقفوا منها على ».

١٢ . « الحاصل » : ليست في س .

١٣ . ما حصرناه بين قوسين جاءت صيغته في س : « وأشبهت قصتهم ما قاله بعض السادة الأفاضل » تصحيف وسقط .

(وقد كان له صديق يتطلب ولاية الوقف بصنّعاء، وهو يناصحه عن ذلك[١])، حتى لم يسمع به في بعض تلك[٢] الأيام إلا وقد سار من محله (خفية عن ذلك الصديق المناصح)[٣]، وطلب الولاية ممن إليه ذلك؛ فلم يسعده إلى بلوغ قصده[٤]. فلما بلغ ذلك المناصح ما لقيه من الحرمان بلا ميْن كتب إليه هذين البيتين:

يَابْنَ الحُسَيْنِ عَلَيْنا للزَّمانِ يَدٌ ... فَنِعْمَ مَسْلَكُهُ فيكَ الذي سَلَكَهْ
ما سِرْتَ إلا لأجْلِ الوَقْفِ مُحْتَرِكاً ... فَمَا وَقَفْتَ عَلَى شَيْءٍ سِوَى الحَرَكَهْ

ولله دره؛ فتأمل ما فيهما[٥] (من التورية بالوقف والحركة؛ والوقوف على الحركة غير ممكن كما لا يخفى على الفَطِن)[٦].

ولما[٧] وصل القاضي المكْرَمي إلى الشريف قَبِله وأكرم نزله؛ وقضى أكثر دَيْنه[٨] أو كله[٩] محافظة على الوفاء ومكافأة له. فأقام[١٠] بحضرة الشريف حتى دخلت سنة ثلاث وسبعين[١١]، ثم عاد إلى نَجْران.

* * *

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «مخاطباً لبعض أصدقائه الأماثل، وقد كان ذلك الصديق يتطلب الولاية على بعض الأوقاف في جهتها وهو يناصحه عن ذلك» زيادة وتصحيف.

٢. «تلك»: ليست في س.

٣. ما بين القوسين ساقط في س.

٤. في س: «قصده وأمله» زيادة.

٥. في س: «ما في البيتين» زيادة.

٦. ما حصرناه بين القوسين جاءت صيغته في س: «من التورية البديعية بذكر الوقف والحركة» نقص كبير وتحريف أفسد سياق المعنى المطلوب.

٧. في س: «نعم ولما وصل» زيادة.

٨. في س: «ديونه».

٩. «أو كله» ساقطة في س.

١٠. في س: «وأقام المذكور بحضرة» تصحيف وزيادة.

١١. سبتمبر سنة: ١٧٥٩.

[نسب المكارمة]

وإذا قد ذكرنا هؤلاء القضاة بني المَكْرَمي، فلا بأس بأن نتعرض لما ظهر لنا من أحوالهم وطرائقهم [١].

[١٧١] أما نسبهم : / فأخبرني بعضهم مشافهة، والمرء مُصدَّق في نسبه كما قيل، أنهم يتسبون إلى سَيْف بن ذي يَزَن الحِمْيَري [٢]، والله أعلم. وكان مسكنهم (قبل دخولهم نَجْرَان [٣]) بوادي [٤] ظَهْر بالقرية المسماة [٥] طَيْبَة [٦] قريباً من مدينة [٧] صنعاء. وطيْبَة هذه هي [٨] من متنزهات صنْعاء، (بها الأنهار الجارية والرياض النادية [٩]). وقد أذكرني [١٠] ذكرها ما قاله الشيخ الأديب البارع إبراهيم بن صالح الهندي [١١]، (أديب صنعاء في عصره [١٢]) مخاطباً للإمام المؤيد بالله محمد بن [١٣] القاسم بن محمد [١٤]، عليه السلام [١٥]،

---

١. في س : «وظرائفهم» مصحفة.

٢. سيف بن ذي يزن الحميري ؛ كان يقاوم الأحباش عند دخولهم اليمن سنة ٥٧٥م (انظر : محمد يحيى الحداد، التاريخ العامر لليمن : ١/ ٣٢٣-٣٢٥).

٣. ما بين القوسين ساقط في س. وكان دخولهم نجران في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي في أيام الداعي محمد بن إسماعيل جد القاضي هبة الله بن إسماعيل. (انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 350-355).

٤. وادي ظهر : يقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً في الشمال الغربي لصنعاء.

٥. في س : «المسما».

٦. بعدها في س عبارة : «قبل دخولهم نجران» وهي التي تقدمت في ص قبل قليل.

٧. «مدينة» : ليست في س.

٨. «هي» ساقطة في س.

٩. ما بين القوسين ساقط في : س.

١٠. في س : «ذكرني».

١١. عاش إبراهيم الهندي الأديب في القرن الحادي عشر للهجرة = السابع عشر للميلاد. (انظر : البدر : ١/ ١٦-١٧ ؛ نشر : ٢٩-٤٠ ؛ الحبشي، مصادر : ٣٣٦). وفي س زيادة : «رحمه الله»

١٢. ما بين القوسين ليس في س.

١٣. في س : «بن أبي القاسم» سهو.

١٤. عن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، انظر : الجرافي، المقتطف : ٢١٢-٢٢٣.

١٥. بدلها في س : «رضوان الله عليه».

وقد نزل[١] بطيّبة في أيام خلافته، فقال الهندي :

أعزّ الهدى مذ حزت بالأمس طيبةً [٢] تدانت لها شهب السما وهي سجّد
وأصبح [٣] واديها ينادي ذوي القرى هلمّوا فهذي[٤] طيبةٌ ومحمّد

ثم تحوّل[٥] القضاة المذكورون إلى وادي نَجْران[٦]، ولعله في أوائل هذا القرن الثاني عشر في خلافة الإمام المهدي صاحب المواهب[٧]؛ وذلك لأمور أنكرها[٨] عليهم فأخرجهم عن ذلك المحل[٩]، فسافروا إلى كثير من الجهات. ثم عنّ لهم الدخول إلى نجران؛ وساس الداخل منهم في قبائل يام (حتى صار لهم فيهم معتقد عظيم يعظمهم الخاص والعام[١٠])، ويسلمون إليهم واجباتهم من النقود والطعام.

وبالجملة فإنه / صار رئيسهم[١١] وداعيهم إلى كل مرام.

وأما مذهبهم فإنهم، فيما يظهر، على مذهب الإسماعيلية نسبة إلى الإمام المعتقد[١٢]

---

١. في س : «وقد نزل بالقرية المذكورة».

٢. الشطر الأول في س :

أبا أحمد مذ حزت بالأمس طيبة ...

٣. في س : «فأصبح».

٤. في س : «فهذا» مصحفة.

٥. في س : «ثم تحولوا القضاة» خطأ.

٦. كان أول داعٍ من المكارمة إبراهيم بن محمد المكرمي : (١٦٣٣–١٦٧٧م). وفي سنة : ١٧٠٦م طرد الإمام المهدي محمد الداعي الإسماعيلي من طيبة، فهاجر داعي ذلك الوقت محمد بن إسماعيل إلى نجران عند قبيلة يام، حيث كان قد سبقه جده. وكان اسماعيل بن هبة الله هو الداعي الرابع من هذه الأسرة. (انظر : Philby, *Arabian Highlands*, p. 355-360 ; Playfair, *History of Arabia Felix*, p. 119 ; *Encyclopédie de l'Islam*, 4, p. 206-215)

٧. في س : «الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن المعروف صاحب المواهب».

٨. في س : «أنكرها الإمام عليهم» زيادة.

٩. بعدها زيادة في س : «الذي هو طيبة».

١٠. العبارة التي حصرناها بين قوسين جاءت صيغتها في س : «حتى صار معتقداً عندهم يعظمهم منهم الخاص والعام».

١١. في س : «كبيرهم».

١٢. «المعتقد» : ليست في س.

جعفر الصادق[١]. والإسماعيلية هم غير الإمامية[٢] الإثني عشرية، كما يعرف ذلك من اعتنى بكتب المقالات، وقد أغنى عن تفاصيل أحوالهم وذكر طرائقهم، وأفاد عن كنه[٣] حقائقهم الإمام العلامة الدامغاني[٤]، رحمه[٥] الله تعالى، في[٦] رسالته المشهورة التي سمّاها: (الجوهرة الخالصة عن الشوائب الناقمة المنقومة على جميع المذاهب) فإنه[٧] شفى ووفى؛ فمن أراد الاطلاع (على حقيقة ما نقم به على أهل كل مذهب وفرقة من الفرق)[٨] الإسلامية (فعليه بما هناك، وهي موجودة[٩]) غير مفقودة:

والحَقُّ أبْلَجُ والبُرْهانُ مُتَّضِحٌ وبَيْنَنا[١٠] مُحْكَمُ التَّنْزِيلِ والأثَرُ

* * *

(قبض شريف مكة على الشريف مبارك بن محمد بن عبد الله بن سعيد)

ولنعد إلى تمام قصة الشريف عبد الله[١١] الفعر، وذلك أنه لما عادَ هو والشريف مبارك بن محمد إلى مكة، احتال شريف مكة بعد أيام في[١٢] القبض على الشريف مبارك[١٣].

* * *

١. بعدها في س زيادة: «عليه السلام».

٢. «الإمامية»: ليست في س.

٣. بدلها في س: «كثير».

٤. في س: «الدامني» مصحفة.

والدامغاني، هو عبد الصمد بن عبد الله الدامغاني، فقيه يمني، عاش في القرن التاسع = الخامس عشر للميلاد، له (كتاب الجوهرة) منه نسخة في المكتبة الغربية بصنعاء. (انظر: فهرس المكتبة الغربية: ١٥٣).

٥. عبارة الترحم ليست في س.

٦. في س: «يخرج في رسالته» زيادة لا معنى لها.

٧. جاءت هذه العبارة في س: «فإنه قد شفى فيها ووفى».

٨. العبارة التي حصرناها بين قوسين جاءت في س على النحو التالي: «على حقائق ما ينقم به على فرقة من الفرق».

٩. جاءت هذه العبارة في س على النحو التالي: «فليراجعها هي موجودة».

١٠. بدلها في س: «ونثبت».

١١. في س زيادة: «عبد الله بن أحمد الفعر».

١٢. في س: «بعد أيام على قبض الشريف».

١٣. ذكر دحلان (خلاصة: ١٩٧) أن الشريف مساعد بن سعيد أذن للشريف مبارك بالعودة إلى مكة في =

[خروج الشريف عبد الله من مكة]

وأراد القبضَ على الشريف عبد الله معه، فلم يتمكن من[١] ذلك. فشرط عليه الخروجَ من مكة، وألجؤوه على السفر إلى اليمن، خاصة لظنهم أنه لا يقف منه على طائل، وخشُوا أنه إن خرج إلى بعض قبائل (الحجاز ربما يثير فتنة. فخرج إلى اليمن مكرهاً بعبيده وبعض أثقاله[٢]). / وخرج في إثره[٣] الشريف أحمد بن سعيد ومعه جماعة من العسكر يمنعونه عن[٤] التوجه إلى غير اليمن. وما زالوا معه حتى لم يفارقوه إلا من حلي، فرجعوا عنه، وتوجه هو إلى اليَمَنِ. وما زالوا معه حتى لم يفارقوه إلا من[٥] حَلْيٍ، فرجعوا عنه، وتوجه هو إلى اليمن. [١٧٢]

* * *

[وصول الشريف عبد الله إلى أبي عريش]

فوصل إلى الشريف بأُبَّهة[٦] عظيمة من الخيل والمطايا والعبيد[٧]؛ فتلقاه أحسن تلقٍّ، وأنزله في بعض المنازل القريبة منه؛ ولم يكن في بال الشريف عبد الله الإقامة بحضرة الشريف والاستعانة به على ما في[٨] باله، بل ولا خطر (ذلك في

= غرة المحرم سنة: ١١٧٢هـ = سبتمبر سنة: ١٧٥٨م، ثم قبض عليه رغم الضمانات.

١. «من ذلك»: ليست في س.

٢. العبارة التي حصرناها بين قوسين جاءت في س على النحو التالي: «الحجاز يقع منه عليهم الفساد فخرج مكرها بعبيده وبعض أثقاله».

٣. في س: «وخرج وراءه».

٤. في س: «من».

٥. في س: «من وادي حلي». وحلي: عدة قرى تقع بين القنفذة وجازان، كانت هي الفاصلة بين أرض الحجاز التي يحكمها أشراف مكة وبين أرض اليمن التي يحكمها الأئمة (انظر: Niebuhr, *Travels*, I, p. 242-243).

٦. في س: «بهيئة».

٧. ذكر دحلان (الخلاصة: ١٩٧-١٩٨) أن السيد عبد الله الفعر بعد خروجه من مكة رحل إلى صنعاء مباشرة إلى عند الإمام، فشفع له حاكم اليمن عند شريف مكة، بحيث إن السيد عبد الله الفعر أذن بالعودة إلى الحجاز في جمادى الأولى سنة: ١١٧٢هـ = يناير سنة: ١٧٥٩م. فما ورد عند دحلان يناقض ما جاء عند البهكلي، فإن السيد عبد الله وصل إلى صنعاء، وإنه عاد بعد ذلك إلى الحجاز.

٨. جاءت العبارة في س: «والاستعانة به على ما يقصده».

نفس الشريف[1]) أيضاً :

ولكنَّها الأقدارُ تَجلِبُ لِلفَتَى وتُولِيه أمراً لم يكُنْ في حِسَابِه

فبعد استقراره بذلك المحل، وصل الشريف إلى محله، واستفصله عن الأسباب الموجبة لخروجه وشدِّ رحله ؛ فقص عليه أحسن القصص، وبيَّن له كل ما عمَّ من أحواله وخصَّ. وكان رجلاً ذلق اللسان، ذا[2] بصيرة نافذة في البيان[3]، قد حنَّكتهُ التجارب، (وعرف المصادر والموارد والمذاهب[4]).

يضع الهناء مواضع النُّقْب

وعند خروج الشريف قدم له فرساً من نجائب خيله على سبيل الإكرام والتعظيم؛ كما يُروى أنها القاعدة بين أشراف مكة أنه إذا قصد مليكُ مكة منزلَ بعضهم قدم له ذلك. فطابت نفس الشريف، واستدل بذلك[5] على شرف نفس الشريف عبد الله وعلو همته، فزاد[6] في إكرامه، وأسبغ عليه فيض[7] فضله وإنعامه / فتثبَّط[8] الشريف عبد الله عن التوجه إلى اليَمَن. (وبعد أيام حولّه الشريف عن ذلك المنزل[9]) وجعله في بعض بيوته المختصة به.

* * *

[شفاعة الشريف محمد بالشريف عبد الله عند شريف مكة]

ثم وصل إليه الشريف ظافر بن الحسين، وكان من كبراء[10] أعيان دولة الشريف،

---

١ . جاءت هذه العبارة في س بالصيغة التالية : « خطر ذلك ببال الشريف ».

٢ . في النسختين كليهما : « ذو » سهو، وكثيراً ما يقع من مثلها في س وقليلاً في ص.

٣ . « في البيان » : ليست في س.

٤ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « وعرف مصادر الأمور والموارد ».

٥ . « بذلك » : ليست في س.

٦ . في س : « وزاد ».

٧ . في س : « بعض ».

٨ . في س : « فثبط ».

٩ . ما بين القوسين ساقط في س.

١٠ . « كبراء » : ليست في س.

وقد سبقت عنده أيادٍ للشريف عبد الله أيام حجه ؛ وكما قيل :

دُيُـونُ المَـكَـارِمِ لا تَـنْـقَـضِـي كَـمـا تَنْقَضِي سَالِفَاتُ الدُّيُون
ولَـكِـنَّـهـا فـي عُـيُـونِ الـكِـرامِ تَجُولُ مَجَالَ القَذَى في العُيُون

فكان[١] من أعظم الأعوان له[٢] ، ورجَّح للشريف أن يرسل بعنايته كتباً إلى شريف مكة وجاهة عليه في شأنه ، وأن يردَّ عليه معاليمه ، ويجعل له كفلاء من أشراف[٣] مكة ، ففعل[٤] ، وعاد[٥] الجواب يتضمن بظاهره الإسعادَ إلى المراد ، ما عدا التكفيل ؛ فلم يرض به شريف مكة . وما زالت المكاتبة[٦] تترى حتى أدى الحال إلى التنافر والمشاقفة ، وأنف الشريف من عدم قبول جاهه وعدم الموافقة :

وإذَا كـانَـتِ الـنُّـفُـوسُ كِـبـاراً تَـعِـبَـتْ فـي مُـرَادِهَـا الأجْـسـامُ[٧]

* * *

١ . في س : « وكان » .
٢ . في هذا الموضع في س زيادة : « عند الشريف » .
٣ . في س : « من الأشراف أهل مكة » .
٤ . « ففعل » : ليست في س .
٥ . في س : « فعاد عليه » تصحيف وزيادة .
٦ . في س : « المكاتبة والمراسلة تترى » زيادة .
٧ . البيت لأبي الطيب المتنبي شاعر سيف الدولة ، قتل سنة : ٣٥٤هـ .

السنة الثالثة والسبعون [١]

‹وفاة الشريف مبارك بن محمد في حبس شريف مكة›

في المحرم منها [٢] : وردت الأخبار إلى أبي عريش بوفاة الشريف مبارك بن محمد في حبس شريف [٣] مكة ؛ ويُروى أنه قُتل بأمره، وأن المباشر لقتله الشريف أحمد بن سعيد، والله - سبحانه - أعلم، ولله ناظم (البَسَّامة) [٤] إذ يقول :

حُبُّ الرِّئاسةِ أطْغَى النّاسَ فافْتَرَقُوا حِرْصاً عَلَيها وهُمْ مِنْها عَلَى صَدَرِ

* * *

[عزل الشريف مساعد بن سعيد]

[١٧٣] / وفيها : وصلت الأخبار بالقبض على (شريف مكة وعزله) [٥]. وسبب ذلك : إنما [٦] لما بلغت أخبار الفتنة الواقعة بمكة إلى الأبواب السلطانية من الباشا المصري، وبلغهم القبض على الشريف مبارك [٧] في السنة الأولى، وجَّه السلطان بركب الحج الشامي رجلاً من أكابر الباشوات اسمه : عبد الله باشا [٨]، واشتهر على الألسنة [٩] أنه

---

١. الموافقة : ٢٥ أغسطس سنة : ١٧٥٩-١٢ أغسطس سنة : ١٧٦٠م.

٢. في س : « فيها » مصحفة.

٣. كانت وفاته يوم : ٨ ذي الحجة سنة : ١١٧٢هـ = ٢ أغسطس سنة : ١٧٥٩م. (انظر : دحلان، خلاصة : ١٩٧).

٤. في س : « البيت فيه » تصحيف، والبسامة : قصيدة مشهورة.

٥. في س : « على الشريف مساعد بن سعيد وعزله ».

٦. في س : « إنها ». مصحفة.

٧. في س : « مبارك بن محمد » زيادة.

٨. هو عبد الله باشا شطجي. (انظر : دحلان، خلاصة : ١٩٧-١٩٨ و Uzunçarşili, *Mekke-i*, p. 110)

٩. في س : « على ألسنة الناس ».

شريف من ذرية الإمام[١] الحُسَيْنِ السِّبْط – سلام[٢] الله عليه ورضوانه – فوصل إلى مكة بجنود[٣] عظيمة، وأبَّهة جسيمة، وكان، كما بلغ، صاحب ديانة وتدبير وشجاعة عظمى.

فلما وصل مكة سأل عن الشريف مبارك[٤]، وأمر الشريف مساعد بإطلاقه من السجن، وأنه يريد الاتفاق معه[٥]. فتوهم الشريف أنه يريد توليته مكة[٦]؛ فاعتذر إليه بأنه مريض لا يتمكن من الوصول، ووعده بذلك بعد تمام أعمال[٧] الحج.

فلما صعد الناس إلى عرفات لم يشعر من بقي بمكة إلا بخروج جنازته يوم[٨] عرفة؛ وذكروا أنه توفي؛ فاختلف الناس في أمره، فمن قائل[٩] يقول: مات حتف أنفه. ومنهم من يقول: إنه مقتول (كما سبقت الإشارة إلى ذلك)[١٠]. فحصل على الناس غمٌّ عظيم لأنه كان محبوباً عند الأشراف والأطراف؛ وعَظُمَ على عبد الله باشا ذلك، ولكنه لم يظهر المشقة[١١] حتى عاد إلى مكة.

[٧٣ ب] وكانت العين المعروفة بالزرقاء[١٢] التي / تجري إلى مكة قد تخربت وانقطع ماؤها، فجعلها سلَّماً إلى طلاَب الشريف مساعد، وطلب منه الوصول إليه للتراود[١٣] في إصلاحها؛ فاغتر[١٤] بذلك ووصله. فحين[١٥] وصل إليه سأله عن قضية[١٦] الشريف

---

١. «الإمام»: ليست في س.

٢. في س: «عليهم السلام».

٣. في س: «بجيوش».

٤. في س: «مبارك بن محمد» زيادة.

٥. في س: «به».

٦. في س: «بمكة».

٧. «أعمال» ليست في س.

٨. في س: «في يوم».

٩. في س: «فقائل يقول».

١٠. ما بين القوسين ليس في س.

١١. بدلها في س: «هذا».

١٢. وهي الزبيدة عند دحلان (انظر: خلاصة: ١٩٨).

١٣. في س: «لتراود».

١٤. في س: «واغتر».

١٥. في س: «وحين».

١٦. في س: «قصة» مصحفة.

مبارك، وتهدَّده تهدداً[١] عظيماً، وحبسه في القفص، وضيَّق عليه (حتى جرَّعه الغُصَص)[٢]؛ وأظهر[٣] أنه يريد القدوم به على[٤] السلطان؛ فشفع فيه أخوه الشريف[٥] جَعْفَر بن سعيد، وبذل في تخليصه أموالاً مستكثرة؛ وخلَّصه بعد الإياس. وشرط عبد الله باشا خروج الشريف مُساعد عن مكة؛ وأقام الشريف جعفر بن سعيد مقامه، وأمدَّه بما يحتاج إليه، وألزمه (بحسن السيرة، وإصلاح السريرة)[٦]. ثم توجه إلى الشام.

* * *

[عودة الشريف مساعد إلى الحكم في مكة]

وبعد توجهه (تواطأ الشريف جعفر وأخوه)[٧]، فتنحى له عن ملك مكة وأرجعه إليه[٨]. فرجع الشريف مساعد على حاله بعد أن لَقِيَ ما رثى له بسببه الشامتُ من نوائب الدهر وأهواله؛ وأنشد منه لسان الحال قول من قال:

قُلْ لِلَّذي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنا ... هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إلا مَنْ لَهُ خَطَرُ

أما تَرَى البَحْرَ[٩] يَعْلُو فَوقَهُ جِيَفٌ ... ويَسْتَقِرُّ بأقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ

وَفي السَّماءِ نُجُومٌ لا عِدادَ لَها ... ولَيْسَ يُكْسَفُ إلا الشَّمسُ والقَمَرُ

* * *

١. في س: «تهدد» خطأ.

٢. ما بين القوسين ليس في س.

٣. في س: «وظهر».

٤. في س: «إلى».

٥. «الشريف» ليست في س.

٦. العبارة التي حصرناها بين القوسين جاءت صيغتها في س على النحو التالي: «ألزمه بالسيرة الحسنة وسلوك الطرق المستحسنة».

٧. ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي: «توجهه حصلت المواطأة بين الشريف وأخيه».

٨. في س: «فيه».

٩. في الأصل ص: «أما ترى الدهر يعلو . . .» مصحفة، وقد أثبت بإزائها في الهامش تصويب نصه: «صوابه: ترى البحر» فأثبتنا ما جاء في التصويب لاتفاقه مع ما جاء في س. وعن هذه الأحداث انظر: دحلان، خلاصة: ١٩٨.

[إحياء شَرِيجِ خُرَيْم]

[١٧٤] وفيها : أحيا الشريف شَرِيج[١] خُرَيْم[٢]، وآثار الإعدام[٣] به موجودة / ، وأذن للناس في تخريجه ؛ فوقع[٤] بسبب ذلك اختلاط الأملاك .

* * *

[عزْم الشريف على قصد مكة]

وفيها : جمع الشريف الجموع الكثيرة[٥] من أهل نَجْرَانَ وغيرهم، عازماً على قصد مكة المشرفة لما أَيِسَ من قبول شفاعته عند الشريف مُساعد في شأن الشريف عبد الله[٦] . وكان الشريف ظافر بن الحسين يناصحه عن ذلك أشد المناصحة ويثبِّطه عن قصد مكة، فلم يصغ إلى قوله لأمرين :

أحدهما : أنه يرى الوفاء بحق جاره أمراً لازماً[٧]، وإن لحقه أعظم المغارم .

وثانيهما[٨] : أنه قد دسَّ إليه بعض الناس : بأن الشريف ظافر قد صار[٩] بطانة لصاحب مكة، وأنه لا يزال يكاتبه في الخفية ويطلعه على حقائق أحوالك[١٠] وعجزك عن قصد مكة . وأنه قد استفاد بسبب ذلك مالاً من الشريف مُسَاعد، حتى جُسِّم عند الشريف أنه لولا صدور مثل هذا من الشريف ظافر لكان قد تم عمل الشريف عبد الله ورجع إلى وطنه .

---

١ . الشريج أو الشرج : منفسح الوادي
(انظر : الزبيدي، تاج العروس : ٢/ ٦٣, Landberg, *Glossaire*, p. 2035)
٢ . خريم : سد أو عقم على وادي جازان .
٣ . كذا وردت في الأصل ص وفي س، ولعلها مصحفة صوابها : «الانهدام» .
٤ . في س : «ووقع» .
٥ . في س : «الكبيرة» مصحفة .
٦ . أي عبد الله الفعر .
٧ . في الأصل ص و س كليهما : «أمر لازم» سهو .
٨ . في س : «والثاني» .
٩ . في س : «سار» . مصحفة .
١٠ . في س : «حقائق أحوال الشريف وعجزه» وما جاء في ص أوجه لملاءمته للسياق .

والشائع عند المُطّلعين على الأخبار أن المُلقي بهذه[١] الأقاويل إلى[٢] الشريف هو الشريف عبد الله المذكور ؛ وكانت[٣] تقع هذه الأكاليم من الشريف بموقع ، فحصل منه الاتهام للشريف ظافر في النصح ، وتأبط له الشر ، وربما أظهر ذلك لبعض خواصّه ؛ وحقيقة الحال قولُ من قال من فضلاء الرجال[٤] :

/ العِلْمُ للرَّحْمَنِ جَلَّ جَلالُهُ وسِواهُ في جَهَلاتِهِ[٥] يَتَغَمْغَمُ [٧٤ ب]

* * *

[اختبار الشريف للشريف ظافر]

وبالجملة ، فإنه لما قرب وصول[٦] المحطة تسبب الشريف على الشريف ظافر بأن طلب منه مبلغاً من المال على سبيل القرض ، وكأنه يختبره بذلك ، وهل يسمح له بالبذل أم لا ، وكان المطلوب شيئاً كثيراً لا يحتمله حال المطلوب ؛ فاعتذر منه بعدم التمكن ، وعرض له ما بين يديه من العروض ؛ فلم يقبل منه[٧] ، وازدادت الوحشة .

* * *

[تبادل الرسائل بين الإمام والشريف عن الخروج إلى مكة]

ولما وصلت الأجناد خرج الشريف من أبي عريش في شهر صفر[٨] الخير بجميع آلاته وخيامه وأهبة سفره[٩] وأعلامه[١٠] ، ولم يخلّف شيئاً مما يحتاج إليه . وخيم

---

١ . في س : « لهذه » مصحفة .
٢ . بدل « إلى » في س : « عند » .
٣ . جاءت هذه العبارة في س على النحو التالي : « وكانت هذه الأكاليم تقع من الشريف » .
٤ . « من فضلاء الرجال » : ليست في س .
٥ . في س : « جهلاته » مصحفة .
٦ . في س : « حصول » مصحفة .
٧ . في س : « فلم يقبل منه الشريف وازدادت » زيادة .
٨ . درج ناسخ س على أن يرسمها : « ظفر » . وهو يوافق : اكتوبر-نوفمبر سنة ١٧٥٩م .
٩ . في س : « السفر » .
١٠ . « وأعلامه » : ليست في س .

بموضع يسمى الجَرْوِيَة [١] - بجيم مفتوحة فراء مهملة مضمومة فموحَّدة [٢] من أسفل مفتوحة قبلها واو ساكنة - وهي [٣] من أعمال وادي جازان (قريباً من أبي النُّورَة، ولعلها في مجرى وادي جازان) [٤]. فانتشرت الأخبار بقدوم تلك الأجناد إلى جهات الشام، وإلى حضرة الإمام. ثم أيَّد الشريف ذلك بأن رفع إلى الخليفة خطوطاً تخبر [٥] بما عزم عليه من التوجه إلى مكة؛ وقد كان في مبادي وصول الشريف عبد الله إليه [٦] طلب من الإمام الإعانة بالشفاعة إلى شريف مكة في شأن المذكور، فلم يساعده، بل لامه على قبوله أشدَّ ملام؛ وذلك بسبب [٧] أنه قد وردت / عليه شكايات من شريف مكة [٨] بما وقع من [٩] الشريف عبد الله من الفتنة في الحرم [١٠] الشريف والقتل فيه بلا احترام؛ فنفرت [١١] نفس الإمام عنه. وكان في بال الشريف مُساعد أن الإمام يناصح الشريف (عن التلقي للشريف عبد الله والبقاء في حضرته) [١٢]؛ ووصل من الإمام [١٣] ما يقتضي هذا ولكنه لم يعمل بموجبه محبة للوفاء مع المذكور.

ولما ورد من الشريف ما ورد إلى [١٤] الإمام من تصميمه [١٥] على قصد مكة رجَّح

---

١. الجروية : قرية على وادي جازان، شمال شرق أبي عريش.

٢. في س : «موحدة» بلا فاء العطف.

٣. «وهي» : ليست في س.

٤. ما بين القوسين ليس في س.

٥. في س : «مخبرة».

٦. «إليه» : ليست في س.

٧. في س : «لسبب» مصحفة.

٨. بعدها في س زيادة : «عمرها الله».

٩. في س : «بما وقع بسبب الشريف».

١٠. بدلها في س : «البيت الحرام».

١١. في س : «فتنفرت».

١٢. جاءت العبارة التي حصرناها بين قوسين في س على النحو التالي : «عن قبول الشريف عبد الله والتلقي به بالبقاء له في حضرته» فيها تحريف يخل بالمعنى المراد.

١٣. في س : «من الإمام إلى الشريف ما يقتضي» زيادة.

١٤. في س : «على».

١٥. في س : «تصممه» مصحفة.

أن يجعل كتاباً منه إلى شريفها وجاهة في القبول[١] للشريف عبد الله، وراقب درء هذه المفسدة العظمى. ومن جملة ما قال في[٢] الكتاب: «إنكم إن قبلتم منا هذه الوجاهة وأرجعتم ما هو للشريف عبد الله من المقررات والمعاليم وإلا تركنا الشريف محمداً[٣] وحالَه غير ناهين[٤] ولا راضين لما[٥] يأتيه». ثم كتب كتاباً إلى الشريف يأمره بالتوقف عن المسير حتى يعود عليه الجواب. وأنه لا يسير بالخطوط[٦] إلا[٧] الشريف ظافر بن الحسين. «فإن وقعت الجدوى وقبول الشفاعة وإلا فأنت وذاك».

* * *

[ازدياد الوحشة بين الشريف محمد والشريف ظافر]

وكانت الوحشة بين الشريف والشريف ظافر في أعظم ما يكون. والحال أنه مستقر معه بالمخيم المذكور / ، إلا أنه لا يصل إليه ولا يفاوضه في شيء من الأمور. [٧٥ ب] وانتهى الحال إلى أن حَجَر الشريف كبراه[٨] الأجناد عن الوصول إليه[٩]، توهماً منه أن يثبطهم عن شيء (مما يريده وعزم عليه)[١٠]. ولكنه لما عين الخليفة مسيره بذلك الكتاب، لم يجد بداً من الامتثال لرأي ذلك الجناب. ورأى الشريف ظافر أن[١١] في ذلك[١٢] تسلية لخاطر الشريف، واستعطافاً لمودته وإن بَعُدت الشقَّة وشقّ[١٣] التكليف، قائلاً بلسان الحال:

---

١. في س: «قبوله».
٢. في س: «في هذا الكتاب».
٣. في س: «محمد» خطأ.
٤. في س: «ناهية»، لا معنى لها ههنا.
٥. في س: «بما» مصحفة.
٦. في س: «بالكتب».
٧. في س: «إلى» خطأ.
٨. في س: «كثير» ولا معنى لها ههنا.
٩. في س: «إلى الشريف ظافر» أبدل الضمير بالاسم الظاهر، وهو وجيه.
١٠. بدل العبارة التي بين القوسين جاء في س: «مما يريد إنفاذه من الأوامر».
١١. «أن»: ليست في س.
١٢. بعدها في س زيادة: «أيضاً».
١٣. بدلها في س: «وعظم».

لَعَلَّ اللَّيَالِي الماضياتِ تَعُودُ فَتُضْحي نُجُوم الوَصْلِ وَهْيَ سُعُودُ
عَفَا مَنْزِلٌ ما بَيْنَ نَعْمانَ واللِّوَى وجُرَّت بـه لـلـرامـشـات[1] بُـرُودُ

ومن الناس من يزعم أن تعيين الخليفة على الشريف ظافر في المسير بتلك الخطوط إنما هو لتنبيه[2] عليه من المذكور، لما شاهده[3] من تكدر خاطر الشريف عليه وإعراضه عنه عند تلك الأمور. فترجَّح له أن يجعل هذا المسير ذريعة إلى تحليل (ما قد وقر في الصدور)[4]؛ والله سبحانه أعلم بخفيات الأمور.

* * *

[خروج الشريف ظافر إلى مكة بكتاب من الإمام]

وفيها، في شهر ربيع الأخرى[5]: توجه الشريف ظافر بالكتاب الإمامي إلى الشام، وركب البحر من بندر جازان. فاستقامت الأمور عند وصوله هنالك على أتم نظام. / [١٧٦] وقبل شريف[6] مكة تلك الوجاهة، وأنشد لسان الحال (قول بعض أهل النباهة)[7]:

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الإقْبالُ ما وَعَدا وكَوْكَبُ السَّعْدِ في أُفْقِ العُلَى صَعَدا

* * *

[عزل الشريف ظافر عن صبيا ومخلافها]

ولكنه بعد عزم الشريف ظافر إلى الشام، كثر[8] من أضداده فيه الكلام، فتغير خاطر الشريف عليه بالكلية[9]، وعزله عن[10] الأعمال التي كانت موجهة إليه، ومنها

١. في س: «للراعشات».
٢. في س: «تنبيه» بلا لام الجر.
٣. في س: «شاهد».
٤. بدل العبارة التي بين القوسين جاء في س: «ما وقد في القلوب والصدور».
٥. كذا في النسختين بالتأنيث، وهو سهو. يناير-فبراير سنة ١٧٦٠م.
٦. في س: «وقبل الشريف شريف مكة» زيادة.
٧. ما بين القوسين ليس في س.
٨. في س: «أكثر» مصحفة.
٩. «بالكلية»: ليست في س.
١٠. في س: «من».

مدينة صبيا ومخلافها . فوجه تلك الجهات إلى ابنه الشريف أحمد بن محمد ، وأخذ[٣] جميع رعايا الشريف ظافر ، ولم يبق له أحد .

* * *

[عودة الشريف ظافر من مكة]

وفيها، في شهر جمادى الأولى[٤] : رجع الشريف ظافر من مكة المشرفة ، وقد قلب له الشريف ظهر المجن ، وأبدل النكرة عن المعرفة . ومن جملة ذلك أنه لم يأمر له باللُّقية التي كان يألفها عند وروده من الغيبة ، ولو كانت دون هذه المسافة في[٥] الأوْنَة . فحصل في نفس الشريف ظافر[٦] حاصل من حيث إنه لا يألف مثل هذا الجفا ، وتكدر عنده كل ما خلص وصفا . وأطلق على الشريف جميع ما وصل به من القواعد المتضمنة للصحة والتضمين للشريف عبد الله على إجراء جميع ما يتعوده من العوائد . وطابت[٧] نفس الشريف إلى الغاية ؛ وبلغ الشريف عبد الله من مقاصده[٨] النهاية . وتوجه بعد ذلك إلى الشام / وقد تم له المرام ؛ ولله قول بعض الأعلام : [٧٦ ب]

إذَا كانَ عَوْنُ اللّهِ للمَرْءِ شاملاً[٩] تَهَيَّا لَهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مُرادُهُ
وإنْ لم يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللّهِ للفَتَى فَأوَّلُ مَا يَجْني عَلَيْهِ اجْتِهادُهُ

* * *

<خروج الشريف ظافر إلى اليمن مغاضباً للشريف>

وفيها، في أواخر شهر جماد المذكور[١] : توجه الشريف ظافر بن الحسين[٢] .

---

٣ . في س : « فأخذ » .
٤ . في س : « جماد أول » . ع ، ويوافق يناير–فبراير سنة ١٧٦٠م .
٥ . في س : « عند » .
٦ . في س : « ظافر أعظم حاصل » .
٧ . في س : « فطابت » .
٨ . في س : « مقصده » .
٩ . في س : « شامل » خطأ .
١ . كذا في النسختين بالتذكير . ويوافق منتصف يناير سنة ١٧٦٠م .
٢ . في س : « بن الحسين إلى اليمن إلى حضرة الخليفة » زيادة .

إلى حضرة الخليفة، معاتباً لابن عمه بسبب ما شاهد من تلك الأمور التي تزيد في وَحْرِ[١] الصدور. فلما وصل إلى شريف الحضرة، قابله الإمام بالإكرام، وشكا عليه ما طرقه من حوادث الأيام. فسمع الخليفة شكواه. وأنزله المنزل الذي يليق بعلياه؛ ووعده بافتقاد الحال، وإصلاح الشأن في المآل.

* * *

‹وصول ابن جميل إلى أبي عريش›

وفيها، في شهر ذي الحجة الحرام[٢]: ترجَّح للخليفة أن يرسل (رسولاً من مقامه الجليل، اسمه أحمد بن حسن بن جميل، من كتاب الحضرة، لتوسط الحال بين الشريفين المذكورين)[٣]. وأصحبه خطوطاً إلى الشريف، وعيَّن عليه أن يرد على الشريف ظافر جميع ما يعتاده من البلاد والرعايا، وأن يُجريه على أكرم العادات والمزايا. وأذن للشريف ظافر بعد توجه الرسول في النزول إلى مدينة الزَّيْديَّة والانتظار / لجواب[٤] الشريف هنالك؛ فإن وصل بالإسعاد تقدَّم إلى أبي عريش وقد قُضي المراد، وإلا أقام بها حتى يصله[٥] منه الرأي الذي يقع عليه الاعتماد. وأجرى له من الكفايات ما يقوم بالمقصود عند الاستمداد[٦]. [١٧٧]ظ

فوصل ذلك[٧] الرسول إلى مقام[٨] الشريف بأبي عريش في يوم عرفة[٩]، وعرض عليه ما بيده من ذلك الترجيح[١٠]؛ فشق على الشريف غاية المشقة، وأنف أشد الأنفة.

١. في س: «وحن» مصحفة تفسد المعنى.

٢. يوليو-أغسطس سنة ١٧٦٠م.

٣. ما بين القوسين جاء في س مضطرباً مختلاً على النحو التالي: «أن يرسل رسولاً لتوسط حال الشريفين المذكورين من مقامه الجليل اسمه أحمد بن حسين بن جميل من كتاب الحضرة لتوسط حال الشريفين المذكورين».

٤. في س: «والانتظار للجواب من هنالك».

٥. في س: «يصل».

٦. في س: «الاستداد».

٧. «ذلك» ساقطة في س.

٨. بدلها في س: «حضرة».

٩. في ٢٢ يوليو سنة ١٧٦٠م.

١٠. في س: «الترجيح الإمامي» زيادة.

ثم أنزله بعد أن جاراه في الخطاب ؛ فلم يقف منه على طائل غير ما تضمنه[١] الكتاب. ثم لما كان في[٢] اليوم الثاني[٣] من عيد النَّحر جمع كبراء[٤] الأشراف وأبرز لهم تلك الورقة الواصلة مع الرسول، وطلب منهم بحضرة الرسول النطق بما يعلمونه : هل هذه الرعايا والبلاد التي رجَّح الإمام إرجاعها للشريف ظافر هي له على سبيل الاستقلال والاستبداد، أم هي بطيب نفس منه أيام الخدمة والنصيحة الكائنة من المذكور، والكون على وفق المراد ؟ فأجابوا : بأنَّا[٥] لا نعلم للمذكور إلا ما أعطيته أنت بطيبة[٦] نفس وصفاء وداد[٧]. فطلب[٨] منهم وَضْعَ ما قالوه في مسطور (ورفع ذلك إلى شريف المقام صحبة الرسول المذكور)[٩]. وبعد اطلاع[١٠] الإمام عليه أرسله إلى الشريف ظافر بقرية الزَّيْديَّة، ولعلَّه اعتذر / بمثل هذا[١١]، وقرر جميع كفايته (وما يحتاج إليه [٧٧ ب] ؛ فأقام بالقرية المذكورة حتى استأذن)[١٢] في التوجه إلى الشام لحج بيت الله الحرام. كما[١٣] سيأتي تحقيق ذلك، إن شاء الله[١٤]، في أثناء الكلام.

* * *

١. في س : « تضمنه ذلك الكتاب ».
٢. « في » : ساقطة في س.
٣. الموافق : ٢٣ يوليو سنة : ١٧٦٠م.
٤. في س : « كثير ».
٥. في س : « إنا » مجردة من الباء الجارة.
٦. في س : « بطيب ».
٧. « وصفاء وداد » : ليست في س.
٨. في س : « ثم طلب ».
٩. العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س على النحو التالي : « ورفع ذلك المسطور إلى شريف الحضرة صحبة ذلك الرسول ».
١٠. في س : « وبعد أن اطلع ».
١١. في س : « اعتذر منه بمثل » زيادة.
١٢. بدل العبارة التي بين القوسين جاء في س : « وما يحتاج إليه بالقرية المذكورة فأقام بها حتى استأذن ».
١٣. في س : « وكما » بزيادة الواو.
١٤. في س زيادة : « تعالى ».

السنة الرابعة والسبعون [١]

‹دخول الشريف درب بني شعبة مرة أخرى›

في شهر رجب الحرام [٢] : توجّه الشريف مرة أخرى لصباح درب بني شُعبة. وسبب ذلك أنّه لما حبس أولئك النّفر منهم بقرية البدوي [٣]، ومكثوا في الحبس مدّة [٤] لم يألُ [٥] أصحابهم جهداً في السّعاية (فيهم والاستشفاع بكل ذي جاه) [٦]. فلمّا أعياهم الحال تَرَجّح لهم المباينة عملاً بقول من قال :

ولكنّ صرْفَ الشرّ بالشرّ أحزَمُ

وظنوا أنه [٧] لا يكون إطلاق أصحابهم إلا بذلك، فطلعت منهم طليعة خيل على السادة الجعافرة [٨] الساكنين بقرية البُطَيح [٩] أسفل وادي بيش، وأخذوا عليهم جملة مستكثرة من الإبل؛ وقتلوا ابن [١٠] شيخ السّادة المذكورين. فلما بلغ الشريف صُنْعهم أرسل كتباً إلى نجران يستنجدهم في النزول لهذا [١١] الشان. فوصل منهم قريب من ألفي (مقاتل؛ فنهض في ذلك الشهر من مدينة أبي عريش إلى صبّيا) [١٢]، ثم [١٣] إلى

---

١. الموافقة : ١٣ أغسطس سنة : ١٧٦٠-١ أغسطس سنة : ١٧٦١م.

٢. « الحرام » : ليست في س. فبراير-مارس سنة : ١٧٦٠م.

٣. بعدها زيادة في س : « كما سبقت الإشارة إليه ».

٤. في س : «مدة طائلة» زيادة.

٥. في س : « لم يأت لأصحابهم جهد » تصحيف أفسد المعنى.

٦. العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « منهم والتوجه على الشريف بكل ذي جاه ».

٧. في س : « أن لا ».

٨. يسكن السادة الجعافرة في أسفل وادي بيش ووادي ضمد.

٩. البطيح : قرية في أسفل وادي بيش. (انظر : العقيلي، معجم : ٥٩).

١٠. في س : « أبناء ».

١١. « لهذا الشان » : جاء بدلها في س : « لذلك ».

١٢. العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « مقاتل وذلك في شهر رجب كما تقدم فنهض من مدينة أبي عريش إلى صبيا ».

١٣. في س : « ثم منها إلى بيش » زيادة.

بِيْش، ثم إلى بِيَض. فلمّا علم بنو شُعْبَة بذلك أيقنوا بعدم القدرة (على المباينة، / والمقاومة [١٧٨]
بالقتال)[١]؛ فطلبوا منه العفو، والتزموا بإرجاع ماأخذوه (من النّعم في الحال. فأبى
ذلك)[٢] إلا بشرط تسليم قاتل السيّد الجعفري للقَوَد، أو يرى فيه رأيه، فامتنعوا وأجبروا[٣]
على الفرار وإخلاء الدّيار.

(ثم غزا منهم رجلان أو ثلاثة من أهل الخيل على محطة الشريف بالليل، وهو
إذ ذاك بوادي بيض)[٤]؛ فقتلوا رجلاً من جند الشريف، ثم ولّوا. ولما وصلوا الدرب
خرج من به من السكان فأصبح مقفراً ليس به إنسان، فدخله الشريف وأقام به أياماً.
ثم أرسلوا لطلب الأمان؛ فبذل لهم ذلك وارتحل عنهم؛ فرجعوا إلى الأوطان.
وبذل لبعضهم شيئاً من المال تطييباً لخواطرهم.

وفي إقامته هنالك تزوج امرأة من نساء مشايخهم، ورجع عنهم بعد الظفر بهم.

* * *

[قصدُ الشريف جبل فَيْفَا]

فلما انتهى في رجوعه إلى بيش ترجّح له قصد جبل فَيْفَا[٥] ــ بفاءين مفتوحتين
بينهما مُثَنّاة[٦] ساكنة تحتية، على وزن: فَعْلَى كحَمْرَى وسَكرى ــ. واضطرب الكلام:
هل هو المرجّح لذلك أم بعض كُبَراء بني[٧] يام؟ لأنهم كانوا يظنون بذلك الجبل أموالاً

---

١. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «على مقاومة الشريف بالقتال».

٢. ما حصرناه بين قوسين جاء في س على النحو التالي: «من الأنعام فامتنع من قبول ذلك».

٣. في ص: «وأصروا» ومافي س أوجه للمعنى فاخترناها.

٤. ما حصرناه بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي: «ثم غزا منهم رجلين محمد بن غفيرة وآخر أو ثلاثة من أهل الخيل على محطة الشريف بوادي بيش» وواضح مافيها من اضطراب وخلل.

٥. جبل فيفا: من الجبال شمال شرق أبي عريش. عن أهل جبل فيفا انظر: العقيلي، تاريخ: ١ (١) ٨٨-٨٩.

وقد وصل جيش الإمام إلى جبل فيفا سنة: ١٠٣٥هـ = ١٦٢٥-١٦٢٦م. (انظر: الجرافي، المقتطف: ١٤٦).

٦. في س: «مثناه من أسفل ساكنة».

٧. «بني»: ليست في س.

مستكثرة لكونه لم يكن تحت وطأة أحد من الدول. ولم يعلموا أن إبر النحل دون جني العسل / . والحال أنه لم يكن ثَمّ موجب على قصد أهله، لأنهم لا[١] يصدر منهم [٧٨ ب] إضرار بأحد من الرعية، وليس لهم قصد إلى الشريف في طلب عطية ولا دفع أذية ؛ فشاهدُ حالهم كما قال بعض البرية[٢] :

أغنى الأنامِ فَقيرٌ في ذُرَى جَبَلٍ   لا يَعْرِفُ الوَشْيَ مَنْسُوجاً ولا التَّاجا

ولكنها جرت الأقدار، وغلب الطمع على بني يام، فأوقعهم في[٣] شرك البَوار :

علِمْتُ يقيناً أنّ ما حُمَّ كونُهُ[٤]   فسعْيُ أمرىءٍ في صرْفِهِ غيرُ نافعِ

وكان توجه الشريف إلى جبل فَيْفا في شهر رمضان[٥] المعظّم قدْرُهُ، فنزل بموضع يسمى : الرُّقة[٦] قريب من الجبل المذكور، فأقام به، فيما أحسب، ثلاثة أيام.

* * *

‹ذكرُ قاسم ابن المُعكوِي›

وكان لأهل الجبل[٧] شيخٌ اسمه[٨] : قاسم بنُ أحمد، ويلقب بالمُعكوي (على صيغة اسم الفاعل)[٩] يتعلق بالنجامَة والكَهانة ؛ ويُقال : إنّ له قريناً من الجن، فربما أخبر بشيء من المغيَّبات.

* * *

١. في س : «لم».
٢. «بعض البرية» : ليست في س.
٣. في س : «في شرك الهلاك والبوار» زيادة.
٤. كذا في النسختين، ولعله : «كائن».
٥. في س : «العظيم». وهو يوافق إبريل-مايو سنة : ١٧٦١م.
٦. الرقة : قرية على جبل بني مالك. (انظر : العقيلي، المعجم : ١٠٩).
٧. «الجبل» : ليست في س.
٨. في س : «يسمى».
٩. مابين القوسين ساقط في س.

[وقعة فَيفا بين جُند الشريف وبين أهل الجبل]

فلم يزل يراسل الشريف ويكاتبه في الكفّ عن القتال، وأنّه ليس له حجة عند أصحابه؛ لكن[1] لم يُجْدِ كلامه[2] في الشريف، بل صمّم على قصد الجبل المنيف، وكان جبلاً شامخاً، شديد الوعورة، عظيم الأطوار[3]، هائل الصورة، لا يكاد يسلك فيه[4] الماشي على قدميه من غير أن يستعين بيديه، وربما حَبَا على ركبتيه.

[١٧٩] فقسّم الشريف جنده ثلاث ثُبات[5]، طلعت ثُبَة[6] من الجانب الغربي/ ، والثانية من الجانب القبلي، والثالثة من الجانب اليماني إلى جهة[7] الشرق أقرب. وكان البناء منهم على[8] أن يجتمعوا بذروة الجبل، وما علموا أن دون ذلك خرطَ القتاد[9]، وذهاب الطّارف[10] والتلاد. فوقع بينهم وبين أهل الجبل قتال شديد، وضربٌ مُبيد. فانهزم أهلُ الجبل في[11] أول النهار؛ ولم يكن غالب سلاحهم إلا أعواد ليس لها أسنّة[12]، بل يُسلّكون رؤوسها حتى تصير في غاية الدقّة والنّفوذ[13]؛ ثم يُضعفون العُود عند مُنتهى التّسليك، فإذا أصابوا به أحداً عند الرّمي نفذ فيه ثم انكسر مِنْ مَنتهاه، فلا يُخلّص[14]

---

١. في س: «ولكنه».

٢. في س: «كلاماً» مصحفة.

٣. كذا جاءت في الأصل ص وفي س، ولعله تصحيف صوابه بالدال: «الأطواد».

٤. في س: «إليه».

٥. في س: «رايات».

٦. في س: «راية».

٧. في س: «إلى الجهة الشرقية».

٨. «على»: ليست في س.

٩. في س: «القياد» مصحفة.

١٠. في س: «الطارق» تصحيف.

١١. «في»: ليست في س.

١٢. أول من أدخل الأسلحة النارية إلى اليمن هم العثمانيون حين دخولهم إلى اليمن سنة: ١٥٣٨م. (انظر: Serjeant, *San'ā'*, p. 70a)

١٣. في س: «النفوذ والدقة».

١٤. في س: «يتخلص» تصحيف لا يقوم به معنى.

من المُصاب حتى يشرب بكأس الصاب . ومن جملة سلاحهم الوَضْف[1] بالحجارة، فلا تكاد تخطىء وضفة أحدهم الغرض ؛ حتى لقد أخبرني بعض الممارسين لهم من أهل الجهة أنّه شاهد بعضهم يُعلّق له حلقة صغيرة بمقدار سوار العضد، فيرميها بحجر المِضفَة، فيُنفذه فيها[2]، وبالجملة فلهم في ذلك إحكام قلّ[3] أن يصل إليه[4] أحد سواهم من الأنام.

ولما طلع أصحاب الشريف عند حصول هزيمة أصحاب[5] الجبل أكثر من نصف المسافة، وحازوا نهب جميع ماخلّفوه وراء ظهورهم من قرى[6] الجبل، وقد أمنوا المخافة/ فتزايدت عليهم الغارات، ونادى أهل الجبل : يالثّارات[7]، وتكاثروا حتى [٧٩ب] هالت كثرتُهم جند الشريف، ورموهم بتلك الحراب وحجارة الوَضْف ؛ فنزل بهم الأمر المخيف، فولّوا الأدبار، ورجعوا إلى مخيمهم[8] الذي خرجوا منه، فاستقروا به، ولاتَ حين قرار.

وهذا حال طائفتين من الثلاث الثُّبات[9] ؛ وأما الثُّبة[10] الثالثة، وهم الطالعون من الجانب اليماني فإنه قُتِل دليلهم عند أول الطلوع، فبقوا أحْيَرَ من ضبٍّ، ولم يتمكنوا من الرجوع ؛ وأطبق عليهم من في مقابلهم من أهل الجبل، فحلّ بهم الفشل والوجل ؛ وقُتِل منهم مَقْتَلَة عظيمة، وصار سلاحهم وما أجلبوا[11] به لأهل الجبل غنيمة[12] . وبلغني

١ . الوضف بالحجارة : رميها بواسطة الوَضِف، وهو : المقلاع، باللهجات اليمنية . (أفادناه الأستاذ المؤرخ المطهر الإرياني) .

٢ . في س : « منها » مصحفة .

٣ . في س : « أقل » تصحيف .

٤ . تصحفت « إليه » في الأصل ص إلى « إليها » والتصويب من س .

٥ . في س : « أهل » .

٦ . في س : « من القرى التي في الجبل » .

٧ . في س : « بالثارات » مصحفة .

٨ . بدلها في س : « إلى المطرح » .

٩ . في س : « الربات » .

١٠ . في س : « الراية » .

١١ . في س : « جلبوا له » مصحفة . وأجلبوا : خاضوا المعركة .

١٢ . بإزاء هذا الخبر في هامش س عنوان هامشي نصه : «وقعة فيفا» .

أن المقتول منهم قريب من ثلاثمائة، بينهم[1] من قُتِل بسلاح، ومنهم من تردّى (عند الفرار من الجبل فطاح)[2] :

لِلّهِ يَبْقَى على الأيَّام ذو حَيَدٍ بِمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ[3]

ولم يبلغ خبرهم إلى أصحابهم إلى قريب من نصف النهار. ولم ينج[4] منهم إلا من أسلمه القدر بعد أن كابد أعظم[5] مشقة من[6] الفرار. وغنم أهل الجبل من البنادق والسلاح ما يعظم خطره، ويصعب حصره. وبعد ذلك ارتحل الشريف عنهم في آخر[7] / النهار المذكور، ولله عاقبة الأمور. وقد[8] أنشد لسان حاله : [١٨٠]

شتّان ما يَوْمي على كُورِها ويومُ حَيَّانَ أخي جابِرِ[9]

* * *

[اتهام المكرَمي للشريف بإضعاف بني يام]

وبعد وصوله إلى أبي عريش، زلّج بقية المحطة، فساروا بأخسر صفقة وأضعف حِطّة. ورفع الشريف إلى[10] المكرمي بجميع ما وقع من الأمر وكان، وسلاّه عن هذه القضية[11]

---

١. في س : «منهم».

٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : «عند الفرار من مناهق الجبل فطاح» كذا.

٣. البيت ليس في س. ورواية الشطر الثاني في الأصل ص : بمشمخر به الضيّان والآس بجعل الظاء ضاداً على عادة اليمنيين في نطقها. فصوبناه من (ديوان الهذليين : ٣/ ٢) فالبيت لمالك بن خالد الخناعي الهذلي.

والظيان : ياسمين البر (اللسان : ظين).

٤. في س : «ولا نجى».

٥. «أعظم» : ليست في س.

٦. «من» : ساقطة في س.

٧. في س : «أواخر».

٨. «قد» : ليست في س.

٩. البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. توفي سنة : ٧هـ = ٦٢٩م. (انظر : اللسان : شتت، والأغاني : ٩/ ١٠٨).

١٠. في س : «إلى القاضي المكرمي». زيادة.

١١. في س : «القصة» مصحفة.

العظيمة الشان بأن الحرب سجال (والحال كما اعترف الأول إذ قال)[١] :

فَيومٌ عَلَيْنا ويومٌ لَنا ويَومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرّ

ولكن المكرمي استعظم هذا الواقع، وأساء في الشريف اعتقاده، وزعم أن له في هذه الفعلة[٢] إرادة، وأنه لم يُرِدْ لقصد الجبل المذكور إلا الإضعاف[٣] لبني يام والإكادة. وهي تهمة لا أصل لها فيما أحسب، ولكن لسوء (ظنّه اعتقد هذا لوقوع الأمر المتعب)[٤]. وأخذ عليه الشريف في التوقف عن الحركة لأخذ الثأر؛ ورجّح له البقاء حتى يستعدّ للجند من الكفاية[٥] والعدة ما ينقضي معه الأوطار. لأنه قد أنفق في هذا المخرج جملاً مستكثرة من الأموال جليلة المقدار.

* * *

[توجُّه الشريف ظافر إلى مكة للحج]

وفيها[٦] : طلب الشريف ظافر من الإمام الإذن له بالحج إلى بيت الله الحرام، فأذن[٧] له؛ فتوجّه من قرية الزّيديّة، وركب البحر من بندر اللُّحيَّة حتى وصل إلى القُنْفُذَة[٨]، فنزل وسافر من[٩] طريق البر حتى[١٠] وصل[١١].

* * *

١. بدل ما بين القوسين جاء في س : « ولله من قال ».

٢. « الفعلة » : ليست في س.

٣. في س : « لإضعاف بني يام ».

٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « ظنه عند هذا الأمر المتعب ».

٥. بدلها في س : « الزاد ».

٦. بإزاء هذا الخبر في هامش س عنوان هامشي نصه : « نزول الشريف ظافر إلى الزيدية »، ولا يتفق مع ماجريات الخبر.

٧. في س : « وأذن ».

٨. كانت جميع المراكب الآتية من اليمن والمتجهة إلى جدة ترسو في القنفذة لدفع الرسوم المفروضة من قبل شريف مكة. (انظر : Niebuhr, *Description*, 2, p 244-5)

٩. « من » : ليست في س.

١٠. « حتى » : ليست في س.

١١. بعدها زيادة في س : « مكة المشرفة عمرها الله ».

[شكاوى الشريف ظافر عند شريف مكة]

وبعد تمام أعمال الحجّ/ شكا إلى شريف مكة ما ناله من المشاق، وساق عليه [٨٠ب] جميع المتّفقات أحسن مساق؛ فوعده شريف مكة أن يشفع له إلى الشريف؛ وغلب على[1] ظنه أنه لا يرد[2] شفاعته مكافأة له على ما سبق منه في شأن الشريف عبد الله بن أحمد من قبول وجاهته بلا تعنيت[3].

ثم كتب في هذا الشأن كتاباً بليغ المعاني، مَشِيد المباني، تولى إنشاءه[4] الشيخ الأديب، الآتي بكل فنٍّ غريب، صارم الدين إبراهيم بن سعيد المنوفي، رحمه الله.

* * *

‹وصول الشريف محمد بن حيدر المنديلي› [إلى أبي عريش]

وأرسل به الشريف محمد بن حيدر المَنْديلي الحَسَني أحد كبراء الأشراف بمكة. فوصل بذلك الكتاب إلى الشريف؛ فلم يلتفت إليه. ولم تزل المراجعة بالكتب والرسل بينهما. والشريف ضاربٌ[5] عن طيبة النفس على الشريف ظافر صفحاً، وطاوٍ عن ذلك كشحاً، ولله من قال:

احْرِصْ عَلَى حِفْظِ القُلُوبِ مِنَ الأَذَى ... فَرُجُوعُها بَعْدَ التَّنَافُرِ يَعْسُرُ
إنَّ القُلُوبَ إذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا ... مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ

وقد قال بعض أهل الكمال في مثل[6] هذا الحال:

ويُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ بَعْدَ انْقِطاعِهِ ... ولكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرَّبْطِ

وللشيخ الأديب أبي الحُسين الحَرّار (أبيات بليغة المعنى في هذا الشأن بلا

---

١. في س: «عليه».
٢. في الأصل ص: «يريد» سهو والتصويب من س.
٣. في س: «تعنيف» مصحفة.
٤. في س: «كتابته».
٥. في س: «ضارب صفح» زيادة.
٦. «مثل»: ليست في س.

[١٨١] استنكار)[١]، / إذ يقول :

مَنْ مُنْصِفي مِنْ مَعْشَرٍ كَثُروا عَلَيَّ وأكْثَروا
صادَقْتُهم وأرى الخرو جَ مِنَ الصَّداقةِ يَعْسُرُ
كالخطِّ يسهُلُ في الطُّرو سِ ومَحْوُهُ يَتَعَذَّرُ
وإذا أردتَ كَشْطَهُ لَكِنَّ ذاكَ يُؤَثِّرُ

ولله درّه ما أبلغ كلامه، وأحلى نظامه.

* * *

‹وصول الشريف باز بن شُبَيْر› [إلى أبي عريش]

وكان آخرَ من وصل بكتب شريف مكة في هذه المجرَّة إلى أبي عريش الشريفُ الكبير، الرئيسُ الأديب الخطير بازُ بنُ شُبَيْر ؛ وهو رجل عالي المقدار، له علاقة بالأدب[٢] وحفظ[٣] للأشعار. قد طوّف[٤] كثيراً من البلاد، وأوغل في التهائم والأنجاد ؛ وصل[٥] بلاد الأروام، وبلغ إلى مواطن الأعجام. أخبرني[٦] مشافهة أنه دخل مدينة[٧] خراسان، وعرف ما في إقليمها من البلدان. (وخراسان هي التي أشار إليها الشاعر إذ قال، واستشهد به أهل العربية على الفاء الفصيحة المؤدية بشرط محذوف في إلغاز)[٨] :

قالُوا خُراسَانُ[٩] أقْصَى ما يُرادُ بِكُمْ ثُمّ القُفُولُ فَقَدْ جِئْنا خُراسَانا

---

١ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : «أبيات بليغة في عكس هذا الأمثال بلى إنكار» كذا.

٢ . في س : «بفن الأدب».

٣ . في س : «وحفظاً» خطأ.

٤ . في س : «قد طاف كثير».

٥ . في س : «ووصل» بزيادة واو العطف.

٦ . في س : «وأخبرني» بزيادة واو العطف.

٧ . في س : «بلاد خرسان».

٨ . مابين القوسين ليس في س.

٩ . في س : «خرسان» سهو.

ودخل فيروز آباد[١] بلد الشيخ العلامة، إمام أهل اللغة، مُصنِّف (القاموس المحيط) مجد الدين الشيرازي[٢]، رحمه الله تعالى.

[٨١ب] / وبالجملة، فهو نادرة عصره، وأصمعي[٣] مِصْرِه؛ وله[٤] اطّلاع على اللغة عجيب، وذهن محيط بكل غريب.

ومازال يحاول الشريفَ في كل منهج، ويَدْرج له كل مَدْرج؛ فلم يقفْ منه على طائل، (بعد أن أبلغ وُسعَه في بذل الوسائل)[٥]. ولما عاد إلى شريف مكة من غير قبول، (عظُمَ عليه رد مثل هذا الرسول)[٦]؛ ورأى أن إرجاع الشريف له بهذه الصفة من حضرته أقوى حطٍّ من منزلته ورتبته؛ وأنف لذلك أشد[٧] الأنفة. وتوفر حق الشريف ظافر عليه[٨]، فأرخى عليه كنفه، وأجزل له العطايا، وخصّصه بكثير من المزايا. وأنشد فيه[٩] لسان الحال، (مخاطباً للشريف بقول من قال)[١٠]:

وإنّ الّذي بَيْني وبَيْنَ بَني أبي ... وبَيْنَ بَني عَمّي لَمُختلفٌ جِداً[١١]

إذا أكلُوا لحمي وفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وإنْ هَدَمُوا مَجْدي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدا

* * *

---

١. فيروزآباد، أو فيروزباد: مدينة في شمال الهند. قرب مدينة أكرا.

٢. هو أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، مجد الدين، الشيرازي، الفيروزأبادي. عالم باللغة وهو مؤلف (القاموس المحيط) من أشهر المعاجم اللغوية، عاش في القرن الثامن الهجري = الرابع عشر للميلاد، زار اليمن سنة: ١٣٩٤-١٣٩٥م ومكث مدة عند سلطان تعز. توفي بزبيد في أوائل القرن التاسع للهجرة = ١٤١٥م. وفي القرن الثامن عشر قام السيد المرتضى الزبيدي بشرح القاموس المحيط. بكتابه الكبير المشهور (تاج العروس في شرح القاموس). (انظر: EI², 947-8)

٣. الأصمعي: هو عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع، الباهلي، الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم في اللغة والشعر والبلدان، ولد في البصرة سنة: ١٢٢هـ = ٧٤٠م وتوفي فيها سنة: ٢١٦هـ = ٨٣١م. (انظر: جمهرة الأنساب: ٢٣٤. ووفيات الأعيان: ١/ ٢٨٨).

٤. في س: «له» بإسقاط الواو العاطفة.

٥. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «أن بلغ غاية جهده في بذل الوسائل».

٦. ما بين القوسين نصه في س: «عظم عليه الرد بمثل هذا الرسول».

٧. هذه العبارة جاءت في س: «وأنف من ذلك غاية الأنفة».

٨. «عليه»: ليست في س.

٩. في س: «منه».

١٠. ما بين القوسين جاء في س مبتوراً على النحو التالي: «لسان الحال قول من قال».

١١. البيتان من مقطعة من عشرة أبيات في حماسة أبي تمام، وهي للمقنع الكندي، محمد بن عميرة بن

[حجّ المؤلف إلى بيت الله الحرام]

قُلْتُ : ومن فضل الله، سبحانه، ونعمته عليّ أن يسَّرَ [١] الحج في هذا [٢] العام إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر المصطفى عليه وعلى [٣] آله أفضل الصلاة والسلام.

* * *

‹ذكر السيد عبد الرحمن بن مصطفى العَيْدروس›

[لقاء بين عبد الرحمن البهكلي والسيد عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العَيْدروس]

واجتمعتُ بجماعة من الأفاضل الأعلام، منهم السيد العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العَيْدرُوس [٤]، وهو من أهل التصوف والصفاء، والزهد وحسن السلوك والوفاء. له ذهنٌ وقّادٌ [٥]، وطبع سليم/ [١٨٢] مُنْقاد؛ وحفظٌ عظيم للآداب، وشعر عزيز النظير يأتي فيه بالعجب العجاب. ولما أمليتُ [٦] عليه بيتين لبعض الأفاضل في فن البديع من القسم المسمى: بإيهام التوكيد، وهما:

وبَـديـعُ الـطَّـوْقِ لـه صَـدَحٌ [٧] ... فـي الـدَّوْحِ [٨] يُـثـيـرُ بـه الحُـرَقـا
أبْـدى مِـنّـا فَـرقـاً فَـرقـاً [٩] ... غُـصْـنـاً لَـدْنـاً ورقـاً ورَقـا

= أبي شمر، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، من أهل حضرموت، توفي نحو سنة: ٧٠هـ = ٦٩٠م،

ورواية البيت الثاني في الحماسة:

فإن أكلوا الحمي وفرت لحومهم... (انظر: البيان والتبيين: ٣/ ٥٣).

١. في س: «يسر لي».

٢. بدلها في س: «ذلك».

٣. «وعلى آله»: ليست في س.

٤. السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس: ولد باليمن بمدينة تريم سنة: ١١٣٥هـ = ١٧٢٣م، وطاف كثيراً من البلدان الإسلامية كالهند والحجاز والشام ومصر. (انظر: المرادي، سلك الدرر: ٢/ ٣٢٨-٣٢٩).

٥. في س: «وقار» بالراء، مصحفة.

٦. في س: «أمليت له عليه» تحريف.

٧. كانت في الأصل ص: «سجع» وكتب فوقها تصحيحاً كلمة: «صدح» فأثبتناها لموافقتها س.

٨. في س: «الروح» بالراء مصحفة ولامعنى لها.

٩. كذا رسمت في النسختين بالألف، وشرطها الرسم بالياء. وكذلك (ورقا) في آخر البيت.

أملاني لنفسه من شعره (معتقداً أنه معارض لهما في المعنى)[١]

قَالَ الَّذِي قَدْ سَبَانِي ... بِمَنْظَرٍ مِنْهُ زَاهِي
قَصْدِي الْبَاهَاةُ صِفْنِي ... فَقُلْتُ يَا بَدْرُ بَاهِي

وأقول[٢] : والذي يظهر لي، والله سبحانه أعلم، أن بيتي السيد المذكور ليس فيهما[٣] إيهام التوكيد كما في البيتين اللذين أمليتهما[٤] عليه، لأن التوكيد اللفظي هو تكرير اللفظ الأول بعينه[٥] ؛ وإيهام التوكيد هو أيضاً[٦] إعادة[٧] اللفظة بعينها ليتوهم السامع أن القائل أراد التأكيد، والمُراد غيره كما في قوله :

أبدى منا فرقاً فرقا

فأعاد اللفظةَ على تركيبها ليتوهم سامعها[٨] أنه أراد التأكيد، وإلا فـ(الفَرَق) الأول مصدر (فَرِقَ) — بفتح أوله وكسر ثانيه — بمعنى : خاف، والفَرَقُ : هو الخوف، كما لا يخفى. واللفظة[٩] الثانية وهي قوله : «فرقى» : فعل ماضٍ من الرُّقِيّ[١٠]، وهو : الطلوع. والمعنى : / أن هذا الطائر أبدى : أي أظهر، منا فَرَقاً، أي خوفاً، فرقى على الغصن اللدن. [٨٢ ب]

وكذا قوله : «ورقى ورقا» الأول : فعل ماض، والثاني : مفعول لـ(رقى)

---

١. ما بين القوسين ليس في س
٢. «وأقول» : ليست في س.
٣. في س : «فيها» مصحفة.
٤. في س : «أمليتها» مصحفة.
٥. في س : «بعينيه».
٦. «أيضاً» : ليست في س.
٧. في س : «إعادة مثل اللفظة» زيادة لا معنى لها.
٨. في س : «السامع».
٩. في س : «اللفظ» خطأ.
١٠. في س : «الدقي» بالدال، مصحفة.

الأول، وهو اسم جمع[١] لورقة وهي[٢] واحدة الورق[٣]. ومعناه[٤]: أن هذا الطائر رقى على الغصن ورقى على الورق؛ فتأمل.

وأما[٥] بيتا السيد فإن الذي يظهر أنه[٦] ليس فيهما إلا إيهام الوصف حيث قال:

قَصْدِي المُبَاهاةُ صِفْنِي ... فَقُلْتُ يابَدْرُ باهِي

فلفظة[٧] (باهي) يحتمل أنه أراد وصفَ البدر بالبهاء، ويُحتمل أنه أراد الجواب على[٨] الذي سباه بمنظره[٩] الزاهي حيث قال له[١٠]: «قصدي المباهاة» (فقال له: «باهي»، أي أمره بالمباهاة)[١١]، فتأمل.

وللناظر نظره، فالباع قصير، والاطّلاع يسير؛ وإنما يعرف هذه المعاني من خاض هذا البحر الغزير.

وقد نظمتُ بيتين فيهما[١٢] إيهام التوكيد اقتداءً بذلك الشاعر المُجيد، فقلتُ على وزنهما:

ومَلِيحٍ[١٣] رامَ مُفَاخَرةً ... لمليحٍ صَارَ لَهُ شَكْلا
لَمَّا أن شَاهَدَ غُرَّتَهُ ... مِنْ غُرَّتِهِ أجْلَى أجْلَى[١٤]

---

١. في س: «جميع» مصحفة.
٢. «وهي»: ليست في س.
٣. في س: «الأوراق».
٤. في س: «والمعنى».
٥. «وأما»: ليست في س.
٦. في س: «أن».
٧. في س: «فلفضة» بالضاد.
٨. في س: «على ذلك الذي» زيادة.
٩. في س: «منظره».
١٠. «له»: ليست في س.
١١. ما بين القوسين ساقط في س.
١٢. في س: «فيها» مصحفة.
١٣. في س: «ومليحا».
١٤. في الأصل ص وفي س كلتيهما رسمت هاتين الكلمتين بالألف هكذا: «أجلا أجلا» فصححناهما على شرط كتابة مثل هذه الكلمات.

فاللفظة الأولى وهي قولي[١] : « أجلى » : اسم تفضيل. والثانية : من الإجلاء، وهي فعل من الجلاء بمعنى الذهاب ﴿ولولا أن كتبَ اللهُ/ عليهم الجلاء﴾ [٢]، إلا أنه حصل [١٨٣] الإيهام في ذينك[٣] البيتين في موضعين بخلاف ما قلت، ففي موضع واحد. وعلى كل حال فقد صدق من قال :

وكلُّ سَميٍّ ليسَ مِثلَ سَميِّه ... وإن كانَ يُدعى باسْمِهِ فيُجيبُ

ونظمت على معنى بيتي السيد أيضاً بيتين فقلت :

ظَبْيٌ أتى عَنْ حَبيبي ... مُسائلاً لي لِنَجْوى
هَلْ قَدْ حَوى الحُسْنَ مِثْلي ... فَقُلْتُ يا ظَبْيُ أحْوى

ففي لفظة « أحْوى » ما لا يخفى من إيهام الوصف للظبي بكونه ظبياً[٤] أحْوى، لأنه لما جاء يسأل[٥] عن حبيبي لأجل أن يحصل التناجي بيني وبينه، فوصفته بقولي مناجياً له وواصفاً : « ياظبي أحوى ». ويُحتمل أنّ « أحوى » : اسم[٦] تفضيل، لما قال ذلك الظبي مُستفهماً لي[٧] : « هل قد حوى حبيبك الحسْنَ مثلي » أي كمثلي لما كنت قد حويته جميعه ؟ فقلت مجيباً له : « بل هو أحوى منك للحسن » (أي أجمع له)[٨]. وقد حصلت المشاركة والزيادة المصوغة لاستعمال اسم التفضيل ؛ وجاز استعماله هنا[٩] بغير لام ولا من ولا إضافة للعلم به، كما في قوله تعالى : ﴿ يعلم السرَّ وأخفى ﴾[١٠]

---

١. في الأصل ص : « قوله » سهو، صوبناه من س.
٢. من الآية : ٣ من سورة الحشر.
٣. في س : « ذلك » خطأ.
٤. في النسختين كلتيهما : « ظبي » لم تنصب. خطأ صوبناه.
٥. في س : « يسألني ».
٦. فوقها في الأصل ص بين السطرين كلمة : « أفعل » ولعل الناسخ أراد أن يصحح كلمة « اسم » فأثبتها فوقها مريداً بذلك : (أحوى : أفعل تفضيل).
٧. « لي » : ليست في س.
٨. ما بين القوسين ليس في س.
٩. بدلها في س : « هو ».
١٠. الآية : ٧ من سورة (طه)

أي : من السرّ وغير ذلك . والنجوى : من التناجي [١] .

ولنرجع [٢] إلى ذكر السيد عبد الرحمن بن مصطفى [٣] :

([٤] أخبرني [٥] أنه حضر يوماً مجلس الشيخ إبراهيم بن [٦] سعيد المنوفي ، وللشيخ [٧] يدٌ عظيمة/ في علم الطب ؛ فلقي بحضرته رجلاً يستوصفه عن دواء [٨] التخيُّل ، وهو من أنواع [٩] أمراض السوداء . فقال له الشيخ إبراهيم : «إنَّ من علاجاته لسان الثور» وهو من العقاقير المعروفة عند أهل الفن . قال السيّد : «فشافهته على البديهة وقلت» [١٠] :

قالوا لسان الثور فيه دوا ... ء الصَّبِّ مما يشتكي مِنْ خيال

فقلتُ أخطأتُم طريق الهدى ... ما طِبّه إلا لسان الغزال) [١١]

فعجب الشيخ [١٢] ، رحمه الله [١٣] ، من بديهته وارتجاله ، وأثبتهما [١٤] منه [١٥] في ذلك المقام ، إذا هو من فرسان الأدب ورجاله .

---

١ . بعدها في س كلمة : «انتهى» .

٢ . في س : «ولنعد» .

٣ . أعاد ناسخ س ذكر خبر لقاء العيدروس بالمنوفي ملخصاً ، وهذا اضطراب وخلل وقع فيهما ناسخ س وقد برئت النسخة الصنعانية ص من مثل هذا الخلل ، ونص هذا التلخيص الذي جاء في س :
«ولنعد إلى ذكر السيد عبد الرحمن بن مصطفى ، وأنه لما أملى الشيخ إبراهيم المنوفي البيتين على البديهة من شعره قال : فعجب الشيخ إبراهيم من بديهته وارتجاله عنه في ذلك المقام» .

٤ . خبر لقاء العيدروس بالمنوفي وقول العيدروس بيتي الشعر معقباً على الدواء جاء في س سابقاً على كلام المؤلف على القاعدة البديعية (إيهام التوكيد) وهذا خلل في هذه النسخة .

٥ . في س : «وأخبرني» بزيادة الواو العاطفة .

٦ . «بن سعيد» ليست في س .

٧ . في س : «وللمذكور» .

٨ . في س : «عن دواء مرض التخيل» .

٩ . في س : «نوع» .

١٠ . في س زيادة : «وقلت في ذلك شعراً» .

١١ . ههنا انتهى الخبر الذي وضعه ناسخ س في غير موضعه وقدمه على كلام المؤلف على القاعدة البديعية (إيهام التأكيد) .

١٢ . في س : «الشيخ إبراهيم» زيادة .

١٣ . «رحمه الله» : ليست في س .

١٤ . «وأثبتهما» : ليست في س .

١٥ . في س : «عنه» مصحفة .

وله غير ذلك من العجائب والغرائب. وبلغني أنه سافر إلى مصر، فكان له هنالك شأن عظيم. وألف تفسيراً[١] للقرآن الكريم.

* * *

‹ قصة عجيبة ›

واجتمعتُ أيضاً في الحرم الشريف برجل خطر ببالي أنه مغربي الأصل من الغرب الأقصى، كبير السن، ربع القامة، أحمر اللون، له وفرة بمؤخَّر رأسه، وصلع بمقدَّمه، لابس عباءة، عليه أثر الصلاح ونور الإيمان والفلاح[٢]. وذلك أني كنت جالساً بالحرم الشريف بعد صلاة الظهر، وقد حصل الفراغ من أعمال الحج ؛ وكنت متردداً بين العزم على الزيارة الشريفة في ذلك العام أو[٣] العود إلى الوطن/ وتأخيرها[٤] إلى ما [١٨٤] يتعقَّبه من الأعوام، وأنا حائر الفكر. فبينما أنا على ذلك إذ بصرتُ به في طرف الحرم بالرواق الشرقي ؛ ولم أكن قد رأيته قبل ذلك، ولا أعرف اسمه ولا بلده. وأنا في تلك الحال أحدِّثُ[٥] نفسي بالعزم أو التأخير، فلم أشعر إلا وقد حانت[٦] منه التفاتة إليَّ على بعد المكان، والحرم غاصٌّ بالخلائق، فمشى[٧] إلي حتى قَرُبَ مني، ثم مد يده طالباً للمصافحة، وتبسم، وقال مخاطباً[٨] بالمقال :

الصَّبْرُ أولَى وإلَيْهِ المَرْجِعُ فابْدأْ بهِ فَهوَ إلَيْكَ أنْفَعُ

فخطر لي أنه شافهني لقصدي، وأشار لي إلى العزم على ما نويته بغاية جهدي ؛ فاستمددتُ منه شرف الفاتحة على نية[٩] تمام المراد، وانصرفت إلى المحل. وإذا قد وقعت

---

١. في س : « تفسير » خطأ.
٢. « والفلاح » : ليست في س.
٣. في س : « والعود ».
٤. في س : « وتأخير ذلك ».
٥. في س : « أخذت » مصحفة.
٦. في س : « جاءت » تصحيف.
٧. في س : « ثم مشى ».
٨. في س : « مخاطبا لي بالمقال » زيادة.
٩. في س : « على إتمام المراد ».

الإعانة من الملك الجواد بتيسير الأسباب التي ما كانت تخطر[١] على بال. فعرفت (أن هذه – ولله المنة – منّة من ذي المن)[٢] والإفضال. ولم أكن قد سمعت هذا البيت من أحد قبله. فتيسرت[٣] لي الزيارة المتقبلة[٤]، إن شاء الله[٥]، ممن أرجو فضله.

* * *

‹ذكرُ الشيخ الصوفي محمدِ السمان›

واجتمعت في المدينة المنورة[٦] بالشيخ الكبير[٧]، عظيم الشان، محمد المعروف بالسَّمّان[٨]. وهو فريد عصره، ووحيد دهره/ [٨٤ ب]، له تلامذة وأتباع، وأذكار حسنة ورسائل طار ذكرها في كثير من البقاع، رحمه الله[٩] وأعاد من بركاته.

* * *

[لقاء المؤلف بتاجر في بندر جدُّة]

وبعد العَوْد من الزيارة إلى بَنْدَر جُدَّة اتَّفَقْتُ[١٠] برجل من أهلها، له تعلق بأهل الصلاح، ومحبةٌ للأدباء، اسمه[١١] مصطفى محفوظ، فأمْلاني[١٢] لبعض [أهل][١٣] العصر من المشايخ المصريين ممن عرفه هو ببندر جُدَّة المعمور بيتين فيهما شرح للصدور،

---

١. في س: «تخطرلي على بال».
٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «أن هذه ولله الحمد منة من ذي المن».
٣. في س: «وتيسرت إلي».
٤. في س: «المقبولة».
٥. في س: «إن شاء الله تعالى» زيادة.
٦. في س: «النبوية».
٧. في س: «الأكبر».
٨. الشيخ محمد السمان، كان متصوفاً على طريقة الخلوتية. ولد في المدينة المنورة سنة: ١١٣٠هـ=١٧١١م (انظر: المرادي، سلك الدرر: ٤/ ٦٠-٦١)
٩. في س زيادة: «تعالى».
١٠. في س: «اتفقت» مصحفة.
١١. في س: «يسمى».
١٢. في س: «فأملى لي» مصحفة.
١٣. «أهل»: ليست في الأصل ص استدركناها من س.

وهما :

مِنَ الرَّأيِ أنْ تُكْرِمَ[١] الأرْذَلِينَ ... وأنْ تَسْتَهِيبَ الَّذي لا يُهابُ
فَمَا[٢] أخْرَجَ الأسْدَ مِنْ غابِها ... لِتَلْقَى المَنِيَّةَ إلاَّ الكِلابُ

* * *

‹ ذكر عبد الرزاق اليمني ›

وأذكرني هذا برجل آفاقي ورد إلى مدينة أبي عريش (أظنه في عام أحد وسبعين)[٣]، اسمه عبد الرزاق اليمني ؛ رثُّ الثياب، شاحب الإهاب. وكان يتتبع المساجد الخالية، وينفر عن الناس، ولا يزال مِكْتَلُهُ إلى جنبه[٤]، فيه الدواة والأقلام والقرطاس ؛ وهو خامل الذكر بين الأنام. فلم أشعر في بعض تلك الأيام إلا بورود وُرَيقة لطيفة بخطه مكتوب فيها هذان البيتان على التمام :

صُبِّحتَ بالخَيْرِ كما يَنْبَغي ... يا طَلْعةَ البَدْرِ وزَيْنَ المِلاحْ[٥]
البَدْرُ يَبْدو في السَّمَا مَرَّةً ... وأنْتَ بَدْرِي في المَسَا[٦] والصَّباحْ

[١٨٥] / والرجل أشيب عالي السن. فلما اطلعتُ على البيتين طالبني حاملهما[٧] بالجواب ؛ وأخبرني أن الناظم[٨] لهما ذلك الرجل الذي كنت أشاهده غالباً يقف على الأبواب. فمقتُّهُ على [ذلك][٩] الغزل ولا علم لي أنه قائلهما[١٠] أم تَمَثَّل بهما محبة للمثل ؛

١. في س : «يكرم» ولاتصح.
٢. في س : «فمن» ولاتصح.
٣. ما بين القوسين ساقط في س.
٤. في س : «حنيه». والمكتل : كالجعبة أو كنانة السهام يتمنطق به وتوضع فيه أدوات الكتابة ونحوها. (أفادناه الأستاذ مطهر الأرياني).
٥. بإزاء هذين البيتين في هامش الأصل ص تعقيب بخط الناسخ مثاله :
«البيتان لسيدي العلامة الإمام إسحاق بن يوسف بن المتوكل، رحمه الله تعالى، آمين».
٦. في س : «بالمسا».
٧. في س : «حاملها».
٨. في س : «قائلهما».
٩. «ذلك» : ليست في الأصل ص، استدركناها من س.
١٠. في س : «قائل البيتين».

فأجبتُ عليه بنقيض قصده استخباراً له واستطلاعاً لما يقدح من وَرْي زنده، فقلت :

يا شَيْخُ قُلْ لي لِمْ تغزّلْتَ في غُصْنٍ غَدا يُخْجِل سُمْرَ الرِّماحْ
وأنتَ في الإسلامِ ذو شَيْبةٍ أما ترَى الشَّيْبَ بصَدْغيْكَ لاحْ

فلما أوصلهما ذلك الحامل إليه استشاط غيظاً وبان أثر الغضب عليه (ثم لم أشعر إلا بوصوله إليَّ بعد ذلك)[١]، فذاكرتُه، فإذا له نباهة.

أخبرني أنه كان في سالف الزمن بمدينة بيت الفقيه ابن عُجَيْل أيام بقاء السيد عماد الإسلام يحيى بن إسحاق ابن[٢] الإمام بذلك المقام، أظنه[٣] عام أربعين[٤] ومائة وألف، فقال : إنه امتدحه بقصيدة غراء، وأوصلها إليه ؛ فصادف في حضرته ابن أخيه السيد[٥] إمام العلوم ضياء الإسلام إسماعيل بن محمد بن إسحاق[٦]. فلما اطلع على القصيدة أشرف على الرجل/ من بعض الكُوَّات ؛ فكأنه استهجن[٧] هيئته وحليته، [٨٥ ب] فتوهم أن القصيدة مسروقة من (كلام بعض الأثبات)[٨]. فأراد استخباره، ونظم بيتين وأرسلهما إليه مع[٩] بعض غلمانه وطالبَهُ بالجواب[١٠]، وهما[١١] :

أنَا راضٍ بكُلِّ ما أنْتَ راضٍ غيرِ طول الصُّدُودِ والإعْراضِ
يا أميرَ الحِسَانِ رفْقاً بِصَبٍّ دَمْعةُ الصَّبِّ كالجُبَى[١٢] الفيّاضِ

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : « ثم وصل إلي بعد ذلك ».
٢. « ابن » : ليست في س.
٣. في س : « وأظنه في عام » زيادة واو العطف وفي الجارة.
٤. جاءت في س رقماً هكذا : « سنة ١١٤٠ ».
٥. في س : « السيد العلامة » زيادة.
٦. بعدها في س زيادة : « ابن الإمام ».
٧. في س : « استهجا » ولا معنى لها هاهنا.
٨. بدل ما بين القوسين جاء في س : « من كلام غيره » فقط.
٩. في س : « من ».
١٠. في س : « في الجواب ».
١١. في س : « والبيتان هما » زيادة.
١٢. الجبى : كذا جاءت في النسختين. والجبى : السطح - سطح المنزل - في اللهجات اليمنية، تجمع على : أجْبي، ولعله يريد أن دمعه يسيل كما تسيل المياه من على السطح حين نزول المطر (أفادناه الأستاذ الإرياني).

قال : فلما اطلعت على البيتين أبرزتُ الدواة والقلم من المكْتَل بلامين، وكتبت :

مَنْ مُجيري مِنَ العُيُون المراض الغَريرات[١] الفاترات المَواضي
يا أمير المِلاح هذا فؤادي مُغرمٌ فيك فاقْضِ[٢] ما أنتَ قاضِ
هاكُموا ما امْتَحَنْتُموني به يا ...

ووقف على حرف النداء ؛ قال[٣]. وبعث بالجواب صحبة الغلام. فلما اطلع ابن الإمام عليه[٤] أشرف[٥] من ذلك المكان، وقال له : «تمّم البيت»، قال : فأبيت قصداً للإيهام عليه بما يحتمل المدح وضدّه.

قلت : (ولعل هذا من قبيل قول القائل في خيّاط)[٦] أمَرَهُ أن يخيط له قباءً، فقال الخياط : «لأخيطن لك ثوباً لا يُعرف أنه قباء أو قميص». فلما فعل ذلك قال للخياط : «لأنظمن فيك بيتاً من الشعر لاتعرف أنه دعاء لك أو عليك»/ وكان الخياط [١٨٦] [أعور][٧] واسمه عمرو[٨]، فقال :

خَاطَ لي عَمْرٌو قَباءً لَيْتَ عَيْنَيْه سَواءً

قلت[٩] : ولما ساق[١٠] الآفاقي جميعَ هذا ظهر له من حالي عدم القطع بأن جميع ما قاله من شعره. فانصرف عن[١١] مجلسي، ولم أشعر إلا وقد أرسل إليَّ قصيدة من نظمه، سماها : (مُشَجّر) لأنه أودع أول كل بيتٍ من القصيدة حرفاً من حروف اسمي. فقال :

---

١. في س : «الغزيرات» بالزاي المعجمة. وهو تصحيف يفسد المعنى.
٢. في س : «واقض».
٣. «قال» : ليست في س.
٤. «عليه» : ساقطة في س.
٥. في س : «أشرف عليه من ذلك» زيادة.
٦. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : «ولعله من قول القائل في رجل خياط».
٧. «أعور» : ليست في الأصل ص ولعله سهو، فاستدركناها من س لإتمام الخبر، وهو معروف.
٨. في س : «عمر» ههنا وفي البيت الآتي.
٩. «قلت» و«الواو» العاطفة بعدها ليستا في س.
١٠. في س : «ساق لي الآفاقي» زيادة.
١١. في س : «من».

ع	عُجْ بوادي الهضَاب في الأسْحَارِ	وتَرنّمْ هُناكَ بالأوْتارِ
ب	بِرُبى أبُو عَرِيش حَيْثُ الغَوَاني	لابِسَاتُ الحُجُول والإسْوارِ
د	دِيرَةٌ ما خَلَتْ مِن المُزْنِ سَحّاً	بِلَيَالٍ تزُورُها أو نَهارِ
ا	الصَّبا والصِّبى بها يا مُعَنّى	وطُلُوعُ البُدُور والأقْمارِ
ل	لَيْتَ شِعْري بها أكونُ دَوَاماً	أتمَشّى في حُلّةٍ جُلّنارِ
ر	راحتي في سُكُونِها وارْتِياحي	وسُكُوني بِرَبْعِها وجواري
ح	حُلّةُ العِلْمِ حَلَّ فيها وقاضٍ	قَدْرَتْ قَدْرَهُ النجومُ السّواري
م	مَنْ أتاهُ لِمَطْلَبٍ أو سُؤالٍ	أو لِتَفْسِيرِ ما أتى[1] في البُخاري
ا	انْقَضَى ما يَرُومُهُ باعْتِجالٍ	وغَدا فارِحاً بِقَطْعِ الشّجارِ
ن	نالَ ما يَرتَجيه مِنْ فَضْلِ رَبّي	ووقاهُ الإلهُ كُلَّ العِثارِ

[٨٦ب] هذا ما علق بذهني منها، وبقي[2] خمسة أبيات عدد حروف بهكلي/ (فاتت عني حالَ الرَّقْم. فعند ذلك تبيّن لي)[3] أن في الزوايا خبايا؛ وإنما[4] المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه؛ ولله من قال:

لِسَانُ الفَتَى نِصفٌ ونِصفٌ فُؤادُهُ[5] ... ولَمْ يَبْقَ إلا صُورةُ اللّحْمِ والدّمِ

ولقد صدق[6] من قال:

قَدْ يُدْرِكُ الشّرفَ الفَتَى ورداؤُهُ ... خَلَقٌ وجيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ

* * *

١. في س: «أجا» مصحفة.

٢. في س: «وبقي منها خمسة» زيادة.

٣. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «ومن حال الرقم تبين لي» سقط وتصحيف.

٤. في س: «إنما» بلا واو العطف.

٥. جاءت في الأصل ص هذه الكلمة: «لسانه» سهواً، فنبه عليه الناسخ في الهامش إزاء البيت فأثبت ما صورته: «ظ، فؤاده»، وهو الصواب، والبيت مشهور من ميمية الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى المزني صاحب المعلقة المشهورة.

٦. بدل هذه العبارة في س: «ولقد صدق القائل إذ يقول».

السنة الخامسة والسبعون[1]

[القاضي المكرمي يطلب الانتقام من أهل فَيفا]

في شهر صفر[2] الخير : نزل القاضي إسماعيل المكرمي بمحطة من بني يام عظيمة، لقصد الانتقام من أهل جبل فيفا بسبب ما حصل منهم في أهل دعوته ورجال نصرته. وخالف رأي الشريف فيما رجّحه له من البقاء حتى يصله منه الرأي[3] بالنزول بعد استعداد ما يحتاج إليه لقتال أولئك القوم الذين شأنهم يهول. فشق على الشريف أمر نزوله[4] ؛ ولكنه[5] لم يسعه إلا التلقي لوصوله.

ولما وصل إلى شعْب الأملح[6] قريباً من مدينة أبي عريش[7] خرج الشريف إلى لقائه ؛ وكل من الرجلين ظنه بالآخر غير حسن ؛ فالمكرمي يؤمل عدم نصيحة الشريف في الأخذ بالثأر. والشريف يعتقد أن المذكور لم يخالف رأيه وينزل في هذه الساعة إلا محبةً للإضرار. ثم أجمع الرأي منهما على التقدم إلى الجبل.

* * *

‹ وقعة فيفا الأخرى ›

وقد استعد أهله للقتال، ورغبوا في قتال[8] بني يام أشد رغبة لما شاهدوا من تلك الأحوال. وقد حصل على يام من الوجل والفشل/ ما يجل عن الوصف بكل حال. [١٨٧]

ولما وصلوا إليه وهمّوا بالطلوع، لقيهم أهل الجبل ؛ فانهزموا أقبح هزيمة، ولم

---

١. في ٢ أغسطس سنة : ١٧٦١م-٢٢ يوليو سنة : ١٧٦٢م.

٢. جرى ناسخ س على رسمها : « ظفر ». يوافق سبتمبر سنة ١٧٦١م

٣. في س : « رأي ».

٤. في س : « نزولهم » خطأ.

٥. في س : « ولكن ».

٦. وادي الأملح : هو أحد روافد وادي مقاب. (انظر : العقيلي، المعجم : ٢٥)

٧. بعدها زيادة في س : « من جهة اليمن ».

٨. في س : « مقاتلة ».

يَخْلُص المكرَمي بنفسه إلا محمولاً على أعناق الرجال بعد أن قاسى مشقة جسيمة، ورأى خطوباً فادحة مُضيمة. ولكنه[1] لسرعة الفرار كان القتل فيهم أخف من المرة الأولى؛ فهذه بالنظر إلى تلك أخفُّ حالاً[2] وشأناً، وإن كان الحكم متحداً[3] في كون الهزيمة تورث مذلة وهواناً. فلما أيقن المكرمي بعدم القدرة على الجبل (قوّض خيامه وارتحل)[4]؛ وقد سُلِبت[5] جميع آلات دولته من الرايات[6] والطليسان[7] وأثاثه المختص به من النحاس ونحوه[8] حتى البغلة التي يركبها في أغلب الأحيان، وقنع من الغنيمة بالإياب؛ وقهقر بضرب أصْدرته[9] عن تلك الأطواد[10] والشعاب.

ولم يكن قد صدر من أحد من أهل هذه الجهات بعد وقعة العقدة في بني يام مثل ما صدر من أهل هذا الجبل الذي هو من شوامخ الأعلام. وظفر ابن[11] المُعكوي بجميع آلات المكرمي وأثاثه، وأصبح في[12] الجبل أميراً[13] يطيعه أكابر ذكوره فضلاً عن إناثه. فما أحقه بمخاطبة بعض[14] الأعراب لَمَعْن بن زائدة الشَّيْباني[15]، وقد حالت

---

١. في س: «ولكنهم» سهو.

٢. «حالاً و»: ساقطة في س.

٣. في الأصل ص وس كليهما: «متحد» غير منصوبة، سهو.

٤. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «قوض خيامه عن ذلك المحل وارتحل» زيادة.

٥. في س: «سلبت عليه جميع» زيادة لامعنى لها.

٦. في س: «الريات».

٧. كذا جاءت في الأصل ص. وفي س: «الطيسان» ولعل صوابها: الطيلسان، وهو ضرب من الأكسية.

٨. «ونحوه»: ليست في س.

٩. في س: «أصدريه».

١٠. «الأطواد و»: ليست في س.

١١. كذا جاءت في الأصل ص، وفي س: «وظفر المعكوي» دون ذكر «ابن» ولعلها تأتي بالوجهين، انظر ماسبق ص.

١٢. في س: «في ذلك الجبل» زيادة.

١٣. «أميراً»: ليست في س.

١٤. «بعض»: ليست في س.

١٥. «الشيباني» سقطت في س.

وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر، أبو الوليد الشيباني، من أشهر الشجعان الفصحاء والأجواد، قتل سنة: ١٥١هـ = ٧٦٨م. (وفيات الأعيان: ٢/١٠٨).

به الحال إلى الجلوس على الأسرّة، وقد[١] خضعت له أعناق[٢] الرجال/ إذ يقول[٣] : [٨٧ ب]

أتذكُرُ إذ قميصُكَ جِلْدُ شاةٍ[٤] وإذ نَعْلاكَ مِنْ جِلْدِ البَعيرِ
(وبَيْنَ يدَيْكَ عُكّازٌ كبيرٌ تَسُوطُ بِهِ الكِلابَ مِنَ الهَريرِ)[٥]

إلى أن قال :

فَسُبْحانَ الذي أعْطاكَ مُلْكاً وعلَّمكَ الجُلُوسَ عَلَى السَّريرِ

والقصة مشهورة، مُدونة مأثورة[٦].

* * *

[عودة المكرَمي إلى نجران]

ولما وصل الشريف (والمكرَمي إلى قريب المدينة، دخل الشريف إلى بيته بعد أيام على خفية من المكرمي وبني يام)[٧]، وبقي المكرمي بشِعْبِ الأملح، وذلك بسبب الواهمة الحاصلة مع كل منهما من الآخر، كما سبقت الإشارة إليه في أول الكلام. فعظُم على المكرمي انفصال الشريف عنه، وزاد ما نفسه من الوحشة. وعزم الشريف على تزليجه هو ومن معه من المحطة؛ وشرط عليهم أن لا يُسلِّم لهم الزلّاج إلا بعد انفصالهم إلى حَرَض. فشقّ على المكرمي أعظم من الأول، ولكن[٨] لم يسعه إلا المساعدة، ورآها به أجمل، وعيّن معه الشريف[٩] ابنه الشريف أحمد بن محمد، وجعل

---

١. «وقد»: ليست في س.

٢. في س: «رقاب».

٣. «إذ يقول»: ليست في س.

٤. رواية البيت في المصادر:
أتذكر إذ لحافك جلد شاة ...

٥. البيت الثاني ليس في س. وتسوط: تضرب، ساطه بالسوط أو بالعصا: ضربه.

٦. بعدها زيادة في س: «ولها قصة عجيبة غريبة».

٧. ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي: «والمكرمي دخل الشريف إلى المدينة بعد أيام خفية منه ومن بني يام».

٨. في س: «لكنه» بلا واو وزيادة الهاء.

٩. «الشريف»: ليست في س.

معه جميع مايحتاجونه من المال والأمتعة المعتادة لذلك الحال. فسار معهم، وزلّجهم من هنالك؛ فانفصلوا إلى نجران، وعاد عنهم ابن الشريف، وقد قاسى من المشقة مالا يحتمله إنسان.

* * *

[خلاف بين الشريف وبين بني حسن]

وفيها: حصل من بعض رعية الشريف بعض الخلاف[1]، وهم المتسمَّون[2] ببني حسن. فنهض الشريف إلى حَرَضَ، وكتب إلى المكرمي في استدعاد أقوام من بني يام؛ وكأنه يريد الاطلاع/ على ما عنده، هل يطاوعه على ذلك أم لا؟ فتعلل[3] بتعللات [١٨٨] ولم يرسل أحداً[4]. ومازالت المكاتبة والمراجعة بينهما، فلم يقف من المكرمي على طائل، ولا أجدى له بإرسال من يدفع[5] أذى هذا الضرر[6] الحاصل.

* * *

[وصول عساكر من بني يام من غير واسطة المكرمي]

فلما أيِس منه كتب إلى بعض عقّال يام من غير واسطة (المكرمي أنه: «من أراد منكم الوصول)[7] للخدمة فليصل بمن[8] يستطيع من العسكر من غير رأي المكرمي» (فلم يصل إليه إلا جماعة قليلون من جُشَم[9] خاصة، لكنهم لايقضوا[10] شيئاً من

١. في س: «خلاف».
٢. في س: «المسمون».
٣. في س: «فتعلل عليه بتعلات» زيادة.
٤. في س: «أحد» ولم تنصب.
٥. في س: «يدفع عنه أذى» زيادة.
٦. في س: «الضرار».
٧. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «المكرمي وقال لهم: من أراد منكم الوصول».
٨. في س: «بما» خطأ.
٩. جشم: قبيلة من قبائل يام. (انظر: Philby, *Arabian Highlands*, p. 242)
١٠. كذا جاءت في الأصل ص ولعله أوردها على الدارجة من كلامهم.

الوطر. فتلقاهم لمطابقتهم غرضَه)[١] . فلما بلغ[٢] المكرمي نزولهم كتب إلى الشريف يلومه على قبولهم، ويذكره بعهود سابقة بينهم[٣]، منها : أنه لايقبل أحداً[٤] من بني[٥] يام إلا إذا جاءه برأي منه (إلى غير ذلك من الأحكام)[٦] . ثم حرّض على الشريف في ردهم ؛ فأجاب[٧] عليه : بأنّ هؤلاء في حكم الأضياف، وأن الرد لهم قبيح لايليق بالإنصاف. فلم يقبل منه المكرمي هذه المعاذير ؛ بل أرسل إليه يتهدده ويتمنن[٨] عليه بما قد سبق له معه من الاجتهاد والمناصرة على الأضداد ؛ إلى غير ذلك من الإبراق والإرعاد. وأفهم[٩] فحوى خطابه أنه[١٠] إذا لم يطاوعه[١١] إلى ما أراد، حصل منه الشر[١٢] ولا يرده عن ذلك راد. فلم يلتفت الشريف إلى شيء من إبراقه وإرعاده، ولاساعده[١٣] إلى قضاء مراده/ بل أبقى تلك الطائفة في حضرته غير مبالٍ[١٤] بانطلاق[١٥] شقشقته ؛ وأنشد لسان حاله : [٨٨ ب]

وربُّ كلامٍ مرَّ فوقَ مَسَامِعي كَمَا طَنَّ في لوْحِ الهَجيرِ ذُبَابُ

* * *

١ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي :

« فلم يشعر إلا بوصول جماعة قليلين من جشم خاصة وهم قبيلة من بني يام، فتلقاهم الشريف لمطابقتهم عن هنة ولكنهم لقلتهم لم يقضي بهم مرام » ويبدو في هذه الصيغة اضطراب واضح .

٢ . في س : « فلما بلغ إلى المكرمي وصولهم » .

٣ . « بينهم منها » ليست في س .

٤ . في س : « أحد » غير منصوبة .

٥ . « بني » : ليست في س .

٦ . ما بين القوسين ساقط في س .

٧ . في س : « وأجاب » .

٨ . في س : « ويمنن » .

٩ . في س : « وأفهمت » .

١٠ . في س : « إذ » ولا يقوم بها المعنى .

١١ . في س : « يطاوعه الشريف إلى » زيادة .

١٢ . في س : « السوء » مصحفة .

١٣ . في س : « إسعاده » لا معنى لها ههنا .

١٤ . في س : « صال » مصحفة .

١٥ . في س : « بإطلاق » .

[تأييد شريف مكة للمكرمي]

وفيها : توجه بعض أولاد المكرمي إلى مكة المشرفة ؛ فتلقاه الشريف مساعد ابن سعيد بالقبول بواسطة الشريف ظافر بن الحسين ؛ وقد بلغ إليهما ما صار بين الشريف والمكرمي من التباين والتنافر ، وقطعا بإشعال نار[١] الفتنة بينهما ووقوع التباغض والتدابر . فأعان[٢] شريف مكة ابن المكرمي بشيء من المال يوصله إلى والده قاصداً لتقويته على[٣] الشريف فيما يظهر .

* * *

[اعتراض الشريف للسفن الماخرة إلى اليمن]

وانتهى الأمر إلى أن حَجَرَ صاحب مكة السفن الماخرة من بندر جُدَّة إلى اليمن ؛ وكادت أن تتصل الفتنة بخليفة الزمن ، لأن شريف مكة لم ير من الإمام اجتهاداً في إصلاح[٤] حال الشريف ظافر ، واعتقد أن هذه من الخليفة محاباة للشريف[٥] أو تقصير ؛ فعند ذلك اعترض الشريف لبعض سفن اليمن الواصلة من جُدَّة إلى بندر اللُّحيَّة ، فأخذ منها دراهم لبعض تجار الشام[٦] من رعية صاحب مكة .

* * *

[استيلاء الشريف محمد على رسالة من الشريف ظافر لبعض أصدقائه في بندر اللحية]

وظفر بكتب مصدرة من الشريف ظافر[٧] إلى بعض أصدقائه ببندر اللُّحيَّة يخبره فيها بطيب المقام له بمكة وتلقي مليكها له ، ويوضح له أنها قد اشتعلت نار الفتنة بين

---

١ . « نار » : ليست في س .

٢ . في س : « وأعان » .

٣ . في س : « على حرب الشريف » زيادة لاضرورة لها .

٤ . في س : « صلاح » .

٥ . « للشريف » : ليست في س .

٦ . المراد بالشام ههنا : الحجاز . والشام بعامة في اليمن : هو المناطق الشمالية منه .

٧ . في س : « ظافر بن الحسين » زيادة .

[١٨٩] الشريف والمكرمي ؛ / وأنه قد صار معاوناً[١] له على الشريف. إلى غير ذلك مما شوّش[٢] خاطر الشريف إلى الغاية[٣]، وبلغ من المشقة غاية النهاية. (وكأنه ثلب في عِرْض الشريف بشيءٍ من الثلب)[٤]، ولله من قال :

يَهُونُ عَلَيْنا أنْ تُصَابَ جُسُومُنا وتَسْلَمَ أعْراضٌ لنَا وعُقُولُ

فعند ذلك تيقن للشريف أن المكرمي قد عزم على معاداته، واستعد للفتنة استعداداً[٥] بحسب جري عاداته. ثم أرسل شريف مكة في خلال تلك الأيام خطوطاً إلى الإمام شكاية بالشريف بسبب ما أخذه من ذلك المال على تجار الشام. فتكدر خاطر الخليفة، وكتب إلى الشريف يأمره بإرجاع المال المأخوذ خشيةً من اتساع الخَرْق. فأرجعه الشريف تطيباً لنفس الإمام، وإن عظم عليه الأمر وشق. (ووقع عنه العفو من الإمام في ذلك الاجترام)[٦] ؛ وأنشد لسان الحال[٧] قول بعض الأنام :

وإنّي علَى أشْياءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي قَدِيماً لَذُو صَفْحٍ على ذَاكَ مُجْمِلِ

* * *

‹ نفوذ السيد العلامة الحسين بن مهدي النُّعمي إلى مكة في شأن الشريف ظافر ›

وفيها : بسبب هذه القضية تنبه الإمام على أن بقاء الشريف ظافر[٨] بمكة ربما يؤدي إلى[٩] إحداث فتن عامة مع عدم قبول الشريف لجاه شريف مكة من أجله ؛ فإنه طالما بذل غاية الجهد وكرر الكتب والرسل، ولم يجد نفعاً فيما مضى ولا فيما بعد.

١. في س : « عونا ».
٢. في س : « يشوش ».
٣. في س : « إلى غاية ».
٤. ما بين القوسين ليس في س.
٥. في س : « استعداد » غير منصوبة.
٦. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « وعفى عنه الإمام ذلك الاجترام ».
٧. في س : « حاله ».
٨. في س : « ظافر بن الحسين » زيادة.
٩. « إلى » : ليست في س.

ولم يكن له إرادة في شيء من المشاق، لما جُبِل عليه من كرم الطباع وحسن السجايا والأخلاق ؛ ولكنه أعياه[١] الحال/ فيما آل به[٢] من المآل ؛ ولله من قال : [٨٩ ب]

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرق الهجران إن كنتَ[٣] تعقلُ

فترجح للخليفة عند ذلك التوسط[٤]، وكتب خطوطاً إلى شريف مكة[٥]، وعين على السيد العلاّمة المتبحر في[٦] العلوم العقلية[٧] والنقلية، شرف الإسلام، وعمدة العلماء الأعلام، أبي[٨] محمد، الحسين بن مهدي بن عز الدين النُّعْمِي أن يسير بالكتب إلى مكة ؛ وأمره بالمضي على الشريف للخوض في هذا الشأن، ثم بالتوجه إلى مكة ؛ وأصحبه كتاباً إلى الشريف ظافر في حكم الطّلاب لوصول الحضرة.

فوصل إلى الشريف، وخاض معه بما[٩] عرّفه به الإمام ؛ ثم توجه إلى الشام، وسلم تلك الخطوط إلى أربابها[١٠]، ورجّح للشريف ظافر[١١] التوجه إلى حضرة الإمام. فوافقه على ذلك، كما سيأتي (إيضاح ما انتهى من حاله)[١٢].

* * *

‹ ترجمة السيد الحسين › [بن مهدي النُّعمي]

وإذا قد ذكرنا هذا السيد الجليل فينبغي أن نُشرِّف هذا المؤلَّف بشيء من

---

١. في س : « أعناه » تصحيف يفسد المعنى المراد.
٢. « من » : ليست في س.
٣. في س : « كان » ولا يقوم بها المعنى.
٤. في س : « التوسط بالصلح » زيادة.
٥. في س زيادة : « عمرها الله ».
٦. في س : « من ».
٧. في س : « النقلية والعقلية » تقديم وتأخير.
٨. في س : « أبا » منصوبة خطأ.
٩. في س : « لما ».
١٠. « إلى أربابها » : ساقطة في س.
١١. « ظافر » : ليست في س.
١٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « إيضاح وصوله إن شاء الله في أثناء الكلام ».

أحواله وصفاته وذكره الجميل[١]، ونُثني عليه باليسير مما يشهد له بطيب محتده[٢] وعليِّ سماته. فهو إمام الفضل بلا نكير، والخضم الزاخر الغزير.

وُلد، رحمه الله، بمدينة صبّيا المحمية، أظنه في السنة التاسعة والثلاثين[٣]. ونشأ في حجر والده[٤]، وقرأ القرآن العظيم بها، ولما ترعرع وقارب[٥] سنَّ التكليف رحل إلى مدينة صنعاء[٦]، فأقبل على العلم إقبالاً عظيماً، ونال منه منالاً وافراً جسيماً؛ وحقق في علوم الآلات[٧] والأصول، ثم انعطف/ على درس أحاديث[٨] الرسول، فبلغ منها غاية السُّول ونهاية المأمول؛ واطلع على الأسانيد، وزاحم الأكابر فكان منهم[٩] كالعقد في الجيد. وبلغ رتبة الاجتهاد، وحذا حذو الجهابذة النقاد، حتى رحل إليه الطلبة للاستفادة من أقاصي البلاد. (وصار أمَّةً وحده لا يتقيد بمذهب غير الدليل)[١٠]، ولا يعمل إلا بما نطقت[١١] به صرائح السنن والتنزيل.

[١٩٠]

وبالجملة فإنه فاق الأقران، وأضحى عظيم المنزلة والشأن، وأعجز معاصريه[١٢] عن معارضة رسائله المُزرية[١٣] بعقود الجُمان.

وأقام بمدينة صنعاء، والياً عهدة الاحتساب عن أمر إمام الزمان، آمراً[١٤] بالمعروف

---

١. «وذكره الجميل»: ليست في س.
٢. في س: «مجده وعلو» تصحيف.
٣. في س زيادة ك «ومائة وألف» وهو يوافق: ١١٣٩هـ = ١٧٢٦-١٧٢٧م.
٤. في س زيادة: «رحمه الله».
٥. بدلها في س: «ودنا».
٦. في س زيادة: «المحمية».
٧. آلات العلوم: هي النحو، والصرف، والمعاني، والبيان.
٨. في س: «الأحاديث النبوية».
٩. في س: «وكان عنهم» تصحيف لا يستقيم به المعنى.
١٠. مابين القوسين ساقط في س.
١١. في س: «نطق».
١٢. في س: «معاصرته» مصحفة.
١٣. في س: «المزردة» تصحيف لايستقيم به المعنى.
١٤. في س: «فكان آمراً» زيادة.

(ناهياً عن المنكر والعدوان)[١]؛ ورزُق حظاً من الخليفة عظيماً، ونال من المواهب الربانية قسماً جسيماً. ثم تزوج هنالك وأولد. وأقام بأحسن منزل وأكرم[٢] مقعد.

فكم له من رسائل[٣] تشتمل على رد وإيراد؛ معضودة بأدلة[٤] نيرة البرهان لا يعدل عنها[٥] إلا سقيم الفهم[٦] أو متوغل في العناد[٧]، منها[٨]:

— (الجواب على الطليعة في فضل الشيعة): و(الطليعة): هي مؤلف القاضي العلاّمة صدر الشيعة وقاموس الشريعة، عين الملة، محمد بن أحمد بن يحيى بن[٩] جار الله مُشحم الصَّعْدي[١٠] ضمنها احتجاجات على (فضل هذا الاسم)[١١]. فأجابه السيد[١٢] بمقتضى ما ظهر له من الدليل.

— ومنها: المؤلَّف الموسوم بـ(معارج الألباب إلى مدارج الحق والصواب، في الرد على من أنكر على القائل/ بوجوب هدم المشاهد والقباب): جعله رداً على المفتين بمكة المشرفة من أهل المذاهب الأربعة.

* * *

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «ناهياً عن المنكر في جميع الأحيان».

٢. «وأكرم»: ليست في س.

٣. في س: «رسالة».

٤. «بأدلة»: ليست في س.

٥. في س: «فيها» مصحفة.

٦. بدلها في س: «إليهم» مصحفة لا يستقيم بها المعنى.

٧. في س: «العباد» مصحفة.

٨. «منها»: ليست في س.

٩. «بن»: ليست في س. ولعل ماجاء في س الصواب.

١٠. هو محمد بن أحمد بن يحيى جار الله مشحم الصعدي، كان خطيب الإمام المتصور الحسين (١٧٢٧-١٧٤٨م) (انظر: البدر: ٢/ ١٠٢-١٠٣؛ نشر: ٢/ ٤٦٣-٤٨١، الحبشي، مصادر: ٢٩٥)

١١. بدل ما بين القوسين جاء في س: «التفضيل» فقط.

١٢. بعدها في س زيادة: «رحمه الله».

[مجادلةٌ في هدم المشاهد والقباب في اليمن]

وأصل ذلك أن العلماء بصنعاء كالسيد الإمام الكبير[١] محمد بن إسماعيل الأمير[٢]، والسيد الحسين المذكور، وغيرهما من الصدور[٣]، أوجبوا على الخليفة المهدي لدين الله الأمر بهدم قباب[٤] الأولياء ومشاهدهم بأرض اليمن، فهدموا كثيراً منها في ذلك الزمن؛ فوقع الإنكار عليهم من بعض (الشافعية بزبيد)[٥]، ووجه سؤالاً[٦] إلى علماء مكة المشرفة؛ فحصل الجواب على ذلك السؤال من المفتين (على تلك المذاهب)[٧] بإنكار ذلك الهدم، وأصّلوا لما قالوه أصولاً فقهية[٨] على القواعد الفروعية.

فلما اطلع السيد الحسين[٩] على تلك الأجوبة[١٠] تجرد للرد عليهم، وألف هذا المؤلف الذي جعله في حكم الرسالة. ورد[١١] جميع ماأوردوه بواضح الأدلة، (وبيّن لهم المعلول والعلة)[١٢].

فلما اطلعوا عليه لم ينطقوا ببنت شفة، ولا ظهر عليهم شيءٌ من أنوار المعرفة. والرسالة موجودة بالجهة واضحة البيان، نيرة البرهان، يتداولها[١٣] أهل العرفان. وقد قُلتُ عند الاطلاع عليها أبياتاً أرسلتها إليه، تقريظاً[١٤] عليها ــ (رحمة الله عليه ــ

---

١. «الكبير»: ليست في س.

٢. محمد بن إسماعيل الأمير، من أشهر علماء اليمن في القرن الثامن عشر للميلاد (انظر: الحبشي، مصادر: ٦٢-٦٤. Al 'Amri, *The Yemen*, index. Serjeant, *San'a'*, index).

٣. «من الصدور»: ليست في س.

٤. في س: «قبب».

٥. ما بين القوسين جاء بدله في س: «بعض علماء اليمن».

٦. في س: «ووجه فيه رسولاً» تحريف.

٧. ما بين القوسين جاء بدله في س: «على المذاهب الأربعة».

٨. في س: «فقيهية». مصحفة.

٩. «الحسين»: ليست في س.

١٠. في س: «الجوبات».

١١. في س: «ورد عليهم جميع».

١٢. ما بين القوسين ساقط في س.

١٣. في س: «يتداولوها».

١٤. في س: «تعريضا» مصحفة لا يستقيم بها المعنى المراد.

وهي :)[٥]

أرأيْتَ أمْ هل كُنْتَ تَعْهَدْ … شخصاً كَمولانا المُمَجَّدْ
/ الحَبْرِ سَيِّدِنا الحُسَيْـ … ـنِ إمَامِ مَنْ في العَصْرِ وَحّدْ [١٩١]
وأجلُّ مَخْدومٍ وأكْـ … ـرَمِ فاضلٍ في النّاسِ يوجَدْ
فعَلَيْه مِنْ بين الأفَا … ضِلِ خِنْصَرُ الأعْداد تُعْقَدْ
وتَراهُ إن هَزَّ اليَرا … عَ مُوفَياً[٢] في كُلِّ مَقْصَدْ
ويُقيمُ بالبُرهانِ حُجَّـ … ـتَه فَدَعْ مَنْ قالَ قَلَّدْ
لكنْ لأجْيَادِ[٣] المعا … لي العَاطلات الشَّبْرَ قَلَّدْ
فَدَلَيلُهُ نصُّ الكتَا … بِ وما تَواتَرَ عَنْ مُحَمَّدْ
لا يَقْبَلُ التَّعْليلَ إلَّـ … ـلا بالدّليلِ فلا يفَنَّدْ
وإذَا تَأوّلَ قائلٌ … للنّصِّ قالَ الرُّشْدُ أبْعَدْ
هَذي سَجِيَّتُهُ فلا … يَثْنيه مَنْ عانَى واجْهَدْ[٤]
يا جَاهِلاً مِقْدارَهُ … خَلِّ الغَبَاوةَ يا مُبَلَّدْ
فَمَعَارِجُ الألْبَابِ تُخْـ … ـبِرُ أنّه في النّاسِ مُفْرَدْ
فاقْرا لَهَا وارْقَى مَرَا … تِبَهَا العَلِيَّةَ كي تُسدّدْ
واقْرا السَّلامَ على الّذي … لِعُقُودِهَا بالحَقِّ نَضَّدْ
لازالَ يَقْهَرُ خَصْمَهُ … بأدلَّةٍ تُمْلَى وتُسْرَدْ
عَنْ خيرِ خَلْقِ اللهِ لا … عَنْ مَنْ لَها بالرَّسْمِ والحَدّْ
يا مَنْ يُريدُ حِجَاجَهُ … خَفِّضْ عليكَ عَسَاكَ تَرْشُدْ
هَلْ مَنْ يَهُزّ عَصاً كَمَنْ … في الحَرْبِ يَنْتَضِي المُهَنَّدْ

---

١ . ما بين القوسين ساقط في س .

٢ . في س : « موفقا » .

٣ . في س : « لأجناد » .

٤ . الشطر الثاني في س : « . . . تنيه من عانا وأحمد » كلام لا معنى له .

٥ . في س : « لهى » .

أمْ هَـلْ تـرى الـبـلُّـور يَـصْــ ـدمُ[١] صَـخْـرةً صـمَّـاءَ جَـلْـمَـدْ
ثـمَّ الـصَّـلاة عـلـى الـنـبـ ـيِّ وآلـهِ الأطْـهـار عَـنْ يَـدْ

انتهى الموجود[٢].

وكان المذكور لا يحسن قول الشعر إلا النزر[٣]؛ وربما ينخرم عليه الميزان[٤]. فلما اطلع على هذه الأبيات عند ورودها إليه[٥] / استجادها، وورد عليَّ الجواب منه[٦] بالشكر الجميل، واعتذر عن النظم بأن قال : [٩١ ب]

«ومحبُّكم لا يحسن إجادة[٧] الشعر ؛ وإن أتعبتُ القريحة في نظمه ربما سمحتْ بقبضة من شعير[٨]».

هذا لفظ[٩] كلامه أو[١٠] معناه مع أكثر اللفظ. (وما أصدق قول أبي الطيب فيه إذ يقول)[١١] :

عَلاّمة العُلَماءِ واللُّجُّ[١٢] الذي لا ينْتَهي ولكُلِّ بَحْرٍ سَاحِلُ

* * *

١ . في س : «يكسر».
٢ . العبارة : «انتهى الموجود» ساقطة في س .
٣ . في س : «النزر اليسير» زيادة .
٤ . في س : «الميزان فيما يقول» زيادة .
٥ . في س : «عليه».
٦ . «منه» : ليست في س .
٧ . «إجادة» : ليست في س .
٨ . في س : «من شعر».
٩ . في س : «اللفظ» خطأ .
١٠ . بدلها في س : «أن» ولا معنى لها ههنا .
١١ . ما بين القوسين جاء بدله في س : «فهو كما قال أبو الطيب».
١٢ . في س : «البحر».

السنة السادسة والسبعون[١]

‹رجوع الشريف ظافر من مكة إلى اليمن›

فيها : رجع الشريف ظافر[٢] إلى اليمن ، واتصل بخليفة الزمن ؛ فوعده بتمام أمره وصلاح شأنه . فبقي بحضرته[٣] ؛ وأصابه مرض شديد ، ثم شمله الله[٤] بعافيته وأمانه .

* * *

[استعداد الشريف للقتال]

وفيها : وردت إلى الشريف[٥] الأخبار بأن المكرمي عازم على[٦] حربه وقصده إلى عقر الدار . فأرسل عند ذلك إلى رؤساء بكيل[٧] ، وبذل لهم الرغائب ؛ وأخبرهم بما بينه وبين المكرمي من المقاومة . وطلب منهم الإجابة إن احتاج منهم[٨] إلى ذلك عند هجوم ذلك[٩] الطالب . فعادت[١٠] الجوابات عليه منهم (بالامتثال ، وجعلوا إلى مطلبه إن أحوجه الحال)[١١] .

---

١ . في س : « والسبعين » خطأ . ٢٣ يوليو سنة : ١٧٦٢ - ١١ يوليو سنة : ١٧٦٣م .

٢ . في س : « ظافر بن الحسين ، رحمه الله » زيادة .

٣ . بدلها في س : « هنالك » .

٤ . في س : « الله منه بعافيته » زيادة .

٥ . في س : « الشريف رحمه الله » زيادة .

٦ . في س : « عازم على التوجه إلى حربه » .

٧ . ذكر الرحالة نيبور هذه الحادثة قال : « فجمع الشريف بعجل جيشاً يتراوح عدد عساكره ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ نفر من حاشد وبكيل والجوف » . (انظر : Niebuhr, *Description* 2, p. 107)

٨ . « منهم » : ليست في س .

٩ . « ذلك » : ليست في س .

١٠ . في س : « فعادت عليه الجوابات » مقدمة .

١١ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : « بالامتثال إلى مطلبه إن أحوجه الحال » .

فلما تحدد خبر توجهه[١] مابرحت بكيل تُترى إلى حضرة الشريف أفواجاً، ويترادف وصولهم فرادى[٢] وأزواجا ؛ حتى بلغ مقدار الواصلين (منهم ومن أتباعهم)[٣] إلى الألف، وفيهم كل ليث صائل يحمل[٤] الحتف. وبعد استقرار الأكثر منهم بحضرته/ وصلت إليه [١٩٢] طائفة من القبيلة المسماة جُشَم[٥] أصحاب أولئك القوم النازلين إلى الشريف أولاً، وهم في الظاهر مباينون للمكرمي[٦] مائلون إلى طاعة الشريف ؛ ولا يعلم مافي الضمائر إلا الخبير اللطيف، وعددهم نحو سبعمائة نفر[٧]. ولما قربوا من مدينة أبي عريش بقي الشريف منهم على وجل لعدم الاطلاع على ماأضمروه من النصح أو ضدّه ؛ فرجّح[٨] تبقيتهم خارج المدينة أياماً، ثم فرقهم في أطراف البلاد. وبعد أن عرف ماعندهم، وأمن شرهم وكيدهم[٩]، أذن لهم في الدخول[١٠]، فدخلوها ؛ وكان الناس منهم[١١] في أمر مريج خشية من وقوع الفتنة بينهم وبين بكيل المقيمين بالمدينة، لما بينهم من التعاند والتضادد.

* * *

[وصول المكرمي إلى المخلاف]

والمكرَمي في خلال ذلك تتجدد أخباره وتشتعل[١٢] ناره، حتى لم يرُع الناس إلا نزوله في عساكر كثيرة قريب من ثلاثة آلاف، ومعه[١٣] من الخيل جملة. وكان وصوله

١ . في س : « خبر توجه المكرمي ».
٢ . في س : « أفرادى ».
٣ . ما بين القوسين ساقط في س.
٤ . في س : « يحمل لواتر الحتف » زيادة وتصحيف، وصواب مافيها : « يحمل بواتر الحتف ».
٥ . في س : « جشم من بني يام » زيادة.
٦ . في س : « ومائلون » بزيادة واو العطف.
٧ . بدلها في س : « مقاتل ».
٨ . في س : « فترجح ».
٩ . في س : « كيدهم وشرهم » تقديم وتأخير.
١٠ . في س : « في دخول المدينة » زيادة.
١١ . « منهم » : ليست في س.
١٢ . في س : « وتشعل ».
١٣ . في س : « ومعه جملة من الخيل ».

إلى أطراف تهامة في أوائل شهر[١] جمادى الأولى ؛ ولم يزل يترحل[٢] يوماً فيوماً حتى قرُب من المدينة ، وخيم بالزّبارة المُسماة أم الغلف/ ، بحيث تُرى خيامه من طرف البيوت . [٩٢ ب]

فأراد بعض الأعيان التوسط[٣] بالصلح درءاً للفتنة وحقناً للدماء ؛ ووصل إلى المكرمي وعرض عليه ذلك ؛ فشرط ارتفاع بكيل وتسليم مال جزيل ، من جملته[٤] المقررات التي قطعها عليه الشريف أيام المباينة ، وغير ذلك . فلم يقبل الشريف ذلك لاسيما[٥] ارتفاع بكيل ، فإنه عرف أن مقصد المكرمي فيه غير جميل .

* * *

‹ وقعة أم الغلَف ›

وجدّ[٦] جدُّ كل منهما للفتنة ، (وهيأ الشريف أجناده)[٧] للخروج عليه في يوم الأحد لعله الثالث والعشرون من الشهر[٨] المذكور ؛ وجعل العلاَمة للخروج[٩] ضرب المدافع ، وأنه[١٠] متى سمعوا[١١] العسكر ذلك نهضوا من المدينة[١٢] . فأمسى الناس تلك[١٣] الليلة عازمين على حصول[١٤] القتال في صبيحتها[١٥] . ولما أصبح الصباح ضُربت المدافع ،

١ . « شهر » : ليست في س . ويوافق أواخر نوفمبر سنة : ١٧٦٢م .

٢ . في س : « يرتحل » .

٣ . في س : « ليتوسط » .

٤ . في س : « جملتها » تصحيف .

٥ . في س : « سيما » من غير (لا) .

٦ . في س : « وجدد كل منهما » تحريف أفسد المعنى .

٧ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « وأهب الشريف رحمه الله أجناده » .

٨ . في س : « من شهر جماد المذكور » . ويوافق : ١٠ ديسمبر سنة : ١٧٦٢م .

٩ . في س : « لخروج العسكر » .

١٠ . في س : « وأنهم » .

١١ . كذا جاءت في الأصل ص ويبدو أنه نقل الخبر ورواه بالدارجة ، وفي س : « متى سمعوا ذلك » .

١٢ . بعدها زيادة في س : « إلى الخروج للحرب » .

١٣ . في س : « في تلك الليلة » .

١٤ . بدلها في س : « وقوع » .

١٥ . في س : « صبحتها » مصحفة .

فخرج جميع العسكر من بكيل وجُشَم، ووصلوا إلى باب الشريف ينتظرون خروجه، فخرج إليهم وقد لبس لأمَةَ حربه ومعه جميع الأشراف ؛ فظهر من جُشَم في تلك الساعة عدم الرضى بقتال أصحابهم ؛ وأنكر الشريف من بعضهم الشر. وعولّ بعض عُقّالهم عليه أشد التعويل في التأخر عن قتال/ ذلك اليوم ؛ وعقروا عليه عقيرة من [١٩٣] الإبل [١]، والتزموا له في الوصول إلى المكرمي ومناصحته والتكليف عليه في الرجوع إلى نجران ؛ ثم يقع الخوض في الصلح بعد ذلك. فامتثل الشريف وطاوعهم، وأمر بكيل بالرجوع ؛ فإذا بعضهم قد تقدم إلى موقف الحرب ولم يبق بينه وبين بني [٢] يام إلا مسافة قريبة.

وظهر للكافّة خداع جُشَم، وعرفوا أنهم مُعينون أصحابهم [٣] لا محالة. ولكنه ترجَّح للشريف تأخير القتال ذلك اليوم ؛ وعالج أولئك المتقدمين من بكيل حتى رجعوا بالمشقة. ثم عاد الشريف إلى محله، وأخذ يعمل الحيل في إخراج جُشَم من أبي عريش لما شرطوا [٤] عليه بكيل ذلك بسبب ما لحقهم من الخشية منهم وعدم الركون لهم [٥]، فقد صاروا أعداءً في صورة أصدقاء. وسار [٦] بعض عقّال جُشَم إلى المكرمي فعرض عليه الصلح، فأبى من ذلك أشد الإباء. فرجع من عنده وقد تفاقم الأمر، ووقع القطع بحصول القتال ؛ وصمم الشريف على ذلك عملاً بقول من قال :

فبالبَسالةِ حازَ الليْثُ رُتْبتَهُ ... ولَمْ يَفُس ثَعلَبُ الصَّحْراءِ بالنَمِرِ
/ والعَزْمُ يُكسِبُ عِزَّ الدَهرِ صاحِبَهُ ... ويُورِثُ المرءَ حَمْداً آخِرَ العُمُرِ [٩٣ ب]

وعند ذلك أمر الشريف بإخراج جُشَم إلى مدينة صبيا، وأظهر لهم أنه يريد [٧]

---

١. العقيرة : هي ذبح جمل أو ثور لطلب الثأر أو غسل العار، أو لإظهار حسن النية. انظر : (Serjeant, *San'a'*, glossary)

٢. « بني » : ليست في س.

٣. في س : « لأصحابهم ».

٤. كذا في الأصل ص على الدارجة وجاءت في س : « لما شرط عليه بكيل ».

٥. في س : « عليهم » ولا تصح.

٦. في س : « صار » مصحفة لا يقوم بها المعنى.

٧. في س : « يريد منهم حفظها » زيادة.

حفظها له عن أصحابهم كيلا [١] يعدلوا إليها، وجعلها في وجوههم [٢]. فامتثلوا ذلك، وأصحبهم ابنه الشريف الأمجد ناصر بن محمد [٣]، فخرج [٤] من أبي عريش ضحوة [٥] يوم الاثنين لعله الرابع والعشرون من [٦] الشهر.

ولما انفصلوا تربص [٧] الشريف ويكيل إلى بعد صلاة الظهر [٨] ذلك اليوم؛ ثم تقدمت بكيل على يام ومعهم الأشراف بأجمعهم غير الشريف فإنه تأخر بنفسه. فقصدوهم [٩] إلى مطرحهم؛ فالتقى الجمعان، ووقع بينهما حرب شديد، تشيب منه ناصية الوليد؛ فكانت الدائرة على بكيل، وقتل منهم نحو سبعين رجلاً أكثرهم من العُقّال (وممن قُتل من أكابرهم) [١٠] النقيب ناصر بن عُمير، ومعه جماعة من إخوانه وبني عمه؛ ومنهم النقيب مُحسن بن عَفْراء، وغيرهما ممن [١١] لا يقصر [١٢] عنهما شأناً وذكراً. فولّت بكيل الأدبار، ورجعوا إلى أبي عريش وقد كابدوا مشقة العار والفرار. وأخذ يام في طردهم إلى قريب المدينة، وأسروا منهم نحو عشرين رجلاً أو يزيدون؛ حتى جنَّ عليهم الليل بسدول [١٣] الظلام، فكان لهم في ذلك فرجة وعصمة من بني يام:

[١٩٤] / وكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يدٍ تُخَبِّرُ أنّ المانَوِيّةَ [١٤] تَكْذِبُ

---

١. في س: «لئلا».
٢. في س: «وجعلها في ضمانهم ووجوههم» زيادة.
٣. في س: «ناصر بن محمد بن أحمد». زيادة.
٤. في س: «فخرج بهم من أبي عريش» زيادة.
٥. في س: «بضحوة».
٦. في س: «من ذلك الشهر» زيادة. ويوافق: ١١ ديسمبر سنة: ١٧٦٢م.
٧. في س: «تربض» تصحيف يفسد المعنى.
٨. في س: «من ذالك» زيادة وخطأ.
٩. في س: «وقصدوهم».
١٠. بدل ما بين القوسين جاء في س: «منهم» فقط.
١١. في س: «مما»، لا تصح.
١٢. في س: «يقتصر».
١٣. في س: «نزول».
١٤. في س: «المانويت».

ثم عاد[١] بنو يام إلى مطرحهم مسرورين. وأمست بكيل بليلة نابغية، وهم بين باك وحزين. فتحصنوا بعد ذلك بالبيوت والقلاع، وعزموا منها على المقاتلة والدفاع؛ وسلّموا[٢] المدينة العريشية من الحريق. ومع هذا فلم يخرج من أهلها إلا اليسير من خشية الضيق. وبقيت الأسواق بحالها معمورة، والعورات التي[٣] بالمدينة مستورة.

* * *

[حصار المكرمي لأبي عريش]

ثم رفع المكرمي إلى الخليفة بالمتّفق؛ ولعله طابق غرضه لسبب ماجرى من تلك الجواري التي مضت تستبق. وبالجملة فحال الإمام مع الشخصين كما قال بعض الأنام:

فَهَالِكُهُمْ عِنْدِي عَدوٌّ وَمَنْ يَعِشْ صَدِيقٌ وَمَنْ لِي بِالهَلاكِ لَهُمْ مَعَا

(ووصل جواب المكرمي من الإمام مُقَرّراً لما فعل)[٤]؛ ولم يتحقّقْ هلْ[٥] أرسل له شيئاً[٦] من الإعانة أو[٧] أهمل.

وبعد أيام قلائل قرُب المكرمي عن[٨] ذلك الموضع الذي كان فيه إلى مكانٍ أقرب منه؛ فضاق الحصار على من بالمدينة؛ ورفعتْ بكيلُ إلى أصحابهم بما جرى عليهم من القتل وماهم فيه من الحصار، وطلبوا منهم النزول[٩] للأخذ بالثأر. فأجابوهم: بالثّارات[١٠]، بحصول الغارات/ وكتبَ بعض عقّالهم إلى المكرمي يتوعده بحصول [٩٤ب]

---

١. في س: «عادت».
٢. في س: «وأسلموا».
٣. في س: «الذي». سهو.
٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي: «ووصل جواب الإمام على المكرمي مقرراً لما فعل».
٥. في س: «أنه».
٦. في س: «شيء» خطأ.
٧. في س: «ولا أنه أهمل».
٨. في س: «من».
٩. في س: «الإغارة».
١٠. في س: «بالثارات».

الجزاء عن قريب. فبقي خائفاً يترقب[١] من نزولهم عليه نزول المستريب[٢].

* * *

[قتالٌ على أطراف مدينة أبي عريش]

ولما كان يوم الخميس الثاني عشر من شهر رجب الفرد[٣] الحرام تقدَّم جماعةٌ من فرسان يام إلى طرف المدينة، فنادوا بأعلى الصوت للنزال؛ فخرج إليهم[٤] جماعةٌ من الأشراف على سبيل الاستعجال، فالتقى الخيلان، وتجاولا في ذلك الميدان؛ وأصيب أكثر الأشراف بجراحاتٍ انتهت إلى السلامة. وقتل شريفٌ من أهل مكة، فظفر بالشهادة والكرامة. ثم تداعى أهل مطرح يام، وخرج [من][٥] بمدينة أبي عريشٍ من الأقوام؛ ووقع القتال إلى قريبٍ[٦] من نصف[٧] النهار، ثم رجع كلٌّ إلى مطرحه.

* * *

[انفصال بني يام]

ولم يزل الخوف يعظم مع المكرمي وبني يام، (والخشية تتزايد عليهم من غارة بكيل في بعض الأيام)[٨]؛ حتى كان ليلة الثلاثاء[٩] السابعة عشرة من شهر رجب[١٠] الحرام، فقوض المكرمي الخيام، وانصرف هارباً منهزماً هزيمةً لاتليق بذلك المقام، (حتى لقد تركوا بعضاً من أثقالهم ومرضاهم وجرحائهم، فكانت عبرةً للأنام)[١١].

١. في س: «مترقبا».
٢. في س: «خوف المستريب» وهي أوجه مما جاء في الأصل ص وأقوم للمعنى.
٣. «الفرد»: ليست في س. ويوافق: ٢٧ يناير سنة: ١٧٦٣م.
٤. في س: «منهم».
٥. «من»: ساقطة في الأصل ص سهواً استدركناها من س: ع.
٦. في س: «قرب».
٧. في س: «النصف» ولاتصح.
٨. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «والخشية تتزايد من غارة بكيل عليهم في بعض تلك الأيام».
٩. في س: «ليلت الثلوث».
١٠. في س: «شهر رجب الفرد الحرام» زيادة. ويوافق: ١ فبراير سنة: ١٧٦٣م.
١١. مابين القوسين جاءت صياغته في س: «حتى لقد تركوا من بعض أثقالهم فكانت عبرة للأنام».

فلما تحقق للشريف خبر انفصالهم همّ بلحاقهم، ولكن لم يتمكن من ذلك لأنهم لم يصبحوا إلا بقرية حَرَض [١]، ثم/ خرجوا منها فوراً [٢]. (فبلغني أنهم وصلوا نجران [١٩٥] خامس يوم خروجهم أو سادسه) [٣]، فكأنهم [٤] خشوا اعتراض بكيل لهم؛ وكانت هذه منّةً من الله، سبحانه، على العباد، ولطفٌ شامل منه [٥] للحاضر والباد؛ ولله من قال [٦]:

لِلّهِ بالعَبْدِ لُطْفٌ لو فَطِنْتَ لَه [٧] ما بِعْتَ نَوْمَكَ طُولَ اللَّيْلِ بالسَّهَرِ

* * *

[انفصال بكيل]

وبعد فرار بني يام شرع الشريف في تزليج بكيل، وقد لحقه من المغارم ماتعجز عن التعبير عنه ألسنة الأقلام، فإنهم بقوا بحضرته نحو سبعة أشهر، فاجتاحوا [٨] ماعنده من النقود والطعام؛ ولكنه لم يحفل بذلك حتى [٩] قضى المرام [١٠]، ورجع عنه خصمه مقهوراً لم يظفر بحسن الختام.

* * *

---

١ . كانت كذلك في س، ثم ضرب عليها وأبدلت بـ : «الدغارير وخرجوا منها».
والدغارير : من القرى على وادي حَلْب. (انظر : العقيلي، المعجم : ١٠٣).

٢ . كان الرحالة نيبور يقيم في أيام هذه الأحداث بمدينة اللحية، فذكر ماجرى بالمخلاف السليماني، فأتى بتفسير آخر لسرعة انصراف بني يام؛ قال: «فشاع الخبر بأن شيخ قبيلة قحطان دخل بلاد نجران وهذا مااضطر الشيخ المكرمي إلى الرجوع السريع». (انظر: Niebuhr, *Description* 2, p. 107).

٣ . مابين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي: «فبلغني أنهم وصلوا إلى نجران يوم غرت شهر شعبان عن من هو يعلم يوم خروجهم أو سادس خروجهم» وواضح مافي العبارة من اضطراب وخلل وخطأ. وغرة شعبان توافق: ١٥ فبراير سنة: ١٧٦٣م.

٤ . في س: «وكأنهم».

٥ . في س: «ولطف منه شامل».

٦ . في س: «ولقد صدق من قال».

٧ . في س: «به» مصحفة.

٨ . في س: «فاجتاحوا جميع ماعنده» زيادة.

٩ . في س: «حيث».

١٠ . في الأصل ص: «المراد» والتصحيح من س اخترناه ليستقيم مادرج عليه المؤلف من السجع.

[تغاضب الشريف وابنه علي]

وفيها : قبل نزول يام تغاضب الشريف وابنه[١] الشريف علي بن محمد ؛ فخرج من أبي عريش إلى المعنَّق[٢]، وبقي هنالك حتى نزل المكرمي هذا النزول، فصحبه وكان من جملة جنده أيام الحصار على[٣] والده ؛ ونفذ معه إلى نجران عند نفوذه من ذلك المكان.

* * *

‹نزول الشريف ظافر إلى بيت الفقيه ابن عُجيل›

وفيها : استأذن الشريف ظافر بن الحسين من الخليفة في النزول إلى تهامة ليتصحح من المرض. وقد كان أيام حصار المكرمي/ للشريف باق[٤] بصنعاء ينتظر ما ينتهي إليه [٩٥ب] الحال ويؤول المآل. وكان المكرمي يؤمل نزوله إليه في تلك الأيام، ولعله اعتذر بما حصل عليه من الأثر والخير فيما قضاه الملك العلام. وبعد عزم المكرمي نزل إلى مدينة بيت الفقيه، وأجرى له الإمام من المقررات جُملاً مستكثرة تقوم بأوده[٥] وتكفيه.

* * *

[عزل الشريف أحمد بن محمد عن ولاية صبيّا]

وفيها : عزل الشريف ابنه[٦] الشريف أحمد بن محمد عن ولاية[٧] صبيّا ومخلافها ؛ وأقام الشريف مُطاعِنَ بن أبي طالب الخواجي، فأقام بها رافهاً.

* * *

---

١. في س : «وابنه علي فارس بن محمد» نقص وزيادة.
٢. المَعنَّق، قرية على أعلى وادي جازان كانت فيها قلعة للقطبيين (انظر : البهكلي، العقد، ٩٩)
٣. في س : «الحصار لوالده».
٤. كذا جاءت في كلتا النسختين ص وس على غير النصب وهو خطأ صوابه : «باقيا».
٥. في س : «تقوم بأوده تكفيه» بإسقاط الواو العاطفة.
٦. في س : «ولده».
٧. في س : «ولايته».

السنة السابعة والسبعون[١]

[عودة الشريف علي بن محمد إلى أبيه]

فيها : وصل الشريف عليّ فارس بن محمد إلى حضرة أبيه ؛ وذلك أنه لما وصل مع المكرمي إلى نجران لم يطب له مقام، فرجّح في آخر ذلك العام[٢] الحج من هنالك إلى بيت الله الحرام ؛ فصادف بعض أكابر [عقّال][٣] بكيل، وهو النقيب محمد ابن أحمد الشايف[٤] بمكة، وكان له منزلة عظمى عند الشريف ؛ فعوّل عليه في (الشفاعة له إلى والده)[٥] ؛ فشفع له، ورضي عنه وأذن له بالوصول، فوصل، وعطف عليه[٦] ورق له[٧] عند وصوله، وأناله من إحسانه فوق ظنه ومأموله وضميره[٨]، (ولم يُفَنِّدْه على شيء مما صدر منه)[٩] مع عظم الجناية لو صدرت من غيره/ [١٩٦] . وعلى كل حال فالواقع قول من قال :

وإنَّما أولادُنا بَيْنَنَا أكْبادُنا تَمْشِي عَلَى الأرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ على بَعْضِهِمْ لامْتَنَعَتْ عَيْني مِنَ الغَمْضِ[١٠]

* * *

١ . الموافقة : ١٢ يوليو سنة : ١٧٦٣-٣٠ يوليو سنة : ١٧٦٤م.

٢ . يونيو سنة : ١٧٦٣م.

٣ . « عقال » : ليست في الأصل ص استدركناها من س .

٤ . ما زالت هذه العائلة تتولى حتى اليوم منصب مشيخة مشايخ قبيلة ذي الحسين بجبل برط شرقي مدينة صعدة.

٥ . العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « الشفاعة إلى أبيه » .

٦ . في س زيادة : « الشريف » ع .

٧ . في س : « ورق له قلبه » زيادة .

٨ . « وضميره » : ليست في س .

٩ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « ولم يعتبه بشيء مما صار منه » .

١٠ . في الأصل ص : « عن الغمض » وفي س : « من » فأثبتناها لموافقتها روايتها التي جاءت في حماسة أبي تمام، والبيتان من مقطعة للشاعر حطان بن المعلّى الطائي، وهو شاعر إسلامي .

‹ القبض على الشريف مُطاعن الخواجي ›

وفيها، في شهر ربيع[١] الأول : غضب الشريف على الشريف مطاعن بن أبي طالب[٢] بسبب أنه اتهمه[٣] بمباطنة جُشَم الذين كانوا بصبّيا أيام الحصار عليه من المكرمي. فقبضه وأودعه حبس[٤] أبي عريش، وقبض على أخيه الشريف فارس بن أبي طالب معه ؛ واجتاح جميع مايملكه الشريف مُطاعن من الصامت والناطق. ولا أدري هل لهذه التهمة أصل[٥] أم لا ؛ ولم يعدل عن جادة الصواب من قال بلا ارتياب :

ومُصَاحِبُ[٦] السُّلْطانِ مِثْلُ سَفِينَةٍ	فـي بَـحْـرِهِ مُـرتجـةٍ مـن خـوفـه
فإذا اسْتَقَتْ مِنْ مائِهِ في جَوْفِها	عادت ومـا فـيـهـا مـعـاً في جـوفـه

فبقي في الحبس مدة مديدة، حتى لم يخرج إلا بعد ما يقارب ثلاث سنين.

* * *

[إعادة ولاية صبيا إلى الشريف أحمد]

وأرجع أمر البلد[٧] إلى ابنه الشريف أحمد ؛ وشرط عليه أن يجعل أخاه[٨] ناصر ابن محمد في المدينة من تحت نظره، وألزمه بعدم التردد إلى مدينة صبّيا بنفسه[٩]. فاستمر على ذلك مدة يسيرة.

***

١. سبتمبر-أكتوبر سنة : ١٧٦٣م.
٢. في س : « أبي طالب الخواجي » : زيادة.
٣. في س : « اتهم ».
٤. في س : « الحبس في أبي عريش ».
٥. في س : « أصلاً » خطأ.
٦. في س في متنها، وقد صححت في الهامش بـ «ومصاحب» كما جاءت في الأصل ص.
٧. في س : « البلاد ».
٨. في س : « أخاه الشريف ناصر » زيادة.
٩. « بنفسه » : ليست في س.

[توجيه مدينة صبيا إلى الشريف ناصر بن محمد]

ثم وقعت المشاقة بين الأخوين، وأدّى الحال إلى أن رفع الشريف يد ابنه أحمد، وولّى ناصراً[١]، فاستقلّ بها[٢] ناهياً آمراً، وسار بها السيرة المرضيّة، واعتمد في / أغلب [٩٦ ب] القضايا[٣] الطريقة الشرعية حتى شكرته الرعيّة :

سَاسَ الأُمورَ بإتْقَانٍ ومَعْرِفَةٍ وحُسْنِ رأيٍ وتوفيقٍ وتَسْديدِ
فَلا يَصُدُّكَ عَنْهُ قَوْلُ حَاسِدِهِ فَلَسْتَ تَلْقَى كريماً غيرَ مَحْسُودِ

* * *

[تعدي آل عبس على بعض رعية الشريف]

وفيها : حصل من البدو المتّسمين[٤] بآل عبس[٥] تعدٍّ على بعض رعية الشريف، وأخذوا أهواشاً ؛ فرجَّح غزوهم إلى ديارهم، وهمّ[٦] بإدخالهم في سلك رعيته[٧]. فتثاقل طلاب بكيل، وعدل إلى طلاب قحطان، وقد حصلت بينه وبين بعض[٨] عُقّالهم مواطأةٌ أيام حصار بني[٩] يام[١٠]، فالتزموا له أنه إذا احتاج إلى طلابهم[١١] أمدّوه[١٢]. فعند هذا الباعث أرسل إليهم بعض خُدّامه وأصحبه خطوطاً إليهم. فوصل إليهم[١٣]، وأقام

---

١. في س : « ناصر » غير منصوبة.
٢. في س : « فاستقل بتلك المدينة ».
٣. في س : « القضايا على الطريقة ». زيادة.
٤. في س : « المسمين ».
٥. آل عبس : قبيلة تقع بلادها شرقي ضمد فيما بين الحقو وفيفا.
٦. في س : « وربما هم » ولعلها أوجه.
٧. في س : « الرعية ».
٨. « بعض » : ليست في س.
٩. « بني » : ليست في س.
١٠. في س : « حصار يام عليه » زيادة.
١١. في س : « طلاب قوم منهم » زيادة.
١٢. في س : « أمدوه بهم » زيادة.
١٣. « فوصل إليهم » : ليست في س.

عندهم أشهراً، وطلب منهم جموعاً كثيرةً. وقد وعدوه أنْ يصل إليه [١] منهم (مثل الجند الواصل إلى أبي علامة) [٢].

فبطش بالرّعية بطشاً عظيماً، وأخذ منهم مايصعب حصره ويعظم قدره. واستخرج مدافن الطعام، وجمع [٣] حبوباً هي أكثر مافي أيدي الأنام. وكان في تأميله وصول [٤] خلقٍ كثير لا يقوم بأوَدهم إلا استعدادُ هذه الأموال. ومن جملة ماأخذه [الشريف] [٥] بسبب هذه الفتنة دراهم لبعض الأتراك [٦] وصلوا إلى بندر/ جازان لقصد التجارة، وهي نحو سبعة آلاف قرش. [١٩٧]

* * *

‹ نزول قحطان للشريف ›

فوصل رسول الشريف من بلاد قحطان وصحبته منهم نحو ألفٍ وخمسمائة، لايظهر [٧] منهم نفع، ولايقضون أرباً في صيال ولادفع. فخرج الشريف إلى لقياهم [٨] من أبي عريش في شهر شعبان [٩]. ولما شاهدهم قلَّ مافي نفسه من [١٠] الرغبة إليهم ؛ ثم قصدهم [١١] البدو فتفرَّقوا في شواهق الجبال، فلم يقع بينهم [١٢] وبينه قتال سوى أنه [١٣] دعاهم إلى المصالحة [١٤] والمهادنة ؛ وقبض من

١. «إليه» : ليست في س.

٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س : «مثل ماوصلت إلى أبي علامة في المدة الماضية».

٣. في س : «وأجمع».

٤. بدلها في س : «في تأميله أن يصل إليه خلق».

٥. «الشريف» : ليست في الأصل ص، استدركناها من س.

٦. في س : «الترك».

٧. في س : «إلا أنهم لايظهر منهم نفعاً» زيادة وخطأ.

٨. في س : «لقائهم».

٩. في س : «شعبان الكريم» زيادة. وهو يوافق : فبراير سنة : ١٧٦٤م.

١٠. في س : «من تلك الرغبة» زيادة لاضرورة لها.

١١. في س : «قصد بهم».

١٢. في س : «بينه وبينهم».

١٣. في س : «أنهم».

١٤. في س : «الصلح».

كبرائهم نحو[1] سبعة أنفار[2] وصلوا إليه[3] طالبين للعفو[4]، فأرسلهم إلى حبس أبي عريش. ثم عاد في شهر رمضان العظيم قدرُه[5] فزلّج أولئك القوم بعد أن أقاموا بقرية العقدة عن رأيه؛ فأحرقوا مساكنها عند الخروج منها، وكان حصول الخوف لها من مأمنها. وصار[6] شاهد حال الشريف معهم كما قال عليٌّ[7] أمير المؤمنين، (عليه سلام ربِّ العالمين في ابن ملجم لعنه الله أبد الآبدين)[8]:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرِيَ مِنْ خَلِيلِيَ مِنْ مُرَادِ

* * *

‹اختطاط قرية البيِّض›

وفيها: أحيا الشريف شريج البيِّض، وعمر البيوت التي قِبْلي الشريج المذكور، واختارها[9] بدلاً عن أبي عريش، وسمَّى تلك القرية: الزهراء؛ وكان أكثر إقامته بها يحرث شريجي البيِّض وخُرَيم، وأحدث بها بستاناً[10] من النخل/ والكرم[11] يروق [٩٧ ب] النظر ويجلو الكدر. فصفت[12] له الأيام، ورمقته السعادة بعيونها، ونامت عنه عيون حوادث الأيام.

---

١. «نحو»: ساقطة في س.

٢. في الأصل ص وفي س كلتيهما: «نفر» صوبناها كما يقتضيه تمييز العدد.

٣. «إليه»: ليست في س.

٤. في س: «للعفوا منه» خطأ وزيادة.

٥. يوافق: مارس سنة: ١٧٦٤م.

٦. في س: «فصار».

٧. «علي»: ليست في س.

٨. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «عليه السلام في ابن ملجم» فقط.
وابن ملجم: هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري، من الفتاك الثوار، كان من شيعة علي ثم خرج عليه، ثم قام باغتياله في مؤامرة دبرها الخوارج سنة: ٤٠هـ=٦٦٠م ثم قتل هو بعد أيام. (الكامل، للمبرد: ٢/١٣٦).

٩. في س: «اختارهما» مصحفة.

١٠. في س: «بستان» بغير نصب.

١١. بدلها في س: «العنب».

١٢. في س: «فصفيت» خطأ.

وأنشأتُ في ذلك البستان عند أن طلب مني ذلك ماهو في حكم[١] المقامة[٢] تتضمن التعجب من ازدواج الكرم والنخل واجتماعهما[٣] بذلك البستان على أحسن الوجوه بلا فصلٍ، على أنّ أحدهما من ثمرات الجبل والآخر من ثمرات السهل ؛ (فما أحقّ ذا البُسْرَ والرطب أن ينشد لسان حاله)[٤] في تلك الحال قول الأديب القاسم بن عليٍّ بن هتَيْمِل [الضّمدي][٥] السائر شعره مسيرَ الأمثال، إذ يقول[٦] :

إذا جئتَ الغضَى ولكَ السّلامُ ... فَطَارحْ بالتّحيَّةِ ريمَ رامَه
وقُلْ للمؤابليَّةِ هَلْ لِنُعْمي[٧] ... وما أتلَفْتِ مِنْ جَسَدي غَرامَه
حَلَلْتِ تهامةً وحَلَلْتُ نجداً ... فأينَ وأيْنَ نَجدٌ مِنْ تِهامَهْ

إلا أنَّ الكرمة قد منت[٨] عليه بالوصال، فلم يحسن منه أن ينشد[٩] قول هذا الأديب حيث[١٠] قال :

وخِفْتُ مِنَ الكَواشِحِ أن تَنُمَّ ... بِنا قَمَري[١١] خَيالِكِ بِالْمَامَه

والمقامة موجودة متداولة بأيدي الأصحاب بالجهة تحتوي على شواهد وأمثالٍ ناطقة بحقيقة ماوقع بين الجنسين من الازدواج في تلك الحال.

* * *

---

١. في س : « محكم » مصحفة.
٢. جاءت هذه المقامة ملحقاً للنسخة الباريسية س لهذا الكتاب تحتوي على عشرين صفحة.
٣. في س : « واجتماعها » مصحفة.
٤. مابين القوسين جاء نصه في س : « فماأحق ذلك البستان والرطب أن ينشد لسان حاله ».
٥. « الضمدي » : ليست في الأصل ص استدركناها من س. وابن هتيمل الضمدي : شاعر من المخلاف السليماني، واسمه : القاسم بن علي بن هتيمل. (انظر : الحبشي، مصادر : ٣٢٠، والعقيلي، القاسم بن علي بن هتيمل. دار الكتاب العربي، القاهرة : ١٩٦١)
٦. في س : « إذ قال ».
٧. الشطر الأول في س : وقل للوابلية هل لروحي ....
٨. في س : « لمت » مصحفة.
٩. في س : « أن نشد ».
١٠. في س : « حين ».
١١. في س : « قمرا » خطأ.

[ازدهار قرية الزهراء]

وكان يجتمع للشريف من الشريجين المذكورين من الأطعمة شيءٌ متكاثر يصعب حصره على الحاصر/ . وسكن معه جماعة من أولاده وإخوانه وغيرهم، [١٩٨] فعمرت تلك القرية وتزاحمت بها الأقدام وحسن منظرها حتى كأنها في فم الدهر ابتسام[١] .

* * *

[غلاء الأسعار في المخلاف السليماني]

وفيها : حصل بالمخلاف السليماني بعد نفوذ قحطان غلاء في الأسعار، وبلغ حمل الجمل ستة عشر قرشاً ؛ ثم منَّ الله — سبحانه — بالفرج، فقرَّ القرار وعمرت الديار.

* * *

[أمر الإمام للشريف بإرجاع القروش المأخوذة]

وفيها : سار أولئك الأغراب الذين أخذ الشريف دراهمهم من بندر جازان إلى الشام، واستمدوا كتباً من شريف مكة شكاية بالشريف على الإمام. فرفع الشريف مساعدٌ ذلك، و أبرق وأرعد ؛ وأقام حججاً لاتندفع وأقعد. فعظم شأن ذلك على الخليفة، وكتب إلى الشريف يناصحه عن فتح مثل هذه المشاق التي عواقبها مخيفة[٢] . وقد سبقت منه[٣] قبل ذلك نصيحة للشريف عن طلاب قحطان، وأنَّ الأمر لايفتقر[٤] إلى مثل هذا الشان ؛ وأمره بإرجاع تلك الدراهم . فامتثل الشريف ذلك الأمر اللازم، واعتذر بأنه لم يأخذها إلا على سبيل القرض للاستعانة وبنيَّةِ الرد، والله، سبحانه، بالسرائر هو العالم.

---

١ . في س : « في فم الأرض الابتسام » .

٢ . في س : « هذه المشاق المخيفة » سقط .

٣ . في س : « له » مصحفة .

٤ . في س : « يحتقد » مصحفة .

وعلى ذلك القرض : فقد كان علق بذهني بيتان لبعض الظرفاء يذكر فيهما سهولة طلب القرض وصعوبة الردّ بلا خفاء، / . إذ يقول : [٩٨ ب]

لاتقرضَنَّ الصَّديق شَيْئاً إنْ شئْتَ أنْ تَقْتَني وِدَادَهْ
فالقرض مثل النكاح حلوٌ والرَّدُّ أنكى من الولادَهْ

* * *

[حكم التقبيح والتحسين]

وأقول هذا على عادة الشعراء من تقبيح الحسن وتحسين القبيح بلا امتراء[١] ؛ [وإلا فالقبيح : ماقبَّحه الشرع أو العقل للترجيح، والحسن كذلك على المذهب الصحيح][٢] وفهم التقبيح للقرض في قول الشاعر من صيغة النهي في قوله : « لاتقرضنَّ » إذ النهي يقتضي أحكاماً منها : القبح كما ذُكر في[٣] مواضعه في الأصول . وكما لا يخفى على من عرف مواقع[٤] الدليل والمدلول . وإلاّ فقد ورد في فضائل القرض من الترغيب مالا يعدل عنه إلاّ محروم ليس له في طلب الآخرة نصيب .

وحيث عرض ذلك التحسين والتقبيح[٥]، ذكرتُ (ماوقع من الخلاف بين الأصوليين في هذه المسألة لتحقيق المذهب الصحيح)[٦] :

فذهب[٧] الأشاعرة إلى أنه لادخل للعقل في تحسين ولاتقبيح .

وذهب[٨] أئمتنا (إلى ثبوت ذلك شرعاً وعقلاً)[٩] ولذا قلتُ على المذهب الصحيح .

---

١ . « بلا امتراء » : ليست في س .

٢ . العبارة المحصورة بين المعقوفتين أخذناها من س، وذلك أن ماجاء في الأصل ص فيه خلل واضح، فصيغته : « وإلا فالحسن ماحسنه الشرع أو العقل للترجيح، والحسن كذلك على المذهب الصحيح » وهذا لايصح، ع .

٣ . بدلها في س : « من » .

٤ . في س : « بمواقع » .

٥ . في س : « التقبيح والتحسين » تقديم وتأخير .

٦ . مابين القوسين جاءت صيغته في س : « ماوقع في هذه المسألة من الخلاف الشهير بين الأصوليين » .

٧ . في س : « فذهبت » .

٨ . في س : « وذهبت » .

٩ . مابين القوسين جاءت صيغته في س : « إلا أن ذينك ثابتان بالعقل والشرع » .

ولا بأس بذكر هذه المسألة هنا لقصد إفادة من أحبَّ الاطلاع عليها، وإن كانت مدوّنةً في كتب الأصول، موضحةً بما لا يحتاج معه إلى تعريف أمرٍ مجهول، حسبما حققه الأئمة الفحول. غير أن القصدَ التبرّك بتلك الآثار، والاستنارة بذلك النهج[١] الواضح المنار/ الذي ليس عليه غبارٌ؛ فأقول[٢]، وبالله التوفيق: [١٩٩]

قَسَّم أئمتنا — رضوان الله عليهم[٣] — القبيح إلى عقلي وشرعي، وجعلوا لكل واحد منهما[٤] حداً يخصه.

أما العقلي[٥]، فقالوا: هو وقوع الفعل على وجه من الوجوه المقتضية لقبحه دائماً. وحصروا القبيحات العقلية في أربعة لا خامس لها، إلا ماكان مرجعه إليها، وهي: الظلم. والكذب، والجهل، والعبث. وقد نظمتُها في بيتين تقريباً لمُريد الفائدة بلا مَيْن، فقلت:

قَبَائِحُ العَقْلِ يا ذَا اللُّبِّ أربعةٌ خُذْها مُبيّنةً فيما ترَى تُصِبِ
ظُلْمٌ، وجَهْلُ امرئٍ يتلوهُما عَبَثٌ والرّابعُ الكذبُ الممقوتُ في العربِ

أما الظلم: فقال أئمتنا: وجه قبحه هو كونه ظلماً، أي إضرارٌ بالغير خالص، أي ليس فيه شائبة نفعٍ. وهذا هو معنى كونه واقعاً عليه.

ثم وقع الخلاف بين الشيخين أبي علي[٦] وأبي هاشم[٧] وبين غيرهما من أئمة

---

١. في س: «المنهج».

٢. في س: «فنقول».

٣. عبارة الترضية: ليست في س.

٤. في س: «لكل منهما» سقط.

٥. في س: «أما حد العقلي» زيادة.

٦. هو الجبائي المعتزلي، محمد بن عبد الوهاب بن سلام، الجبّائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، له مقالات وآراء انفرد بها.

ولد سنة: ٢٣٠هـ=٨٤٩م، وتوفي سنة: ٣٠٣هـ=٩٣٣م (وفيات الأعيان: ١/ ٤٨٠).

٧. أبو هاشم المعتزلي: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من كبار المعتزلة، عالم بالكلام، له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سميت «البهشمية» نسبة إلى كنيته «أبي هاشم» وله كتب في مذهب الاعتزال كما لأبيه من قبله.

ولد في بغداد سنة: ٢٤٧هـ=٨٦١م وتوفي بها في سنة: ٣٢١هـ=٩٣٣م (انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٢٩٢).

أصحابنا ؛ فاشترط الشيخان أن يصدر ذلك من العالم به القاصد له، وإلاّ لم يكن قبيحاً، قالا : «كما يصدر من المجانين[١] والبهائم». وقال غيرهما : «لايُشترط، بل هو قبيح مطلقاً، وإنّما العلم شرطٌ في[٢] استحقاق الذّمّ والعقاب فقط لا في القبح».

وأما الكذب : فقال أصحابنا : وجه قبحه أيضاً كونه كذبا[٣]، أي واقعاً على وجه هو كون متعلقه، لا على ماهو به.

وقالوا في العبث : وجه قبحه كونه عبثاً[٤]، أي عارياً عن غرض مثله.

وكذا في الجهل : أي وجه قبحه كونه جهلاً/ ، أي لكون متعلقه لا على ماهو [٩٩ ب] به[٥]، واستدلوا على أنّ ماذكروه هو وجه القبح فيها بأنّ من عرف ماذكروه من هذه الوجوه عرف قبح ذلك، ومن لا فلا.

فإن قيل[٦] : هذا من تعليل الشيء بنفسه، حيث قلتُم : «وجه قُبْح الظلْم هو كونُه ظلماً، وكذا إخوانُه». قلنا : ليس من باب تعليل الشيء بنفسه، بل هذا[٧] من باب تعليل حكم الشيء بوجهه ؛ وتعليل حكم الشيء بوجهه جائز صحيح لا إحالة فيه، لأنّ المعلَّل ـ بفتح اللام هنا ـ هو التحريم، والمعلَّلُ به هو الوجه الذي وقع عليه من كونه إضراراً بالغير في الظلم، وكونه على غير ماهو عليه في الكذب. فالمعلَّلُ والمعلَّلُ به متباينان.

هكذا أشار إليه في (تعليق الخلاصة). فهذا[٨] تحقيق القبح العقلي.

وأما القبح الشرعي : فقال أصحابنا في حدّه : هو كونه مفسدةً ؛ وحقيقة المفسدة : هو ما يكون المكلَّفُ معه أقربَ إلى فعل القبيح وترك الواجب ؛ فوجه قبح القبائح الشرعية هو[٩] كونها مفسدةً عند أبي هاشم، وهو[١٠] المختار. وعدُّوا من القبائح

---

١. في س : «المحاربين» تصحيف يفسد المعنى.
٢. «في» : ليست في س.
٣. في س : «كذب» غير منصوبة.
٤. «عبثاً» : ليست في س.
٥. «به» : ليست في س.
٦. في س : «فإن سئل».
٧. بدلها في س : «هو».
٨. في س : «وهو».
٩. في س : «هي» لاتصح.
١٠. في س : «وهو للمحب للمختار» زيادة.

الشرعية : الربا، وترك الصلاة، والكذب الذي فيه مصلحةٌ لقائله [١]. وسيأتي تحقيق [الكلام] [٢] عليه، إن شاء الله، بخصوصه.

فذهبت البصْرية من أصحابنا إلى أنَّ قبح الربا سمعيٌّ لاعقليّ، وقالوا : إنَّه لايعلم قبحه إلاَ من طريق/ الشرع. وذهب أبو القاسم البلخيّ إلى أنّ قبح الربا عقليّ، [١١٠٠] أي يُعلم بالعقل ؛ قال : لما يؤدّي إليه من اختلاطات الأنساب [٣]، وعدم التمييز بين القريب [٤] والجنيب، والرفيع والوضيع ؛ وفي ذلك مفاسد ومضارّ لاتخفى ؛ ولهذا تراه محرماً في [٥] شريعة كل نبي مع اختلاف الأديان والشرائع، وكثرة النسخ والتغيير.

وأجاب البَصْرِيَّةُ : بأنّ العقل يقتضي حسنه لحصول الغرض فيه، ويُعرّيه عن سائر وجوه القبح ؛ فقبحه إنما هو بالسمع، قالوا : وما [٦] ذكره أبو القاسم من الاختلاط المذكور ليس بضررٍ عقلي، إنما ذلك من جهة الشرع [إذ لا يمكن إدراك شيءٍ منها بدون الكاشف، أي الشرع] [٧]، فكان الحكم بالقبح شرعياً [٨]، كما لا يخفى على المنصف.

وأما ترك الصلاة : فالمراد عند أبي هاشم الترك الاصطلاحيّ، وهو الفعل المانع من وجودها عند تضييعها ؛ لأنّ كلَّ فعلٍ منع [٩] الواجب من وجوده [١٠] فهو قبيح، يعني شرعاً. وعند أبي عليٍّ : إنّ وجه قبح [١١] ترك الصلاة هو كونه ترك مصلحة، وهو — بناء على مذهبه — أنّ التُّروك أفعال، وأنّ أحدنا لايخلو من الفعل إما الشيء وإما ضده،

---

١. في س : « القائلة » سهو.
٢. سقطت سهواً من الأصل ص استدركناها من س.
٣. في س : « من اختلاط الإنسان » تصحيف يفسد المعنى.
٤. في س : « الغريب ». مصحفة.
٥. في س : « في الشرع في شريعة كل نبي » زيادة لامعنى لها.
٦. في س : « ماذكره » بلا واو العطف.
٧. مابين المعقوفتين ليس في الأصل ص استدركناه من س لإقامة تمام الكلام.
٨. في النسختين كلتيهما : « شرعي » بلا نصب، ولايصح.
٩. في س : « يمنع ».
١٠. في س : « لوجوده ».
١١. في س : « وجه القبح في ترك ».

وهو تركه. فهذان[١] من القبائح الشرعية.

وأما الكلام على الكذب الذي فيه مصلحة ومنفعة لقائله فقد قدّمنا أنّ ما لا نفع فيه لقائله من قسم القبيح العقلي[٢]. وأما هذا النوع، وهو الذي فيه منفعة/ فقد قيل: إنّه إنما[٣] قبّح بطريق الشرع فقط، لأن من الكذب ما يَحْسُن. [١٠٠ب]

لكن قال بعض المحققين: الأولى أن الكذب الذي فيه منفعة قبيح عقلاً حكم بقبحه العقل بالضرورة. وكيف لا، وقد علمت أنّ وجه القبح[٤] في الكذب هو كون متعلّقه لا على ما هو به؛ وهذا فيما شأنه من الكذب كذلك معلومٌ ضرورةً.

فإن قلتَ: فقد يُرَى لمعارضته[٥] المنفعة عدم البدار[٦] إلى الحكم بالقبح فيه، فكيف دعوى الضرورة؟ قلت: مثالك[٧] في يقين الاعتقاد وهو سريع الزوال لا ينافي الضرورة، ولذا تجد كلَّ ذي لبٍّ ينكر الكذب مع علمه المنفعة للكاذب من غير نظرٍ وتجشم استدلال على قبحه، ومن غير ملاحظة نهي الشارع يعلم ذلك، بل[٨] ويجده كلُّ ذي لُبٍّ ضرورة. انتهى باختصار.

[٩](والخلاف في التقبيح العقلي للأشاعرة، فذهبوا إلى أنّ النتائج كلها شرعية، وأن كل قبيح إنما قُبّح للنهي عنه كالظلم ونحوه[١٠]. فألزمهم أئمتنا أنّ الحَسَنَ إنّما يحسن للأمر، كما أنّ القبيح عندهم إنّما قُبّح للنهي؛ وعلى هذا فلا يختص من الله حسنٌ، لأنّ القبح – بضم القاف – يقابله الحُسن – بضم الحاء –، والنهيُ يقابلهُ الأمر. فإذاً لا يحسنُ من الله، سبحانه، حسنٌ لأنه غير مأمورٍ، جلَّ وعلا. فإن قالوا: ليس/ المقابل [١٠١أ]

---

١. في س: «فهذا» سهو.
٢. بعدها في س زيادة: «فهو» وهي مقحمة إقحاماً ولا معنى لها.
٣. في س: «بما» مصحفة لا معنى لها.
٤. في س: «القبيح» ولا يقوم بها المعنى.
٥. في س: «لمعارضة».
٦. في س: «الترادد» لا معنى لها ههنا.
٧. في س: «مثلك» مصحفة.
٨. في س: «بل يجده» بلا واو العطف.
٩. من هنا يبدأ سقط كبير في س وتنفرد به ص. وقد حصرنا هذا السقط بالقوسين.
١٠. في الأصل ص بعد هذه الكلمة كلمة رسمها «هم» ولا معنى لها، ويبدو أنها طفرة قلم.

للنهي إلا عدم النهي، لا الأمر، لزمهم أيضاً أن يحسن الحَسن لعدم النهي. وهم يقولون كذلك، ويلتزمون هذا. فألزمهم أصحابنا أنه يحسن منه، تعالى، الكذب وبعثه الكذابين لانتفاء النهي. قالوا : منع من ذلك الحكمة. قال أصحابنا : الحكمة إنّما تمنع من فعل القبيح فقط، وهما حسنان عندكم، فجوّزوا عليه أن يفعلهما، وفيه إبطالٌ للشرائع وإسقاطٌ للتكاليف، وهو محال. انتهى هذا الخلاف بين الفريقين في القبيح.

وأمّا الحَسَن : فكذا قسّمه أئمتنا إلى حسنٍ عقلي وإلى حسن شرعيّ.

فمعنى العقلي : فهو ماليس بقبيح ؛ وقالوا في حدّه : « إنّه وقوع الفعل على وجه ». ثم اختلفوا في ذلك الوجه، فذهب بعض الشيوخ إلى أنّ ذلك الوجه هو كونه نفعاً[١] أو دفع ضررٍ. وذهب آخرون إلى أنّ ذلك الوجه هو حصول غرض فيه وتعرية عن سائر وجوه القبح. واختار هذا أكثرُ المتأخّرين، فقيل : « الخلاف لفظي ».

قال العلامة البحري[٢]، رحمه الله : «فإن قيل : ذَبْحُ البهائم قبيحٌ عقلاً لأنّه إضرار بها خاص[٣]، وقد صار حسناً شرعاً، ولم يتعدَّ عن وجه قبحه الأول. فالجواب/ : أنه لما أذن الشارع بذبحها علمنا أنّه قد تدرك لها بعوضٍ في مقابلة هذا الضرر، فلم يكنْ خالياً عنْ جلب نفعٍ لها، فزال وجه القبح العقلي.

وأما الحسنُ الشرعي : فهو ماطريقه السمعُ.

وبهذا تعرفُ أيها الناظر المنصف، إن شاء الله تعالى، أنّ للعقل تحسيناً وتقبيحاً[٤] كالشرع، خلافاً للأشاعرة ؛ ولعلّ المذهب الأول هو الصَّحيح.

وقد طال المجال في هذا المقال، ولن يخلو عن فائدة مُزيحة لغياهب السؤال. وهذا ما تلخص لي في هذا البحث بقدر ملكتي واطّلاعي ؛ فإن يكن صواباً فَمِنَ الله وهو المنان المستعان، وإنْ أخطأت فمني ومن الشيطان. ومن وقف على خلل من

---

١. في الأصل ص : « نفع » خطأ نحوي.

٢. كذا مهملة في الأصل ولم نهتد إليه.

٣. كذا الأصل ص وصوابه : « خاصاً ».

٤. في الأصل ص : « تحسين وتقبيح » غير جار على الشرط الإعرابي، وهو سهو قومناه.

أهل العرفان أصلحه على الصَّواب، وأجره من الرحمن ؛ فقد قال سيد ولد عدنان : «المؤمنون كالبنيان أو كالبنان»)[١].

* * *

[الشريف محمد يطلب توجيه بلاد خولان الشامية إليه ويرسل هدايا إلى الإمام]

ولنعد إلى ذكر الشريف، وأنه بعد التزامه بردّ تلك الدراهم، وإرجاع الجواب بذلك إلى مقام الخلافة[٢] الذي أمره لازم، ترجح له إرسال ابن عمه الشريف[٣] ناصر بن الحسين إلى حضرة الإمام، ليشكو حاله وماناله من المشاق العظام ؛ ويطلب منه أن يوجه إليه بلاد خَوْلان الشامية[٤]، وهي بلد واسعة، وقد كانت تحت وطأة/ أهل صَعْدة [١١٠٢] من آل الإمام[٥] ؛ ولكنها ضعفت شوكتهم فلم يقدروا على حفظها وقبض حقوق أهلها[٦]. فرغب الشريف إلى[٧] تملكها، وأراد أن يكون ذلك بنظر الإمام، وأن يمده بخط العمالة، وعليه جمع الأقوام.

وأرسل صُحْبة الشريف ناصر خمس رؤوس من نجائب الخيل هدية. ورجح (فيما أتى فيها من المقابلة أن يكون دفعه لأهل المال)[٨] ؛ ولله من قال :

من يدْرِ دارَى ومَنْ لم يدْرِ سوف يَرَى عَمَّا قَليلٍ حَليفاً للنَّدامات

فلما وصل الشريف ناصر طلب من الإمام ما طلبه الشريف من توجيه بلاد

---

١. آخر ما سقط من النسخة البارسية س وانفردت به الصنعانية ص.

٢. في س : «الخليفة».

٣. في س : «الشريف الرئيس ناصر بن الحسين بن محمد الحسني» زيادة مفيدة.

٤. في س : «خولان الشام».
وبلاد خولان الشامية تقع غرب مدينة صعدة على الجبال.
(انظر : Chelhod, *L'Arabie du Sud* 3, p. 56)

٥. هم من سلالة السيد أحمد بن الإمام المنصور القاسم أول من ولي الحكم في ناحية صعدة.

٦. في س : «الحقوق من أهلها».

٧. بدلها في س : «في».

٨. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : «فيما أتى من الإمام في مقابلها أن يدفعه لأهل المال».

خولان ؛ فاعتذر عن ذلك ؛ ثم عنّفه على عدم النصيحة[١] (منه وممن بحضرة الشريف له في سلوك مثل هذه المسالك)[٢] . ولامه على مايحصل منه من التخبّطات[٣] التي ربما أدت إلى الوقوع[٤] في المهالك .

وبالجملة فإنه قبل تلك الهدية من الخيل ، وأعطاه في مقابلها ما خالص أولئك الغُرماء[٥] من النَّيْل ، إحالة على الأمير فرحان[٦] العامل ببندر اللُّحيَّة في ذلك الأوان .

* * *

[جدال حول مال التجار الأتراك]

ثم نزل بهم الشريف ناصر صحبته ، وتسلم لهم المال ؛ فوقع التناكر بينهم على[٧] شيء من الذهب النُّضار ادّعوا أنه من جملة المأخوذ ، والشريف ينكر ذلك/ وأنه لم [١٠٢ ب] يأخذ إلا تلك القروش فقط . والمفقود ، على زعم أهل المال ، خمسمائة مُشْخَص[٨] ، فلم يُعلم هل تمكنت من المطار[٩] ، أم حواها كيس بعض النُّظار . فلا ظفر عنها أحد بخبر ، لما كان لها فيه مُستَقر :

وغَدَتْ كالخَيالِ في ظُلَمِ الشَّـ ـــكِّ فما أبْصَرتْ سَنَاها العُيُونُ

وشاع في الناس أنها صارت مع بعض الخدام ؛ وإنما العلم للعلاّم .

* * *

١ . في س : « النصح » .
٢ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « منه بحضرته في سلوك مثل هذه المسالك » .
٣ . في س : « ما يحصل منه التخطيات » عبارة مضطربة .
٤ . في س : « الوقع » مصحفة .
٥ . في س : « الأغراب » تصحيف .
٦ . في س : « فرحان - رحمهما الله تعالى - » زيادة .
والأمير فرحان : أصله من العبيد (انظر Niebuhr, *Travels through Arabia*, p. 247-) .
٧ . في س : « في » .
٨ . المشخص : هو دينار الذهب البندقي . (انظر Dozy *Suppl.* 1, p. 735) .
٩ . في س : « المطلب » لاتصح .

السنة الثامنة والسبعون [1]

[ولاية ابن الشريف، الشريف علي على وادي ضمد]

فيها : وجه الشريف أعمال وادي ضَمَد إلى ابنه (الشريف علي فارس بن محمد)[2]، فسكن بقرية الشُّقَيْرى، وعمر بها حصناً، وأحيا أراضي واسعة على الوادي في طرف الجهو[3] ؛ منها ما شراه، ومنها ما أذن له ملاكه بإحيائه فأحياه :

وكَذَا الكَرِيمُ إذَا أقَامَ ببَلْدَةٍ سَالَ القِطَارُ[4] بِهَا وقَامَ المَاءُ

* * *

‹ ترجمة الوالد قاسم بن اسماعيل الحكَمي رحمه الله ›

وفيها، في شهر رجب الحرام : كانت وفاة الوالد الشيخ الفاضل، الزاهد العالم العامل[5]، شرف الدين قاسم بن إسماعيل[6] الحكَمي، رحمه الله تعالى[7]، (بالمدينة المنورة. كان، رحمه الله، من كبار الصالحين)[8]، حافظاً للقرآن العظيم، (بقراءة حَفْص عن عاصم)[9] ؛ يُؤديه بتأدية ....[10]، لايكاد من يسمع تلاوته يبرح

---

١ . الموافقة : ١ يوليو سنة : ١٧٦٤-١٩ يونيو سنة : ١٧٦٥م.

٢ . مابين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي :
« الشريف الماجد نور الإسلام علي بن محمد بن أحمد الحسني رحمه الله ».

٣ . الجهو : قرية على وادي ضمد شرقي ضمد. (انظر : العقيلي، المعجم : ٨٣).

٤ . القطار : المطر الغزير.

٥ . « العامل » : ليست في س.

٦ . في س : « إسماعيل بن محمد الحكمي » زيادة.

٧ . « تعالى » : ليست في س.

٨ . ماحصرناه بين قوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي :
«نزيل المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكانت وفاته بها، رحمه الله تعالى، كان المذكور من كبار الصالحين ».

٩ . مابين القوسين ليس في س.

١٠ . عبارة مقدارها نحو ثلاث كلمات غير واضحة وتكاد تكون معماة فلم نهتد إلى قراءتها، وهي ساقطة في س.

من[١] مكانه لحسن صوته[٢]. وكان لايفتر عن التلاوة آناء الليل وأطراف النهار، ([٣]متهجداً به في ظلم الأسحار؛ كثير الصيام والقيام، يصوم[٤] يوماً ويفطر يوماً؛ كما/ ورد في [١٠٣ أ] صيام داود، على نبيِّنا وعليه الصلاة[٥] والسلام. وكان منقطعاً عن الخلق إلى الحقّ، عاكفاً على عبادة الله تعالى.

رحل[٦] في عنفوان شبابه لطلب العلم الشريف إلى مدينة زَبِيد، وتفقَّه للشافعي[٧]؛ ثم عاد إلى وطنه[٨] بصَبْيا، (وعكف على التدريس والدَّرس[٩] مُدّة)؛ ثم رحل[١٠] إلى اليمن مرة أخرى، فأقام ببندر اللُّحيَّة، ولازم عليه جماعة[١١] هنالك وانتفعوا به[١٢]. ثم كرر الحج إلى بيت الله الحرام عدة أعوام، وربّما[١٣] جاور بمكة، (وصام شهر رمضان في بعض تلك المجاورات؛ فختم في الطواف نيِّفاً وثلاثين ختمة)[١٤]. وكان يتردّد بين مكة المشرفة وصبيا وبندر اللُّحيَّة. (فمكث على هذه الحالة حتى كان عام وفاته)[١٥]، فارتحل إلى مدينة المصطفى، وقد[١٦] جاور بها السنة الأولى؛

---

١. في س: «عن».

٢. «لحسن صوته» ليست في س.

٣. تتمة الترجمة التي حصرناها بقوسين مثبتة في هامش النسخة الباريسية س، وقد عسف تجليد النسخة ببضع كلمات منها، فغابت ولم يظهر منها إلا أطراف بعض هذه الكلمات. أما في النسخة الصنعانية ص فقد أثبتت الترجمة كلها في المتن ولم ينقص منها شيء.

٤. في س: «وكان يصوم»، زيادة.

٥. في س: «أفضل الصلاة»، زيادة.

٦. «رحل»: ليست في س.

٧. في س: «بمذهب الشافعي» زيادة.

٨. «وطنه»، ليست في س.

٩. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «فأقام بها مدة وكان ملازماً للدرس والتدريس».

١٠. في س: «ثم رحل منها ثانياً إلى اليمن».

١١. في س: «جماعة من الطلبة هنالك» زيادة.

١٢. «وانتفعوا به»: ليست في س.

١٣. في س: «وكان يجاور».

١٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «وصام في بعض تلك المدة شهر رمضان بها. وكان كثير الطواف، وختم في الشهر نيفاً وثلاثين ختمة كلها في الطواف».

١٥. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «ومكث والحالة هذه إلا عام وفاته». كذا.

١٦. في س: «وقد كان جاور بها في السنة الأولى»، زيادة.

فأقام بالمدينة[١] ملازماً لوظائف العبادات حتّى اختار اللهُ له[٢] في بُقعة سيِّد السّادات، وظفر بمجاورة سيِّد المرسلين، وسينال، إن شاء الله، شفاعته وجواره في علِّيِّين[٣]، نفعنا الله ببركاته آمين)[٤].

* * *

[السّعاية بالصّلح بين الشريف وبين بني يام]

وفيها : وقعت السعاية بين الشريف وبني يام بالصلح، (فلما بلغ بكيل شقّ عليهم ذلك)[٥] وهمُّوا بالنزول على الشريف ؛ فلم يتمكّنوا حتى أجمع رأي قاضيهم حسن بن أحمد المعروف بالعكّام وجماعة من كبرائهم[٦] على التوجه إلى جبل رازح لاستنصار/ صاحبه السيد الماجد الحسين بن محمد بن الحسين بن الإمام[٧] بهم على أهله وعلى خولان لما خرجوا عن طاعته. وانطوت نيةُ المذكورين على قصد الشريف بعد أخذ الجبل المذكور[٨].

[١٠٣ ب]

* * *

١. « بالمدينة » : ليست في س.

٢. في س : « له جواره في بقعت » كذا.

٣. بعدها زيادة في س : « رحمه الله تعالى ».

٤. آخر ما أثبت في هامش النسخة س.

٥. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « فبلغ بكيل ذلك فشق بهم ».

٦. في س : « رؤوسهم ».

٧. « ابن الإمام » ساقطة في س.

٨. بعد هذه الكلمة في آخر الخبر زيادة في س نصها : « إن تمكنوا من ذالك » كذا.

السنة التاسعة والسبعون[١]

[الصلح بين الشريف وبين بني يام والخروج على آل عبس]

فيها : تمّ الصلح بين الشريف وبني يام، فطلبهم للنزول قصد الاستنصار بهم على آل عبْس لما لم يتمّ له بنزول (قحطان قصدٌ ولا مرام)[٢] . فعزموا على إجابته، ولم يتهيأ[٣] لهم سلوك طريقهم المألوفة لحيلولة[٤] بكيلٍ دونها ؛ فأجمل رأي الشريف أن يفتح لهم طريقاً من وادي بيّش[٥] . فساوروا فيها، حتى وصلوا إليه، فتلقّاهم وخرج بهم على آل عبسٍ، فنفروا ولم يقابلوه[٦] بقتال[٧]، ولا ظفر بأحد منهم لتفرقهم في[٨] الجبال.

* * *

‹نزول القاضي العكام مع بكيل على جبل رازح›

وفيها : وقعت الحركة من القاضي حسن العكّام ورؤساء[٩] بكيل بجملة مستكثرةٍ من الأقوام. فقصدوا بلاد خولان مطابقةً لغرض ابن[١٠] الإمام ؛ فلم يقفوا منهم على قصد ولا مرام[١١] لصعوبة الجبل وكثرة من فيه من الأنام الذابّين عن أنفسهم

---

١. الموافقة : ٢٠ يونيو سنة : ١٧٦٥ –٨ يونيو سنة : ١٧٦٦م

٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « قحصان فيهم مرام ».

٣. رسمت في الأصل ص : « يتهيى » وكثيراً مايرد من مثلها في النسختين.

٤. في س : « استحالوا لهم بكيل دونها ».

٥. في س : « وادي بشر » مصحفة.

٦. في س : « يقاتلوه » مصحفة.

٧. « بقتال » : ليست في س.

٨. في س : « في شعف الجبال » زيادة.

٩. في س : « ونقباء ».

١٠. هو السيد الحسين بن محمد بن حسين. (انظر : البدر : ٢/ ٨٥).

١١. في س : « ولا حصل لهم مرام » زيادة.

مذلَّةَ الضَّيم والاهتضام. فانعطفوا عنهم إلى جبل رازح، ودخلوه وقتلوا جماعة من أهله وانتهبوا جميع مافيه.

[١١٠٤] ثم كاتبوا الشريف منه يتوعَّدونه بالنزول، فلم يحتفل[١] بكتبهم/ وإيعادهم، ولازلزله[٢] كثرة إبراقهم وإرعادهم؛ بل أجاب عليهم بنوعٍ مما كتبوا[٣] به إليه؛ وأوغل في بلاد آل عبس، وقد كان خلَّف بأبي عريش ابنه الشريف أحمد بن محمد؛ فكثرت الواهمات (من طريق أهل الجبل من بكيل مع بُعْدِ الشريف)[٤]، فلم يكن همُّه إلا مصالحة البدو وأخذ المتيسر[٥] منهم، وكرَّ راجعاً عنهم، عملاً بقول من قال، وصدق في المقال[٦]:

إنَّ الطَّبِيبَ إذا ألَمَّ بِجِسْمِهِ   دَاءاَن مُخْتَلِفَان دَاوى الأخْطَرا

وبعد أيام قلائل لم يلغه[٧] إلا ارتفاع بكيل من الجبل[٨] وعودهم إلى بلادهم، وقد غرسوا عدواة ابن الإمام في قلوب أهل الجبل، فتأبَّطوا له الشر؛ وانتهى به الحال إلى الخروج عنهم إلى مدينة صَعْدَة فاراً[٩] منهم بسبب ماوقع بهم[١٠] من بكيل. وقد كان يظنُّ بهم الظن الجميل لما قد وعدوه من[١١] أنّهم سيصلحون له حال[١٢] ذلك القبيل، ويجرونه على العوائد التي قد استمرت لسلفه من قبض[١٣] الحقوق وكثرة التحصيل؛

---

١. في س: «فلم يحفل» وَهي أوجه.
٢. في س: «ولازلزلت».
٣. في س: «كتبوه إليه».
٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «من طريق بكيل مع الشريف» غير مستقيمة.
٥. في س: «المتعة» ولامعنى لها ههنا.
٦. «صدق في المقال»: ساقطة في س.
٧. في س: «لم يبلغ» مصحفة.
٨. في س: «من جبل رازح» زيادة.
٩. في س: «هاربا».
١٠. «بهم»: ليست في س.
١١. «من»: ليست في س.
١٢. «حال»: ساقطة في س.
١٣. في س: «استيفاء».

حتى انكشف الحال على خلاف ذلك ؛ فأنشد لسانُ حاله مخاطباً لهم، وموبّخاً على ما هنالك بقول[١] بعض العرب :

أيا شَجَرات بالمحَصَّب من مِنىً على سَفْحِ ذَاتِ الشَّطِّ مُشْتبكاتِ
إذا لم يكن فيكنَّ ظلٌّ[٢] ولا جنى فأبْعَدَكُنَّ اللهُ مِنْ شَجَراتِ
/ غرستُكِ نخلاً واجتنيتُكِ حَنْظلاً فلا ذَنْبَ لي إنْ حَنْظَلَتْ نَخَلاتي [١٠٤ ب]

* * *

[ترجمة السيد الماجد الحسين بن محمد المعروف بالشرفي]

وهذا السيد هو من أعيان السادة، بل هو زهرة المجد وكوكب السعادة، صاحب طهارةٍ وعبادة، وأخلاق حسنة وسمات مستحسنة. فهو في عشيرته يوسف إخوته وسيد جلدته، ورئيس بلدته[٣]. فلا غروَ إنْ عانده الدهر الخؤون بما هو من[٤] شأنه في حق عظماء الشؤون ؛ ممن يشار إليه بالبنان، وترمقه العيون. ولله بعض الأفاضل إذ يقول :

عَتَبْتُ على الدُّنيا بتقديم جَاهِلٍ وتأخيرِ ذي فَضْلٍ فقالت : خُذِ العُذْرا
ذَوُو[٥] الجَهْلِ أبنائي فصِرتُ أُحِبُّهم وذُو الفضلِ من أبناءِ ضَرَّتي الأخْرَى

[وقال آخر :

وقَائلةٍ : أراكَ بغَيْرِ مالٍ وأنت مُهذَّبٌ عَلَمٌ هُمامُ
فقلتُ : لأنَّ مالاً عكسُ لامٍ وما دخلَتْ على الأعْلامِ لامُ][٦]

١. في س : «قول».
٢. في س : «ظلاً» خطأ.
٣. «ورئيس بلدته» : ليست في س.
٤. بدلها في س : «في».
٥. في س : «ذوي» خطأ.
٦. البيتان زيادة في س.

وما أحسنَ قولَ ابن الرومي[1] في عبد الله بن المعتز[2] حيث قال :

لِلّـه درُّكَ مِـنْ لـيـثٍ بمضْـيَـعَـةٍ ناهيكَ في العلم والعَلْياء والحَسَبِ
مافيـه لَوْلا ولا لَـيْـتٌ فـتُـنْـقِصَـهُ وإنّـمـا أدْرَكَـتْـهُ حـرفَـةُ الأدَبِ

وحُرفة[3] : بضم الحاء المهملة من الحراف، وهو الفقر. والحِرفةُ : (بكسر الحاء، من الاحتراف)[4] وهو الصناعة. هذا مارأيته في بعض التعاليق بخطِّ بعض الأفاضل[5] على قول بعض الأدباء :

إنْ كُنْـتَ يَـوْمـاً كـاتـبـاً رُقْـعَـةً تَبْغي بـهـا نُجحَ وصُولِ الطَّلَبْ
إيّـاكَ أنْ تُـعْـرِبَ الـفَـاظَـهـا فـتـكْـتَـسِـي[6] حُرْفَـةَ أهْلِ الأدَبْ

[١١٠٥] قال : حتى إن بعض الكتّاب ربما تعمد اللحن أو التحريف في بعض كتبه/ مراعاة[7] لهذا المقصد، وخشيةً من الحرمان. وأقول : الله المستعان، فمقاليد الأمور بكف[8] الرحمن ؛ وما أعدل ما[9] قال بعض الأعيان[10] :

لـهُ الأمْـرُ لاحَـلٌّ لـديْـكَ ولا رَبْـطُ ولا قَـلَـمٌ يُـعْـطـيـكَ حـظّـاً ولا خَـطُّ
ومـا الـعِـلْـمُ والآدابُ إلا مَـنَـائـحٌ كأرْضٍ بها خِصْبٌ وأرْضٍ بها قَحْطُ

---

١. هو علي بن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير من طبقة البحتري والمتنبي، ولد ببغداد سنة : ٢٢١هـ =٨٣٦م ونشأ بها، ومات بها مسموماً سنة : ٢٨٣هـ = ٨٩٦م (وفيات الأعيان : ١/ ٣٥٠).

٢. ابن المعتز : هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل العباسي، الشاعر المبدع، نصب خليفة ليوم واحد ولد في بغداد سنة : ٢٤٧هـ = ٨٧٢م وقتل فيها سنة : ٢٩٦هـ = ٩٠٩م. (وفيات الأعيان : ١/ ٢٥٨).

٣. في س : « وحروفة » مصحفة فسد بها المعنى.

٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « بكسر الحاء المهملة الإحراف » تصحيف.

٥. في س : « الفضل ».

٦. في س : « فتكسي » مصحفة لايقوم بها معنى ولا وزن.

٧. في س : « مرعاة » تصحيف.

٨. في س : « بيد ».

٩. في س : « من » خطأ.

١٠. « بعض الأعيان » : ساقطة في س.

وأرزاقُنا مَقْسومةٌ فكأنَّنا طُيُورٌ لها في كُلِّ ناحيَةٍ لَقْطُ
فَطيرٌ يجُولُ الأرضَ يطلُبُ رزقَه وآخرُ يلْقى الطَّيِّباتِ ولا يَخْطو[1]

حتى قال :

فمُوسَى كَليمُ اللهِ في الشَّامِ داعياً وفِرْعَونُ في مصرٍ له الشُّبُّلُ والحَظُّ
ولاخيْرَ في الدُّنيا ولا في نَعيمِها إذا انْخَفَض[2] البَازَاتُ وارْتَفَعَ البطُّ

ولمَّا أنشد علويٌّ البصرة قصيدته[3] التي يحث فيها على السفر لطلب المعاش، ومستهلها :

رأيتُ المُقَامَ على الاقتِصَادِ قُنُوعاً به ذِلَّةٌ للْعِبَادِ
وعجزٌ بِذي أدبٍ أن تَضِيقَ مَعِيشَتُهُ باتِّسَاعِ البِلادِ

حتى قال[4] :

فَلَوْ يَسْتَوِي بالقُعُودِ النُّهوضُ لَمَا ذكَرَ اللهُ فَضْلَ الجِهادِ
إذا صَارمٌ قرَّ في غِمْدِه حَوَى غَيْرُه الفَضْلَ يومَ الجِلادِ
(إذا ما الخُيولُ غَفَتْ في الصُّيولِ حَوَى غيْرُها السَّبْقَ يوم الطِّرادِ)[5]

[6](وأخذ في تعداد مثل هذا، فرُوِي أنه فقد من أهل البصرة أهل خمسمائة محْبِرة تفرقوا في البلاد لطلب الرزق. والقصيدة مشهورةٌ متناقلة في كتب التواريخ، ممَّن

---

١. في س : «يخط» خطأ.
٢. في س : «تخفض» تصحيف.
٣. في س : «تلك القصيدة».
٤. «حتى قال» : ليست في س.
٥. البيت الأخير من هذه المقطعة ساقط في س.
٦. ماحصرناه بين قوسين جاء في س كثير الاضطراب والخلل بحيث غُمَّ فيه المعنى المراد، ونص ماجاء في س :

«وأخذ في تعديد هذا، والقصيدة مشهورة في كتب التاريخ ممن أورثها السيد العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل في كتابه (تحفة الزمن) فروى أنه فقد بسببها من أهل البصرة خمسمائة نفر، حتى ناقضها بقصيدة أخرى قال فيها».

أوردها / السيد العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهْدَل [١] في تاريخه (تحفة الزمن).
حتى إنّ علويّاً البصرة ناقضها بقصيدة أخرى قال فيها) :

قدْ سَلكْتُ البلادَ عَرْضاً وطُولا وَسلكتُ [٢] النجود ثم السهولا
ليْسَ في الرزْقِ حيلةٌ لذوِي اللُّـ ـبِّ ولو كانَ فَيْلَسُوفاً [٣] حَيُولا
إنّما الرزْقُ جاءَ وَعْداً مِن اللّـهِ لَمْ يَجِدْ ذُو النُّهَى إليْهِ سَبيلا

أقول [٤] : ويكفي في ذلك قول أصدق القائلين [٥] : ﴿ قل إنّ ربِّي يبسُطُ الرِّزقَ لمنْ يشاءُ من عِبادِه ويقدِرُ لهُ وما أنفقْتُمْ من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ وهو خيْرُ الرَّازِقِين ﴾ [٦]

* * *

[انفصال يام إلى نجران]

وفيها : بعد عود الشريف إلى أبي عريش زلّج يام ؛ فبقوا مترددين بين العود في الطريق التي سلكوها [٧] في النزول، أو [٨] السلوك (في طريق فجّ حَرَض المعتادة ؛ وترددهم خشيةً من بكيل أن تعترضهم) [٩]. ثم عزموا على سلوك الفجّ ؛ فساروا مخفّين [١٠] السير، ويودُّون لشدة الفزع أن يكون لهم أجنحة كالطير :

---

١. هو الحسين بن عبد الرحمن محمد الأهدل. من علماء علم الكلام، عاش في القرن الثامن إلى أوائل التاسع الهجري، وكتابه هو : (تحفة الزمن بذكر سادات اليمن) مشهور. (انظر : الحبشي، مصادر : ١٢٠ و٤٢٢).

٢. في س : « وقطعت ».

٣. في س : « فيلسوف » خطأ.

٤. « أقول » : ليست في س.

٥. في س زيادة : « مخاطباً نبيه الأمين ».

٦. الآية : ٣٩ من سورة سبأ.

٧. في س : « جاؤوها ».

٨. في س : « والسلوك ».

٩. مابين القوسين جاءت صيغته مضطربة في س على النحو التالي : « والسلوك في طريقهم المعتادة من فج حرض مع الخشية من اعتراض بكيل لهم ». ع.

١٠. في س : « يخفون ».

إذا سَارَ سَهْباً عادَ ظَهْراً عَدُوَّهُ وصَارَ صَدِيقاً بكرةً ذلك السَّهْبُ

فلم يشعروا بكيل إلا بعد قطعهم للمسافة المحاذية لبلدهم[١] ؛ ففاتوهم هرباً ولم يظفروا بهم.

* * *

‹ ترجمة السيد العلامة محمد بن أحمد الحازمي ›

وفيها، لعله في أواخر ذي الحجة الحرام[٢] : كانت وفاة مولانا وشيخنا السيد / العلامة، الحبر المصقع الفهّامة، المتضلّع من علوم[٣] العربية، والمطّلع[٤] على المقاصد [١٠٦] الأدبية ؛ عز[٥] الملّة والدين (البقية في الآل المطهّرين)[٦]، محمد بن أحمد الحازمي، رحم الله مثواه وجعل جنة الخلد مأواه. وكانت وفاته بمدينة زبيد المحمية، لتوليه الحكم الشرعي بها لفصل شجار البرية[٧].

ولد المذكور بقرية صلْهَبَة موطن آبائه وأجداده، وتعلم[٨] القرآن العظيم بها ؛ ثم ارتحل لطلب العلم الشريف إلى مدينة صعدة فهاجر مدةً بها[٩]، ثم ارتحل عنها إلى مدينة صنعاء، فلقي بها أجلاّء المشايخ، فلازمهم حتى (أضحى له في العلم قدم راسخ)[١٠] ؛ وتمكن من فنّي[١١] العربية والأصول. ثم عاد إلى وطنه، وأخذ على حيٍّ والدي[١٢] العلامة

---

١. في س : « لبلادهم ».
٢. أوائل يونيو سنة : ١٧٦٦م.
٣. في س : « العلوم ».
٤. في س : « المتطلع » مصحفة.
٥. في س : « عين » تصحيف.
٦. مابين القوسين جاء في س : « وبقية الآل المطهرين ».
٧. في س : « الرعية ».
٨. في س : « وحفظ ».
٩. في س : « فهاجر بها مدة ».
١٠. ما بين القوسين جاء في س : « أضحى له قدم في العلم راسخ ».
١١. « فني » : ليست في س.
١٢. في س : « الوالد ».

الحسن بن علي البهكلي، رحمه الله[١]، في العربية، وكان الخِرِّيت الماهر بها في زمنه ووطنه. واشتهر السيد، رحمه الله، في الجهة بمعرفة النحو، فكان[٢] مقدماً على غيره.

وتزوج بمدينة صَبْيا وأولد. وكان يتولى فصل الشجار بها بحذق ونباهة؛ فأقام على ذلك أعواماً. ثم رأى عدم الملاءمة بالوطن، واحتقار العلماء به، كما هو شأن الأوطان؛ وكذا[٣] لـمَّح إليه بعض الأعيان، (وأظنه العلامة ابن دقيق العيد، رحمه المنّان)[٤]، إذ يقول[٥]:

فالمَنْدلُ الرَّطْبُ في أوطانه خَشَبُ

[١٠٦ب] ومن ذلك ما أورده بعض العلماء[٦]/ (الظرفاء، وقد شاهد من أهل وطنه الجفاء)[٧]. وأظنه العلامة ابن دقيق[٨] العيد:

عَذيري مِنْ رِفْقةٍ بالعِراقِ ... قُلوبُهُمْ بالجَفا قُلَّبُ
يَرَوْنَ العجيبَ كلامَ الغريبِ ... وأمَّا القريبُ فلا يُعْجِبُ
وعُذْرُهُمُ عند تَوْبيخِهِمْ ... مُغَنِّيَةُ الحَيِّ لا تُطْرِبُ

* * *

١. «رحمه الله»: ليست في س.
٢. في س: «وكان».
٣. في س: «ولذا».
٤. ما بين القوسين ساقط في س.
٥. بعدها في س عبارة: «والله المستعان».
وابن دقيق العيد: هو محمد بن علي بن مطيع، تقي الدين، القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، المصري، من كبار العلماء في الأصول، ومن القضاة المشهورين، له مصنفات كثيرة، وله شعر، ولد سنة: ٦٢٥هـ = ١٢٢٨م وتوفي سنة: ٧٠٢هـ = ١٣٠٢م. (الدرر الكامنة: ٤/ ٩١).
٦. «العلماء»: ليست في س.
٧. ما بين القوسين جاء في س: «الظرفاء حيث قال وقد شاهد من أهل وطنه الجفاء».
٨. هكذا وقعت مكررة في الأصل ص، ولعله وهم أو طفرة قلم أو نظر، وليست في س.

[ذكر النَّضْرِ بن شُمَيْل]

ومن هذا القبيل : قصة[١] النَّضْر بن شُمَيْل إمام اللغة[٢]، وقد خرج من وطنه لضيق العيش، فودعه أهل خمسمائة محبِّرة، وكان يقول : «ياأهل البصرة، والله لو وجدت فيكم من يقوم بأود القُوت ماارتحلت عنكم . فسافر[٣] حتى قدم على المأمون[٤] بمدينة السلام بغداد[٥] . فأملاه المأمون حديثاً أسنده عن هُشَيم عن فلان (عن فلان عن النبي، صلى الله عليه وسلم)[٦] : [«المرأة الصالحة للرجل المؤمن][٧] فيها[٨] سداد من عَوَزَ[٩]» ففتح المأمون السين من[١٠] (سداد) . فقال له النَّضْر : «فيها سداد بكسر السين» . وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : «أتُلحِّنني يا نضر ؟»، فقال[١١] : «إنما لحن هُشَيم»، وكان لحَّانة[١٢]، يشير إلى راوي الحديث . فقال له المأمون : «أخْرِج[١٣] ماقلت»، يعني : إيت بدليل يشهد لما قلت . فقال له : «هذا العَرْجي[١٤] يقول :

---

١ . في س : «قضية» مصحفة .

٢ . هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة . ولد بمرو في خراسان سنة : ١٢٢هـ = ٧٤٠م وتوفي بمرو أيضاً سنة : ٢٠٣هـ = ٨١٩م (انظر : وفيات الأعيان : ٢/ ١٦١).

٣ . في س : «فسافر عنهم» زيادة .

٤ . المأمون العباسي، عبد الله بن هارون الرشيد، سابع الخلفاء من بني العباس، ولد سنة : ١٧٠هـ = ٧٨٦م . وولي الخلافة سنة : ١٩٨هـ وتوفي سنة : ٢١٨هـ = ٨٣٣م . (انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٦/ ١٤٤-١٤٨).

٥ . «بغداد» : ليست في س .

٦ . ما بين القوسين جاء في س : «عن فلان حتى قال عن النبي عليه الصلاة والسلام» . وكان ناسخ الأصل ص كتب الصلاة على النبي مختزلة على هذا النحو : «صلعم» .

٧ . ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ص وترك الناسخ مكانه بياضاً واستدركناه من س .

٨ . «فيها» : ليست في س .

٩ . في س : «عون» مصحفة تفسد المعنى .

١٠ . في س : «من لفظ سداد» زيادة .

١١ . في س : «فقال له : إنما» زيادة .

١٢ . «وكان لحانة» جاءت في س في نهاية القول بعد «راوي الحديث»، وهي أوْجَه .

١٣ . في س : «بما» سهو .

١٤ . العرجي : هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، شاعر غزل مطبوع شغوف باللهو والصيد، فارس ظريف سخي، توفي سجيناً نحو سنة : ١٢٠هـ = ٧٣٨م . (الأغاني : ١/ ٢٨٣).

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

والسِّداد : بكسر السين ، لما يسد به الشيء الخلل [١] فيه . وأما بفتحها فهو لسَداد الرأي يقال : له رأي سديد» . فاعترف له المأمون بذلك ، وأجازه [٢] .

[١١٠٧] / (والعرجي : هو عبد الله بن عُمر بن عثمان بن عفان الأموي الشاعر ، منسوب إلى : العرْج ، قرية قريبة من مدينة المُصطفى) [٣] .

وعلى ذكر (السِّداد) ذكرتُ بيتين لبعض الأدباء ضمّن فيهما [٤] النصف الآخر من بيت العَرْجي ، فقال :

لهُ شَفَةٌ أضاعُوا اللَّثْم فيها بلَثْمٍ يومَ سَدّت ثغرَ بَدْرِ
فما أشهَى لقلبي ما أضاعُوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثغري

فلما وقف عليهما الشيخ الأديب عليٌّ السنجاري المكي ، قال في تعليقة له عليهما [٥] : إنه أشكل عليه (معنى البيتين) [٦] من جهات :

الأولى : هل قوله : (أضاعوا) من الضياع أو [٧] من تضوّع الطيب ؟

الثانية [٨] : هل قوله : (بلثّم) هو بضم اللام جمع لِثَام ، أم هو بفتحها مصدر : لثَمَ ؟

الثالثة [٩] : إذا كان (أضاعوا) من تضوّع الطيب ، كما هو [١٠] السابق إلى فهمه كما قال ، فهو لا يناسب [١١] يوم الكريهة .

---

١ . في س : «الخلل» .
٢ . «وأجازه» ساقطة في س .
٣ . ما بين القوسين : ليس في س .
٤ . في س : «فيها» خطأ .
٥ . في س : «عليها» خطأ .
٦ . بدل ما بين القوسين جاء في س : «السر» ولا معنى لها ههنا .
٧ . في س : «أم» .
٨ . في س : «والثانية» .
٩ . جاءت هذه العبارة في س : «الثالثة : أنه إذا كان معنى أضاعوا» .
١٠ . «هو» : ليست في س .
١١ . بدلها في س : «ثبات» . ولا معنى لها .

ثم أورد عن أبي العباس المَبرِّد [١] أنه قال : « كانوا، يعني العرب، يكرهون الطِّيب عند الحرب » قال : « لأنه يدعو إلى الرفاهية والدعة، والحرب تستدعي غير ذلك » انتهى كلامه بالمعنى [٢].

وأقول : لما وقفتُ على كلامه [٣] ظهر لي، والله سبحانه أعلم، أن (أضاعوا) من الضياع لا من تضوع الطيب [٤]. وأن (اللُّثم) : جمع لثام. والمعنى : أن هذا المحبوب الممدوح له شفةٌ أضاع أهله، أي أهملوا السِّداد اللائم لها بوضعهم اللُّثم عليها، التي هي جمع لثام، يوم سدت هذه اللُّثم ثغر ذلك البدر، فلم يمكن من الوصول إلى لثمه (لحيلولتها دون شفته) [٥].

[١٠٧ ب] / ثم قال في البيت الثاني : « فما أشهى لقلبي ماأضاعوا » [٦] ظهر لي أن [٧] (ما) الأولى [٨] هي التعجبية، وهي [٩] مبتدأ. و(ما) [١٠] الثانية [١١]، هي الموصولة، خبر المبتدأ [١٢]. والمعنى : فما أشهى لقلبي الذي أضاعوه، وهو تلك الشفة. والعائد إلى الموصول [١٣] محذوف، وهو [١٤] جائز لا يخفى.

---

١. المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار، وله في ذلك مصنفات مشهورة، ولد سنة : ٢١٠هـ = ٨٢٦م وتوفي ببغداد سنة : ٢٨٦هـ = ٨٩٩م. (وفيات الأعيان : ١/ ٤٨٤).

٢. في س : « لمعنى » مصحفة.

٣. بدلها في س : « هذا ».

٤. « لا من تضوع الطيب » : ساقطة في س.

٥. ما بين القوسين : ساقط في س.

٦. « ماأضاعوا » : ساقطة في س.

٧. العبارة في س : « وظهر لي فيه أن ».

٨. « الأولى » : ساقطة في س.

٩. « وهي » : ليست في س.

١٠. في س : « وأما » خطأ.

١١. العبارة في س : « الثانية في قوله : ماأضاعوا » زيادة.

١٢. « المبتدأ » : ليست في س.

١٣. « إلى الموصول » : ساقطة في س.

١٤. هذه العبارة جاءت في س : « وذلك جائز كما لا يخفى ».

ثم قال : « ليوم كريهة » (يعني أيَّ كريهة [١]) كانت، فكان يتسلى بذلك الذي أضاعوه عند [٢] الأمر المكروه لو تركوه عن الستر باللُّثم [٣]. ثم عطف عليه قوله : « وسداد ثغري » فحصل له التورية [٤] في ذكر الثغر بثغر نفسه، يعني أنه يُستَدّ بتلك الشفة عند التقبيل [٥] ثغر نفسه.

وورّى بالثغر واحد الثغور وهو الذي عناه الناظم [٦] للأصل. وغير بعيد التسلّي بالمحبوب عند وقوع الأمر المكروه [٧] ؛ قال عنترة [٨] :

ولقد ذَكرتُكِ والرّماحُ كأنّها ... أشْطَانُ بِئْرٍ في لَبانِ [٩] الأدْهَمِ
ولقَدْ ذكرتُكِ والأسِنّةُ شُرَّعٌ ... نَحْوِي وبيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

حتى قال [١٠] :

وأُحِبُّ تَقْبِيلَ السُّيوفِ لأنها ... لَمَعَتْ كَبارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

---

١. ما بين القوسين : ليس في س.

٢. في س : « عن » وذلك وجه.

٣. في س : « بتلك اللثم ».

٤. جاءت كلمة التورية في س بعد عبارة : « في ذكر الثغر ».

٥. بدلها في س : « النفس ».

٦. في س : « ناظم الأصل ».

٧. في س : « بمكروه » مصحفة.

٨. هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وشاعر من أصحاب المعلقات، في الطبقة الأولى منهم. قتل نحو سنة : ٢٢ قبل الهجرة = ٦٠٠م. (انظر : الأغاني : ٨/ ٢٣٧).

٩. في س : « لباب » مصحفة.

والأبيات من معلقة عنترة، وجاءت ههنا مختلة الترتيب، فهي في المعلقة جاءت على النحو التالي :

البيت الأول روايته :

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

والبيتان الآخران :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(انظر : الزوزني، شرح المعلقات السبع : ٢١٢)

١٠. « حتى قال » : ليست في س.

وقال آخر :

ذَكرتُكِ والخطّيُّ يَخطرُ بَيْنَنا وقَدْ نَهِلَتْ مِنّا المثقَّفَةُ السُّمْرُ

(والخَطّيُّ) : بفتح الخاء نسبة إلى الخَطّ : بلد تعمل فيه الرماح. و(يخطِرُ) : بكسر الطاء، أي يضطرب. و(نَهِلَتْ) : بكسر الهاء، أي شربت)[1].

وقال المتنبي[2] :

والطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهن كالقُبَلِ

(/ وأذكرني نصف بيت المتنبي ما ذكره الشيخ العلامة عمارة بن أبي الحسن علي ابن زيدان، رحمه الله، في تاريخه)[3] عند ذكر بني زُرَيع[4] ملوك عدن ولحج[5]، أنه[6] وقع بينهم حرب[7] بوادي لحج، وكانوا بني عمٍّ. فقال بعضهم لبعض محاربيه : إنه لا بد من تقبيل الجُشَميات اللائي في المضارب غداً. يشير إلى النساء عند حصول الاستيلاء عليهن مع الغلبة ؛ (والجُشَمِيّات : نسبة إلى جُشَم جد قبيلة مشهورة من بني يام)[8]. فلما أصبح الصباح تجالدوا بالصِّفاح، فضُرِب فم ذلك القائل بسيف[9] فانقطعت[10] [١١٠٨]

---

١. ما بين القوسين : ساقط في س.

٢. المتنبي : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي، أبو الطيب الكندي المتنبي، الشاعر، أحد مفاخر الأدب العربي ويعد أشعر الشعراء، ولد بالكوفة سنة : ٣٠٣هـ = ٩١٥م ونشأ بالشام، وقتل في العراق سنة : ٣٥٤هـ = ٩٦٥م. (انظر : وفيات الأعيان : ١/ ٣٦)

٣. ما حصرناه بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي :

«وأذكرني هذ النصف للمتنبي ماأورده الشيخ الأديب عمارة بن الحسن في تاريخه».

وعمارة : هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي، وتاريخه : هو (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) ولد سنة : ٥١٥هـ = ١١٢١م وتوفي سنة : ٥٦٩هـ = ١١٧٤م. (انظر : أيمن فؤاد سيد، مصادر : ١٠٨=١١٠، فهرس المكتبة الغربية : ٧٠٠)

٤. في س : «زيلع» مصحفة.

٥. «لحج» : ليست في س.

٦. في س : «وأنه» زيادة واو.

٧. في س : «حروب».

٨. ما بين القوسين : ساقط في س.

٩. «بسيف» : ليست في س.

١٠. في س : «وانقطعت».

شفته. فناداه ذلك الذي قد (كان توعده هذا المضروب في اليوم الأول بأن قال) [١] : «كيف رأيت تقبيل الجشميات ؟» يعني حين [٢] حصلت له هذه الضربة التي قطعت شفته متهكماً به؛ فقال في تلك الحال :

والطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهن كالقُبَلِ

(أقول : لله دره، كيف وقع له هذا الاستحضار) [٣] عند ملاقاة الأخطار.

وهذا كما قاله شارح (لامية العجم) في حق ناظمها الطُّغرائي [٤] (لما أورد له تلك الأبيات في أول الشرح عند أن جعلوه - أعني الطغرائي - غرضاً للسهام، فقال الشارح) [٥] : «ماهذا إلا ثبات جنان بل ثبوت جنون» في قصة [٦] مذكورة في خطبة الشرح المذكور لخليل الصفدي، رحمه الله تعالى.

ولقد وقع نظير هذه القصة [٧] للسيد الماجد الأمير الكبير محمد بن الحسين بن عبد القادر، ابن الناصر صاحب كوكبان، وقد خرج من/ مدينة [٨] صنعاء مخالفاً [٩] على الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن المهدي، ومعه بعض أعيان بيت الإمام [١٠]. وكان خروجهم على خفية لما كانوا بصدد الخلاف بلا مرية. فلما أحسَّ بهم

[١٠٨ ب]

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : «كان توعده في اليوم الأول هذا المضروب وقال له».

٢. بدلها في س : «لما».

٣. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : «قول دره في الاستحضار» كلام مضطرب.

٤. في س زيادة ههنا : «رحمه الله»

والطغرائي : هو حسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، مؤيد الدين، الأصبهاني الطغرائي، شاعر، من الوزراء الكتاب، ولد بأصبهان سنة : ٤٥٥هـ = ١٠٦٣م وقتل سنة : ٥١٣هـ = ١١٢٠م. (انظر : وفيات الأعيان : ١/١٥٩).

٥. ما بين القوسين ساقط في س، ومن دونه يختل نظام الخبر.

٦. في س : «في قضية شهيرة مذكورة» تصحيف وزيادة.

٧. في س : «القصيدة» تصحيف فاحش.

٨. «مدينة» : ليست في س.

٩. في س : «مخالف» خطأ.

١٠. في س : زيادة : «المتوكل على الله»، وبإزاء كلمة (الإمام) في هامش الأصل ص تعقيب نصه : «محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن الإمام القاسم».

الإمام ألحق بعدهم جريدةَ خيل. فلما كادوا أن يدركوهم التفت إليهم هو وصاحبه، فأشفق ذلك الصاحب [١] ولحقته عبّرة فبكى. فلما شاهده الأمير (السيد محمد بن الحسين) [٢] أنشد بيتي امرىء القيس بن حُجْر إذ يقول [٣] :

بكَى صَاحِبِي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وظنَّ بأنَّا لاحقَانِ بقَيْصَرا

فَقُلْتُ لهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ [٤] إنَّما ... نُحاوِلُ مُلكاً أو نموتُ فنُعذَرا

ولله درّه.

* * *

[عودة إلى ذكر الشيخ العلامة محمد بن أحمد الحازمي]

ولنرجع إلى ذكر شيخنا العلامة محمد بن أحمد الحازمي، رحمه الله؛ وذلك أنه لما لم يساعده الوطن على الإقامة زَمَّ نجائب [٥] ترحاله إلى صنعاء في خلافة الإمام المنصور [٦] الحسين بن القاسم، فأحسن إليه صنيعاً، وعين عليه الحكم بمدينة زَبيد، فأقام بها مدة وخزائن علومه تزيد، فهو يُفيد ويستفيد. وقصدت إلى حضرته أيام الطلب، فأسمعتُ عليه (شرحَ الأزهار) [٧]؛ وكان له تحقيق عجيب في قواعد المذهب، وله أجوبة ممتعة على أسئلة كانت ترِد عليه تُزري بمروج الذهب.

* * *

[قراءة المؤلف على الشيخ الحازمي]

وممّا وقع بيني وبينه من المجاراة في ميدان الأدب أنّي كنتُ في أيام قراءتي عليه

---

١. بعد كلمة (الصاحب) في س زيادة: «على نفسه».

٢. بدل ما بين القوسين جاء في س: «عز الإسلام» فقط.

٣. «إذ يقول»: ليست في س.

وامرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، ولد بنجد نحو سنة: ١٨٠ق هـ=٤٩٧م وتوفي بأنقرة سنة: ٨٠ق هـ=٥٤٥م (انظر: الأغاني: ٩/ ٧٧).

٤. في س: «عينيك» خطأ لا يقوم به النحو ولا الوزن.

٥. في س: «بجانب» تصحيف يفسد المعنى.

٦. في س: «المنصور بالله» زيادة.

٧. شرح الأزهار: لعبد الله بن مفتاح. (انظر: فهرس المكتبة الغربية: ٢٦١).

أحصلّ (شرح الأزهار) نسخاً، وكانت [١] نسختي كراريس لم يحوها حبك. فاتفق أن [٢] حصل على أهل مدينة زبيد قلقلة بنزول بعض قبائل بكيل عليهم للنهب/ فخرج [١١٠٩] من بها [٣] ووزعوا أثقالهم إلى المواضع التي يظنُّون أن بها حصول السلامة [٤]؛ ومن جملتهم شيخنا المذكور فإنه أخرج كتبه وأثقاله إلى قرية الروية [٥]، بمحل الشيخ الفاضل (العارف بالله – تعالى – عبد الرحمن بن محمد المشرع) [٦]، لأنه كان محترم المكان، عظيم الشأن، شهير البرهان. وكانت كراريسي من جملة الكتب؛ فبعد ارتفاع القوم الباغية ورجوعنا إلى المدينة، استفتحنا في القراءة، ففرغت الكراريس التي كانت عندي، واحتجتُ إلى استخراج غيرها للإملاء، فكتبتُ إليه – رحمه الله – هذه الأبيات التي هي غير [٧] أبيات لفظها [٨] :

مَولايَ ما الحُكْمُ إنْ لُمْتَ كراريسي ... وصِرتُ في البَيْعِ مِنْ صِنْفِ المَفَالِيسِ
فَجُدْ علينا بحُسْنِ الرأي في عَجَلٍ ... وقاكَ ذُو العَرْشِ مِنْ شَرِّ الأبَالِيسِ
ولابَرِحْتَ بنُورِ العِلْمِ في نِعَمٍ ... تَجلُو غياهِبَ إشكالٍ وتلبيسِ
[نعوذُ بالله مِن تربيصِ أنفسِنا ... وأن نعودَ إلى دورٍ وتَحبيسِ] [٩]

وإنما قلت : «وصرت في البيع» لأن القراءة كانت في (كتاب البيع) من الشرح المذكور، فلما اطَّلعَ عليها أجابَ بما لفظهُ [١٠] :

---

١ . في الأصل ص : «وكان» سهو.

٢ . في س : «أنه».

٣ . في س : «من بالمدينة».

٤ . في س : «يظنون لها خلوص السلامة بها» كلام مضطرب.

٥ . كذا جاءت في الأصل ص وفي س: «الزديّة». ووردت هكذا أيضاً عند الحبشي في المصادر : ٣٥٠.

٦ . مابين القوسين جاءت صورته في س : «العارف بالله تعالى، الوجيه عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمشرع». وهو عبد الرحمن بن محمد المشرع، من علماء زبيد، توفي سنة : ١١٩٥هـ = ١٧٨١م. (انظر : الحبشي، مصادر : ٣٥٠).

٧ . في س : «عين».

٨ . في س : «فقلت».

٩ . هذا البيت الأخير ساقط في الأصل ص استدركناه من س.

١٠ . «بما لفظه» : ليست في س.

وُقيتَ يا مُجَلّ[١] بَدْرَ الدّينِ مِنْ دَنَسٍ ونِلْتَ فَضْلاً بلا كَدٍّ وتَنْغِيصِ
وفي غدٍ نَبْعَثُ[٢] المُرْسُولَ في عَجَلٍ يأتي بما رُمْتَ من تلكَ الكَرَارِيسِ
فَحَقّقِ الحدسَ واحكُمْ أينَ موضعُها ولازِمِ الدَّرْسَ في جَوْفِ الحَنَادِيسِ

ولله درُّه، ولم يزل، رحمه الله، ملازماً للتدريس حتى استفاد عليه جماعة من أهل الجهة وغيرهم، وكان باذلاً قراءة[٣] للوافدين، فهو كما قال:

/ يَقْرِي الضُّيُوفَ ويُقْرِي الطَّالبينَ فيَا لـلَّهِ مِنْ قارئٍ في عَصْرِهِ قَارِي [١٠٩ ب]

وخلَّف عدة من الكتب نافعة في فنون العلم:

وما الكُتْبُ إلاّ كالضُّيُوفِ وحَقُّها بأنْ تُتَلَقَّى بالقَبُولِ وأنْ تُقْرا

وأعقب ولداً فاضلاً اسمه يوسف بن محمد؛ سلك في طريقه الأسعد، له مسكةٌ في الفروع، ذو تقوى وطهارة قد ظهرت عليه سيماء الخشوع. توفي بعد موت والده بمدّة، رحمهما الله تعالى.

* * *

‹ترجمة السيّد العلامة إسماعيل بن عز الدين النعمي، رحمه الله›

وفيها: توفّي السيد العلامة[٤] الزاهد الورع المُجمع على صلاحه وفضله، والمنبَّه بفعله الحميد[٥] على طيب محتده وأصله. حاكم المسلمين. [وموئلُ الضعفاء والمساكين، ضياء الدين أبو إبراهيم][٦] إسماعيل بن عزّ الدين بن عليّ بن الحسن النُّعْمِي، بوطنه قرية الدَّهناء[٧].

---

١. في س: «مانجل» ولا يستقيم المعنى.
٢. في س: «يبعث» مصحفة.
٣. في س: «باد قراءة» ولا معنى لها.
٤. في س: «العلام» تصحيف.
٥. «الحميد»: ليست في س.
٦. مابين المعقوفتين ساقط في الأصل ص استدركناه من س.
٧. الدهناء: قرية يسكنها السادة. (انظر: العقيلي، تاريخ: ١(١)/ ٩٢).

وكان هذا السيد فريد الدهر، نادرة العصر ؛ له تحقيق في علم فروع الفقه، وغوصٌ على مشكلاته، واطّلاعٌ على ماسواه كثير.

وكُفَّ بصره في آخر عمره، فكان لايأنس إلا بالإملاء عليه في التفسير أو الحديث أو غيرهما من الكتب النافعة.

ولي القضاء بالمخلاف السليماني مدةً مديدة بعد موت ابن عمه السيد العلاّمة علي بن بشير النعمي ؛ وانتفع الناس به انتفاعاً كلياً. وكان مرتزقاً من الحلال، منقبضاً عن بيوت الأموال، فأغناه الله، سبحانه، عن ذلك. وله في الكرم حكايات تنشرح لها الصدور، ويلحق بمن سبقه من آبائه الصدور.

وبالجملة فكان لايجارى في مضمار، ولايُشق له غبار [1]. حسن الأخلاق، كثير التبسُّم في وجوه الرفاق.

[١١٢ب] ومما يُنسَبُ إليه هذان البيتان،/ على قلة مايقوله من الشعر ؛ وذلك لما اجتاح السيل قرية الدهناء القديمة، وكان مسكنه بها ؛ فقال لما رأى ماصارت عليه من الخراب، راثياً لحالها، ومتأسفاً على زوالها واضمحلالها :

أصابَتْكِ يا الدَّهْناءُ عَيْنٌ خَبيثةٌ ... أزالتْ بَهاءَ الوجْهِ والمَنْظرِ الحَسَنْ

وبُدِّلْتِ أثوابَ [2] الزيانَةِ بَعْدَمَا ... زهَوْتِ على البُلْدانِ في الشَّامِ واليَمَنْ

ولم يسمع له غيرهما. وقوله : « يا الدَّهْناء » من قبيل قول الشاعر :

مِنْ اجلِكِ يا الّتي تيَّمْتِ قَلْبِي ... وأنْتِ بَخيلةٌ بالوصْلِ عنّي

وهو شاذٌ، إذ لايدخل تعريف على تعريف ؛ وحرف النداء من المعرِّفات، إذ الدَّهناء معرفة بآلة التعريف، وهذا ممنوع عند النحاة، قال ابن الحاجب : «وقالوا : ياالله، خاصةً».

وكانت وفاة السيِّد، رحمه الله تعالى، في اليوم الثالث عشر من شهر رجب الفرد الحرام [3]، رحمه الله وأسكنه دار السلام.

***

١. في س : « ولاشق غبار ».
٢. في س : « أبواب » مصحفة.
٣. الموافق : ٢٧ ديسمبر سنة : ١٧٦٥م.

السنة الثمانون [١]

لم يبلغني فيها شيءٌ من الحوادث.

* * *

١. الموافقة: ٩ يونيو سنة: ١٧٦٦م - ٢٩ مايو سنة: ١٧٦٧م.

السنة الحادية والثمانون[1]

[طلاب الشريف ليام قصداً للخروج على آل عبس]

في آخرها : توجَّه القاضي حسن بن هبة الله المكرمي صنو القاضي إسماعيل إلى الحج . وكان قد وصل من الشريف طلابٌ لبني يام قصداً للخروج بهم على آل عبس مرة ثالثة[2] . ولمّا بلغه نيّةُ المكرمي وعزمه على الحج أخذ عليه في التأخير حتى يتم له هذا المقصد[3] . فلم يطاوعه لما قد حصل بينهما من التكديرات ؛ وقد عرف المكارمة ميل يام إلى الشريف بلا واسطتهم ؛ فلم يبق بينهم / مصافاة ، وليست صداقتهم للشريف إلا من باب قول القائل :

[١١٠ ب]

ومنْ نكدِ الدُّنيا على الحُرِّ[4] أنْ يرَى عـدوًّا لـه مَـامِـن صَـداقَـتِـه بُـدُّ

والشريف قد استمال بني[5] يام بالإطماع . فقلَّ منهم[6] بهم الانتفاع ؛ وقد ملَّ كلٌّ من المكارمة والشريف صحبة الآخر .

فلمّا توجَّه المكرمي إلى مكة حجَّ معه جماعة من بني يام . فلمّا قدموا على شريف مكة تلقَّاهم بالقبول والإكرام .

(وبعد توجه المكرمي نزلت محطَّةٌ من بني يام للشريف . ورئيسهم النقيب حسين ابن جابر بن نُصَيِّبٍ اليامي صنوُ عليِّ بن جابر المقتول في صباح الغَرَى . لكنها لم تأت على حسب مقصد الشريف . فتلقاهم وهو واهمٌ منهم)[7] . وقد استعدَّ جماعةٌ من

---

١ . الموافقة : ٣٠ مايو سنة : ١٧٦٧م - ١٧ مايو سنة : ١٧٦٨م .

٢ . كذا جاء في النسختين كلتيهما ، والأصح : الثانية .

٣ . في س : « القصد » .

٤ . في س : « المرء » وماجاء في الأصل ص هو الرواية الصحيحة ، والبيت لأبي الطيب المتنبي .

٥ . « بني » : ليست في س .

٦ . « منهم » : ساقطة في س .

٧ . مابين القوسين جاء في س مختصراً على النحو التالي :

« وبعد أن توجه المكرمي من الحج نزل إلى الشريف لموجب الطلاب محطة صحبة النقيب حسين بن جابر =

عسكر البلد كأهل أبي عريش وصبيًا مع[١] من بين يديه من العبيد والحاشية والخيل[٢] والخواص ممن يظنّ بهم المكافاة لهم[٣] إن أحس ببعض الشر منهم.

* * *

‹ صباح بني يام قرية الحَقْوِ بأمر الشريف ›

ونزلت يام من طريق بيش في الطريق التي نزلوا منها[٤] في المرة الأولى، فأرسل إليهم الشريف أن يبدأوا[٥] أولاً بصباح قرية[٦] الحَقْوِ لاتّهامه لأهله بأنّهم يؤوون[٧] العدو من[٨] البدوان الذين يأخذون أموال الرعية، ولكونهم من طرف آل عبس. فاغتنمت[٩] يام هذه الفرصة وصبّحوهم على حين غفلة ونهبوهم وقتلوا منهم جماعة. ودافع أهل الحقو عن أنفسهم[١٠] في ساحتهم[١١]، (فأكرمهم الله بالشهادة)[١٢]، وقتلوا جماعة من بني يام. ثم انصرفوا عن قريتهم مع عدم القدرة على دفع أولئك / الصائلين. [١١١١]

* * *

ابن نصيب اليامي لكنها لم تأت على حسب المراد فتلقاهم الشريف وهو واهم منهم، وقد أخل هذا الاختصار بمؤدى الخبر؛ ومن أجل صباح الغرى انظر ماسبق: ص.

١. في س: «ومن».
٢. «الخيل»: ليست في س.
٣. «لهم»: ليست في س.
٤. في س: «فيها».
٥. في س: «أنهم يبدأون».
٦. «قرية»: ليست في س.
٧. في النسختين كلتيهما «يأوون» خطأ إملائي يغير المعنى.
٨. في س: «ومن» ولامعنى لزيادة واو العطف.
٩. في س: «فاغتنم».
١٠. في س: «عن نفوسهم».
١١. في س: «في ساحة دورهم» وهي زيادة وجيهة.
١٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «فأكرم الله جماعة منهم بالشهادة» زيادة وجيهة.

‹ وقعة الدُّخلة بين الشريف وآل عبس ›

وأرسل [١] الشريف إلى يام ابنه [٢] الشريف حيدر بن محمد . وبعد صباح الحَقْو لحقهم [٣] بنفسه [٤] وتوجه بهم على آل عبس حتى وازاهم بمكانٍ يسمى الدُّخْلَة [٥] – بضم الدّال المهملة ثم معجمة [٦] ساكنة ثم لام مفتوحة – فتفرقت [٧] البدو في الشعاب (والآكام وشُعُف الجبال، ورموهم بالبنادق) [٨] ، فلقيت [٩] يام منهم أشدَّ العذاب ؛ فكانوا لايرون إلا قتام البارود، ولايرون الأشخاص [١٠] لما في تلك الجهات من الأشجار والأغوار . فأفلتوا ماقد [١١] وقع في أيديهم مما قد أخذوه من المواشي، وولّوا منهزمين، والبدو في إثرهم يعدون [١٢] ويقتلون، حتى قتلوا منهم نحو عشرين رجلاً أو يزيدون ؛ ولم يخلصوا إلا بعد مشقة عظمى [١٣] . ورأى فيهم الشريف من الجبن والفشل ما لا يخطر على بالٍ منه .

* * *

[خروج الشريف على آل جنادة]

فانصرف بهم إلى بلاد آل جنادة، (فجبنوا جبناً أعظم) [١٤] من جبنهم عن آل

---

١ . في س : « وقد أرسل » زيادة .

٢ . في س : « ولده حيدر » وسقطت كلمة «الشريف» .

٣ . في س : « لقيهم » خطأ .

٤ . « بنفسه » : ليست في س .

٥ . الدُّخلة : قرية في جبل خروب شرق الحقو . (انظر : العقيلي ، المعجم : ١٠١) .

٦ . في س : « المعجمة » .

٧ . في س : « فتفرقت لهم البدو » زيادة لامعنى لها .

٨ . مابين القوسين ساقط في س .

٩ . في س : « ولقيت » .

١٠ . في س : « أشخاص البدو » زيادة .

١١ . « قد وقع » : ليست في س .

١٢ . « يعدون » ساقطة في س .

١٣ . في س : « إلا بمشقة عظيمة » .

١٤ . بدل مابين القوسين جاء في س : « فجبنوا عنهم عنهم أعظم » كذا .

عبس. فرجع بهم بعد أن رمّم ذمّةً سنة ؛ وقد عفّت نفسه عن طلاب [1] يام، فزلّجهم من أبي عريش. وبعد انفصالهم مضوا على بعض [2] رعيته الذين على طريقهم، فقتلوا [3] رجلاً أو رجلين، وانتهبوا أهواشاً فساروا بها [4].

* * *

[أخذ يام بالثأر بعد قتل رجلين منهم]

سانحة : (قد كان قتل من بني يام رجلٌ بقرية الشقيري) [5] أيام عمالة الشريف / علي بن محمد فيه. أصبح قتيلاً ولم يتبين قاتله ؛ فاتّهمت الدولة [6] خلقاً من أهل [١١١ ب] الشقيري [7]. (وقُتل من يام رجلٌ آخر ببلاد بني شُبَيْل، وعُرِف القاتل له) [8]، فقبض الشريف على المتهومين [9] من أهل الشُّقَيري، وعلى [10] القاتل الشبيلي، وأودعهم الحبس، فمكثوا حتى وصل أولياء الدّم من نجران، فأخرج لهم الشبيلي ورجلاً من المتهومين من أهل الشقيري شريفاً من الخواجيّين زُعِم أنه القاتل، وأذن لهم في قتلهما [11]، فقتلوهما عند القلعة بأبي عريش [12].

---

١. في س : «من طلابات».

٢. «بعض» : ليست في س.

٣. في س : «وقتلوا».

٤. في س : «بهم» «ولاتصح».

٥. مابين القوسين جاءت صيغته في س : «قد كان قتل رجل من يام بقرية الشقيري».

والشقيري : قرية على وادي ضمد. (انظر : العقيلي، المعجم : ١٢٨).

٦. في س : «فاتهمت الدولة بقتله خلقاً» زيادة.

٧. بدلها في س : «القرية».

٨. مابين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : «وقتل من يام أيضاً رجل ببلاد بني شبيل رعية الشريف وتبين القاتل».

وبنو شبيل : قبيلة مضاربها في أسفل وادي تعشر غرب بلاد بني الحارث. (انظر : العقيلي، تاريخ : ١(١) / ٨٤-٨٥).

٩. كذا في النسختين.

١٠. في س : «وعلى ذلك القاتل» زيادة.

١١. في س : «في قتلهم».

١٢. «بأبي عريش» : ساقطة في س.

وبلغني أنه شرط على بني يام [١] بأنه : إذا صدر منكم قتل أحد من الرعية كان عليكم مثل مالكم من القوَد. فامتثلوا ذلك ظاهراً [٢] لتمام غرضهم، وساروا من حضرته. فلما فعلتْ تلك المحطةُ مافعلتْ (من القتل طالبهم بتمام ذلك المشروط) [٣]، فعدوه من قسم المستحيل. وكان عاقبة الأمر أن [٤] وقع التنافر، فلم يقبل منهم أحداً بعد ذلك. وندم الشريف على ماامكنهم منه [٥] من قتل ذينك الرجلين.

* * *

١. في س : « شرط على يام أنه ».
٢. في س : « في الظاهر ».
٣. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « من القتل في الرعية طالبهم في ذلك المشروط ».
٤. في س : « الأمر إلى أن » زيادة.
٥. « منه » : ليست في س.

السنة الثانية والثمانون[1]

[إحداث العقوبة بالخازوق]

فيها : أحدث[2] الشريف العقوبة لمن يريد عقابه بالخازوق، عمله له بعض الصنّاع من الحديد والخشب ؛ طوله في الهواء قريبٌ من قامة الرجل، وطرفه في غاية الحدة والنفوذ ؛ فيُقعد عليه من يريد[3] تعذيبه/ — والعياذ بالله — فينفذ في دبره حتى [١١١٢] يخالط أمعاءه في جوفه ؛ فإذا نزع عنه[4] الإنسان مات، ومهما دام قاعداً[5] فالحياة ملازمةٌ له. وفعل ذلك ببعض عبيده فعاش. ثم عقّبه[6] برجلين فماتا. وكانت هذه فاجعةً عظيمةً بالجهة[7]. نسأل الله السلامة والنجاة من أهوال يوم القيامة. وقد شرّع[8] الله، سبحانه، عقوبة[9] العصاة فلم يكلها إلى جاهلٍ ولا حليم[10] ؛ (بل قال في محكم كتابه الكريم)[11] : ﴿ إنّما جزَاءُ الّذينَ يُحاربُونَ اللهَ ورسُولَه ويسْعَوْنَ في الأرْضِ فَسَاداً أن يُقتّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطّعَ أيْديهِمْ وأرْجُلُهُمْ منْ خلافٍ أو يُنْفوا من الأرْضِ ذلكَ لهم خزيٌ في الدنْيا ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم ﴾[12].

* * *

---

١ . الموافقة : ١٨ مايو سنة : ١٧٦٨ - ٦ مايو سنة : ١٧٦٩م.

٢ . في س : « أحدث » مكررة.

٣ . في س : « يراد » وهي وجيهة أيضاً.

٤ . في س بدلها « من ».

٥ . في س : « جالسا ».

٦ . في س : « ثم عقبه رجلين » خطأ.

٧ . « بالجهة » : ساقطة في س.

٨ . في س : « وقد نزع الله » مصحفة.

٩ . في س : « عقوبات الذنوب » تحريف.

١٠ . في س : « حكيم ».

١١ . مابين القوسين جاءت صيغته في س : « فقال في محكم كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم ».

١٢ . الآية : ٣٦ من سورة المائدة.

‹ ترجمة الإمام العلاّمة أحمد بن محمد مليك كوكبان ›

وفيها، في شهر رمضان[١] المعظم[٢] قدره : وردت الأخبار إلى الجهة بانتقال من قدّس اللهُ تعالى[٣] روحه، ونوّرَ ضريحه، مولانا السيد الإمام، علم الأئمة الأعلام، العلاّمة الفهّامة، الغُرّة[٤] الباذخة في جبين[٥] الدهر، والعلامة الصوّام القوّام، المُجمَع على فضله وعدله[٦] من يُعتدُّ به من[٧] الأنام صفيّ الإسلام، وسليل الأئمة الأعلام : أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر[٨] مليك كوكبان.

كان — رحمه الله تعالى — من أكابر الأئمة، وأفاضل[٩] علماء الأمة. عدلٌ في الرعية قسّامٌ بالسّوية.

/ دعا إلى الله تعالى بعد موت الخليفة المنصور ؛ ووردت دعوته إلى الجهة العريشية، كما قدّمنا ذلك في هذا المسطور. فصالحه الخليفة المهدي لدين الله على الاستقرار ببلاده جهات كوكبان، (وعدم المعارضة له فيها)[١٠]. فضبط أحوالها، وشملها بالأمان والإيمان[١١]، وتنبّه في أحوال الرعية، فأزال الظُّلامات الظاهرة والخفية، وسار بالسيرة النبوية المصطفوية.

---

١. في هامش الأصل ص بإزاء تاريخ الوفاة تصويب بخط الناسخ إلا أنه دقيق جداً، نصه : «بل في سنة إحدى وثمانين كما صح ذلك بلا خلاف. إنما لبعد ديار المؤلف حصل التفريط ولذا يقول الشاعر. . . فأرخه في شعبان، مات . . سنة : ١١٨١». وموضع النقاط بيت الشعر إلا أن كلماته لدقتها غمت علينا فلم نستطع قراءتها.

٢. في س : «العظيم».

٣. «تعالى» : ليست في س.

٤. في س : «والغرة» بزيادة الواو.

٥. في س : «وحيين الزهر» تحريف يفسد المعنى.

٦. في س زيادة : «في الرعية».

٧. بدلها في س : «في».

٨. «بن الناصر» : ليست في س.
وهو السيد أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر.
(انظر : البدر : ١/ ١٠٤–١٠٦؛ ونشر : ٢٥٨–٢٧٢ و(Niebuhr, *Description* 2, p. 93-97

٩. في س : «الأفاضل».

١٠. مابين القوسين : ليس في س.

١١. في س : «بالأمن والأمان».

وكان لايفتر غالباً عن مطالعة كتب العلوم الدينية [١] . ملازماً لدرس الكتاب العزيز (بُكرةً وعشيّةً) [٢] . عاكفاً على طاعة مولاه [٣] ؛ محللاً لما أحله كتاب [٤] الله ، محرماً لما حرّمه بلا مرية [٥] . لايفارق غالباً مسجدهم المقدس بكوكبان [٦] لأداء الصلوات في [٧] الجماعات ، ولاتخلو أوقاته عن فعل الطاعات . متواضعاً إلى الغاية ، لايُحجَب عن بابه أحد من ذوي [٨] الحاجات من [٩] النساء والصبيان والفقراء ، ولايأكل طعامه في الغالب إلا مع الأضياف [١٠] .

وكان شديد الشكيمة في ذات الله ، مُحباً [١١] للعلماء والفضلاء من أولياء [١٢] الله .

* * *

[مراجعة بين مليك كوكبان والسيد محمد الأمير في صنعة البهلوان]

[١٣] (وممّا دار بينه وبين علماء عصره من المراجعات هو ما اتفق بينه وبين السيد العلامة الكبير ، الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير ، رحمه الله ، من المراجعة

١ . « الدينية » : ليست في س .

٢ . « بكرة وعشية » : ليست في س .

٣ . بدلها في س : « الحي القيوم » .

٤ . في س : « الكتاب » دون ذكر « الله » .

٥ . بدلها في س : « ارتياب » .

٦ . « بكوكبان لأداء » : ليستا في س .

٧ . « في » : ليست في س .

٨ . في س : « من أهل » .

٩ . في س : « كالنساء » .

١٠ . «مع الأضياف» : ليست في س وبدلها فيها : « معهم » .

١١ . في س : « محب » خطأ .

١٢ . بدلها في س : « عباد » .

١٣ . وقع في إيراد خبر البهلوان وآراء العلماء في لُعبه اختلاف كبير بين النسختين ص و س ، فجاء الخبر مختصراً في س على النحو التالي :

« وحصل بينه وبين السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير مراجعة ومراسلة بسبب بهلوان وقف عليه إلى كوكبان ، فلعب بحضرته ، وكأنه اجتمع عند اللعب رجال ونساء وصبيان ، وأجازه بجائزة عظيمة البيان ، فبلغ ذلك إلى السيد العلامة الإمام ، واعترض عليه كما جرت بذلك العادة من العلماء الأعلام ، فأجاب =

والمراسلة بسبب/ رجل بهلوان وفد إلى مقام مولانا صفيّ الإسلام بكوكبان، فلعب بحضرته على الحبال المألوفة ؛ وكأنه اجتمع عند اللعب نساء وصبيان وأخلاط من الناس ؛ فأجازه على لعبه بجائزة سنيّة عظيمة الشأن. فلما بلغ ذلك إلى السيد العلامة الأمير اعترض باعتراض كما جرت به عادة العلماء أولي الفضل الشهير. فأجابه السيد

السيد صفي الإسلام بجواب يشفي الآلام، ويبرئ السقام، وأبان لنفسه حججاً وأعذاراً تنفي الأوهام. ثم رجع عليه من ذلك الخصم السار ؟ مراجعة أخرى، ثم أمسكا عن الكلام. والمراجعة موجودة بيد بعض أهل الجهة، دالة على علم غزير واطلاع كثير. وقد اختلف الناس في صنعة البهلوان، وهو الذي يلعب على الحبال الممدودة في الهوى ؟ متوطة إما بالبيوت العالية أو بلاخشاب ؟ التي هي في الطول متناهية. فمنهم من قال : إنه من عمل السحر ؛ والذي عليه المحققون أنه من جودة الصنعة، وقد أشار إلى ذلك العلام ؟ فخر الإسلام عبد الله بن الحسن الدواري، رحمه الله في بعض مصنفاته، وقال : إنه شاهده بمكة عام حجه رحمه الله. وللسيد العلامة محمد كبريت المدني – رحمه الله – حكاية عنه عجيبة أوردها في مؤلفه (رحلة الشتاء والصيف) تدل أن أعماله من قسم الصناعة بلى ؟ حيف. وعلى بالي أنه شاهد ذلك بمدينة الإسكندرية، وذكر شعراً من قسم الموال عنه، وهو ينشده حال لعبه ؟ على تلك تلك الحبال :

زر يوم في الشهر أحلا ؟ من وصالك دوم

أو شهر في عام يا من قد غلا في السوم

وإن فات هذا وهذا يا عزيز القوم

في الدهر مرة وإلا زرتنا في النوم

فمن أحب الاطلاع على ذلك راجعها.

وللمولى العلامة أحمد بن محمد المذكور علاقة بالأدب، فمن شعره ما أملانيه المولى السيد جمال الإسلام علي بن محمد بن علي من السادة أهل كوكبان، والسيد صاحب الترجمة هو خاله ؛ وذلك أيام أن ضمنا سفر الحج المبارك، فأملاني السيد جمال الملة لخاله المذكور بيتين هما :

نزلنا روضة والنهر جار فحجّبه دخان المصطكاء

فقال لي الأديب بما تصفه فقلت له بسيف ذي صداء

ولعلهما لم يكونا من جيد شعره لما فيهما إثبات ألف (ما) الاستفهامية المجرورة بالحرف، وجزم الفعل المضارع، وهو قوله : تصف، بلى؟ جازم. وذكرت بهذا ماروي أن بعض الناس لقي بعض الظرفاء فقال له : بما توصيني ؟ هكذا بإثبات الألف، فقال له : بتقوى الله، وإسقاط الألف».

هذا ماجاء في س على هذا النحو من الاختصار كما لا يخفى.

وجاء في هامش هذه الصفحة من س تعقيب على ماجاء في المتن من جزم المضارع بخط مختلف نصه : «جزم الفعل بلا جازم وارد في كلام العرب، من ذلك قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

وهو مذهب بعض النحويين، فلعل قائل هذين البيتين ممن يرى ذلك فلا ضير عليه فتنبه، كاتبه».

صفي الإسلام بما يشفي الأوام، وأبان لنفسه حججاً وأعذاراً تنفي الأوهام. ثم رجع عليه من ذلك الخصم التيار مراجعة أخرى؛ ثم أمسكا عن الكلام. والمراجعة بأسرها موجودة بالجهة دالّة على علم غزير واطلاعٍ غير يسير.

والبهلوان: هو الذي يلعب على الحبال الممدودة في الهواء، منوطةً إما بالبيوت العالية أو بالأخشاب التي هي في غاية من الطول السامية.

وقد اختلف العلماء في هذا اللعب، فذهب بعضهم إلى أنه من قبيل السحر وقلب الأعيان، لأنه يلعب على صفة خارجةٍ في الظاهر عن حد طوق البشر، ولأنه ربما زحف على إناء من نحاس أو نحوه مما يزلق ولا يثبت في العادة.

وذهب آخرون إلى أن ذلك من باب جودة الصنعة؛ وبيده شيء كالميزان عند اللعب يحصل به الاستقرار له، فلا يكاد يميل إلى جهة للسقوط؛ وهو الذي عليه المحققون. / وقرره القاضي العلامة فخر الدين عبد الله بن الحسن الدواري[1]، رحمه الله، في تعليقة، وقال: إنه شاهد ذلك بمكة، عمرها الله، عام حجّه. [١١٣ ب]

وللسيد العلامة محمد كبريت المدني – رحمه الله[2] – حكاية عنه عجيبة أوردها في مؤلفه (رحلة الشتاء والصيف) تدل على أن أعمال البهلوان من قبيل الصنعة بلا حيف؛ قال: إنه شاهد بهلواناً بمدينة الإسكندرية. وذكر له شعراً من قسم الموال، وهو ينشده حال جريه على تلك الحبال، إذ يقول:

زُرْ يُوم في الشَّهْر	أحلى من وصالك دُوم
أوْ شَهْر في عام	يا مَن قَدْ غَلا في السُّومْ
وإنْ فاتْ هذا	وهذا يا عزيز القُوم
في الدَّهْرْ مَرَّةْ	وإلاّ زُرْتُنا في النَّومْ

فمن أحب الاطلاع على ذلك فليراجع المؤلف المذكور، ولله عاقبة الأمور.

---

١. عبد الله بن حسن، فخر الدين، الدواري: عالم يمني عاش في القرن السابع للهجرة = الرابع عشر للميلاد. (انظر: البدر: ١/ ٣٨١-٣٨٢، الحبشي، مصادر: ١١٧، ١٩٣)

٢. عاش السيد محمد كبريت المدني في مكة في أيام الشريف حسن بن أبي نمي الحسني: (١٥٦٦-١٦٠١م) (انظر: دحلان، خلاصة: ٥٧).

وللمولى العلامة أحمد بن محمد المذكور شعر أملانيه المولى السيد العلامة جمال الإسلام علي بن محمد بن علي ابن الإمام، من أفاضل سادة كوكبان؛ والسيد أحمد هو خاله؛ وذلك أيام ضمنا سفر الحج المبارك، فأملاني السيد المذكور بيتين، هما :

نَـزَلْـنَـا رَوْضَـةً والـنَّـهْـرُ جَـارٍ فَـحَـجَّـبَـهُ دُخَانُ الْمُـصْـطَـكَـاءِ
فَـقَـالَ لِـيَ الأديـبُ بِمَـا تَـصِـفْـهُ فَـقُـلْـتُ لَـهُ بِـسَـيْـفٍ ذِي صَـدَاءِ

[١١١٤] ولعلهما ليسا من جيد شعره لما فيهما من إثبات ألف (ما) الاستفهامية / المجرورة بحرف الجر، والمتعين مع ذلك حذف الألف. ثم جزم الفعل المضارع وهو قوله : « تصف » بلا جازم؛ وإن ورد في بعض الكلام فليس بفصيح.

وذكرت بهذا ماروُي أن بعض الناس لقي بعض الظرفاء فقال له : « يا أخي! بما توصيني ؟». هكذا بإثبات الألف، فقال له : « بتقوى الله وإسقاط الألف »[١].

* * *

[السيد عبد القادر بن محمد يخلف أخاه في كوكبان]

نعم[٢]، وبعد وفاة المولى[٣] صَفِيِّ الإسلام، خلفه (في ذلك المقام صنوه السيد الهمام القمقام)[٤]، وجيه الملة والإسلام[٥] عبد القادر بن محمد بن

---

١. آخر ما وقع فيه الاختلاف والاختصار في النسخة س عن الأصل ص.
وفي هامش س إزاء بيت الشعر :
فقال لي الأديب بما تصفه فقلت له بسيف ذي صداء
تعقيب بخط يختلف عن خط المتن نصه :
« جزم الفعل بلا جازم وارد في كلام العرب من ذلك قول امرىء القيس :
فاليوم أشرب غير مستحقب إثـمـا مـن الـلـه ولا حـائـل
وهو مذهب بعض النحويين، فلعل قائل هذين البيتين ممن يرى ذلك فلله... عليه فتنبه. كاتبه ».
٢. « نعم » : ليست في س.
٣. بدلها في س : « السيد ».
٤. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « في تلك الجهات أخوه الهمام القمقام ».
٥. « الإسلام » : ليست في س.

الحسين [1] ابن الإمام ؛ فقام في مقامه أحسن قيام [2] . ولما استقر بعده مدة من [3] الأعوام حالت الأحوال، وعانده الدهر بما يعاند [4] أمثاله من (فضلاء الرجال، لا سيّما من الآل) [5] ؛ فقبض عليه أخوه مولانا السيد صارم الإسلام إبراهيم بن محمد بن الحسين [6] ابن الإمام، وأودعه الحبس بكوكبان [7] ، فهو في حال رقْم هذه [8] الأسطر باقٍ بالأسر، (ليس له نهي ولا أمر ؛ وقد صار القائم مولانا صارم الإسلام، فما أحق المولى وجيه الإسلام بقول بعض الأماثل، في حق من وقع عليه من أهل الرتب العلية مثل هذا الحاصل) [9] :

قُلْتُ وقدْ قَالُوا رأيْنَا عَجَباً ... دُرَّةُ تاجِ المُلْكِ أضْحَتْ في صَفَدْ
مـا هُـوَ إلا صَـدَفٌ وإنّـمـا ... أخّـرَ [10] عَـنْـهُ دالَـهُ أهْـلُ الحَـسَـدْ

[وعسى الله يخلصه مما هو فيه، ويرفع منزلته ويعليه] [11] .

* * *

---

١ . بدل « الحسين » في س : « يحيى » خطأ .

٢ . في س : « مقام » .

٣ . « من » : ليست في س .

٤ . في س : « يعانده به » .

٥ . العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في س : « فظلاء الآل » كذا .

٦ . جاء الاسم في س خطأ على هذا النحو : « إبراهيم بن محمد بن يحيى » وسقطت فيها : « ابن الإمام » .
وأورد محمد زبارة خبر هذه الحادثة في (نيل الوطر : ١/ ٣٦-٣٧) قال : حاول السيد إبراهيم بن محمد أن يقتل أخاه أحمد سنة : ١١٦٣هـ = ١٧٥٢م ، فقبض السيد أحمد عليه وأودعه الحبس حيث مكث إلى سنة : ١١٧٨هـ = ١٧٦٤م . وفي سنة : ١١٩٢هـ = ١٧٧٨م قبض السيد إبراهيم على أخيه الثاني عبد القادر واستولى على الحكم في إمارة كوكبان مكانه .

٧ . في س : « بحبل كوكبان » .

٨ . « هذه » : ليست في س .

٩ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س على النحو التالي : « ليس له نفوذ في نهي ولا أمر، فما أحقه بقول بعض الأوائل (كذا) في حق من وقع عليه مثل هذا الحاصل » .
وبإزاء هذا الخبر في ذيل الصفحة من الأصل ص تعقيب بخط دقيق جداً ضرب عليه ولم نستبن من كلماته شيئاً .

١٠ . في س : « أخبر » ولا يستقيم بها المعنى .

١١ . ما بين المعقوفتين : ليس في الأصل ص أخذناه من س .

[ذكر السيد علي بن محمد بن علي]

[١١٤ ب] / وإذا قد ذكرنا السيد جمال الإسلام [١] علي بن محمد بن علي فلا بأس بأن نُشرِّف هذا المسطور بشيء من ذكره [٢] وفضله الجلي.

فهو السيد الإمام، علَمُ الآل الكرام، العلامة المحقق، والفهامة المدقق، ذو البلاغة والفصاحة، والصباحة والرجاحة. أشرقت روحه العلية على باطنه وظاهره، وظفر [٣] من خلال الفضل بفرائد جواهره. له شعر سيال، وسجع يقصر عن الإتيان بمثله بُلَغاء الرجال، وخط يقصرُ عن صنعته (محمد بن الحسين بن مُقْلة وعلي بن هلال) [٤]، وترسُّل [٥] لا يقدر الفتح [٦] بن خاقان (أن يأتي عليه ويؤلف مثله) [٧]. وله إلينا

---

١. في س: «جمال الملة».

وبإزاء أول ترجمة جمال الإسلام هذا في هامش الأصل ص تعقيب بخط الناسخ نصه:

«إنما ذكر القاضي المولى الجمالي هنا استطراداً. وكذا أسر مولانا وجيه الإسلام، وقيام مولانا صارم الإسلام، أغدق المنان ضروحهم بوابل الرحمة والرضوان؛ وإلا فانتهى تأليفه هذا إلى سنة: ١١٨٤، وقيام مولانا الصارم إلى العلى والمجد والمكارم في ٢٧ شهر شعبان عام اثنين وتسعين بعد المائة والألف. ولم يذكر القاضي شيئاً من بعد وفاة الشريف محمد إلى هذا التاريخ. جملة ما أهمله ثمان سنين.

نعم، ولخصت سيرة المولى الصارم قد حققها ولده العماد في كتابه المسمّى بالدر المنضد سيرة المولى إبراهيم ابن محمد والدي الكاتب قد أبان مناقب المولى علي بن حسين بن علي في كتابه المسمى بالتاج المحلل بالحلى... شمائل المولى الوجيه في كتابه المسمى المزن الماطرة في سيرة المولى وبنيه محمد بن الحسين بن عبد الله».

وقد ذهبت كلمات بقص هامش النسخة من الأسفل في المواضع التي وضعنا فيها نقطاً.

٢. «ذكره و» ليس في س.

٣. في س: «فظفر».

٤. ما بين القوسين جاء في س: «علي بن مقلة» وما سواه ساقط فيها، وهو خطأ.

وابن مقلة: هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي، وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد سنة: ٢٧٢هـ = ٨٦٦م، ومات مسجوناً سنة: ٣٢٨هـ = ٩٤٠م (وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/ ٦١).

وعلي بن هلال، هو المشهور بابن البواب، خطاط مشهور، من أهل بغداد، توفي سنة ٤٢٣هـ = ١٠٣٢م. (وفيات الأعيان: ١/ ٣٤٥).

٥. بدلها في س: «وكلام».

٦. هو الفتح بن خاقان بن أحمد، أديب، شاعر، فارسي الأصل. من أبناء الملوك، استوزره المتوكل على الله العباسي. وقتل مع المتوكل سنة: ٢٤٧هـ = ٨٦١م. (معجم الأدباء، لياقوت: ٦/ ١١٦).

٧. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «أن يؤلف مثله» وماسوى ذلك ساقط فيها.

قصائد طنانات [١]، (ورسائل حوت أفنان الأدب، ولكنها تستوعب أوراقاً مستقلة) [٢].
كثّر الله من أمثاله، ولا أخلى عن وجوده العصر وأهله.

* * *

‹ ترجمة السيد الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير ›

وفيها، في شهر شعبان الكريم [٣]: كانت وفاة من قدس الله تعالى روحه الشريفة ونقلها إلى عليّين، مولانا [٤] علامة اليمن على الإطلاق، وشيخ مشايخ الإسلام بالاتفاق، إمام التحقيق ووحيد العصر في الإتقان والتدقيق:

عَلاَّمة العَصْرِ فَرْدُ الدَّهْرِ أَوْحَدُهُ ... مَنْ لا يُجاريهِ ذُو علْمٍ بمضْمارِ
مُحقِّقٌ لفُنُونِ العلْمِ مُجْتَهِدٌ ... وواحِدٌ في المَعَالي قارئٌ قاري
إذا غَدَتْ مُشْكلاتُ العلْمِ مُعْضلَةً ... على النَّحارير جَلاَّها بأنْظَارِ

[١١١٥] / مجتهد العصر المطلق، والخضمّ الذي تنحّت [٥] خلجانه فتدفق. عزّ الإسلام والمسلمين [٦]، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني [٧].

مات، رحمه الله، بمدينة صنعاء؛ فكان [٨] موته مصيبة ضاق لها الناس ذرعاً لأنه كان مرجع المشكلات، وموئل المعضلات.

رحل في طلب العلم الشريف [٩] إلى كثير من البلدان، وجاور بالحرمين الشريفين

---

١. في س: «طنانة».
٢. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «ورسائل حافات من الأدب أفنانه تستوعب أوراق مستقلة» كلام مضطرب غير مفهوم.
٣. ديسمبر سنة: ١٧٦٨م.
٤. «مولانا»: ليست في س.
٥. في س: «انتحت» مصحفة.
٦. «والمسلمين»: ليست في س.
٧. ولد السيد محمد بن إسماعيل الأمير في كحلان سنة: ١٠٩٩هـ = ١٦٨٨م، وعاش في صنعاء، وتوفي فيها سنة: ١١٨٢هـ = ١٧٦٨م (انظر: الحبشي، مصادر: ٦٢-٦٤).
٨. في س: «وكان».
٩. «الشريف»: ليست في س.

عدّة أزمان. ولقي المشايخ الكبار في تلك الأعصار [١] ؛ واشتهر بعلم الحديث، حتى فاق من أربابه كثيراً من القديم والحديث. وألّف مؤلفات [٢] شتى قلّ أن يوجد لها نظير، منها: (سبل السلام على بلوغ المرام) [٣] بلغ في التحقيق الغاية ووصل النهاية؛ فيروي مذاهب العلماء بأسرهم، ويبين استدلالهم على حسب تصرفهم وسبرهم [٤]. وله غيره من المؤلفات مما يشهد [٥] له بالتحقيق والإنافة على الأثبات. لا يتقيد [٦] بمذهب به يلحق، ولا يقول على الله إلا الحق؛ فمذهبه الدليل، وليس له إلى غيره سبيل. استفاد [٧] به خلائق كثيرون، كالسيد العلاّمة السابق ذكره الحسين بن مهدي النُّعمي؛ وماهو إلاّ جذوةٌ من قبس ضيائه المنير، وخليج من تيار بحره الغزير. وكم غيره من طلاّب صاروا ببركاته شيوخا، ورسخت أقدامهم في جبال [٨] العلم رسوخا/ . ووردت [٩] [١١٥ ب] عليه الأسئلة في فنون [١٠] العلم من الأقطار البعيدة [١١]، كالحرمين الشريفين وماسواهما من الأمصار؛ فحقق ونقّح، وبيّن وأوضح، وأزاح ظلم المشكلات، وجلا غياهب المعضلات.

وعُمِّرَ كثيراً فانتفع [١٢] به الناس انتفاعاً عاماً، وكان فضله في جميع المقاصد تاماً.

وبالجملة، فالقلم يقصر عن استكمال اليسير من فضائله؛ وأنّى لي بصوغ عبارة تفي بالبعض [١٣] من حسن شمائله.

---

١. في س: «الأعصار والأمصار» زيادة.

٢. في س: «والمؤلفات» بدل: «وألف مؤلفات».

٣. منه نسخة مخطوطة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير (انظر: فهرس المكتبة الغربية: ٧٨-٨٠).

٤. في مَنْ: «وسيرهم» مصحفة.

٥. في س: «وله من المؤلفات مايشهد».

٦. في س: «تعبد» مصحفة.

٧. في س: «واستفاد» مع واو العطف.

٨. بدلها في س: «في أرض».

٩. في س: «ووردة» بالمربوطة.

١٠. «في فنون العلم»: ساقطة في س.

١١. «البعيدة»: ليست في س.

١٢. في س: «ينتفع».

١٣. في س: «تفي ببعض من شمائله». نقص وتصحيف.

وله في الأدب يدٌ طولى، وقدحٌ[١] مُعلى. فمن قوله (وقد نسب إليه بعض الناس محبة)[٢] معاوية[٣] بن أبي سفيان وتوليه[٤]، يعتذر من ذلك الشان (وأبان ماعنده حذراً من عقوبة الكتمان)[٥]:

لَقَدْ نَسَبَ الأنَامُ إليَّ قَولا ... عَلَيْهِم ربُّنا فيه شَهيدُ
وقَالُوا: قَدْ رَضِينا بابْنِ هِنْدٍ ... وقُلْنا: إنّه رَجُلٌ رَشيدُ
كَذَبْتُم إنّهُ واللّهِ عِنْدي ... لفاسقٌ[٦] أو لجَبّارٍ عَنيدُ[٧]
ومَلْعُونٌ بما كَسَبَتْ يَداهُ ... كذلكَ نَجْلُهُ الطّاغي يزيدُ

(وله غير ذلك مما لايأتي عليه إلا ديوان؛ ومنظوماتٌ في فنون العلم من الأصول والحديث وغيرهما، نظم (الكافل) لابن بهران[٨] نظماً عجيباً انتفع به الناس، واستغنى

---

١. في س: «وقرع معلا» تصحيف.

٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «وقد نسبت إليه محبة» نقص.

٣. معاوية بن أبي سفيان: مؤسس الدولة الأموية، وأول خليفة أموي، عارضه شيعة علي بن أبي طالب وقامت بينه وبين الحسين بن علي رضي الله عنه حرب انتهت بخلوص الأمر إليه.

(عن تهمة الأمير بالخروج عن المذهب الزيدي، انظر: البدر: ٢/ ١٣٣-١٣٩).

٤. «وتوليه»: ليست في س.

٥. مابين القوسين ساقط في س.

٦. كذا جاءت رواية الشطر الثاني من هذا البيت في الأصل ص. وفي هامشها بإزاء هذا البيت تصويب له وتقويم لوزنه نصه:

«المحفوظ: لفسّيق، وأما قوله: لفاسق أو لجبار، فغير صحيح لأنه يلزم فيه مالزم في قوله: يفوق ان؟» كذا، وبذلك يصبح البيت بعد التصويب:

كذبتم إنه والله عندي ... لفسّيقٌ وجبّار عنيد

ويذيل هذا التصويب في هامش الأصل ص تعقيب آخر نصه:

«في مجمع والعجب أن القاضي مرداس لم يتعرض له مع فوق (كذا) فهمه، ولعله سهو منه فمثله لايجهله».

٧. هكذا جاء هذا البيت في متن الأصل ص وتصويبه في هامشها. أما في س فقد كانت صيغة البيت فيها متفقة مع ماجاء في ص إلا أنه ضرب على الكلمة الأولى من البيت فيها وكتب فوقها كلمة: «صدقتم»، وضرب على الشطر الثاني من البيت وكتب فوقه: «لكاتب وحي رسول ذي . . .» وآخره كلمة غير بينة. ولعل قارئاً قد عبث بالنسخة وأحدث هذا التغيير.

٨. هو محمد بن يحيى بن بهران، عاش في القرن العاشر للهجرة = السادس عشر للميلاد، في صعدة، وعمل بها تاجراً وأفاد من رحلاته في جمع فنون العلم، وله كتاب (الكافل بنيل السول في علم الأصول). (انظر: فهرس المكتبة الغربية: ٣٤٢-٣٤٣، الحبشي: مصادر: ٥٢).

به الكثير منهم عن حفظ (الكافل). أعاد الله تعالى من بركاته، وأسكنه فسيح جنّاته. آمين آمين)[١].

* * *

[نزول الدّهمة من حرض]

[١١١٦]. / وفيها : نزلت طائفة من دهمة[٢] على يد كبيرهم النقيب علي بن سالم بن مَغْروم إلى قرية حرَضٍ، وبه إذ ذاك الشريف حسن بن أحمد[٣]، فصبّحوا القرية بسبب تِرات وإحَن حصلت بينهم[٤] وبين الشريف ؛ فتحصّن الشريف[٥] حسن بالقلعة حتى نهبوا المدينة وولوا بزعمهم ظافرين[٦].

* * *

[مرض الشريف محمد وكتابته وصية لابنه الشريف حيدر]

وفيها، في شهر ذي القعدة الحرام[٧] : مرض الشريف مرضاً شديداً أشرف منه على الوفاة بقرية البيّض، وطال به المرض إلى بعد عيد الأضحى ؛ وكتب وصيّته، وأسند الأمر من بعده، وماخلّفه، إلى ابنه[٨] الشريف حيدر بن محمد لاختصاصه به ومحبّته له، وملازمته لحضرته سفراً[٩] وحضراً.

---

١. مابين القوسين جاء في س مختزلاً مبتوراً على النحو التالي : «وله غير ذلك مما لا يأتي عليه إلا ديوان في كل فن من فنون الأدب. أحله الله من جنانه في أعلا الرتب» كذا. ولم يزد على ذلك.

٢. لعلها قبيلة دهم القاطنة شرق جبل برط.

٣. في س : «حسن بن أحمد الحسني رحمه الله» زيادة.

٤. بدلها في س : «بين النقيب علي بن سالم وبين الشريف» زيادة.

٥. في س : «فتحصن الشريف رحمه الله» نقص وزيادة.

٦. في س : «وولوا ظافرين بزعمهم».

٧. مارس -إبريل، سنة : ١٧٦٩م.

٨. في س : «من بعده إلى ولده» نقص وتحريف.

٩. في س : «حضراً وسفراً».

ثم نقه[١] من مرضه، فرحل إلى مدينة أبي عريش يوم[٢] الغدير في جمع غفير، ولقيه جميع من بالمدينة من أهل الخيل والعسكر بآلات[٣] الأمر. فدخل بأبّهة[٤] عظيمة؛ ووقع للناس[٥] بذلك المسرّة الجسيمة، فاستكمل الصحة؛ (ولم يزل متردداً بين البيّض وأبي عريش)[٦].

وذكرت بُدخوله على تلك الصفة في ذلك اليوم ماقاله بعض الأدباء (في المولى الكبير، المليك الخطير، الوجيه عبد القادر بن النّاصر بن عبد الرب صاحب كوكبان)[٧]؛ وقد شاهده ذلك الأديب في مثل ذلك الموكب بذلك اليوم العظيم الشان[٨]، فقال من أبيات[٩]:

[١١٦ ب] / أرأيتَ كالقمرِ المُنيرِ شَخصاً كَمَولانا الأميرِ
المَلْكِ عَبْدِ القادرِ بـ... ـن الناصرِ الليْثِ الهَصُورِ
قَدْ جاءَ في يَوْمِ الغَديـ... ـرِ بجيشهِ الجمِّ الغفيرِ

إلى آخر الأبيات[١٠]. والشيء بالشيء يذكر.

* * *

١. في س: «ثم نقه الشريف» زيادة.

٢. في س: «في يوم».
ويوم الغدير كان يوم الثامن عشر من ذي الحجة، يحتفل فيه الشيعة كل عام بخطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم. وغدير خم: موقع بين مكة والمدينة، وقال في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه». (انظر: مسند ابن حنبل، طبعة القاهرة: ٩٥٠، ٩٦٤، ١٣١٠). ويوافق هذا التاريخ يوم: ٢٥ إبريل سنة: ١٧٦٩م.

٣. في س: «والعسكر وجمع آلات الأمر».

٤. في س: «بهيئة».

٥. «للناس»: ليست في س.

٦. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «ولم يزل يتردد من البيض إلى أبي عريش».

٧. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «في المولى الأمير الكبير عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان».

٨. في س: «البيان» مصحفة.

٩. «من أبيات»: ليست في س.

١٠. «إلى آخر الأبيات»: ليست في س.

السنة الثالثة والثمانون[١]

[وفاة القاضي إسماعيل بن هبة الله المكرمي]

فيها : وصل الخبر بوفاة القاضي إسماعيل بن هبة الله المكرمي . وكتب أخوه[٢] حسن بن هبة الله[٣] كتاباً بليغاً استشهد فيه بقول أبي الطيب في محمد بن إسحاق من قصيدته المرثاة [على قافية الراء][٤] التي مستهلها :

إني لأَعْـلَـمُ والـلَّـبيبُ خَـبيـرُ .. . .

(حين [٥] قال ، وهو الذي استشهد به) :

خَـرَجُوا بـهِ والـكُـلُّ بـاكٍ حَـوْلَـهُ	صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ
والشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماءِ مريضَةٌ	والأرضُ راجِـفَـةٌ تَـكـادُ تَـمُـورُ

وطلب من الشريف الاستمرار على مابينهم من القواعد . فألان له[٦] الجواب ، وفي نفسه خلاف ذلك بلا ارتياب[٧] لما قد وقر[٨] عنده من أفعالهم معه وعدم التوقف تحت رأيه[٩] وإرادته . ومازالت الكتب تترى بينهما حتى ظهر للمكرمي أن الشريف (غير راغب في صحبته وخدمته)[١٠] .

* * *

١ . بإزاء هذا العنوان في هامش س عنوان هامشي نصه : « السنة الثالثة والثمانون » . ٧ مايو سنة : ١٧٦٩ - ٢٦ إبريل سنة : ١٧٧٠ م .

٢ . في س : « أخيه القاضي » خطأ وزيادة .

٣ . في س : « هبة الله بذلك كتاباً » زيادة .

٤ . جاءت في الأصل ص : « المرثاة القافية » ولامعنى لها ، فاعتمدنا ماجاء في س .

٥ . مابين القوسين سقط في س ليس فيها إلا كلمة : « قال » .

٦ . في س : « فألان له في الجواب » .

٧ . « بلا ارتياب » ساقطة في س .

٨ . العبارة في س : « لما قد دخل من أفعالهم » تحريف ونقص .

٩ . «رأيه» : ليست في س .

١٠ . مابين القوسين جاءت صيغته في س : « غير راغب إلى خدمته وصحبته » .

[استعداد الشريف لاحتمال نزول يام عليه]

فصمم[١] على النزول، ومابرح يجمع الجموع لذلك. فلما اطلع الشريف على قصده أخذ في الحزم[٢] والاستعداد، ولسان الحال ينشد قول من قال فأجاد[٣] :

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ نَارٍ ... وأخْشَى أن يكُونَ لَها ضِرامُ

[١١١٧] / ثم كتب إلى بكيل يستنجدهم في النزول إذا سمعوا بنزول بني يام ؛ (فجاءته جواباتهم مجيبة إلى ذلك المرام. وكان بحضرة الشريف من رؤسائهم النقيب محمد ابن أحمد بن الشائف. والقاضي حسن أبو طُهَيفة)[٤] ؛ فأرسلهم إلى قبائلهم للاستعداد، فسعدا[٥] في تحصيل الأجناد بعد أن بذلوا لهم من الرغائب ما حصل[٦] به المراد، فليس الحال منهم كما قال[٧] :

مَنْ يَدْعُهُمْ مُسْتَغيثاً عندَ نائبةٍ ... جاؤوا إليهِ زرافاتٍ ووُحْدانَا

لا يسألُونَ أخاهُمْ حين يندبُهُمْ ... في النّائباتِ على ما قالَ بُرهانَا

بل الشأن[٨] كما قال بعض أهل الزمان :

---

١. في س : « فصمم عند ذلك على » زيادة.

٢. في س : « الحذر » مصحفة.

٣. « فأجاد » : ليست في س.

٤. لقد جاء الخبر في س أكثر استيفاء مما جاء في الأصل ص، ونص ماجاء فيها :
«فجاءته الجوابات المفيدة للالتزام. ثم كتب إلى قبائل الشام من وادعة وسنحان وقحطان، وجابوا ؟ بمثل ذلك المرام. وكان بحضرت (كذا) الشريف النقيب محمد بن أحمد الشايف والقاضي حسين أبو طهيفة ».
وقبيلة وادعة الوارد ذكرها في س : قبيلة من خولان الشام تمتد بلادها على الجبال شمال صعدة، وهي مجاورة لقبيلة سحار وقبيلة سنحان.
(انظر : النعمي. تاريخ عسير : ٤١ ؛ و Chelhod, *l'Arabie du Sud*, 3, p. 56)

٥. في س : « فسعوا » خطأ.

٦. في س : « ماحصل لهم به » زيادة.

٧. البيتان من مقطعة لقريط بن أنيف العنبري، شاعر إسلامي، ورواية البيتين في حماسة أبي تمام :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ماقال برهانا

٨. في س : « بل الشأن منهم كما قال ». زيادة.

إنْ رُمْتَ مِنِّي نَفْعاً أو دِفَاعَ أذىً ... فاسْتَجْلِب الوُدَّ مِنِّي بالدَّنانِيرِ
هِيَ الَّتي تُبْلِغُ الإنْسانَ بُغْيَتَهُ ... وتَكْسِرُ الجَيْشَ لا كِيري ولا مِيرِي

(وهذا الكلام مستعمل [١] في أمثلة العوام، ومعناه: ما لا طائل تحته، ولا يوصل إلى مرام) [٢]

* * *

١. في س: «يستعمل».

٢. مابين القوسين مثبت في هامش س ويذيله كلمة: «صح صح».

السنة الرابعة والثمانون[١]

[وصول بكيل عند الشريف]

فيها : ابتدأ نزول رجال[٢] بكيل إلى حضرة الشريف، ومازالوا على ذلك حتى اجتمع منهم ومن أتباعهم مايزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ؛ وفيهم كل ليثٍ صائل. وشقَّ بالشريف حال مستغرقاتهم من المصاريف والجوامك[٣]، فبلغتْ إلى أمرٍ هائل.

* * *

[إفساد يام في البلاد]

وتباطأ نزول المكرمي وبني[٤] يام حتى لم يجدّ جدُّهم إلا في شهر ربيع الآخر أو أوائل[٥] جماد الأولى ؛ فوصلوا إلى قرية حَرَض، فعاثوا[٦] في/ البلاد وأكثروا فيها [١١٧ ب] الفساد، ونهبوا جميع أموال الرعايا بتلك الجهات وغيرها، وتعدّوا إلى أطراف (البلاد الإمامية كَمَوْر وماوالاه، واستجاحوا من الأهواش جملة مستكثرة)[٧] ؛ وتعدى أخذهم إلى النساء المسلمات والأطفال، وفعلوا من القبائح مايغضب منه[٨] ذو الجلال، ولله من قال :

---

١. الموافقة : ٢٧ إبريل سنة : ١٧٧٠ - ١٥ إبريل سنة : ١٧٧١م.

٢. « رجال » : ليست في س.

٣. الجوامك : مفردها جامكية، وهي مايتقاضاه العسكري أو الجندي أو الموظف من مرتب في آخر الشهر، وهي كلمة تركية الأصل ترسم بالتركية (جامكي). وقد دخل كثير من المصطلحات العسكرية التركية إلى العامية اليمنية، ولازال بعضها يستخدم حتى اليوم.
Redhouse, *Türkçe Ingilizce Sözlük,* p. 637 : allowance, material for a garment : انظر)

٤. « بني » : ليست في س.

٥. في س : « وأوئل » خطأ. يوافق : أغسطس - سبتمبر سنة : ١٧٧٠م.

٦. في س : « فعاقوا » مصحفة.

٧. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « البلاد الإمامية بأطراف مدينة مور وأخذوا من الأهواش حلة مسكين » كذا مصحفة.

٨. في س : « فيه ».

إذَا ظالمٌ استحسَنَ الظُّلمَ مَذْهَباً ... ولَجَّ عُتُوّاً في طِلابِ ارتكابِهِ
فكِلْهُ إلى ريْبِ الزّمانِ تَجِدْ لَهُ ... عَلَى الفَوْرِ تعكيساً لما في حسَابِهِ
فَكَمْ قَدْ رأيْنا ظالماً مُتمرِّداً ... يَرَى الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ تَحْتَ رِكابِهِ
فلَمّا تَنَاهَى ظُلْمُهُ وعُتُوُّهُ[١] ... أناخَتْ صُرُوفُ الحادثاتِ ببابِهِ

(فعند ذلك ارتفعت من العباد أيدي الشكوى)[٢] إلى من يعلم السرّ والنجوى؛ ووقع على المسلمين من الغموم مالا يُفرِّجه إلاّ الحي القيوم. ولله[٣] القاضي العلاّمة الحافظ شيخ الشيوخ، وإمام الرسوخ، الوجيه عبد الرحمن بن محمد الحيمي[٤]، رحمه الله تعالى، إذ يقول:

ألا رُبَّ ذي ظُلمٍ كَمنْتُ لحَرْبِه ... فأوقعه المقدور أيَّ وقوعِ
وماكانَ لي إلاّ سِلاحُ تَركُّعٍ ... وأدْعيةٌ لا تُتّقى بدُرُوعِ
مُرَيّشة بالهدب من جفن ساهرٍ ... مُنَصّلةٌ أطرافُها بدُمُوعٍ[٥]
وهيهات أن ينجو الظلوم وخلفه ... سِهامُ دُعاءٍ مِنْ قِسيِّ رُكوعِ

والشريف مع ذلك يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في قصدهم إلى ذلك المكان، حتى[٦] وصلت إليه قبائل الشام[٧]: وادعةٌ، وسَنْحان، وقَحْطان[٨]/ وهم قريب من ألف مقاتل، فتقوّى عزمه على الخروج. [١١١٨]

* * *

١. في س: «وعناده».

٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «وبالجملة إنها ارتفعت أيدي العباد بالشكوى».

٣. في س: «ولله در القاضي».

٤. عبد الرحمن بن محمد الحيمي: من علماء اليمن، توفي سنة: ١٠٦٨هـ=١٦٥٧م. (انظر: البدر: ١/ ٣٤٠؛ الحبشي، المصادر: ٥٦).

٥. مريشة: أي إن السهام معدة للرمي فقد ركب لها الريش. ومنصلة: من النصال وهي السهام أو السيوف.

٦. بدلها في س: «حين».

٧. في س: «الشام من وادعة». زيادة.

٨. «قحطان»: ليست في س. وادعة: قبيلة تقع ديرتها شمال مدينة صعدة (انظر: النعمي، تاريخ عسير، ١٤١؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن (٢) ٧٦١=٧٧٢)
سنّحان: قبيلة في بلاد عسير (انظر: النعمي، تاريخ عسير، ١٤١؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن (٢) ٤٣٢)
قحطان: قبيلة في بلاد عسير وبلاد صعدة (انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، (٢) ٦٤٧).

[فرار العامل من حرض]

وكان العامل بحَرَض تلك المدة الشريف حسين بن أحمد الثُّقَبي المكنَّى : أبو شوشة[١] ، من جهة خاله الشريف محمد[٢] ؛ فطلب الأمان ولحق بأبي عريش، واعتذر بأن الرُّتْبَة الذين معهم[٣] داخلهم العيب، والعلم لعالم الغيب.

ولما كثر من بني يام التَّجاري العظيم، ووقع الناس منهم في المُقْعِد المقيم، وفرّ جميع أهل القرى التي بين حرض (وأبي عريش، ولم يبق منهم مقيم، ولم يبق إلا من تحصن بقلعة البدوي)[٤] ؛ لحق العار بالشريف من نهب رعيته واستباحة حرمته، (وعنده هذا الجمع من محطته)[٥] .

* * *

[مفاوضات بين الطرفين]

(فصمم على الخروج في الحال عملاً بقول من قال)[٦] :

وعارٌ على حَامي الحِمَى وهُوَ في الحِمَى ... إذا ضَاعَ في البَيْداءِ عِقَالُ بعيرِ

وخرج من أبي عريش بجيشٍ يملأ الفضاء[٧]، نحو خمسة آلاف مقاتل (يحمل حتوف القضاء)[٨] :

كأن مُثارَ النَقْعِ سُحْبٌ تكاثَفَتْ ... بِهِ ظُلُمَاتٌ والأسِنَّةُ أنجُمُ

وأسدُ الشَّرى تَهْوي بكُلِّ طِمِرَّةٍ ... تَدَاعَى سِراعاً[٩] للنِّزال وتُقْدِمُ

---

١. في س : « أبو شوشة رحمه الله » زيادة.

٢. « محمد » : ليست في س.

٣. في س : « معه » ولعلها أوجه.

٤. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « وأبي عريش فلحقوا بالجبال ولم يبق سوى من تحصن بقلعة البدوي ».

٥. مابين القوسين : ليس في س.

٦. مابين القوسين جاءت صيغته في س : « وصمم على الخروج آخذاً بقول القائل ».

٧. في س : « يملى الفضى » خطأ.

٨. مابين القوسين ساقط في س.

٩. في س : « سريعاً » ولا يستقيم بها المعنى.

فاستقر بشِعْب الأملح[١] بقيَّةَ ذلك النهار، وسرى أول تلك الليلة، فلم يصبح إلا بموضع يُشْهر[٢] بجرف إبراهيم، فحصل له به القرار/ وأقام هنالك قريباً من نصف شهر، [١١٨ ب] والسُّعاة في خلال ذلك[٣] غير منقطعة بينه وبين المكرمي[٤].

وممّا شاع أنهم أذعنوا بردّ ماأخذوه من أنعام الرعية[٥] والانصراف إلى المواطن النَّجرانية على شرط قبول الشريف لهم[٦] في المستقبل للخدمة[٧]، وتأكيد الصحب[٨] على القواعد القديمة. والشريف مُصَمِّمٌ[٩] على الحرب، مانعٌ من قبول تلك السعاية؛ ولعله يعتقد أن بواطنها سقيمة غير[١٠] سليمة.

* * *

[قتال بين فريقين من الفرسان]

وممّا حدث في بعض تلك الأيام أنه تقدم جماعة من بني[١١] يام، أهل خيلٍ وركاب. فبلغ الشريف أنهم قاصدون[١٢] المخالفة له إلى[١٣] أبي عريش أو بعض النواحي القريبة منه؛ فأرسل في لقياهم جماعة من الفرسان بعضهم من السادة النُّعْميين ومن[١٤] غيرهم من المعدودين لهذا الشان، وليس فيهم أحدٌ من الأشراف بني حسن؛ وأمرهم

---

١. من روافد وادي مقاب جنوب أبي عريش.
٢. في س: «يسمى».
٣. بدلها في س: «تلك الأيام».
٤. في س زيادة: «وبني يام».
٥. في س: «الشرعية» مصحفة.
٦. في س: «على شرط قبولهم» فقط.
٧. في س: «في الخدمة».
٨. في س: «وتأكيد الصحب بينهم على القواعد» زيادة.
٩. في س: «يصمم».
١٠. «غير سليمة»: ليست في س.
١١. «بني»: ليست في س.
١٢. في س: «قاصدين» خطأ.
١٣. في س: «إلى مدينة أبي عريش» زيادة.
١٤. «من»: ليست في س.

أن يمعنوا في[١] الطلب إلى جميع (الجهات لعلهم يجدون أثراً أو مؤثراً، ثم يرجعون إليه بالخبر. فسروا من ليلتهم)[٢]؛ ولما صاروا بأطراف قرية البدوي فاجأتهم تلك الطليعة. وكانت خيل أصحاب الشريف نحو خمسة وعشرين فارساً، وخيل بني يام قريب من هذا العدد، إلا أن معهم[٣] أهل ركاب[٤] من المطايا (كثيرين يحملون البنادق. فلم يفطن أصحاب الشريف إلا وقد صاروا بالقرب منهم)[٥]. فلما تيقنوا أنه لانجاة لهم دون[٦] الملاقاة تقدموا[٧] / لقتالهم[٨]. وصدق بينهم العراك والضرب الدّراك[٩]: [١١١٩]

وكلٌّ لهمْ يَومٌ عبوسٌ غطَمْطَمٌ[١٠] تَداعَتْ به الأبْطالُ مِنْ كُلِّ جانبِ

فليْسَ لهُمْ إلاّ نِزالٌ تحيَّةٌ[١١] ولا وَصْلَ إلاّ بالقَنا والقَواضبِ

فانهزم[١٢] جمع السادة لقلتهم وعدم كفايتهم في العدد لمقاتلتهم. وأسر منهم السيد الماجد عزُّ الدين بن علي بن إبراهيم النُّعمي[١٣]، وصنوه الحسين بن علي، وابن عمهما السيد عباس بن محمد بن عليّ بن شُبَيْر. وفرّ بقية أهل الخيل. فانطلقت بنو يام بالمأسورين إلى حرض، فتهدّدهم المكرمي، وأبقاهم تحت الحفظ.

---

١. «في»: ليست في س.

٢. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «الجهات الذي يظن أن بني يام تسلكها، ويرجعون إليه بالخبر إن وجدوا مؤثراً أو أثراً، فصروا من ليلتهم» كلام مضطرب.

٣. «معهم»: ساقطة في س.

٤. في س: «الركاب».

٥. مابين القوسين جاءت صيغته في س: «كثيرون فلم يعطف لهم أصحاب خيل الشريف إلا وقد صاروا قريباً منهم».

٦. في س: «لهم إلا بالملاقاة».

٧. في س: «قدموا».

٨. بعدها زيادة في س: «عند تلك المفاجاءة».

٩. في س: «والاندراك» لامعنى لها.

١٠. في النسختين كلتيهما: «غمطمط» تصحيف سهو.

١١. في س: «نجيبة» مصحفة.

١٢. في س: «وانهزم».

١٣. «النعمي»: ليست في س.

وممّن[١] أصيب في ذلك اليوم السيد علي بن محمد بن غنيّة الذّرَوي[٢]، ابن المقتول مع الشريف في حرب خُضَيْرة كما قد[٣] سبقت الإشارة إلى ذلك، وله قصة عجيبة:

أخبرني مشافهةً أنه لما أصيب بجراحات قاتلة سقط من ظهر جواده، فأخذ العدوُّ سلبه ودابّته، وتركوه على حاله ظنّاً منهم أنه قد شرب بكأس الحمام؛ قال: «فأخذتُ [مليّاً][٤] مغشياً علي[٥] بالموضع الذي أصبتُ فيه قريباً من معركة الزّحام؛ ثم أفقت[٦] ولم يبق عندي[٧] أحد من الأنام؛ (فإذا أنا أشاهد قلعة البدوي قريباً مني. وحصل لي بعض نشاط، فقمت ساعياً على قدميّ حتى وصلت إليها بعد الإياس من الحياة»)[٨].

[١١٩ ب] ووقع له الشفاء من تلك الجنايات، فعاش زمناً طويلاً[٩]. / وما أصدق قول رب الأرباب إذ يقول وقوله الحق بلا ارتياب: ﴿ وما يعَمَّرُ مِنْ معَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ مِنْ عمُرِه إلاّ في كِتَاب ﴾[١٠].

* * *

[استقرارُ الشّريف في المَلْح]

ولما وصل الخبر إلى الشريف عزم من مطرحه[١١] ولم ينزل إلا بمحل يسمى:

---

١. في س: «وبما» خطأ.

٢. في س: «الذروي وهو ابن» زيادة.

٣. «قد»: ليست في س.

٤. «مليا»: ساقطة في الأصل ص استدركناها من س لإقامة المعنى.

٥. «علي»: ليست في س.

٦. في س: «ثم أفاق» لايقوم بها المعنى.

٧. في س: «عنده».

٨. مابين القوسين جاء في س على صيغة الحديث عن غائب على النحو التالي: «فشاهد قلعة البدوي على قرب منه، فحصل له نشاط وقام ساعياً على قدميه حتى وصل إليها بعد أن أيس من الحيوة».

٩. في س: «طويلاً مداه» زيادة.

١٠. من الآية: ١١ من سورة فاطر. وتمامها: ﴿إن الله خلقكم من تراب ثم من نُطْفة ثم جَعلكُم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولاتَضعُ إلا بعلمه ومايُعَمّر من مُعَمّرٍ ولا ينقص من عمره إلّا في كتابٍ إن ذلك على الله يسير﴾.

١١. في س: «من مطرحه ذلك» زيادة.

المَلْح – بضم الميم وسكون اللام آخره[١] حاء مهملة – فوق وادي تَعْشَر من جهة اليمن. فلم يَرُعْ المكرمي إلا خبر وصوله، ولم يبق بينه وبين حَرَض إلا مسافة[٢] قريبة؛ فحصل مع بني يام الوجَل، وحلّ[٣] بهم الفشل، وكادوا أن يتحصنوا بالقلعة عن الخروج لما بلغهم من كثرة الأجناد وقوة الاستعداد.

ثم إن المكرَمي أطلق السادة المأسورين[٤]، وطلب منهم السعاية بينه وبين الشريف على شرائط سماها لهم. فلما وصلوا إليه[٥] عرضوا عليه خطاب المكرمي، فأعرض[٦] عن ذلك صفحاً[٧] وطوى عنه كشحا[٨].

* * *

‹وقعة المِحْصام›

وبعد مضي[٩] أيام قلائل ترجّح له أن يتقدم على أولئك الأقوام، ويطرح بمحل يسمى المِحْصام[١٠] – بكسر الميم وسكون الحاء المهملة ثم صاد مهملة – [١١]على ماء هنالك، وقصده[١٢] أن يحصرهم عن[١٣] التوجه إلى أي الجهات، بحيث لو أرادوا

---

١. «آخره»: ليست في س.

٢. في س: «مسافاة» كذا.

٣. في س: «وداخلهم».

٤. بدلها في س: «النعميين».

٥. في س: «إلى الشريف وعرضوا عليه».

٦. في س: «أعرض» وهي أوجه.

٧. «صفحاً»: ليست في س.

٨. في س: «وطوى كشحاً عما هنالك».

٩. «مضي»: ليست في س.

١٠. في س: «ويطرح بموضوع يشهر بالمحصام».
والمحصام: قرية من القرى الواقعة جنوب أبي عريش. (انظر: العقيلي، المعجم: ٢٠٣).

١١. ما بين القوسين ليس في س.

١٢. في الأصل ص: «وقصدهم» سهو صوبناه من س.

١٣. في س: «على».

الرجوع إلى بلدهم لتعذر عليهم المضي وفات. وكان ذلك يوم[١] الخميس لعله السابع والعشرون[٢] من شهر جمادى الأولى من سنة التاريخ.

[١١٢٠] / فلما بلغ الخبر إلى المكرمي قطع (بأن الشريف يقصده لا محالة)[٣]. فعبأ قومه للقتال، ورأى أن[٤] الصلح والحال هذا من قسم المحال، وعمل بقول من قال:

وليس يدفع عن حيٍّ منيَّته إذا أبت عُوَذُ الراقي ولا البشرُ

ثم جمع أصحابه، فقسمهم[٥] ثلاث ثُبات، وجعل لكل ثُبة راية[٦]، كما هي القاعدة ليام في جميع ما يقع معهم من الحرابات[٧]؛ وهم ثلاث قبائل: مَواجد، وجُشَم، وآل فاطمة. ثم خرج[٨] بهم إلى قبلي قرية حَرَض، حتى جاوزوا مسيل الوادي؛ وإذا قد فاجأهم جُند الشريف، إلا أنه[٩] لم يكن له[١٠] عزم على حربهم ذلك اليوم لظنه أنهم لا يخرجون من القلعة، وفي باله أنه سيقصد الموضع الذي عزم على التوجه إليه، (ثم يُفاشحهم الحرب بعد ذلك)[١١]. وقد أخذ بعض جنده إلى الجهة الشرقية عن مقابلة العدو من بني[١٢] يام. ولكنه لما تراءى الجمعان، وشاهد رؤساء جند الشريف بني يام[١٣] متأهبين للقتال والصدام[١٤]، علموا أنهم إذا لم يلقوهم عُدّت منهم خيفة وهزيمة، وربما

---

١. في س: «في يوم».
٢. في س: «عشرين» خطأ. يوافق: ١٥ سبتمبر سنة: ١٧٧٠م.
٣. ما بين القوسين جاءت صيغته في س: «قطع بقصد الشريف له فعبأ».
٤. في س: «أن طلب الصلح».
٥. في س: «فثبتهم».
٦. في س: «راية مستقلة» زيادة.
٧. في س: «الحربات»: سهو.
٨. في س: «وخرج».
٩. في س: «أنهم».
١٠. في س: «لهم».
١١. ما بين القوسين ساقط في س. ولم نهتد إلى قراءة (يفاشحهم) بوجه آخر لها.
١٢. «العدو من بني» ساقطة في س.
١٣. بعدها زيادة في س: «بتلك الصفة».
١٤. «الصدام»: ليست في س.

قصدتهم يام فجعلتهم غنيمة ؛ (فتأهبوا للقاء، واقتسموا ثلاث ثُبات ليكونوا أقرب إلى إصابة الهُدى)[١] ؛ فكانت قبائل الشام / من وادعةَ، وعَبِيدَةَ[٢]، وسنحان في مقابلة مَواجد ؛ وبكيل كافة[٣] في مقابلة جُشَم ؛ وسحار ووائلة[٤] ومن في طبقتهم في مقابلة آل فاطمة. [١٢٠ ب]

وجعل الشريف على راية أهل الشام ابنه[٥] أحمد بن محمد[٦].

وعلى راية بكليل أخويه (الحسن بن أحمد وناصر بن أحمد)[٧].

وعلى راية (سحار ابنه حيدر بن محمد)[٨].

وبقي الشريف فيمن بقي[٩] من عَبِيده وخدامه، (ورأى القوم مشاهد الوقعة ذلك اليوم. وكان قد شرع به أثر في تلك الأيام يمنعه عن تحريك جواده)[١٠] ؛ ولولا قوة بأسه وشدة مراسه لتعذرت[١١] عليه الحركة إلى مراده.

فاستقامت[١٢] الحرب على ساق، وحق الجلاد وضاق النّطاق ؛ وثار القسطل،

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « فأهبوا قومهم للقاء الأعداء، وقسموهم ثلاث ثبات ليكونوا أقرب إلى إصابت ؟ الصواب وأهدى» كذا، ولعل ما جاء في ص أكثر رصانة وأمتن سبكاً.

٢. عبيدة : قبيلة مجاورة لقحطان. (انظر : النعمي، تاريخ عسير : ٤٣).

٣. «كافة» : ليست في س.

٤. وائلة : قبيلة من ذي محمد، على جبل برط، وهم من حاشد.

٥. في س : « ابنه الشريف » زيادة.

٦. في س زيادة : « رحمه الله ».

٧. ما بين القوسين جاء في س على هذا الوجه : « الشريف حسن بن أحمد وصنوه ناصر بن أحمد رحمهم الله تعالى ».

٨. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « سحار ومن معهم ابنه الشريف حيدر بن محمد رحمه الله ».

٩. العبارة في س : « بقي بين يديه من عبيده » وجه.

١٠. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « ورأى القوم مشاهد للوقعة بلى ؟ لوم وكان في تلك الأيام قد شرع به مرض يمنعه عن تحريك جواده » كلام فيه اضطراب.

١١. في س : « لتعذر » جائز.

١٢. في س : « واستقامت ».

وغشي[1] قتام البارود ذلك المحل[2] ؛ وأُرسلت الصواعق، وكثرت النواعق ؛ فاكْتَسَرت رايتان من بني[3] يام، وهم : مواجد، وجُشَم، ولحق بعدهم من في مقابلتهم من الأقوام، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وأسروا منهم[4] أسراً فظيعاً.

وكان القاضي حسن المكرمي[5] (في أخْريات هاتين الرايتين)[6]، فأُصيب برمية في ركبته صرعته عن جواده، وفرَّ عنه مَنْ عنده من خدامه وأولاده ؛ ولم يرجعوا إليه إلا بعد الإياس منه. واختلف الناس في / سبب سلامته[7]، فمنهم من يقول : إنه لاذ بمحل قد سترته الأشجار. ومنهم من يقول : لم يسقط إلا بموضع لم يصل إليه أصحاب الشريف عند ذلك الفرار من بني يام[8] ولا أدركته منهم الأبصار. [١١٢١]

وأُصيب معه ابنه عباس بن حسن، ونُقل إلى قلعة حَرَض، فتعلل بها أياما حتى[9] قضى نحبه.

وقُتل من المكارمة هبة الله بن القاضي إسماعيل، وكثير من فقهاء يام وكبرائهم يصعب[10] حصرهم بالتفصيل.

ومن[11] أصحاب الشريف جماعة من الكبراء أيضاً[12] ؛ منهم النقيب محمد بن أحمد[13] بن الشائف، والنقيب حسين بن عائض، وغيرهما ممن لم يشتهر.

وأما الراية الثالثة من بني يام، وهم آل فاطمة، فصدقت منهم الحملة على من

١. في س : « وغشا » خطأ.
٢. « المحل » : ليست في س.
٣. « بني » : ليست في س.
٤. في س : « فيهم ».
٥. « المكرمي » : ليست في س.
٦. ما بين القوسين جاءت صورته في س : « في آخريات أحدها يرا الرايتين » كلام غير مفهوم.
٧. في س : « سلامته من القتل » : زيادة.
٨. « من بني يام » : ليست في س.
٩. بدلها في س : « ثم ».
١٠. في س : « فصعب ». مصحفة.
١١. في س : « وقتل من أصحاب ».
١٢. « أيضاً » : ليست في س.
١٣. في س : « محمد بن أحمد الشايف ».

(في مقابلتهم من سَحار ووائلة، وكانت خيل آل فاطمة كثيرة، فخلف أهل الخيل من وراء جند وائلة وسحار ؛ فولّوا الأدبار، وحق عليهم الفرار) [١]. ولم يشعر الشريف إلا بقدومهم عليه [٢].

ولما عاين الشريف حيدر [٣] ما وقع بهم [٤] خشي من تقدم العدو [٥] إلى والده، فرجع إليه وكلّفه بالتأخر، فلم يساعده إلا بالمشقة. فانصرف راجعاً، وتبعه مَنْ بين يديه من الخدم/ والأتباع. [١٢١ ب]

وكانت خزانة الشريف وأثقاله بالقرب منه على ظهور الجمال، لم يُحَطّ عنها شيء من الأثقال ؛ فجعلها العدو مغنمهم، وظفروا منها [٦] بشيء كثير. ومع هذا فالرايتان الأخريان [٧] من أصحاب الشريف ممعنتان [٨] في طرد (من في مقابلتهم من) [٩] بني يام، لا علم لهم بما قد وقع في أصحابهم من الانهزام. فلما رجعوا [١٠] عنهم شاهدوا مكان الشريف الذي كان فيه مُقْفراً، ورأوا بني يام تنهب السُّيّاق من الوراء [١١] ؛ فعلموا بهزيمة سحار [١٢]، ثم حملوا على أولئك [١٣] النّاهبين، فقتلوا منهم جماعة، واستنقذوا منهم كثيراً [١٤] مما قد أخذوه في تلك الساعة ؛ وكانت هذه القضية من أعجب القضايا.

---

١. ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « في مقابلتهم، وكان منهم جماعة من أهل الخيل، فخلفوا السحار ومن معهم من وراء ظهورهم، فانكشف أسحار ؟ وحق عليهم الفرار » في الكلام اضطراب.

٢. في س بعدها زيادة : « مولين الأدبار ».

٣. في س : « حيدر بن محمد » زيادة.

٤. في س : « عليهم ».

٥. في س بدلها : « القوم ».

٦. في س : « فيها ».

٧. في س : « الآخرة ».

٨. في س : « ممعنة ».

٩. ما بين القوسين ساقط في س.

١٠. في س : « عادوا ».

١١. « من الوراء » : ساقطة في س.

١٢. في س : « أسحار ». سهو.

١٣. في س : « أولئك الأقوام الناهبين » زيادة.

١٤. في س : « كثير » خطأ.

أخبرني بعض من شاهد ذلك فقال [١] : « كنت بمحل [٢] أشاهد منه الفريقين راكباً على شجرة، وكنت أرى الراية التي اكتسرت من بني يام تهرب إلى جهة اليمن نحو قرية حَرَض ؛ وأشاهد راية سحار تهرب إلى جهة الشام، وآل فاطمة يطردونهم [٣]، فقضيّت [٤] العجب مما شاهدت ».

وبالجملة فهي حكم الحكيم الذي لا يجور في حكمه، ولا يحيف في عدله وهو بكل شيء عليم.

[١١٢٢] / وممّن فاز بالشهادة في ذلك اليوم من أصحاب الشريف صنوه (الشريف الرئيس الماجد، حامل لواء المحامد) [٥] ناصر بن أحمد بن محمد الحسني، رحمه الله.

كان شريفاً رئيساً سرياً، له رئاسة كاملة، ونسك [٦] حسن، وصفات جميلة :

تَرَدّى ثيابَ المَوتِ حُمْراً فما أتَى لها اللَّيلُ إلا وهْي من سُنْدُسٍ خُضْرُ [٧]

وأُسر [٨] صنوه (الشريف شرف الإسلام الحسن) [٩] بن أحمد بن محمد [١٠]، وانطلقت به يام إلى حَرَض، وبقي في أسرهم عدة أيام ؛ ثم خلص من ذلك الإسار [١١]، وحصل للشريف بإطلاقه السرور التام.

ورُوي أن جملة من قُتِل في ذلك اليوم أو مات بالظّمأ من الفريقين قريب من خمسمائة إنسان [١٢].

---

١. في س : « قال ».
٢. في س : « فيه ».
٣. في س : « تطردها ».
٤. « فقضيت » : ليست في س.
٥. ما بين القوسين ساقط في س.
٦. في س : « وتشكر » مصحفة.
٧. البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر الكبير المتوفى سنة : ٢٣١هـ = ٨٤٦م في رثاء الطوسي. ورواية الشطر الأول في ديوانه : « تردى ثياب الموت حمراً فما دجى... ».
٨. في س : « واستيسر ».
٩. ما بين القوسين مختصر في س على النحو التالي : « صنوه الشريف حسن ».
١٠ في س زيادة : « الحسني رحمه الله ».
١١. في س : « الإيسار » لاتصح.
١٢. بدلها في س : « نفر ».

ومازال الشريف في حال فرار [١] أصحابه ينادي [٢] عليهم لطلب الاستقرار ؛ ولكن هيهات ذاك ، فلم تغرب شمس ذلك اليوم إلا وقد صار بعضهم بطرف [٣] مدينة أبي عريش . وتلاحق القوم حتى الصباح ، ومنهم من لم يصل إلا بعد يومين أو أكثر ؛ ومنهم من فُقِد فلم يُظْفَر عنه بخبر .

* * *

[عودة الشريف إلى أبي عريش]

ثم دخل الشريف إلى المدينة [٤] في يوم السبت لعله مُنْسَلَخ [٥] الشهر المذكور ، ولله عاقبة الأمور [٦] .

وأما المكرمي فبقي بحَرَض [٧] إلى أواخر شهر رجب الفَرْد [٨] الحرام ، وانفصل إلى نَجْران . وقد انغرست عداوة بني يام في قلوب جميع القبائل ؛ ووقع الإياس/ من الصلح بينه وبين الشريف ؛ وصار كلٌّ منهما يُصرِّح بعداوة الآخر في المحافل . [١٢٢ ب]

وبعد نفوذ المكرمي زلَّج الشريف مَنْ عنده من الأجناد [٩] ؛ ولحقه من المغارم أموال تجل عن الحصر [١٠] والتعداد . واستمر على ما كان عليه من التردّد بين أبي عريش وقرية البِيِّض وترمّمت له الأحوال .

* * *

١ . « فرار » : ليست في س .
٢ . في س : « يناديهم » .
٣ . في س : « بأطراف » .
٤ . في س : « مدينته » .
٥ . في س : « سلخ » . ويوافق : ١٨ سبتمبر سنة : ١٧٧٠م .
٦ . « ولله عاقبة الأمور » : ليست في س .
٧ . في س : « حتى » .
٨ . منتصف نوفمبر سنة : ١٧٧٠م .
٩ . بدلها في س : « الأقوام » .
١٠ . « الحصر و » : ساقطة في س .

[غلاء في الأسعار]

ولكنه عقَّبَ[١] هذه الوقائع[٢] غلاء في الأسعار (بسبب نهب الأموال)[٣]. ولله الحمد على كل حال من الأحوال.

* * *

[وفاة الشريف محمد]

وفيها، في يوم الجمعة لعله السابع والعشرون[٤] من شهر ذي الحجة الحرام: كانت وفاة مولانا الشريف الهمام، الصَّمْصامةَ القَمْقام، عز الإسلام، ويَعْسوب الكرام، محمد بن أحمد بن محمد بن خيّرات الحَسَني، رحمه الله[٥]، بمدينة أبي عريش المحمية[٦]؛ ودفُن بمقابر أهله أولي الرتب[٧] العلية، وبُنِيت عليه قبة عظيمة الشان[٨]، مشيدة الأركان. وأنشد لسان الحال قول من قال في حق بعض الأبطال:

مَاتَ المُغيرةُ بَعْدَ طُولِ تَعَرُّضٍ ... لِلمَوتِ بَيْنَ أسنَّةٍ وصِفَاح

فوقع على الناس لموته[٩] حزن أبكى العيون، وتقلقلت أحوالهم وعَرِيت عن السكون.

* * *

١. في س: «عقيب».
٢. في س: «هذه الوقائع حصل غلاء»: زيادة.
٣. ما بين القوسين صيغته في س: «بسبب مانهب من الأموال» وجه جيد.
٤. في س: «والعشرين» خطأ. ويوافق: ١٣ - إبريل سنة: ١٧٧١م.
٥. عبارة الترحم: ليست في س.
٦. «المحمية»: ليست في س.
٧. في س: «الرتبة» مصحفة.
٨. في س: «البنيان» خطأ.
٩. بدلها في س: «يوم موته».

[فتنة بين أولاد الشريف بسبب الوصية]

(وكادت أن تثور الفتنة بين أولاده) [١] بسبب وصيته إلى ابنه [٢] الشريف حيدر بن [٣] محمد ؛ وعارضه أخوه الشريف أحمد [٤] للقيام، (فقام معه الكثير من الأشراف والعسكر) [٥].

ولما فرغ الناس من دفنه حصل السداد [٦] [بين الأولاد، وقوّموا الشريف أحمد ابن محمد لولاية البلاد.

* * *

[تأريخ عام وفاة الشريف]

وأرّخ عامَ وفاته السيد الأمير، الأديب الفاضل العارف، عماد الإسلام يحيى ابن محمد بن خيرات القُطُبي، بأبيات رُسِمت في القبة التي على ضريحه، فقال :

هذا ضَريحُ أبي قِناعِ الأمْجَدِ — الضَّيْغَمِ الضِّرْغامِ وهْوَ مُحَمَّدُ

/ هذا الشريفُ النّدْبُ نُخبةُ أحمَدَ — ذاكَ الشَّريفُ وشأنُهُ لا يُجْحَدُ

[١٩١ ا من الباريسية س]

مَوْلَى الكتائبِ والنَّجائبِ في الوَغَى — ولَهُ الفَجائعُ بالوقائعِ تَشْهَدُ

مِن دوخِ الأعْداءَ مِنْهُ بِسطْوَةٍ — صُمُّ الجِبالِ لها تخرُّ وتَسْجُدُ

يا أيُّها السَّاعُونَ نَحْوَ ضَريحِهِ — أهْدُوا له القُرْآنَ [ثُمَّ] ووِرْدُ[وا] [٨]

---

١ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « وكادت أن تثور بين أولاده فتنة عظيمة ».

٢ . في س : « ولده ».

٣ . « بن محمد » : ليست في س .

٤ . في س : « أحمد بن محمد » زيادة.

٥ . ما بين القوسين جاءت صيغته في س : « فقام معه أخوه الشريف علي فارس بن محمد ».

٦ . آخر الصفحة (١٢٢ب) من النسخة الصنعانية (ص) وهي الأصل الذي اعتمدناه في تحقيق الكتاب، وبنهاية هذه الصفحة انتهاء ماجاء فيها من هذا التاريخ.
وفي النسخة الباريسية س زيادة مقدارها نحو صفحة أضفناها وحصرناها بالمعقوفتين .

٨ . جاء الشطر الثاني من هذا البيت في س بالصيغة التالية : « أهدوا له القرآن وورد »
ولا يستقيم بهذه الصورة وزنه ولا معناه، فأضفنا ماأثبتناه بين الحواصر المعقوفة ليستقيم وزناً ونحواً.
و«وردوا» ههنا : اقرؤوا له الأوراد، ومفردها : ورد، بكسر الواو، وهو ضرب من الأذكار.

واقْرَوا على أرْجاءِ قَبْرٍ قد حَوَى	مَلِكاً تُحاذِرُهُ المُلُوكُ وتَسْعَدُ
طُوبَى لَهُ فَلَقَدْ حَوَى تاريخُهُ	سَعْداً وقَدْ سَكَنَ الجِنانَ مُخَلَّدُ[1]

* * *

١ . آخر الزيادة التي جاءت في آخر النسخة الباريسية س. وختمت بتاريخ نسخها وذُكِر من كتبت بعنايته، ويذيل ذلك بيتان من الشعر، ومثال ذلك كله :

«وكان الفراغ من نسخ هذا التاريخ آخر يوم الاثنين ليلة الثلوث لعله تاسع شهر الحجة الحرام، سنة : ٢١٨، وذلك بعناية مولانا الشريف محمد بن الحسن بن أحمد الحسني.

بسم الله الرحمن الرحيم
لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
بسم الله الرحمن الرحيم
إن المظلوم له حق من النقمي
بسم الله الرحمن الرحيم

تنام عينك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ع، انتهى.

* * *

وهذه تقاريظ ذيلت بها النسخة الصنعانية (ص).

/ «بسم الله الرحمن الرحيم [١١٢٣]

وهذا ما وقع عليها من تقاريظ أعيان العصر، أولهم سيدي أخي العلامة رئيس أولي الفخامة والزعامة القائد بزمام البلاغة، والمزري ببديع همذان وابن المراغة، صفي الملة وترجمان الأدلة، ذي الفخر الجلي أحمد ابن الحسن بن علي البهكلي بعد اطلاعه عليها، والنظر بعين الرضى إليها؛ وقد حصل له التورية بكثير من كتب التاريخ، ولله دره حيث قال فأبدع في المقال :

خلاصة عسجد الآداب، أضْحَتْ	على جيد الزَّمان أجلَّ حِلْيه
بدتْ في قالب التاريخ تحكي	مقالاً نَقْلُهُ ما فيه فِرْيَه
غدا ضوء القلائد فيه نقص	لمن يدري المطالع أي دريه
وبالعقد المفصَّل لا تباهي	وإن فاق العقيق بغير مريه
وإن قرّت عيون باللآلي	فهذي تحفةٌ من كل بُغْيَه
أجاد صياغها في حُسْنِ سَبْكٍ	وأبرزها بإتقان وحنيه
أمينُ الحكم في الإقليم طراً	ومَنْ شكر الأنام الكُلُّ سَعْيَه

أما قوله : « القلائد » فأراد : (قلائد العقيان) للفتح بن خاقان . وأما «المطالع» فأراد : (مطالع البدور) للقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال . وأما (العقد المفصل) فأراد : تاريخ الوالد العلاّمة علي بن عبد الرحمن . وأما «العقيق» فيشير إلى تاريخ الوالد عبد الله بن علي النعمان الموسوم بـ(العقيق اليماني في أخبار المخلاف السليماني) . وأما «قرة العيون»/ فأشار بذلك إلى تاريخ العلامة الديبع الموسوم بـ(قرة العيون في أخبار اليمن الميمون) . وأما «اللآلي» فأشار إلى (اللآلي المضيئة) للسيد الإمام أحمد بن محمد الشرفي رحمه الله . وأما «التحفة» فأراد : (تحفة الزمن في ذكر سادات اليمن) للسيد العلامة حسين بن عبد الرحمن الأهدل . وأما «البغية» فأراد : (بغية المستفيد في أخبار صنعاء وزبيد) للديبع أيضاً . ولله درّه فيما أبدع : [١٢٣ ب]

وعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كلِّ عَيْبٍ كَليلةٌ ... كما أنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدي المسَاويا

* * *

وقال مولانا السيد العلامة الإمام الوجيه عبد القادر بن أحمد صاحب كوكبان ما لفظه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : لما وقف الفقير إلى ربه الفرد الصمد عبد القادر بن أحمد، سامحه الله فيما أخطأ به قتسي أو خطأ متعمد، على التاريخ البديع المسمى (خلاصة العسجد) للعلامة الهمام المفرد، قاضي الإسلام، السابق إلى كل شأو عليّ عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، وجدت ألفاظ فرائده تشهد لمؤلفها بالفضل الجلي، فلم يزل يتأمله سراً وجهراً، ويكرره سطراً فسطراً . وعند ذلك سنح للفقير من التقريض ما لعله يجوز أن يعد من القريض :

خلاصة العسجد عند النقض ... شمس تنير في بروج السَّعد
فالشمس عند نورها مثل السُّهى ... والرَّوض من نوارها يستهدي
يغني بها عن كاس من عذاره ... كاس نبات سندس للخدّ
/ تروي فتحسب النسيم سحرًا ... يفوح طيبا عن رياض ورد [١١٢٤]
ألذ من عذب فرات لِصَدٍ ... أشهى من الوصل عقيب صدّ
وكأنها مجامر تضوّعت ... في كل ناد في ذكي ندّ
كم أسْمَعَتْ ألفاظُها صم الصفا ... وكم أمالت مِنْ غصون مُلْد
ألفها القاضي الوجيه من له ... فضل يعزّ حصره بالعدّ
حَوَى مِنَ الآداب ما أقلّه ... بحر يفيض جوهراً بالمد
إذا سمعت سحرها في سحر ... رأيت شمساً في بروج السعد

قوله : «شمس تنير» : كثر تشبيه العلوم والآداب بالشمس بجامع النور، فنور الشمس حسّي يشرق في بروج الفلك . ونور العلم معنوي، يشرق في البروج المشيدة بغير شك . والشمس بلسان أهل الصنعة -أي الكيمياء- من أسماء العسجد .

قوله : «كم أسمعت ألفاظها» البيت . «الصفا» : هذا مستعار لمن لا يود سماعها حسداً، لكن حُسنها يكلفه الإصغاء إليها، كما قيل :

فهاك مديحاً كلُّ لفظٍ مكلّفٌ ... عداتك أن ترددّه في كل مَحْفَلِ

وأصل معنى البيت لأبي الطيب :

. . . . وأسمعت كلماتي مَنْ به صَمَمُ

انتهى كلامه بحروفه

ثم قال : وقال مولانا الولد العلامة، متقن فنون العلم والأدب، فهو عزيز النظير في نجد وتهامة، فاضل دليل علاه جلي، وشأو قدره علا علي بن محمد بن علي :

لله ما صدرت ملام	كأن به قرة العيون
أغرت بالفقه قارئا	حسنا على قرة العيون
خلاصة العسجد التي من	سماتها صيب العيون
ذا الظن المستفيد لكن	فاق لما فيه من عيون
بهم تزان العروس وانظر	تأليفه تروع عن يقين
لقد علا أبو عريش	بدر عقد له عين
فلله الدر بحر علم	يرويك من مائه المعين
/ إمام نظم وكم له في	حدائق العلم من فنون
قد استنارت له خلال	يعجز عن رقمها يميني

[١٢٤ ب]

ثم قال : وأنشدنا مولانا الوالد العلامة من يكاد عد حجره الجليس لالتقاط دراريه أن يكلم أداوى أقلامه، يحيى بن إبراهيم بن محمد حفظه الله تعالى قالها له حين تنقلت الأسماع بذلك التاريخ ارتجالاً، ولا عجب إن أعجب، نثراً ونظماً فهو بحر وارده لا يظمأ :

خلاصة العسجد في الحسن قد	فاقت على النفحة والطيب
ما الروض يحكيها ثناء وإن	راحك بالأنوار والطيب
لله من حرر في الرق ما	يقصر عنه نفحة الطيب
مؤلف يعجز تأليفه	محمد الطيب والطيبي

قوله : « محمد الطيب »، كثير من النحاة يمنع الصرف للعلمية وحدها في الشعر، واستعمال أبي الطيب عليه، قال :

في رتبة حجب الورى عن مثلها	وعلا فسمّوه علي الحاجبا

وقال :

إلى واحد الدنيا إلى ابن محمد	شجاع الذي لله ثم له الفضل

وقال السهيلي في (الروض الأنف) في قول أبي جهل :

«يروعني مجدي منهم وصحبتي . . . البيت

تَرْك صرف مجدي لأنه علَم. وترك التنوين في المعارف كلها أصل، لاينون مظهر منها ولا مضمر ولا مافيه الألف واللام، ولا مضاف/ . وكذلك كان قياس العلم، فإذا لم ينون في الشعر فهو الأصل فيه، لأن دخول التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة، فما لا يضاف لا يحتاج إلى تنوين. وقد كشفنا سرّ التنوين وامتناع الخفض والتنوين فيما لا ينصرف في مسألة أفردناها في هذا الباب، وأتينا فيه بالعجب العجاب. والشواهد على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلم كثيرة جداً فتأملها في أشعار المغازي» انتهى

[١١٢٥]

ولما نقلناه تعلم أن قول شراح أبي الطيب : ترك تنوين شجاع أو علي للضرورة أتى على ما ينبغي. انتهى.

* * *

ثم قال : ولما وقف على هذا التاريخ الولد العلامة، السابق في مضمار الأدب، من حمل ألويته وأعلامه القاسم بن عبد العزيز بن محمد قال مقرظاً لذلك الدر المنضد :

والرّوض أحْسَنُ منظراً للمجتلي	والدر في عُنُق الغزال الأكحل
والوصل بعد الهجر عند متيم	بلحاظ ربات الحجال مقتل
والمال في كف الكريم وقد دنت	منه الوفود بعام جدب ممحل
والأمنُ بعد الخوف عند مروّع	ألفى نجاة من سهام المنصل
والعفو بعد الذنب ممن خلقه	تاج السماحة للضعيف المرمل
كلا ولا وشي الربيع منمنما	بالنور غبُّ الغاديات الهطل
وأرق معنى من خلاصة عسجد	تاريخ قاضي المسلمين البهكلي
وردت وقد زرنا الرياض فلم تدع	نظراً لنا نحو الغصون الميّل
فتنزهت ألحاظنا في حسنه	قد فتحت عن كل باب مقفل

قوله : «سهام المنصل»، السهم : يطلق على الواحد من قداح الميسر، وهو عود بلا نصل، وعلى المركب من قدح ونصل، وعلى سهم البيت، فالإضافة لأدنى ملابسة وقعت قرينة على إرادة المعنى الثاني.

[١٢٥ ب] / واعلم أن لكل جزء من أجزاء السهم اسماً يخصه، فالنصل – كَفَلْس – : حديدة السهم. والمِنْصَل –كمنبر – : نصل خرج عنه نصابه. وأما المُنْصُل – بضم الميم والصاد، وبضم الميم وفتح الصاد، فهو السَيف. والقِدْح – كحبر بكسر القاف يعني فاء الكلمة – : هو السهم قبل أن يراش ويركب نصله. والرعظ –كقفل– : هو من النصَل ما يدخل في السهم، وما فوق الرعظ هو العَقَب –كفرس– ويسمى الرصاف أيضاً– ككتاب بمهملتين – .

والفُوق – كعُود – : ما يدخل فيه الوتر.

***

ثم قال : وحين تشنف بهذه الأبيات الولد العلامة خيرة الأبيات، المجلّي في حلبة الفصاحة، خدن الرجاحة والسماحة عبد الله بن عيسى بن محمد، سارع إلى سلوك هذه الطريقة، وأنشد :

أتاريخ تهش له النفوس	به الدر الثمين غدا يجوس
لعمرك إنني قاسمت دراً	يكون مغاصه أبداً طروس
زها حُسناً بآداب حسان	كما زُهِيتَ بإكليل عروس
لقد طلعت لنا منه سعود	وغابت عن نبازكه النحوس
فروُحُ الروْح صار به كئيبا	وأنفاسٍ له كرهت نفوس
كذا طبق لحلوى لم يوافقـ	ـه شَنٌ بل تجرعه الجليس

قوله : « روح الروح : كتاب في التاريخ للوالد عيسى بن لطف الله، ونسبة الكآبة إليه مجاز. و « الأنفاس » يشير إلى (الأنفاس اليمنية) كذلك كتاب له أيضاً في تاريخ الدولة المحمدية، والضمير في «له» عائد إلى الروح، وهو عبارة عن المؤلف، وهو الوالد عيسى بن لطف الله. و (طبق الحلوى) : تاريخ للسيد العلامة عبد الله بن علي الوزير ذيل على (روح الروح). قوله : « لم يوافقه شن » : هو إشارة إلى المثل : «وافق شنّ طبقة» يضرب للشيئين المتجانسين. . . ».

***

[١١٢٦] / ثم قال : ولما وقف على هذه التقاريظ العلامة الأريب، المجلي في مضمار البلاغة، فلا يُشَقُّ غباره، أديب نظم حبيب عند نظمه غيرُ حبيب، لو رآه لاعترف بفضله ابن أبي ربيعة الصبيب، ولو أدركه لقدماه البديع والحريري، صفي الدين أحمد بن الحسن الزهيري. فأبدع في حسن السبك والترصيف، وقال قبل أن يرى ذلك التأليف وقد شغف به شغفَ من شفَّه البين، فلا عجب، فكثيراً ما تعشق الأذن قبل العين

لذكر محب في الهوى وحبيب	من جعل حبي في الهوى ونصيبي
سمعت بذكر البهكلية عند من	إليهم وفيهم طيّبي وطبيبي
فألزمت نفسي حبها غير راحم	وواعدتها بالوصل وعد كذوب
وتاه بحبيها فؤادي صبابة	ودب الهوى في السمع أي دبيب
وما كان من قصدي هواها وإنما	حبيبٌ إلى قلبي حبيبُ حبيبي
هي البدر لا بل كلف البدر فامّحي	على أنه يأتي لها بغريب
هي الشمس بل لو قابلت وجهها ضحى	لغابت وما قد آذنت بغروب
هي الروضة الغنّاء والربوة التي	تفاوح رياها بأطيب طيب
هي الغادة الحسنا جلتها يدُ العلى	مُسربلة من حسنها بقشيب
جلتها يد القاضي النجيب نجيبة	لكل كريم الوالدين نجيب
أتت وهي كالشمس المنيرة بهجة	بآداب علم من علوم أديب
مُخَلّصة بالفضل وهي خلاصة	كما سميت من غير ريب مريب
فليت جمال البهكلية ينجلي	لعين امرىء في العالمين غريب
عزيز وجود المثل في أهل عصره	صبور على ريب الزمان أريب
فيقضي لبانات بقرب محبب	ويأنس ذو خوف ببعد رقيب

[١١٢٦ ب] / ولما وقف على ما حرر في هذه الأوراق، مَنْ أحرز جلال الكمال وكمال الجلال على الإطلاق، المقدم رتبة وإن كان الثاني في هذا النظام، جمال الإسلام وحسَنة الأنام، علي بن محمد بن الحسين، حرس الله ذاته عن الشين، قال وهو بدار الاعتقال :

خلاصة العسجد مذ صُنّفت	أنست بتصنيف مروج الذهب
فكل تاريخ مضى قبلها	بسَبْك من قد صاغها قد ذهب
لولا اعتقالي جئت فيها بما	يجعلُ درَّ النظم كالمجتلب
فالقصر قد قصر آداب مَنْ	حلَّ به وهو بدار الأدب

انتهى ما وضعوه، فجزاهم الله أحسن الجزاء في الآخرة والأولى وصلعم.

***

[١١٢٧] / الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله المطهّرين.

أما بعد، فإني لما نزهت طرفي في خلاصة العسجد، وأجريت طرفي في مضمار بدائع هذا الدر المنضد، الذي ألفه مولانا قاضي قضاة الأنام، وحالي جيد الزمان المعطال ببليغ الكلام، وجيه الإسلام والدين الجلي، العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، بارك الله في أيامه، وزاد في شهوره وأعوامه. هزتني أريحية الطرب، وقادتني نشوة السكْر إلى ارتقاء معارج الأدب ؛ وقلت ما يجري مجرى التقريظ، وإن كنت الخليق بأن يقال لي: إن وسادك لعريض. إلا أني لما شاهدت ما يبهر السمع أخذت بقول من قال : هزُّ السيف تسمع بالوقع :

خلاصة العسجد عند السبك — أنست لما في طبقات السبكي
قد لمعت أنوار نورها ضحاً — حندس برق الحنفي المكي
وقد بدت أخبارها في زمن — حكمت في تحفته بالترك
لما بها قرت عيون في الورى — بقيت من قرتها في شك
وحينما فاح أريج ريحها — ضاعت فضاعت نفحات المسك
ألفها المولى الوجيه من غدا — طود مبانيه على السمك
لا زال في عين الزمان ناظرا — يزيل عنا ظلمات الدرك

طبقات السبكي : تأليف الشيخ الإمام الحافظ المحدث، قاضي القضاة عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. وهي كتاب مشهور، وبأيدي علماء الأمصار منشور. وقوله : «برق الحنفي» : إشارة إلى (البرق اليماني في أخبار الفتح العثماني) للشيخ العلامة قطب الدين صاحب الاعلام، حنفي المذهب، ذكر في ذلك التاريخ سيرة الأتراك وخروجهم إلى اليمن، ومناوأة المطهر ابن الإمام لهم في ذلك الزمن، وقوله : «حكمت في تحفته» في البيت والذي بعده نوع الاستخدام الذي هو عند أئمة البديع من محسنات الكلام ؛ على أن في البيت الثاني محسناً آخر من المحسنات المعنوية، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم كما لا يخفى على من يجمع شوارد هذه النعم. والاستخدام هو بعود الضمير إلى (تحفة الزمن) تأليف السيد حسين الأهدل، وإلى (قرة العيون) تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد الديبع، وهي من النوع الأول من الاستخدام.

قاله بفمه ونسخه بقلمه عبد الرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي، حامداً لله مصلياً على نبيه مسلما في . . . من سنة . . .

[١٢٧ ب] / يا فتاح :

ألفاظ ما أرى أم خندريس — وقرطاس حواه أم الكؤوس
وورود في خدود حين تجلى — وخمر حين تشربه النفوس
ولما جاء في الأوراق قلنا — زهور عطرت منها الطروس
سواد مثل نقش في بياض — كأوحان وقد ظلم المقيس
خلاصة ما أقول إذا وصفـ — ـت الخلاصة أنها العلق النفيس
إذا كثرت تواريخ فكل — بها المرؤوس وهي لها رئيس
كم احيا من رسوم المجد طُراً — وقد كادت تعفيها الدفوس ؟
خلاء لا ترى أبداً أنيساً — بها إلا يعافير وعيس
لقاض غير منقوص بشيء — ولا فيه لإعلال نكوس ».

***

آخر ماجاء في ظهر الورقة (١٢٧ ب) من المخطوطة الصنعانية ص (مخطوطة مكتبة الجامع الكبير) مما وضع في تقريظ كتاب (خلاصة العسجد) هذا.

ويتلو هذه الورقة في هذه النسخة ورقة أخيرة كتب في وجهها وفي قفاها أنباذ من كلام منثور وشعر لاطائل وراءه. وقد اعترى هذه الصفحة تلف وتمزق ونصول حبر فرتقت فغاب تحت الرتق قسم من تلك الكتابات ؛ ومثال مااستطعنا تبينه من هذه الكتابات :

[١٢٨ أ] / « . . . البديعة . . . أولى الفخامة والزعامة القائد . . . المزري ببديع همذان وابن المراغة صفي . . . ذي الفخر الجلي أحمد بن الحسن بن علي البهكلي . . . التاريخ، بعد اطلاعه عليه، ونظره بعين الرضى . . .

التورية بكثير من كتب التاريخ ولله دره. . . قال وأبدع في المقال :

خلاصة عسجد الآداب أضحت	على جيد الزمان أجل حلية
. . . في قالب التاريخ تحكي	. . . نـقـلـه مـامـنـه. . .
. . . ضوء القلائد فيه نقص	لمن يدري المطالع أي مرية
. . . العقد المفصل لا . . .	وإن فاق العقيق بغير مديه
وإن قرت عيون بـاللآلي	فهذي تحفة من كل بغيه
أجاد صياغها في حسن شكل	وأبرزها بإتقان وعنيه
أمين الحكم في الإقليم طراً	ومن شكر الأنام الكل سعيه

. . . فريد التورية بـ (قلائد العقيان) للفتح بن خاقان (. . . طالع البدور) للقاضي أحمد بن صالح ابن أبي . . . الرحمن . . .

[١٢٨ ب] / وأورد . . . المكتوبة وأتبعوها بالآثار . . . ولكن قرؤوا فاتحة الكتاب قصداً للوداع وافترقوا يوم . . . والآخرون مطلع الذراع . انتهت بحمد الله . . .

. . . عن القاضي . . . فتُل علمه بالعقوبة . . . وتجب الدية على عاقليه . . . ويكون لهم الرجوع على الموكل . . . ؟؟؟ منه ، وظاهر الأزهار أنه عنه حيث قال . . . الاستحقاق وفيه تكليف مالا يطاق . وبعد فقال : إن هناك الكشف عدم الاستحقاق بالمرة ، وهنا طرأ ما اسقطه بعد أن كان مستحقا فكانت الشبهة قوية . . . شيخنا . . .

قال الحافظ منصور بن سليم . . . الإمام . . .

إن غبتم صورة عن ناظريّ فما	زلتم حضوراً على جفوني
. . . الحقائق في الأذهان حاضرة	وإن تـرد صـورة فـي . . .

وقلت في المعنى في قافية أخرى فقال :

إن تغيبوا عن العيون فأنتم	في قلوب حضوركم مستمرٌ
مثل ماتكتب الحقائق في الذهـ	ـــر في خارج لها مُسْتَقَرٌ

أنشد ابن الأعرابي :

أيا هانىء لاتسأل الناس والتمس	بكفّيك فضل الله فالله أوسع
فلو سئل الناس التراب لأوشكوا	إذا قيل هاتوا أن علوا وتمنعوا

محمود الوراق :

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا	من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولاتكن	يا ذا الضراعة طالباً من طالب

غيره ولله دره :

قالوا فلان عالم فاضل	فأكرموه حسبما يقتضي
فقلت إن لم يكن . . .	. . . .

***

وههنا آخر ما جاء في ذيل النسخة الصنعانية ص من المضافات من تقاريظ وغيرها ؛ وبذلك ينتهي ماأثبت في النسخة جميعه .

***

الفهارس

فهرس الأعلام

ظ

ع

ن

هـ

فهرس الأماكن

أ

ب

ت

ث

ج

ح

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهرس المصطلحات

أ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

فهرس الجماعات والقبائل

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ق

ك

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الكتب

المحتويات

الفهارس

tout entier. Edition du manuscrit des registres établis par le gouvernement rasoulide pour asseoir son emprise fiscale sur le commerce du royaume (en langue arabe). *En préparation.*

COMMANDES

Pour tous les pays

Institut Français d'Études Arabes de Damas (IFEAD)
(par chèque bancaire à l'ordre de M. l'Agent Comptable de l'IFEAD)
B.P. 344 - Damas - Syrie
Téléphone : (963 11) 33 30 214
Télécopie : (963 11) 33 27 887
ifead@net.sy
www.univ-aix.fr/ifead

Librairie Adrien Maisonneuve
11, rue Saint-Sulpice, 75006 Paris, France
Téléphone : (33 1) 43 26 86 35
Télécopie : (33 1) 43 54 59 54

Leila Books
39 Kasr El-Nil St. 2nd floor - office: 12
P.O. Box 31 - Daher 11271 - Cairo - Egypt
www.leilaxbooks.com
leilabks@intouch.com

POUR LE PROCHE-ORIENT
al-Jaffan & al-Jabi
P.O. Box 4170, Limassol, Chypre
Téléphone : (357 5) 58 33 45
Télécopie : (357 5) 59 11 60
Damas :
Téléphone : (963 11) 33 12 899
Télécopie : (963 11) 22 41 267

DISTRIBUTION

POUR LA FRANCE
Librairie-Boutique de l'Institut du Monde Arabe (IMA)
1, rue des Fossés Saint-Bernard
75236 Paris Cedex 05, France
Téléphone : (33 1) 40 51 39 13
Télécopie : (33 1) 40 51 38 47
www.imarabe.org
bookshop@imarabe.org

POUR LA SYRIE
À DAMAS
Institut Français d'Études Arabes de Damas, Librairies Nouri, Avicenne, Family Bookshop et celles des hôtels Méridien et Sheraton

À ALEP
Librairie de l'hôtel Amir

À LATTAQUIEH
Librairie Palmyra

POUR L'ARABIE SAOUDITE
Librairie Dar al-Malama
P.O. Box 222
Riyad 11371 - Arabie Saoudite
Téléphone / télécopie :
(966 1) 47 29 531

DERNIÈRES PUBLICATION DE L'IFEAD

BULLETIN D'ÉTUDES ORIENTALES

Tome 51 - 1999, ISBN 2-901315-46-1 ....250 F

161. BONNENFANT, Guillemette et Paul, *L'art du bois à Sanaa*, traduit du français par **AL-AROUSSI, Muhammad Alî Qâsem et ZAYD Alî Muhammad**, Damas : IFEAD, 1996 (en langue arabe), ISBN 2-961315-321.........210 F

170. C. ESTABLET & J.-P. PASCUAL, *Ultime voyage à la Mecque*. 223 p., in-8° (1998), ISBN 2-901315-43-7....................130 F

171. A. RAYMOND

Les villes arabes. Alep, à l'époque ottomane, 375 p., in-8° (1998), ISBN 2-901315-44-5....................170 F

172. M. AL-AMÎN (m. 1952)

Autobiographie d'un clerc chiite du Ǧabal 'Âmil, traduction et annotations par S. MERVIN & H. AL-AMIN, 213 p, in-8° (1998), ISBN 2-901315-47-X ....130 F

173. J.-Cl. DAVID, *La Suwayqat 'Alî à Alep*, 200 p., in-4° (1998), ISBN 2-901315-48-8 ....130 F

174. J. SUBLET, *Hiṣn al-ism*, traduction arabe par S. BARAKAT, 199 p., in-8° (1999), ISBN 2-901315-49-6......................98 F

175. H. TOELLE, *Le Coran revisité : le feu, l'eau, l'air et la terre*, 288 p., in-8° (1999), ISBN 2-901315-50-X..................125 F

176. F. M. NAJJAR & D. MALLET (présentation, édition et traduction), *Al-Farâbî : l'harmonie entre les opinions de Platon et d'Aristote*, 234 p., in-16° (1999), ISBN 2-901315-52-6......................65 F

177. M. SAWAIE

Azmat al-muṣṭalaḥ al-'arabî fî al-qarn al-tâsi' 'ašr, (texte arabe 156 p., introduction en français et en anglais 8 p.), in-8° (1999), ISBN 2-901315-51-8 ....95 F

179. B. MARINO & T. OKAWARA, *Catalogue des registres des tribunaux ottomans*, (texte arabe, 254 p., introduction en français et en anglais 53 p.), in-4° (1999), ISBN 2-901315-54-2 ....:...........................95 F

EN CO-EDITION CFEY-IFEAD

ORY, Solange, *De l'or du sultan à la lumière d'Allah, la mosquée al-Abbas à Asnaf*. Sanaa : CFEY ; Damas : IFEAD. Une petite mosquée du 12ème siècle a révélé un plafond de bois polychrome d'une exceptionnelle richesse.

AL-HADRAMI, 'Abd ar-Rahmân, *Histoire de Zabîd*, Sanaa : CFEY ; Damas : IFEAD (en langue arabe). *Sous presse.*

JAZIM, Muhammad , *Les registres de l'Etat rasoulide*. Un apport à l'histoire sociale et économique du monde arabe

Raydân *(7)*. Aix-en-Provence : IREMAM ; Sanaa : CFEY.
Revue des antiquités et de l'épigraphie du Yémen antique (français-arabe).

LA ROQUE, Jean de, *Voyage de l'Arabie Heureuse par l'Océan Oriental et le détroit de la Mer Rouge*, Paris : A. Cailleau, 1716.

GRANDPRE, L de, *Voyage dans l'Inde et au Bengale (1789 et 1790)*, Paris : P. Dentu, an IX (1801), (réédition), (Cahiers du CFEY n° 3).

COMMANDES

Institut Français d'Etudes Yéménites
(avec chèque établi à l'ordre de M. le Trésorier payeur de l'ambassade de France à Djibouti.)
Bayt Al-Ajami, rue du 26 Septembre
P. O. BOX 2660 SANAA, YEMEN
Tél : (967-1) 275-417
Fax : (967-1) 270-725

www.univ-aix.fr/cfey

Librairie Avicenne,
25 rue de Jussieu , 75005 Paris
Tél : 01 43 54 63 07,
fax : 01 40 46 04 07
Librairie_Avicenne@compuserve.com

Librairie de l'Institut du Monde Arabe (IMA),
1 rue des Fossés-Saint-Bernard,
75236 PARIS Cedex 05
Tél. 01-40-51-38-38
Fax. 01 43 54 76 45

ironique d'un «assistant de recherche» un jour lassé de l'ingratitude de son maître et les relations intriquées de la société yéménite musulmane du 19ème siècle avec sa communauté juive.

KOPP, Horst et WIRTH, Eugen *Sanaa développement et organisation de l'espace d'une ville arabe*, Paris : CNRS, Sanaa : CFEY, 1994, (Cahiers de l'IREMAM n° 5), ISSN 1159-4926.

MERCIER, Eric, *Aden : Un parcours interrompu*, Sanaa : CFEY, Tours : URBAMA, 1997 (Villes du Monde). Le premier ouvrage scientifique en français sur la ville d'Aden. Bases d'une thèse de doctorat en géographie interrompue par la disparition accidentelle de l'auteur en octobre 1996, ISBN 2-86-106-108-0.

MERMIER, Franck (éd.), *Yémen : l'Etat face à la démocratie*, Paris : La Documentation Française (Monde Arabe Maghreb-Machrek, n° 155, janvier-mars 1997). Une approche globale du Yémen contemporain par une équipe franco-yéménite.

MERMIER, Franck, LEVEAU, Rémy et STEINBACH, Udo (éds.), *Le Yémen contemporain*, Paris : Karthala, 1999.
ISBN 2-86537-893-4.

AL-SAHARI, Gamal al-Din, *Wasf Sanaa* (Al-Mansurat al-Galiyya), édité et présenté par AL-HIBSHI, 'Abdullah Muhammad, Sanaa : CFEY, 1993 (en langue arabe), ISBN 2-909194-00.

ZAYD, Alî Muhammad, *Les tendances de la pensée mu'tazilite au Yémen*, Sanaa : CFEY, 1997 (langue arabe). Une page mal connue et néanmoins essentielle du Zaydisme. En partie issu d'une thèse de doctorat soutenue en 1986 à l'Université de Paris 1, l'ouvrage d'Alî Muhammad Zayd constitue la première étude détaillée de la Mutarrafiya, une dissidence politique et idéologique du Zaydisme. La Mutarrafiya tire son nom de son fondateur, encore peu connu - Mutarraf b. Shihâb b. 'Umar al-Shihâbi - qui vécut au 11ème siècle. Les thèses égalitaristes de la Mutarrafiya refusaient notamment le principe de la légitimité religieuse héritée et, partant, la prééminence des descendants d'al-Hassan et al-Husayn. Cette défiance à l'égard des principes fondateurs de l'imamat zaydite ainsi qu'une approche très rationaliste des phénomènes naturels valut aux adeptes de la Mutarrafiya d'être férocement réprimés.

À PARAÎTRE

ARBACH, Mounir, *Rapport des fouilles archéologiques de Yala-Marib 1989.*

BARRET, Marylène, *La restauration de la mosquée al-'Abbâs à Asnâf*, Sanaa : CFEY.
Les étapes scientifiques mais également administratives et humaines de l'entreprise de démontage, transport, restauration, préservation et remontage du plafond d'une mosquée du 12ème siècle au Yémen.

AL-AKWA', Ismaîl b. Alî, *Les hijra et les forteresses du savoir au Yémen*, traduit de l'arabe par MARINO Brigitte, Sanaa : CFEY, 1996, (Cahiers du CFEY n° 2).
ISBN 2-909194-05-1.

AL-'ANSI, Yahyà b.Yahyà, *Le savoir agricole traditionnel au Yémen*, Sanaa : CFEY /AIYS, 1998 (en langue arabe). Recueil des pratiques populaires régionales yéménites en matière agricole dans leur relation avec l'astronomie.

BRETON, Jean-François et AQIL, 'Azza Alî, *Shabwa*, Sanaa : CFEY, 1996 (langue arabe).
ISBN 2-909194-04-3.

BRETON, Jean-François et BAFAQIH, Muhammad 'Abd al-Qadir, *Trésors du Wadi Dura'*, Sanaa : CFEY, Paris : Geuthner, 1993 (bilingue français-arabe), ISBN 2-7053-0559-9.

BRON, François, *Mémorial Mahmud al-Ghul, inscriptions sudarabiques*, Sanaa : CFEY ; Paris : Geuthner, 1992, ISBN 2-7053-0625-0.

Chroniques Yéménites 1998-1999, Sanaa : CFEY, 1999
Histoire et société, 210 pages d'études inédites.

COUSSONNET, Nahida et ORY, Solange, *Inscriptions de la mosquée Dhi Bin au Yémen*, Sanaa : CFEY, 1996 (Cahiers du CFEY n°1). Compte-rendu de deux prospections de la mission archéologique française d'épigraphie arabe, en 1986 et 1992. Déchiffrement et analyse épigraphique et paléographique de la mosquée de Dhi Bin (fondée aux environs de 437/1047-8 et située à 74 km à vol d'oiseau, au nord-est de Sanaa) et du mausolée de l'imam al-Mahd li-din Allâh Ahmad b. al-Husayn (612-656/1216-1258) par Solange Ory, suivis d'une biographie de l'imam al-Mahd par Nahida Coussonnet, ISBN 2-909194-04-03.

DETALLE, Renaud, *Tensions in Arabia : the Saudi-Yemeni Fault Line A Conflict Prevention Network* - Stiftung Wissenschaft und Politik book, Published by Nomos Verlagsgesellschaft, Deutschland.
ISBN 3-7890-6635-4.

GRANDGUILLAUME, Gilbert, MERMIER, Franck et TROIN, Jean-François, (éds.), *Sanaa hors les murs, une ville arabe contemporaine*, Tours : URBAMA, Sanaa : CFEY, 1995 (Villes du monde arabe ; 1), ISBN 2-86906-077-7.
La nouvelle société urbaine yéménite.

HABSHÛSH, Hayîm, *Yémen*, traduit de l'arabe et présenté par NAIM SANBAR, Samia, Arles : Actes Sud, 1995 (Terres d'aventures).
ISBN 2-7427-0598-8.
Guider en 1870 un rabbin, universitaire français spécialiste de l'épigraphie, à la recherche d'inscriptions sudarabiques à travers le Yémen : telle est l'épopée vécue par Hayîm Habshûsh, chaudronnier juif de Sanaa. Deux clefs de lecture très modernes pour un ouvrage essentiel : la révolte impertinente et

